

رَوَائِع

مِثَالُ الْعَرَبِي

الْقَصْرِ

الْجَاهِلِي - الْإِسْلَامِي - الْأُمَوِي - الْعَبَّاسِي

للدكتور هاشم صالح مناع

مدرس اللغة العربية وفكرها

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بغداد

دار الوسام

روائع من الأدب العربي

العصر : الجاهلي « الإسلامي « الأموي « العباسي

روائع من الأدب العربي

العصر : الجاهلي - الإسلامي - الأموي - العباسي

الدكتور هاشم صالح منّاع

مدرس الأدب العربي

وكيل كلية الدراسات الإسلامية

والعربية بدبي

دار ومكتبة الهلال

بيروت

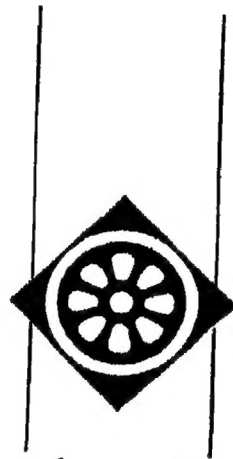
دار الوسام

بيروت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
الطبعة الثانية ١٤٤١ هـ - ١٩٩١ م

طبع على مطابع
دار ومكتبة الهلال
بيروت
ص.ب. ٥٠٠٣ / ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الاحمداء

إلى
زوجتي العزيزة شفاء
مع
التقدير والوفاء
هاشم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين، وبعد..

كان مشروع هذا الكتاب، فكرة تتردد على مخيلتي بين الحين والآخر، مذ كنت طالباً جامعياً. ولكنني عجزت عن تنفيذها، لانشغالي بمتابعة دراستي العليا. وما إن فرغت منها حتى أخذت أعدّ العدة، لتحقيق ما كنت أظنه خيالاً بعيداً، فبدأت الخطوات الأولى بأن وكلت أمري إلى الله - وما خاب من على الله اتكل - فمنّ عليّ بالصبر، الذي يستلزمه هذا الكتاب، وأخذ بيدي وأعانني على البحث الدؤوب، والمواصلة الحثيثة، والسير في الطريق الذي رسمته لنفسي من بدئه إلى منتهاه: فرحت أجمع المادة الأدبية من مظانها - رغم صعوبة الحصول عليها، وعدم توافرها دائماً - فتجمع لديّ مادة غزيرة: شعرية ونثرية، فحرت في أمرها، لأنها جميعها تنمّ على عبقرية الشعراء في عصورهم المختلفة، وتدلّ على موهبة فذة، وبلاغة تكاد تكون سحراً، فتعطي صورة رائعة لابتكارهم المعاني ونسجهم التشبيهات، وتحفل بتسجيل الحياة في عصورهم تسجيلاً حياً صادقاً. فكان لا بدّ من نظر فاحص متأمل، ورأي صائب متفهم، ونفس بعيدة عن الأهواء، غير مشفقة على ما حصل بها من عناء أو لحق بها من جهد. حينئذٍ أخذت أدرسها دراسة وافية، فأشرح غموض معانيها، ثم أوازن بينها، فأدخلها نخلاً، وأختار من هذا المنخل بقدر اجتهادي. وقد راعيت في هذه العملية أن اختار نصاً واحداً على الأقل لكل شاعر أو ناثر، وحرصت على تعدد الأغراض في عملية الاختيار هذه.

وبهذا أصبح الحلم حقيقة، والخيال واقعاً بإصدار هذا الكتاب الذي أسميته (روائع

متى الأدب العربي) لأن ما تجمع لدي كان كله رائعاً، فانتقيت منه أروع الروائع في نظري وصنفته في كتابي هذا.

وقدمت للكتاب بمقدمة تعرف الأدب، وتذكر أقسامه إلى جانب تقسيم العصور الأدبية.

وعنيت بتعريف بعض الظواهر الأدبية: كالوصايا، والحكم، والأمثال، والنقائض، والمقامات، والتوقيعات...

ووضعت ترجمة موجزة عن حياة كل شاعر أو ناثر.

وحرصت على الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي يمكن الرجوع إليها في الأغراض أو الشعراء أو الكتاب.

ونهبجت في ترتيب الشعراء والكتاب نهجاً يعتمد على الترتيب الزمني لسني وفياتهم دون النظر إلى ترتيبهم حسب أغراضهم الأدبية: كشعراء النقائض أو شعراء الغزل العذري والعمرى والنسب... أو شعراء الاتجاهات السياسية في العصر الأموي.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من: أستاذي الفاضل الدكتور مازن المبارك - رئيس قسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي - والأخ الجليل الدكتور غازي طليمات، والوالدين الكريمين: الأستاذ مأمون ياسين، والأستاذة عفت وصال حمزة على ما قدّموه لي من: رأي حكيم، أو توجيه مثمر، أو مراجعة دقيقة، جزاهم الله عنى كلّ خير، داعياً الله أن يديمهم سنداً وذخراً. والله ولي التوفيق.

د. هاشم صالح مناع

تمهيد

تعريف الأدب:

قبل أن ندخل في تحديد ماهية الأدب وأنواعه أو فنونه، لا بدّ من تتبع تطور هذه اللفظة عبر العصور، منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر. إن لفظة الأدب واحدة كغيرها من الألفاظ التي نمت وتجددت في اللغة العربية، واللغة، كما هو معروف: كائن حي - تنمو باستمرار وتتأثر بالظروف التي تمرّ بها، من سياسية واجتماعية واقتصادية... ويقترن مصطلح الأدب بمدلولات تقليدية وموروثة ومستحدثة ومعاصرة... بمعنى أن هذا الاصطلاح مرّ بمعان أو مدلولات عدة أخذت معناها الذي نعرفه اليوم.

التعريف اللغوي:

إذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة، فإننا لا نجد التعريف الشافي الذي يسعفنا في تحديد هذا المصطلح، ففي لسان العرب^(١) وتاج العروس^(٢): الأدب: الذي يتأدّب به الأديب من الناس، سمّي به لأنه يأدّب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقايح، وأصل الأدب: الدعاء، ويقول: الأدب: ملكة تعصم من قام به عما يشينه. وفي

(١) ابن منظور، مادة «أدب».

(٢) الزبيدي، مادة «أدب».

المصباح المنير^(١): أدبته أدباً: علّمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق. وأدبته تأديباً مبالغته وتكثير.

هذا ما ذهب إليه أصحاب اللغة في توضيح معنى هذا المصطلح... ومهما يكن من أمر فإن المعاجم لها ظروفها الخاصة، التي ألفت فيها، وعليها تجاوزها، وتتبع هذه اللفظة، من خلال النصوص على اختلاف أنواعها، للوقوف على مفهومها.

تطور لفظة الأدب:

كان حرياً بالعصر الجاهلي أن يعرفنا مدلول هذه اللفظة، لأن ما عهدناه من شعر في هذا العصر، للدليل قاطع على أن الشعراء قد عنوها، وأوردوها في أشعارهم، ولا يخفى على أحد، أن كثيراً من الأشعار أو النصوص الشعرية والثرية قد ضاعت وفقدت، ولم يصل إلينا إلا قلة قليلة من أعمالهم عن طريق الرواية وليس عن طريق التدوين^(٢)، والدليل على ذلك أن خلافاً كبيراً يدور حول تسمية المعلقة بهذا الاسم... يقول ابن النحاس: «لم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة»^(٣) فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى المعلقة المشهورة، فما الحال بالنسبة إلى بقية الأشعار؟ ولعل الخبر الذي يورده صاحب العقد الفريد، يسلط الضوء على التساؤل القائم، هل استخدمت لفظة «الأدب» في العصر الجاهلي خلافاً لما هو معروف عن استخدامها في ذلك العصر؟ والخبر الذي يروى أن النعمان بن المنذر أرسل وفداً إلى كسرى، حاملاً معه رسالة، يقول فيها النعمان: «وقد أوفدت أيها الملك (أي: كسرى) رهطاً من العرب، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم»^(٤) إن صحت هذه الرواية: فلننا نكون قد شارفنا على التوافق اللفظي والمعنوي لهذه اللفظة في العصرين الإسلامي والأموي - كما سنرى - أليس من حقنا الآن أن نقول إن المعنى التهذيبي والخلقي قد قصد هنا؟ أو ليس من حقنا أيضاً أن

(١) الفيومي، مادة «أدب».

(٢) انظر ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص ١٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٢٦٦/٩.

(٤) أحمد بن عبد ربه ٢٨٠/١.

نقرر أبعد من هذا المعنى، ألا وهو المعنى الأدبي - الشعر والنثر - الذي اشتهر به العرب، الذين عرفوا بالفصاحة والبلاغة؟ لننظر إلى نص آخر يدعم ما ذهبنا إليه . . . وهو يدخل في سياق الخبر الأول حين قدم الوفد على كسرى، وكان يجمع نخبة من عليّة القوم وأدبائهم: أكثم بن صيفي وحاجب بن زُرارة التميميّين، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكرّيين، وخالد بن جعفر وعلقمة بن معد يكرب الزبيدي وغيرهم . . . فأخذ كلّ واحد يقول ما جادت به قريحته^(١)، ونصل إلى علقمة بن عُلاتة العامري الذي مثل أمام كسرى، وخطب: «فليسَ مَنْ حَضَرَكَ مِنَّا بأفضلَ ممن عَزَبَ (غاب) عنك، بل لو قِسْتَ كُلَّ رجلٍ منهم وعلمت منهم ما علمنا، لوجدت له في آباءه دُنْيَا أنداداً وأكفاء، كلهم إلى الفضل منسوب، وبالشرف والسؤدد موصوف، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف»^(٢). ولو تقصينا مثل هذه الأخبار الماثورة هنا وهناك لضاق المجال بنا، وعلى أية حال، فإننا نقف عند هذين الخبرين لننقذ من خلالهما ببصيص الأمل إلى بلاغة العصر الجاهلي، الذي لا نظنّ أنه قد أهمل مثل هذه اللفظة التي كانت وعاء لفصاحته وبلاغته ورجاحة عقله الأدبي . . . وبعد، فإنه من المستحسن أن نقف عند تطوّر هذه اللفظة عبر العصور المختلفة:

١ - العصر الجاهلي: لم نجد في هذا العصر - إذا ما تجاوزنا الخبر السابق - ما يدلّ على استخدام لفظة الأدب، وإنما نجد اسم الفاعل منها «أدب» أي الداعي إلى الطّعام أو صانع المأدبة، وهذا واضح في قول طَرْفَة بن العبد (من الرمل):

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَا تَرَى الْأَدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ^(٣)

ولم تتجاوز هذه اللفظة في نطاق العصر الجاهلي المعنى الحسي.

٢ - العصر الإسلامي: لم ترد لفظة «أدب» في القرآن الكريم، ولكن أخذت هذه الكلمة في العصر الإسلامي معنى ذهنياً بدلاً من المعنى الحسي، وهو المعنى

(١) العقد الفريد ١/٢٧٤-٢٨٨.

(٢) المصدر السابق ١/٢٨٤.

(٣) الديوان، ص ٥٥ (المشتاة: الشتاء. ندعو الجفلى: أي نعم بدعوتنا إلى الطّعام، ولا نخص أحداً. وضد الجفلى النقى: وهي أن يخص الأدب، لا أن يعم. والأدب: الداعي إلى الطّعام، أو صانع المأدبة. كل طعام صنع لدعوة أو عرس مأدبة ومأدبة).

التهديبي الخلقي، وهذا واضح في قول الرسول ﷺ: «أدبني ربِّي فأحسن تأديبي»^(١). أي علّمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة. والأدب ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة^(٢). وأغلب الظن أن هذه اللفظة قد عنت أيضاً العلم، بدليل قول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: يا رسول الله إنك تكلم الوفود (وفد بني نهد) بكلام أو لسان لا نفهم أكثره، فقال: إنّ الله أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله كلنا من العرب فما بالك أفصحنا؟ فقال: أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها^(٣). إذن نحن أمام ظاهرة علمية إلى جانب المعنى الخلقي التهديبي. . وقد وردت لفظة الأدب بمعنى «التدريب والتعليم»، وهذا واضح في قول الرسول ﷺ: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيّكم، وحبّ بيتي، وقراءة القرآن، فإنّ حملة القرآن في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه مع أنبيائه وأصفياه»^(٤). ويقول الرسول ﷺ: «لأنّ يؤدّب الرجل ولده خير له من أن يتصدّق بصاع»^(٥) أي: عندما يبلغ من السنّ والعقل مبلغاً يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين، ويصونه عن مخالطة المفسدين ويعلمه القرآن والأدب، ولسان العرب، ويسمعه السنن، وأقاويل السلف، ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى عنه^(٦). ونمضي مع هذا المعنى أيضاً في قول الرسول ﷺ: «ما نحلّ والدٌ ولده من نحلّ أفضل من أدب حسن»^(٧). أي: لا يعطي ولده عطية أفضل من تعليمه الأدب الحسن^(٨) ولو أردنا تتبع هذه الأحاديث لطلال بنا المقام، ونختم حديثنا بقول

(١) الجامع الصغير للسيوطي ٢٢٤/١.

(٢) المناوي، فيض القدير ٢٢٤/١.

(٣) المصدر السابق ٢٢٥/١. قيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ومن ضلّ عقله ضلّ أصله. وقيل: بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصلح العمل وبالعلم تنال الحكمة.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي ٢٢٦/١.

(٥) سنن الترمذی ١٣١/٨ (باب ما جاء في أدب الولد).

(٦) المناوي، فيض القدير ٢٥٧/٥.

(٧) سنن الترمذی ١٣١/٨ (باب ما جاء في أدب الولد).

(٨) المناوي، فيض القدير ٢٥٧/٥.

الرسول ﷺ: «مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأُذِبَهُنَّ وَزَوَّجَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(١) أي من قام بما يحتاجه من نحو نفقة وكسوة وغيرهما وأدبهن بأداب الشريعة الإسلامية وعلمهن أمور دينهن وزوجهن من كفاء وأحسن إليهن بعد الزواج فله الجنة^(٢)، وقد ورد معنى حسن الأخلاق، وفعل المكارم في قول سهم بن حنظلة الغنوي: (من البسيط):

لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مَنِّي مَا أَرَدْتُ وَلَا أُعْطِيهِمْ مَا أَرَادُوا، حُسْنٌ ذَا أَدَبًا^(٣)

والأدب هنا هو السيرة والطريقة. يقول الدكتور شوقي ضيف: «وذهب نالينو إلى أنها (كلمة الأدب) استخدمت في الجاهلية بمعنى السنة وسيرة الآباء مفترضاً أنها مقلوب دأب، فقد جمع العرب دأباً على آداب كما جمعوا بئراً على آبار ورأياً على آراء، ثم عادوا فتوهموا أن آداباً جمع أدب، فدارت في لسانهم كما دارت كلمة دأب بمعنى السنة والسيرة، ودلوا بها على محاسن الأخلاق والشم. وهو فرض بعيد، وأقرب منه أن تكون الكلمة انتقلت من معنى حسي وهو الدعوة إلى الطعام إلى معنى ذهني وهو الدعوة إلى المحامد والمكارم، شأنها في ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية التي تستخدم أولاً في معنى حسي حقيقي، ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي»^(٤). وعلى كل حال فإنه من السهل العثور على بعض الآيات التي تدل على المعنى الخلقي التجريدي، فهذه شاعرة من بني هزان تقول في ابن لها عقها: (من البسيط)

أَنْشَأَ يَمْرُقُ أَثْوَابِي، يُؤَدِّبُنِي أَبْعَدَ شَيْبِي عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدَبَا^(٥)

(١) سنن أبي داود ٣٣٨/٤ (رقم ٥١٤٧).

(٢) المناوي، فيض القدير ١٧٨/٦.

(٣) انظر: الأصمعيات، ص ٥٦. ولسان العرب (مادة حسن) وفيه: «لم يمنع» والمعنى: «لا يمنع الناس مني ما أردت من مالهم ومعونتهم مع بذلي لهم ما يريدون مني من مال ومعونة» وقد جعل هذا أدبا حسنا. وقد يكون بمعنى: «أنه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه، ولا يستطيعون أن يمنعوه مما يريد منهم لعزته وسطوته وقد جعل هذا أدبا حسنا».

(٤) العصر الجاهلي، ص ٨.

(٥) التبريزي، شرح ديوان الحماسة ٣١٦/١، والبيت من الشواهد النحوية في قطر الندى لابن هشام، ص

وهذا شاعر آخر من الفزاريين يقول: (من البسيط).

أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقُبُهُ، وَالسُّوَاةَ اللَّقْبَا
كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي أَنِّي وَجَدْتُ مِلَاكَ الشِّيمَةِ الْأَدْبَا^(١)

٣- وأخذت لفظة «الأدب» معنى آخر أضيف إلى رصيدها المعجمي في العصر الأموي حين استقرت الأمور في هذا العصر وعمت الخيرات، وبخاصة العائدات الاقتصادية للفتوحات الإسلامية على الحياة الاجتماعية وانتشرت الثقافة، واشتغل الناس بالعلم، حينذاك راح الخلفاء يتخذون لأبنائهم المعلمين، وعهدوا إليهم بتربيتهم فعرّفوا بالمؤدبين، ويبدو أن الخلفاء قد وضعوا شروطاً لاختيار المؤدبين، «وكان عبد الملك بن مروان أكثر خلفاء بني أمية اهتماماً باختيار المؤدبين لأبنائه، وقد انعكس ذلك الأثر على التاريخ الأموي بشكل عام»^(٢). وهكذا اكتسبت اللفظة مدلولاً جديداً، وهو التعليم، وبذلك يكون التطور التدريجي لهذه اللفظة على النحو التالي: المادي ثم الخلفي ثم التعليمي. وتجدر الإشارة إلى طبيعة عمل المؤدبين، فقد كانوا يلقّنون أولاد الخلفاء أنواع العلوم: من شعر وخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام وما يتصل بالشرعية الإسلامية من تفسير للقرآن الكريم، وحفظ للأحاديث النبوية، ومسائل فقهية^(٣). وقد سار الخلفاء

= وروايته:

أضحى يمزق أنوابي، ويضربني أبعد شيبني يعني عندي الأدبا

إن هذا الرجل قد صارت حاله إلى أن يعتدى علي، ويهيني بتمزيق ثوبي ويضربي، وإني قد كبرت فلا قدرة لي على تأديبه وردعه، وقد يكون أنه يحاول تأديبي من بعد أن جاوزت العمر الذي يصلح فيه التأديب. والمعنى الأخير أصوب. وانظر: جمهرة الأمثال ٤٠/٢، ٢٧٩.

(١) التبريزي، شرح ديوان الحماسة ١٨/٢. والبيت الثاني من الشواهد النحوية في أوضح المسالك ٣٢٠/١ رقم ١٨٩. وشرح ابن عقيل ٤٩/٢ رقم ١٣٠. والشاهد في البيت «وجدت ملاك الشيمة الأدب» فإن ظاهره أنه ألغى «وجدت» مع تقدمه، لأنه لو أعلمه لنصب «ملاك» و «الأدب» وهذا ما أثبتناه.

(٢) د. محمد صالحية، «مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، المجلد الأول، ١٩٨١ الكويت ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق نفسه.

في العصر العباسي على نهج أسلافهم في اختيار المؤيدين، الذين انعكس تأثيرهم على السلوكين السياسي والاجتماعي للخلفاء، ولا سيما أن العصر العباسي شهد ظهور العديد من التيارات الفكرية... منها: تيار الزندقة والشعوية ومسألة خلق القرآن الكريم^(١)...

٤ - أما في صدر العصر العباسي، فقد أخذ الأدب يشمل المعنيين معاً: التهذيبي والتعليمي مع استبعاد للمعنى الحسي الذي ذكرناه. وهذا يتضح جلياً عند ابن المقفع (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) في كتابيه: «الأدب الصغير والأدب الكبير» وهما في السياسة والأخلاق.

ويكاد يكون هذا المفهوم قد رست مدلولاته منذ القرن الهجري الأول إلى يومنا هذا مع تغيير بسيط بسبب الظروف العصرية التي تلتها، يقول صاحب اللسان: الأدب: أدب النفس وأدب الدرس^(٢) ولا أحسب أن هذا المعنى قد برح هذين المدلولين، إلا أنه قد أخذ في عصور متأخرة يتخصص ببعض العلوم كما سنرى.

٥ - وإذا ما انتقلنا إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين، فسنجد أن مدلول لفظة الأدب قد أخذت مفهومها الطبيعي نتيجة لما يطرأ على الحياة من نمو وتغير وتطور... إذ أصبحت تتصل اتصالاً وثيقاً بالأدب الذي نعرفه تقريباً، فهذا أبو تمام (ت ١٣١ هـ / ٨٤٥ م) يفرد باباً خاصاً في ديوان الحماسة سمّاه باب الأدب، ويجمع فيه مختارات من طرائف الشعر. وهذا المعنى - التهذيبي والتعليمي - أورده البخاري (ت ٢٥٦/٨٧٠) في كتاب الأدب في مؤلفه المشهور في الحديث والمعروف باسم الجامع الصحيح، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كتاب الأدب الذي صنّفه ابن المعتز (ت ٢٩٦/٩٠٨). وهناك طائفة كبيرة اختصت بهذا المعنى، منها: البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥/٨٦٨) الذي يجمع ألواناً من الأخبار والأشعار والخطب والنوادر، مع ملاحظات نقدية وبلاغية. وكتاب «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد (ت ٢٨٥/٨٩٨) الذي وجه اهتمامه إلى اللغة لا إلى البلاغة والنقد، وقد قدم فيه

(١) د. محمد صالحية، «مؤدبو الخلفاء في العصر العباسي الأول»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الخامس، المجلد الثاني: ١٩٨٢ الكويت.

(٢) لسان العرب مادة «أدب».

صوراً من الرسائل الثرية التي ارتقت صناعتها في تلك العصور، ومن المؤلفات الأدبية أيضاً كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦/٨٨٩) وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨/٩٣٩) وزهر الآداب للحصري (ت ٤٥٣/١٠٦١). ونجد أيضاً إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري قد دَلُّوا برسائلهم المعنى الواسع للأدب من علوم اللغة والبيان والتأريخ والأخبار على علوم السحر والكيمياء والحساب والمعاملات... أي جميع المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعياً وثقافياً^(١).

٦ - وبعد ذلك نصل إلى عصر ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥) الذي اتسع فيه مفهوم الأدب كما هو الحال بالنسبة إلى إخوان الصفا، وجاء تعريف ابن خلدون لعلم الأدب تعريفاً مقنناً جامعاً شاملاً يقول: «الأدب: هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف»^(٢).

٧ - أخذت الكلمة منذ أواسط القرن الماضي تدل على معنيين: معنى عام يقابل معنى كلمة Literature في الإنجليزية و Litterature في الفرنسية التي تطلق على كل شيء قيد الطبع، أو هو كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن أسلوبه، وبناء على هذا التعريف نستطيع دراسة «مهنة الطب في القرن الرابع عشر» أو «حركة الكواكب في بداية العصور الوسطى» أو «مهنة السحر في إنجلترا قديماً وحديثاً» وبهذا يكون كل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدباً^(٣). ويعتبر هذا التعريف قاصراً عن تعريف الأدب، لأنه لا بد أن يشمل الأدب المنطوق أو الشفهي^(٤). وهناك معنى خاص هو «الأدب الخالص الذي لا يراد به إلا مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أيضاً أن يكون جميلاً بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع

(١) انظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٨-١٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٢٢.

(٣) انظر: أوستن وارن ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ص ١٩، ٢٢ (ترجمة محي الدين صبحي). ود.

شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١٠. ود. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ص ١٤.

(٤) نظرية الأدب، ص ٢٢.

على نحو ما هو معروف في صناعاتي الشعر وفنون النثر الأدبية مثل الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات»^(١).

وقبل أن نضع التعريف الاصطلاحي للفظ الأدب رأينا أن نذكر بإيجاز تطورها:

١ - المعنى الحسي ، الداعي إلى الطعام أو صانع المأدبة في العصر الجاهلي .
٢ - التهذيب والخلق ، كقول الرسول ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي» في العصر الإسلامي .

٣ - التعليم ، واشتق منه بهذا المعنى «المؤدبون» في العصر الأموي .

٤ - التهذيب والتعليم معاً كما هو الحال في «الأدب الكبير والأدب الصغير» لابن المقفع في العصر العباسي .

٥ - المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعياً وثقافياً كما هو عند إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري .

٦ - جميع المعارف دينية وغير دينية كما عرّفه ابن خلدون في القرن التاسع الهجري .

٧ - كل ما ينتجه العقل والشعور ، منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

٨ - أخذت هذه اللفظة تتحدد أكثر فأكثر إلى أن بلغت تعريفاً محدداً معاصراً يتبادر إلى الأذهان بمجرد نطقها .

التعريف الاصطلاحي :

عرف الدكتور شوقي ضيف الأدب بقوله : «هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين ، سواء أكان شعراً أم نثراً»^(٢) في حين يعرفه الدكتور محمد حسن عبد الله بقوله : «إنه التعبير عن تجربة إنسانية بلغة تصويرية هدفها التأثير ، وفي شكل فني جمالي قادر على توصيل تلك التجربة»^(٣) .

(١) د . شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ .

(٣) د . محمد حسن عبد الله ، مقدمة في النقد الأدبي ، ص ٢٨ .

ومهما يكن من أمر فإنه من العسير أن يتفق المؤرخون والأدباء والنقاد على وضع تعريف موحد للأدب، على الرغم من محاولاتهم العديدة، ومع ذلك، فإنهم قد يتفقون في مفهومهم للأدب دون أن يدونوه، وحين يقومون بتدوينه فإنهم يتفقون في المعنى ويختلفون في اللفظ. وإني راغب في تدوين محاولة لتعريف الأدب لعله يكون شاملاً وجامعاً، وإن لم يختلف في المعنى، فإنه يضاف إلى جملة التعريفات السابقة، فالأدب: هو العمل الفني على اختلاف أنواعه - شعراً أو نثراً - يبرزه الأديب من خلال اللغة المعبرة القادرة على التوغل في عقل السامع وقلب القارئ بطريقة ناجحة مؤثرة يستطيع من خلالها تجسيد العمل الفني وإحداث التفاعل - عند المتلقي - الذي ينتج المتعة. وباختصار: فهو الصياغة الفنية لتجربة إنسانية.

الشعر والنثر:

ونكون هنا قد شارفنا تحديد الأدب بأنه الشعر والنثر. . . ولنطرح مجموعة من الأسئلة هنا: ما الشعر وما النثر؟ وما الفرق بينهما؟ وأيها أسبق؟ ولماذا يعبر الشاعر عن فنه بالشعر ولا يعبر بالنثر؟ أو لماذا يعبر الكاتب أو الأديب عن فنه بالنثر ولا يعبر بالشعر؟ وهل يستطيع كل منهما - الشاعر أو الأديب - التعبير بالشعر والنثر ولكنه يفضل أحد الفنين على الآخر؟ ولمعرفة الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من أن نفرّد الحديث عن كل واحد منهما.

١ - الشعر: هو، في الإصطلاح المأثور، وفي مقابل النثر، الكلام الموزون المقفى، وأحد قسمي الأدب، وقبل أن نستعرض جملة من التعريفات الخاصة بالشعر رأينا أن نوضح أن «الشعر بوصفه تعبيراً إبداعياً، بلغة اللسان، عن معاناة إنسانية، هو أحد أنواع الفنون الجميلة الخمسة: الرسم، والرقص، والموسيقى، والنحت، والشعر. وهو مثلها جميعاً صناعة فنية، يُعبرُ بها التعبير الجميل عن حالات النفس البشرية، في كل ما تضطرب به من أشتات الرؤى، وخواطر الفكر والوجدان. إلا أن الشعر، والأدب الفني بعامة، يتميز بمادة التعبير، التي هي ألفاظ اللغة وأسايلها، أما مادة التعبير فهي الأشكال في النحت والعمارة، والحركات في الرقص، والأنغام في الموسيقى، والألوان والخطوط في الرسم^(١)» ومن الصعب أن نجد تعريفاً موحداً عند

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب ٧٣٧/٢.

الأدباء أو العلماء، ولا نظنّ أنها متفقة كل الاتفاق أو مختلفة كل الاختلاف، فمن الشعر قائم وموجود، وصاحبه يقول، ولكنه عاجز عن تعريفه، مثلما يعبر عن شعوره بالكلمات، إذن الفن كفن نستطيع التعبير عنه، ولا نستطيع تعريفه، ومع ذلك فإن هناك العديد من المحاولات التي استطاعت أن تقترب من تعريف الشعر، وسنعرض لبعضها على سبيل المثال لا الحصر لنخرج بتعريف واحد منها.

يقول صاحب اللسان: «وليت شعري، أي ليت علمي أو ليتني علمت، وليت شعري من ذلك أي: ليتني شعرت... وفي الحديث: ليت شعري^(١) ما صنع فلان: أي: ليت علمي حاضر أو محيط بما صنع... وفي التنزيل: «وما يُشعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ»^(٢) أي: وما يدريكم. وأشعرته فَشَعَرَ أي أذَرَّتْهُ فَذَرَى، والشعر: منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً...^(٣)».

إذن، الشعر علم، وهو ضرب من الكلام المنعم المثير تتعاطاه طائفة ممتازة، عرفوا بالشعراء، يقول الدكتور محمد محمد حسين: «ولم تكن فتنتهم (العرب) بهذا الضرب من ضروب القول الذي سموه شعراً، لما فيه من وزن وتنظيم فحسب، ولكنهم فتنوا أيضاً بما تميّز به من النفاذ إلى حقائق الأشياء، وأسرار الكون وحكمة الدهور. فلم يكن عجباً أن يسمّوا هذه الطائفة «شعراء». فقد كانوا هم العلماء حقاً. فالحكيم الذي ينطق بالعبرة والأمثال شاعر. والكاهن الذي ينفذ إلى حجب الغيب شاعر، والرجل الذي يصور ما خفي ودقّ من مواطن الجمال وخفايا النفوس شاعر أيضاً^(٤)».

وهذا الضرب من الفن كانت العرب تحفظه وتتناقله، وترويه جيلاً بعد جيل قبل الإسلام، حتّى دوّنت هذه الأشعار، واكتشف الدارسون «أن في شعرهم نوعاً من الوزن، حاولوا تحديده وضبطه، فسموا ما استقام على هذه الموازين شعراً، وأخرجوا ما لم يستقم عليها فسموه سجعاً أو أمثالاً، وأصلحوا بعضه حتّى يستقيم على ما عرفوا

(١) شرح الجامع الصغير للسيوطي ٣٥٠/٥ (رقم ٧٥٤٣).

(٢) من آية رقم ١٠٩ سورة الأنعام.

(٣) لسان العرب مادة «شعر».

(٤) الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ٥٣.

من أوزان^(١)». ويتضح من هذا القول أن العرب أصبحت تميّز بين هذا الفن وغيره من الفنون. ولعلّ قدامة بن جعفر (ت ٩٨٧/٣٧٧) في تعريفه للشعر يحدد الإطار العام له، يقول: «إنه قول موزون مقفى يدل على معنى»^(٢)، ويفسر لنا قوله هذا بقوله: «قول» دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، وقولنا: «موزون» يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون، وقولنا: «مقفى» فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا: «يدل على معنى» يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى ممّا جرى على ذلك من غير دلالة على معنى^(٣).

ويبدو أن تعريف ابن قدامة كان أساساً للتعريفات التي تلت... فهذا ابن رشيق القيرواني (ت ١٠٧٠/٤٦٣) يعرف الشعر بقوله: «الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدّ الشعر، لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية، كأشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي ﷺ، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر...»^(٤).

ويذهب الزمخشري (ت ١١٤٣/٥٣٨) إلى تعريف الشعر بقوله: «إن حدّ الشعر لفظ موزون، مقفى، يدل على معنى»^(٥). والذي نلاحظه هنا أن الشعر لا يقوم على الوزن والقافية بل من أساسياته المعنى أيضاً... لأنه - أي الشعر - يجيش في النفوس، فتقدّفه على الألسن، أو يجيش في النفوس، ثم يدوّن. ونحن لا نقصد من رصدنا لهذه الجملة من التعريفات إلا رصد المفهوم العام للشعر، والتي تتحد في المعنى وتختلف في اللفظ أو في طريقة التناول أو الصياغة... وهذا ما نلاحظه في طبيعة عمل الشاعر إذ إن كلّ شاعر يعرف عمله، وكل الشعراء يعرفون طبيعة عملهم لأنهم شعراء وأصحاب مهنة واحدة، ينهلون من مورد واحد ألا وهو اللغة، ولكنهم -

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) نقد الشعر، ص ٦٤.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) العملة ١/١١٩-١٢٠.

(٥) القسطاس، ص ٢١.

أي الشعراء - يختلفون من حيث استخدامهم اللغة في تعبيرهم . . . والشعراء شأنهم شأن الرسامين الذين من أساس موادهم الألوان والخطوط وهم متفقهون على هذا المبدأ، ومختلفون في طريقة تعبيرهم الفني . . . فالشاعر إنسان، والإنسان بطبيعته يميل إلى نمط في حياته دون الآخر، فإذا اتفقنا على هذا نكون قد وصلنا إلى بداية الطريق التي تُوصِلنا إلى أن الشعراء ينهلون من مورد واحد ولكن كل واحد يختار ما يناسبه من هذا المورد حسب موهبته وثقافته . . . بدليل أننا لو افترضنا دعوة مجموعة من الشعراء في مناسبة ما، فإننا سنجد كل واحد منهم يختلف عن الآخر في طريقة التعبير والمعالجة، مع العلم أن الموضوع واحد، والأسس أو العناصر العامة للشعر واحدة . . .

والآن، أليس من حقنا أن نضع إطاراً عاماً نحاول فيه تعريف الشعر؟؟
أعتقد أن الفرصة مواتية لهذه المحاولة، نقول إن الشعر: هو الإحساس الذي ينطلق من سجية الشاعر عن طريق التعبير باللغة القادرة على توصيل إحساسه لغيره مع توافق هذا التعبير مع عناصر الأدب أو الشعر المعروفة.

النثر:

هناك من يقول بأن النثر أقدم الأنواع الأدبية، ونحن لا نستطيع أن نقرر هذا إلا بعد أن نطلع على أي الفنين أقدم الشعر أم النثر؟ وليس أمامنا - الآن - إلا أن نسوق جملة من التعريفات حتى نتعرف النثر . . . فما النثر؟

يقول صاحب اللسان: «النثر نثر الشيء بيدك ترمي به متفرقاً مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحب إذا بثر، وهو النثر، وقد نثره يشتره وينثره نثراً ونثراً ونثره فانتثر وتناثر، والنثارة: ما تناثر منه»^(١) فالمعنى اللغوي كما هو واضح، يعني الشيء المبعثر المتفرق، الذي لا يقوم على أساس في تفرقه وبعثرته، أي: لا يقوم على أساس من حيث الكيف والكم أو الاتساع.

والنثر: أدب إنشائي، وهو نوعان: الأول: النثر العادي الذي يدور في كلام الناس أثناء المعاملة أو هو الذي يعرف بلغة التخاطب والتفاهم بين الناس، أو هو الكلام

(١) لسان العرب، مادة «نثر».

اليومي العادي الذي يتحدث الناس، وهو غير فاقد نهائياً لبعض عناصر النثر الفني^(١).
والثاني: هو النثر الفني الذي يخضع لنظرية الفن، أو هو الذي يغلب عليه الأسلوب الفني، والذي يحتوي على عناصر فنية، نذكر منها، الأفكار، وحسن الصياغة، وجودة السبك، ومراعاة قواعد اللغة. . . ومع ذلك فإنه لا يفقد العاطفة والخيال. . .

والنثر الفني ينقسم بدوره إلى خطابة وعمادها اللسان، وكتابة فنية وعمادها القلم. ويحتاج هذا النوع من الأدب إلى مرحلة عالية من الرقي العقلي والثقافي. فالخطابة: «هي فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع والاستمالة. وهي ترقى بعاملين وتنحط بفقدتهما: أولهما: أن تتمتع الأمة بنصيب من الحرية في الفكر والقول، وثانيهما: أن تشعر بسوء حالتها، وتصور لنفسها صورة من الحياة أفضل مما هي عليه، ثم تنهض وتحرك لتحقيقها. . . أما الكتابة الفنية عند العرب (من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث) فتشمل الرسائل والقصص، والمناظرة والجدل، والتاريخ»^(٢).

ونود الإشارة هنا إلى أن النثر في العصر الجاهلي - من خطب ووصايا وحكم وأمثال - قد لعب دوراً هاماً، اقتصر على قلة من الناس دون غيرهم، وقد خلفوا لنا تراثاً ضخماً على قلته. . . منه ما يصور حياتهم على اختلاف أنواعها، ومنه ما يدل على رقيهم الثقافي والعقلي. . . وكان الخطيب منهم يطلق الأمثال، فيتناقلها الناس. . . حيث كان «الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق (أي ما استعين به) والانتفاع»^(٣). ولعل موقف الرسول ﷺ من الوفود التي قدمت عليه يعطي صورة واضحة لرقى النثر حينذاك، فكان يقول حين يستمع إلى بعضهم عندما يخطب «إن من البيان لسحرا»^(٤). أليس هذا دليلاً على فصاحة العرب وبيانهم وبلاغتهم.

إذن الخطابة نوع من الأدب رست قواعده في الجاهلية ولا يزال إلى يومنا هذا،

(١) انظر: الفرق بين الشعر والنثر، ص ٢٣.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٢٠.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين ١/ ٢٧١.

(٤) شرح الجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٢٥٤ (رقم ٢٤٥٦، ٢٤٥٧، ٢٤٥٨).

مع اختلاف في طريقة تناول التي تخضع لظروف العصر على اختلاف أنواعها، لذا فإننا ارتأينا أن نسوق جملة من التعريفات عبر العصور، للوقوف على ماهية هذا الفن.

يقول ابن قدامة (ت ٣٧٧/٩٨٧): «واعلم أن سائر العبارة في كلام العرب إما أن يكون منظوماً وإما أن يكون منشوراً. والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام»^(٢١)، «وليس يخلو المنشور من أن يكون خطابة، أو ترسلاً، أو احتجاجاً أو حديثاً»^(٢٢).

ويقارن ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٦٣/١٠٧٠) بين الشعر والنثر بقوله: «وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور. ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحدهما فضل على الأخرى - كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منشور من جنسه في معترف العادة، ألا ترى أن الدر - وهو أخو اللفظ ونسيبه، وإليه يقاس، وبه يشبه - إذا كان منشوراً لم يؤمن عليه، ولم يُتفع به في الباب الذي له كسب، ومن أجله انتخب، وإن كان أعلى قدراً وأعلى ثمناً، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال، وأظهر لحسنه من كثرة الاستعمال»^(٢٣).

ويعرّف ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥) الشعر والنثر بقوله: «واعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين: في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تتكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون»^(٢٤). وجملة القول: إن النثر كلام إنشائي بليغ يتفق مع الشعر ويختلف معه، في بعض العناصر، يُعبر عنه باللغة المعبرة القادرة على توصيل إحساس المعبر لغيره..

الفرق بين الشعر والنثر:

يصعب علينا تتبع أقوال العلماء في هذا الباب، ونكتفي بما وصل إليه ابن

(١) نقد النثر، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣) العملة، ١٩/١.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٣٢.

خلدون من رسم خط واضح يفصل فيه بين الشعر والنثر، يقول: «وكل واحد من الفئتين (أي الشعر والنثر) يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام. فأما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء، وأما النثر: فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً، ويلتزم في كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم»^(١). ثم يضيف قائلاً: «واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك»^(٢) ونجده يدون مأخذه على المتأخرين الذين أخذوا يدمجون الفئتين، ويكاد يكون الفرق بسيطاً بينهما، يقول: «وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنشور إذا تأملته من باب الشعر وفنه لم يفرق إلا في الوزن».

يكاد النقاد يجمعون على أن عناصر الأدب بصفة عامة أربعة: العاطفة، والفكرة أو المعنى، والأسلوب، والخيال^(٣) ويشترط في كل أدب أن يشتمل على هذه

(١) مقدمة بن خلدون، ص ٥٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣٣.

(٣) أحمد أمين، النقد الأدبي، ص ٢٠. (انظر: معنى هذه العناصر، المرجع نفسه، ص ٢٠-٤٢).
(العاطفة: هي الحالة الوجدانية التي تتميز بالاستقرار والدوام وبعدم العنف والثورة اللذين يميزانها عن الانفعال. وترتب على وجود هذه الحال الميل إلى الشيء أو الانصراف عنه. الفكرة: عند افلاطون: النموذج العقلي للأشياء الحسية في الوجود الحقيقي. وعند كانت: تصور ذهني يجاوز عالم الحس وليس له ما يماثله في عالم التجربة. والفكرة أو المعنى: عند أنصار المذهب الحسي، وأولهم أرسطو: هي الصورة الذهنية المستمدة من العالم الخارجي. ويقول الجرجاني: المعاني: هي الصور الذهنية. والخيال: هو القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صوراً للأشياء أو الأشخاص أو يشاهد الوجود (صمويل جونسون). ويعرفه الجرجاني بأنه قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيوبته المادية. والأسلوب بوجه عام: طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابةً. وفي الوقت الحديث: هو تعبير عن الاختيار الذي يقوم به مؤلف النص من مجموعة محددة من الألفاظ والعبارات والتركيبات الموجودة في اللغة من قبل والمعدة للاستعمال. والأسلوب الأدبي: هو الأسلوب الجميل ذو=

العناصر، ولكن تتفاوت هذه العناصر في العمل الفني حسب نوعه... وإذا جاز لنا أن نفرق بين الشعر والنثر - هنا - فنقول: إن الشعر منبعث عن عاطفة وخيال، والنثر منبعث عن فكر ورأي، ولا نعني خلو الشعر من الفكر والرأي أو خلو النثر من العاطفة والخيال... ولكن بمقدار تفاوتهما نستطيع التمييز بينهما... يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: «فن الشعو من أشهر الفنون الأدبية وأكثرها انتشاراً وربما كان ذلك لقدم عهد البشرية به، فالشعر هو الصورة التعبيرية الأدبية الأولى التي ظهرت في حياة الإنسان منذ العصور الأولى، وهذه الأقدمية التي للشعر ترجع إلى أنه كان في تلك العصور ضرورة حيوية بيولوجية.

إنه الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتعبير والتنفيس عن انفعالاته. ومنذ ذلك الوقت تحددت لذلك الفن خصائص استطعن أن نتيهنا في وضوح عندما ظهر أسلوب آخر للتعبير واستخدام اللغة هو النثر، فقد لوحظ أن الإنسان قد اهتدى إلى هذا الأسلوب عندما أراد أن يعبر عن أفكاره، ومن هنا ارتبطت «الانفعالات» بالشعر «والأفكار» بالنثر. ولكن الخطأ في الفهم يأتي عادة من النظر إلى «الانفعالات» «والأفكار» على أنها أشياء متعارضة أو متناقضة. وهذا من شأنه أن يجر إلى أخطاء كثيرة في فهم الشعر والنثر على السواء، وليس هناك تعارض، بل هو مجرد اختلاف^(١)».

وقد حدد النقاد مفهوم عمود الشعر العربي، وإن اختلفوا قليلاً، فإنهم قد اتفقوا على تحديده تقريباً، وعمود الشعر كما هو معروف: هو الطريقة الموروثة عن العرب في وزنه وقافيته وأسلوبه. وعمود الشعر عند القاضي الجرجاني (ت ٩٧٦/٣٦٦) هو:

١ - شرف المعنى وصحته.

٢ - جزالة اللفظ واستقامته.

٣ - إصابة الوصف.

= الخيال الرائع والتصوير الدقيق الذي يظهر المعنوي في صورة المحسوس والمحسوس في صورة المعنوي. (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٢، ٩٢، ١٣٥، ١٥٤).
(١) الأدب وفنونه، ص ١٣٠.

٤ - المقاربة في التشبيه .

٥ - الغزارة في البديهة .

٦ - كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة^(١) .

وقد حلّد المرزوقي عمود الشعر في سبع خصائص ، هي :

١ - شرف المعنى وصحته .

٢ - جزالة اللفظ واستقامته .

٣ - الإصابة في الوصف .

٤ - المقاربة في التشبيه .

٥ - التحام أجزاء النظم والتتامها على تخير من لذيذ الوزن .

٦ - مناسبة المستعار منه للمستعار له .

٧ - مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للغاية حتى لا منافرة بينهما^(٢) .

أي الفنين أسبق الشعر أم النثر؟

إن الحديث في هذا الموضوع يحتاج منا إلى وقفة طويلة ، لأن هناك من الباحثين من يقول : إن الشعر أسبق ، والبعض الآخر يقول : إن النثر أسبق ، والبحث والتنقيب والحديث عن هذا الموضوع مشوّق للغاية ، وأخشى أن يكون مملاً إذا ما وقفنا وقفة متأملة متأنية ، لذا ، سنحاول عرض الراييس بإيجاز . . .

من المعروف أن الشعر له صلة قوية بالشعور والطبع ، بل هو تعبير عن العاطفة والإحساس ، مع عدم حاجته إلى التقدم العلمي أو الحضاري ، أو التقدم في الحياة الماديّة بصفة عامة ، كما عهدناه في الشعر الحاهلي ، الذي صدر عن شعراء عاشوا في البادية ، الخالية من التقدم المدني . . . وربما كان التقدم العلمي مهماً بل له الدور

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٣٣ ويقول : ولم تكن العرب ثما بالتحس والمطابقة ، ولا تحفل

بالإبداع (البديع) والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض

(٢) المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ٩/١ .

الفعال في تدوين الشعر، وطباعته، ونشره، ولكن لم تكن قد وصلنا إلى هذه المرحلة في العصر الجاهلي، وربما كان التقدم الحضاري مهماً أيضاً، كما هو الحال في العصور التي تلت العصر الجاهلي، ولكنني أتخفظ على هذا، من حيث المستوى الفني للشعر، وأكبر دليل على وضوح هذه الظاهرة، الشواهد أو النماذج الشعرية في العصر الجاهلي ومقارنتها بالنماذج الشعرية في العصور التي تلت ذلك العصر. ولما كان التقدم العلمي أو الحضاري ينتج عن الرقي العقلي فإننا نستطيع القول بإيجاز: إن الشعر لا يتطلب الرقي العقلي، أو التقدم الحضاري، أو ازدهار المدنية، أو التطور العلمي، ولا نعني هنا أنه - أي الشعر - لا يتأثر أو ليس له صلة بهذا، إنه وثيق الوشائج، قوي الترابط، يضيف على الشعر نوعاً من الخصائص، ويكون الشعر مطبوعاً بطابع العصر، ونجد أن الشعر في كل عصر له مميزاته أو خصائصه الخاصة به، تميزه من غيره من العصور. . . وإذا اتفقنا على هذا، فإنه حريّ بنا الآن أن نستعرض الآراء التي تقول بأقدمية الشعر:

١ - إن الشعر هو «الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتعبير والتنفيس عن انفعالاته. . . ومن هنا ارتبطت الانفعالات بالشعر والأفكار بالنش»^(١) ولهذا كان من الضروري وجود هذا الفن، الذي يعبر عن الجانب الوجداني عند الإنسان. . . ويمكن أن ندعم هذا الرأي، بجولة ميدانية في منطقة بدائية أو حتى في بعض القرى العربية وغيرها، بين من لا يتقنون القراءة، ولم تصلهم يد الحضارة أو التقدم العلمي، فإنك لا محالة، ستجد أن الناس هناك، يقومون بالتعبير عن أحاسيسهم بدق الطبول مثلاً، أو الرقص، والغناء، ولا يخفى على أحد أن الموسيقى من مقومات الشعر، والغناء مظهر من مظاهره. . . قد يكون هذا النوع من الشعر غير متطور كما نعرفه نحن، أو لا يقوم على الأسس الفنية الخاصة بالشعر. . . إلا أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشعر، الذي يقوم على الوزن والقافية. . . في حين لم نجد النثر الفني - بصفة عامة - يرتبط بمثل تلك الحياة أو الموسيقى والرقص. . . إذن، «فالشعر ضرورة من ضرورات الحياة في طور من أطوارها، فإذا

(١) د. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ١٣٠.

انقضى هذا الطور أصبح الشعر عاجزاً عن أن يقوم بشيء من ذلك، وأصبح الشعر خليفته يصور هذه الأشياء الجديدة^(١).

٢ - قلنا إن الموسيقى من مقومات الشعر، والغناء مظهر من مظاهره، وما دام الشعر فيه هذا، فإنه يسهل حفظه، وروايته، وبالتالي انتشاره من مكان إلى مكان، ولا حاجة لتدوينه، بدليل أن كثيراً من الأشعار وصلت عن أمم لم يصل إلينا شيء من نثرها الفني، الذي يتطلب معرفة بالكتابة من أجل تدوينه، لصعوبة حفظه، والجدير بالذكر أن الكتابة - دائماً - تأتي في مرحلة علمية وحضارية متقدمة عند أية أمة من الأمم... ولا نقصد بالشعر كما هو عليه الآن إنما قد يكون في مراحل الأولى.

٣ - إذا أخذنا بالتأمل في تاريخ أمة من الأمم، كان لها حياة أدبية - أي شعر ونثر - فإننا نلاحظ أن حياتها الأدبية قد بدأت شعراً... وكان لسانها الأدبي هو الشعر، فلما تطورت هذه الأمم وارتقى عقلها، وازدهرت حضارتها، ومازجت الشعوب الأخرى، اكتشفت أن هناك أفكاراً وآراء لم تعرفها من قبل، وارتأت أن تنظم هذه الآراء والأفكار... ولكن الشعر عاجز عن أن يعبر عنها، فكان لا بدّ من اللجوء إلى النثر^(٢). فعندما نلاحظ تاريخ الأمم كاليونان مثلاً، نجد أنها كانت شاعرة، تنشئ الشعر قصصياً ثم غنائياً ثم تمثلياً، كما هو الحال في قصائد «هوميروس»^(٣)؛ التي كانت تشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر النثر الفني، وحين امتزج اليونان بالأمم الشرقية والغربية المختلفة ونشأت أفكار جديدة - سياسية وفلسفية ودينية - حاولوا التعبير عن هذه الأفكار بالشعر فعجز الشعر عن ذلك؛ لذا كان النثر الفني هو

(١) د. طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣.

(٣) هوميروس: (القرن التاسع قبل الميلاد) ولد في آسيا الصغرى. شاعر ملحمي يوناني، قيل: إنه كان أعمى نسب إليه المؤلفون اليونان أشعار «الإلياذة» و«الأوديسة» التي أثرت تأثيراً كبيراً على مستقبل الشعر اليوناني. والإلياذة: ملحمة يونانية في ٢٤ نشيداً تروى أخبار حرب طروادة بين الإغريق والطوراديين. من روائع الشعر الملحمي العالمي. عرّبها شعرا سليمان البستاني ونشرها في دار الهلال بمصر سنة ١٩٠٤م. مصدرة بمقدمة في هوميرس وشعراء اليونان والعرب وآدابهم. (المنجد في اللغة والأعلام). والأوديسة: ملحمة يونانية تتكون من أربعة وعشرين نشيداً. وتتميل إلى تجاوز حد البطولة إلى مستوى الخوارق والأعاجيب السحرية (المعجم المفصل في اللغة والأدب ١/ ٢٦٠).

الطريقة الوحيدة التي يعبر فيها عن هذه الأفكار، ومثل ذلك نجده عند الرومان^(١).

وإذا كنا قد ضربنا مثلاً بالأميتين اليونانية والرومانية كان من الأولى أن تأتي بمثال الأمة العربية في العصر الجاهلي؛ الذي وصل الشعر فيه إلى مرحلة النضج في حين لم يكن النثر في المستوى نفسه. . ولما جاء الإسلام وجدنا أن الشعر قاصر عن أن يعبر عن الدين الإسلامي الجديد، وصنوف الحياة على اختلاف أنواعها، فما كان من الأمة العربية الإسلامية إلا أن اتجهت نحو النثر؛ الذي كان التعبير فيه أقوى من الشعر، بل نكاد نقول إن الشعر قد ركدت ربحه، وضعف مستواه، وقل عدد الشعراء، في حين نجد أن النثر قد ازدهر، فزاد عدد الخطباء، وارتفع مستواه الفني، فأخذ الناس يتذوقونه أكثر من الشعر. . .

٤ - والقضية الأخيرة التي نريد أن نذكرها هي قضية الشعر والنثر في العصر الجاهلي. . . من المسلم به أن الشعر في الجاهلية، كان محكم الصياغة، جزل الألفاظ، ناضجاً في أسلوبه ومعانيه، يحتوي على كثير من التشبيهات والاستعارات والأساليب البلاغية، ملتحم النظم مع دقة في الموسيقى أو الوزن ومشاكلة اللفظ للمعنى، هذا هو الشعر الذي بلغنا، ولم نعرف شيئاً عن طفولة الشعر العربي، ولا يمكن أن نسلم بأن هذا الشعر قد بدأ بهذا النضج المحكم، بل لا بدّ من التسليم بأنه قد مرّ بمراحل عديدة، وهناك نماذج شعرية تدل على أن الشعر الناضج؛ المحكم الصياغة، قد سبق أيضاً المرحلة التي حددناها للعصر الجاهلي، والتي لا يزيد عمرها على مائتي سنة قبل الإسلام، فهذا امرؤ القيس يحاكي ابن خدام في وقوفه على الأطلال، وهذا عنترة، يشير إلى أن الشعراء السابقين قد استنفدوا المعاني ولم يتركوا له شيئاً يبدع فيه، وهذا زهير بن أبي سلمى أيضاً يعلن بأنه لا يبدع، بل يكرر ويعيد. ويحاكي الشعراء السابقين^(٢). ونعتقد أن هناك كثيراً من النماذج الشعرية قد أشارت إلى

(١) د. طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص ٢٣. ويقول أيضاً: «وأنت تستطيع أن تلتبس الأمر عند اليونان والرومان والأمم الغربية فسترى أن هذه الأمم كلها تغنت ونظمت الشعر قبل أن تعرف النثر - بأزمان طوال وأنت تستطيع أن تلتبس ذلك في الأمم والبيئات غير الراقية المعاصرة لنا. فسترى أمما وحشية أو بدوية تتغنّى وتنظم الشعر وليس لها من النثر حظ». في الأدب الجاهلي، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) ليس من المعقول أن يكون المهلهل بن ربيعة أول من لهلhel الشعر أي أرقه، وأول من قصّد القصائد، =

هذا المعنى ولكنها لم تبلغنا، والحقيقة، أن معظم الشعر الجاهلي ضاع، يقول أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير^(١)». وهذا الضياع يعود إلى عوامل كثيرة منها: ترك تدوينه، وهلاك عدد كبير من رواته في الفتوحات الإسلامية، وتشاغل الناس عن روايته^(٢). على الرغم من كثرة عدد الشعراء، يقول ابن قتيبة: «والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفذ عمره في التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال^(٣)» ويضيف قائلاً: «ولم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر فقد رأينا بعض من ألف في هذا الفن كتاباً يذكر في الشعراء من لا يُعرف بالشعر ولم يقل منه إلا الشذَّ اليسير... ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء في الشعراء لذكرنا أكثر الناس^(٤)». وقد حاول القرشي التنقيب عن أول من قال الشعر، ولكن فوجئنا بأنه يورد بعض الأمثلة الشعرية ويقول: «سمعت جماعة من أهل العلم يؤثرون أن قائلها أبونا آدم عليه السلام حين

= وجاء من بعده ابن أخته امرؤ القيس. انظر: ابن سلام، طبقات الشعراء، ص ١٣-١٤. وانظر كذلك: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٦٤. فقد سبقهما كثير من الشعراء، وكانوا على درجة عالية في نظمهم، بدليل اعتراف الشعراء الجاهليين بذلك، منهم امرؤ القيس نفسه الذي يقول:

عُوجاً على السُّطَلِّ المَحِيل لَأَنَّا نَبْكِي الدِّيارَ كما بَكَى ابْنُ خِدامِ
(الديوان، ص ١٤٤. عوجاً: أي اعطفا إرواحكما. والطلل المحيل: الذي أتى عليه حول فتغير.
لأننا: بمعنى لعلنا. وابن خدام: رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس وبكى عليها. ويروى ابن خدام، وابن حمام).

وهذا عترة بن شداد يقول:

هَلْ غَادِرُ الشُّعراءِ مِنْ مَتَرَدِّمْ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدِّيارَ بَعْدَ تَوَهُمِ
(الديوان، ص ١٨٦. والمعنى الذي يهمنا هو: هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقوا إليه). وهذا زهير بن أبي سلمى يقول (إن صحت روايته):

ما أَرانا نَقولُ إلا مَعاراً أو مَعاداً من لَفْظنا مَكروراً

انظر: ذ. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٢٢٦.

(١) طبقات الشعراء، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الشعر والشعراء، ص ٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٤.

قتل ابنه قابيل هابيل، فالله أعلم أكان ذلك أم لا؟ ثم يقول: «وذكر أن إبليس عدو الله أجاب آدم عليه السلام بهذه الأبيات. . .» ويقول: «وروى أن بعض الملائكة، عليهم السلام قال هذا البيت. . .» ويضيف: «قال المفضل: وقد قالت الأشعار العالقة وعاد وثمود. . .»^(١). ونجد أن ابن سلام يرد على من ادعى أن هناك شعراً لعاد وثمود ويدعم رأيه باقتباس من آيات الذكر الحكيم^(٢). يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ. وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾^(٣). ويقول جلّ ذكره: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾^(٤). أي: عاد، ويقول الله تعالى: ﴿... وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِّن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ...﴾^(٥). إذا كان هذا الأمر بالنسبة إلى عاد وثمود على ما ذكرنا، فما الحال بالنسبة إلى الأمم التي قبلها؟ لا نظن أن شعراً قد وصلنا، وإذا كان الادعاء بذلك، فهو شعر منحول محمول. . .

وما دمنا نتحدث عن أولية الشعر فإنه لا بدّ من التحدث عن أولية الوزن الذي استخدمه الشعراء في أشعارهم، يقال: إن «الإجماع بين النقاد واقع على أن أول الشعر العربي الرجز»^(٦) والرجز: من البحور الشائعة، ووزنه:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وقد يكون من أربع تفعيلات، اثنتين في كل شطر، ويسمى مجزوءاً، وقد يتكون من ثلاث تفعيلات، ويسمى مشطوراً، وقد يتكون من تفعيلتين، تفعيلة في كل شطر، ويسمى منهوكاً^(٧). والرجز وزن يسهل في السمع ويقع في النفس. وقيل: سمي بهذا الاسم لتقارب أجزائه، وقلة حروفه، وتشبيهاً له بالناقة الرجزاء، التي إذا أرادت النهوض، لم تكد تنهض إلا بعد ارتعاد أو ارتعاش شديد^(٨). «ولم يكن لأوائل العرب

(١) جمهرة أشعار العرب، ص ٢٦-٢٧.

(٢) طبقات الشعراء، ص ٤.

(٣) الأيتان ٥١-٥٠ سورة النجم.

(٤) الآية ٨ سورة الحاقة.

(٥) من الآية ٩ سورة إبراهيم.

(٦) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ٧٤/١ نجد من الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد

(أصلاً). انظر: الباقلائي، اعجاز القرآن، ص ٦١.

(٧) انظر كتابنا: الشافي في العروض والقوافي، ص ١٣٧-١٥٤.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، (مادة رجز).

من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قُصِّدَت القصائد وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف^(١) وقيل: وأول من أطال الرجز الأغلب العجلي (ت ٦٤١/٢١) الشاعر المخضرم^(٢). يقول ابن قتيبة: «وكان الأغلب جاهلياً إسلامياً... وهو أول من شبّه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر^(٣)». ويقول ابن منظور، صاحب اللسان: «وقد اختلف فيه (أي الرجز)، فزعم قوم أنه ليس بشعر وأن مجازه مجاز السجع، وهو عند الخليل شعر صحيح. وقيل إن الخليل قال: إن الرجز ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث^(٤). وقال الخليل: الرجز والمشطور ليسا من الشعر... ويسمى قائله راجزاً كما يسمى قائل بحور الشعر شاعراً^(٥)».

ويقول أحمد حسن الزيات: «والمظنون أن العرب خطوا من المرسل^(٦) إلى السجع، ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد. فالسجع هو الطور الأول من أطوار الشعر توخاه الكهان مناجاة للآلهة، وتقيداً للحكمة وتعمية للجواب، وفتنة للسامع، وكهان العرب ككهان الإغريق هم الشعراء الأولون، زعموا أنهم مهبط الإلهام، وأنبياء الآلهة، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد، ويستلهمونها بالأدعية، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في جُمْل مقفاة موقعة أطلقوا عليها اسم السجع تشبيهاً لها بسجع الحمامة لما فيها من تلك النغمة الواحدة البسيطة^(٧)». لم يقف

(١) ابن سلام، طبقات الشعراء، ص ١٠ - ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٨. والراجز قلما يقصد، وليس يمتنع الرجز على المقصد امتناع القصيد على الراجز، فليل للمقصد شاعر، ولذا راجز (انظر: العملة ١/ ١٨٥ - ١٨٦)، وكان المهلهل أول من قصد القصائد (انظر: العملة ١/ ٨٧).

(٣) الشعر والشعراء، ص ٣٨٩.

(٤) ودليل الخليل في ذلك ما روى عن النبي ﷺ في قوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزود بالأخبار قال الخليل: لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان النبي ﷺ، الشطر الأول وجاء بالنصف الثاني على غير تأليف الشعر، لأن نصف بيت لا يقال له شعر، ولا بيت... انظر: لسان العرب (مادة رجز).

(٥) المصدر السابق: (مادة رجز).

(٦) المرسل: هو الشعر غير المقفى. وتوخاه الكهان: قصدوه.

(٧) تاريخ الأدب العربي، ص ٢٨.

النقاد أو الأدباء على حقيقة الطور الأول من الشعر أي المرسل منه، ولم يقع تحت نظري نماذج شعرية من هذا، وكنا نودّ لو أن الأستاذ الزيات قد أورد بعض النماذج وهو يطلق هذا القول، أو يحيلنا إلى مصدر نستقي منه لتقف على حقيقة الأمر. ويضيف قائلاً: «فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء، ومن الدعاء إلى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز. ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان، فكان للحماسة وزن، وللغزل وزن، وللهزج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حصرها الخليل بن أحمد في خمسة عشر وزناً سماها بحوراً»^(١) وزاد الأخفش سعيد بن مسعدة على هذه البحور بحراً آخر سماه المتدارك^(٢). قد نتفق معه إلى حد ما في التطور من الرجز إلى القصيد، وقد نختلف معه في تطور الشعر من المرسل إلى السجع إلى الرجز؛ لعدم وجود الدليل الكافي الوافي الشافي لهذه الظاهرة. ولكنه يبرر هذا بقوله: «فأنت ترى أن الشعر مصدره الغناء، وفي أخذهم السجع من هديل الحمامة، والرجز من إيقاع مشي الناقة، ولفظ الشعر من (شير) العبرية بمعنى الترتيلة أو التسيحة، وقولهم إلى الآن: أنشد الشعر بمعنى ألقاه ما يؤيد ذلك»^(٣).

إن القائلين أو المؤيدين لأسبقية الشعر، أكثر بكثير من القائلين بأسبقية النثر، بل هم قلة قليلة لا تذكر، وهذا الصراع قائم، لا أظن أننا نستطيع حسم القضية، على الرغم من ترجيحنا أسبقية الشعر، وعلى أية حال سنعرض للآراء التي تقول بأسبقية النثر.

١ - هناك من يقول: «النثر أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله، وعدم تقبده، وضرورة استعماله»^(٤). وقد ورد أن الباقلاني يقول: «إن العرب بدأوا بالنثر وتوصلوا منه إلى الشعر فلما استحسنوه واستطابوه ورأوا الأسماع تألفه والنفوس تقبله تتبعوه وتعلموه وتكلفوا به»^(٥). في حين نجد الدكتور طه حسين يقول: «والواقع أننا لا

(١) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٢) انظر كتابنا: الشافي في العروض والقوافي، ص ٢١٣ - ٢١٨.

(٣) تاريخ الأدب العربي، ص ٢٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩.

(٥) نقلاً عن المرجع السابق، ص ٢٨ (هامش رقم ٣).

نستطيع بحال من الأحوال أن نطمئن إلى أن هذا العصر كان له نثر فني، ثم يعود فيقول: «وإذن فالعصر الجاهلي لم يكن له نثر بالمعنى الذي حددته، ومع ذلك فقد كان له نثر خاص، لم يصل إلينا لضعف الذاكرة، وخلوه من الوزن، هذا النثر هو الخطابة^(١)». والخطابة - كما هو معروف - نوع من النثر أما الدرجة الفنية التي تحكمه فهذا أمر آخر، ولا نستطيع الأخذ بهذا الرأي القائل بعدم وجود النثر.

٢ - وهناك من يقول: «إن النثر أقدم نشأة ودوراناً على الألسن من الشعر^(٢)». وعلينا هنا أن نفرق بين الكلام العادي الذي هو نوع من النثر، والنثر الفني الذي له خصائصه، ولا نعلم بالتحديد ما النثر الذي قصده... ولكنه يبرر قوله هذا بـ «أن النثر لما كثر أصبح مبتدلاً فلم يهتمّ العرب بروايته كما اهتموا برواية الشعر^(٣)». واستند في ذلك إلى قول ابن رشيق: «ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عُشره^(٤)».

٣ - ويقال: إنه قد اجتمع الناس على أن المنثور في كلام العرب أكثر من الشعر، يقول ابن رشيق: «وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحاتها الأجواد، لتَهْزُ أَنْفُسَهَا إلى الكرم، وتدلُّ أبنائها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تمّ لهم وزنه سمّوه شعراً، لأنهم شعروا به، أي: فطنوا^(٥)».

٤ - والآن، بعد أن رأينا بعض الآراء التي تقول بأنّ النثر وجد أولاً، ثم مرّ في طرق عديدة إلى أن أصبح شعراً؛ فإنه يمكننا القول: إن هذه الآراء اعتمدت على أساسين، هما:

(١) من حديث الشعر والنثر، ص ٢٤-٢٥.

(٢) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ١/ ٨٨.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) العمدة ١/ ٢٠. وانظر هذا في: البيان والتبيين ١/ ٢٨٧.

(٥) المصدر السابق نفسه. والمزهر ٢/ ٤٧٢. والأنجاد: مفردا نَجْدٌ وَنَجْدٌ، الشجاع الماضي في ما يعجز غيره. والأعاريض: جمع عروض، وهو ميزان الشعر.

١ - «إن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربي القديم».

٢ - «إن الكتب السماوية ضاربة في القدم، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء، ولعل هذه الكتب هي التي أدت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمان طويل^(١)».

ويمكن تلخيص القول بأسبقية الشعر بالأمور التالية :

١ - إن طبيعة الحياة الإنسانية في طفولتها بما فيها من غلبة العواطف على الإدراك العقلي، كانت تقتضي وجود فن قولي - ألا وهو الشعر - يعبر عن الجانب الوجداني عند الإنسان.

٢ - إذا تأملنا تاريخ أدب أية أمة من الأمم، رأينا الشعر أقدم فن أدبي تناقلته هذه الأمة، كما هو الحال عند اليونان والرومان.

٣ - كثرة الشعراء في تاريخ أية أمة وزيادتهم على كتاب النثر، كما هو الحال في العصر الجاهلي.

٤ - إن النثر يتطلب الكتابة لتدوينه، والمدون يأتي عادة في مرحلة متأخرة من تاريخ كل أمة، في حين نجد أن الشعر يروى عصرًا بعد عصر، لأن حفظ الشعر أسير من حفظ النثر.

٥ - لا يقاس النثر الذي وصل إلينا من العصر الجاهلي بالشعر لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف.

أما القول بأسبقية النثر فنجمله بما يلي :

١ - إن العرب بدءوا بالنثر وتوصلوا منه إلى الشعر، أي: إنهم طوّروه من المرسل إلى السجع، ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد.

٢ - النثر أسبق من الشعر لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله.

(١) د. محمد حسن عبدالله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٢٥١. (نقلًا عن الأدب العربي في الجاهلية والإسلام لعمر رضا كحالة، ص ١١).

٣ - إن الكتب السماوية ضاربة في القدم، ولعلها أدت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة قبل أن يوجد الشعر بوقت طويل.

أما السؤال الذي كنا قد طرحناه، وهو: لماذا يعبر الشاعر عن فنه بالشعر؟ فجوابه: من المسلم به أن الشاعر حين يعبر يعبر بالشعر ولا يعبر بالنثر؛ لأن الدوافع والأحاسيس والحالة الوجدانية «تجعله في وضع يكون فيه التعبير الشعري... هو التعبير الوحيد الكافي، فالشعر، قبل كل شيء، يعتمد على ما عند الشاعر من «بصيرة» شعرية وعندئذ لا تكون مادة الموضوع التي يستخدمها مادة شعرية في ذاتها، مستقلة عن هذه البصيرة، ولكنها تكون كذلك لأنها دخلت في مجال الحالة الشعرية^(١)» أما بالنسبة إلى الأديب الذي يعبر بالنثر لا بالشعر، لأن اللحظة التي يعبر فيها بالنثر هي الطريقة الوحيدة الكافية لهذا التعبير عما يجول في فكره، ولا يستطيع أن يخرجها إلا في هذا قالب النثر... أما إذا كان الأديب قادراً على أن يخرج فنه القولي بقالين: شعري ونثري، فإنه لا يستطيع التحكم بأي من القالين؛ لأنه لا بد من غلبة واحد على الآخر، وهذا خاضع لأمر كثيرة، منها تجربته الفنية في كل منهما، وحالته النفسية، وأحاسيسه وطبيعته الموضوع الذي يعبر عنه الأديب. وهذا لا يمنع من أن يمزج الفنان بين الفنين في عمل واحد، لتجسيد هذا العمل، وتوصيله إلى المتلقي.

الأدب والدراسة الأدبية:

سبق أن عرفنا الأدب، ولا داعي لسرد التعريفات مرة أخرى، وهناك من يقسم الأدب إلى قسمين: الأدب الإنشائي: هو ذلك الأدب الذي يبدعه الفنان. والأدب الوصفي: يظهر في مرحلة تالية للأدب الإنشائي ومتأخرة عنه، فهو يتناول الأدب الإنشائي بالتفسير والتحليل والتقويم أو الحكم^(٢). أو هو دراسة الأدب الإنشائي... وهناك من يقسم الدراسة الأدبية إلى قسمين:

تاريخ الأدب والنقد الأدبي^(٣).

(١) د. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ص ١٢٨.

(٢) د. طه حسين، الأدب الجاهلي، ص ٣٣-٣٦ ود. سعد ظلام، في النقد الأدبي، ص ٢٦-٢٧.

(٣) انظر لمزيد من التفاصيل: د. محمد حسن عبد الله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٢٩-٣٣.

العصور الأدبية^(١):

ذهب معظم مؤرخي الأدب إلى تقسيم العصور الأدبية إلى حقبة زمنية، وقد اعتمدوا في تقسيماتهم هذه على التغيرات الدينية والسياسية والتاريخية... ويمكننا إيجاز ذلك فيما يلي:

١ - العصر الجاهلي، قبل الإسلام.

٢ - العصر الإسلامي: ويقصد به من ظهور الإسلام إلى آخر دولة الخلفاء الراشدين، وقيام الدولة الأموية (٤٠ هـ - ٦٦٠ م).

٣ - العصر الأموي: ويبدأ من سنة ٤١ هـ - ٦٦١ م إلى ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م. وهو العصر الذي تمت فيه الفتوحات الإسلامية.

وهناك من يعد العصر الإسلامي: من ظهور الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية. ثم يقسم ذلك: من ظهور الإسلام إلى أواخر دولة الخلفاء الراشدين، ويطلق عليه: عصر صدر الإسلام، ثم يسمى العصر الذي يليه، العصر الأموي.

٤ - العصر العباسي: هناك من يقسمه إلى قسمين، هما:

أ - العصر العباسي الأول: ويمتد من سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م - ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م، أي: من وفاة الخليفة العباسي العاشر المتوكل على الله (جعفر بن محمد المعتصم)؛ الذي حاول نقل عاصمته إلى دمشق، غير أنه عاد إلى سامراء حيث اغتاله القادة الأتراك بالاشتراك مع ابنه الأكبر المنتصر، وكان موته بداية انحطاط الخلافة العباسية^(٢).

ب - العصر العباسي الثاني ويمتد من سنة ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م - ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م. أي: من وفاة الخليفة العباسي السابع والثلاثين المستعصم (عبد الله بن منصور المنتصر) وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، الذي عجز عن صدّ الزحف

(١) انظر: د. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١٤-١٥.

(٢) انظر: ابن خلكان، وفیات الأعيان ١ / ٣٥٠-٣٥٦.

المغولي بقيادة هولاكو الذي قتله بعد أن احتل بغداد وأعمل السيف برقاب أهلها وقضى على مكتبتها^(١).

وهناك من يقسم هذا العصر إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ - العصر العباسي الأول ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م - ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م.

ب - العصر العباسي الثاني ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م - ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م.

وذلك بعد أن دخل البويهيون^(٢) بغداد في هذا العام في خلافة المطيع لله (الفضل بن المقتدر) وهو الخليفة الثالث والعشرون الذي غدا العوبة في أيديهم، وأصبحت الخلافة اسمية.

ج - العصر العباسي الثالث ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر إلى قسمين، هما:

أ - العصر البويهي ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م - ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م.

ب - العصر السلجوقي ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

٥ - العصر المغولي أو العصر التتري: ويبدأ من سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م - ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م. أي: إلى بداية الحملة الفرنسية بمصر.

٦ - العصر الحديث: ويبدأ من ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م إلى يومنا هذا.

وهناك من المؤرخين من يلجأ إلى تقسيم العصور الأدبية إلى ثلاث حقب، هي^(٣):

١ - الأدب القديم: ويبدأ من أقدم العصور الجاهلية إلى آخر العصر الأموي أي إلى سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م.

(١) النجوم الزاهرة ٦٠/٧ - ٦٤.

(٢) أسرة فارسية من أصل ديلملي. أسسها أبو شجاع بويه، استولى أبناؤه: علي (عماد الدولة) والحسن (ركن الدولة) وأحمد (معز الدولة) على أصفهان وشيراز وكرمان وبغداد. انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٣) انظر: د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ١/ ٥٨.

٢ - الأدب المُحدَّث: ويبدأ من سقوط الدولة الأموية ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

٣ - الأدب الحديث: ويبدأ من مطلع القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا. ويذهب بعض المؤرخين إلى تقسيم هذه العصور إلى أقسام، نظراً لطول فترة العصر، والأقسام هي^(١):

- ١ - العصر الجاهلي: ما قبل الإسلام.
- ٢ - عصر المخضرمين: أو صدر الإسلام، وذلك من أول ظهور الإسلام إلى آخر دولة الخلفاء الراشدين، وقيام الدولة الأموية ٤٠ هـ / ٦٦٠ م.
- ٣ - العصر الأموي: ٤١ هـ / ٦٦١ م - ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م.
- ٤ - العصر العباسي: ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م. ويقسم إلى الحقب التالية:

- أ - الحقة الأولى: حقة بغداد ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م - ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م.
- ب - الحقة الثانية: حقة الديلات ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م - ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م.
- ج - الحقة الثالثة: حقة السلاجقة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

وهناك من يقسم هذا العصر إلى عصرين:

- ١ - العصر العباسي الأول: يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م - ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م، أي: إلى قيام الدولة البويهية في العراق.
- ٢ - العصر العباسي الثاني: يبدأ من قيام الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، أي: بدخول التتار بغداد.
- ٥ - العصر الأندلسي: ويقسم إلى الحقب التالية:

(١) المرجع السابق نفسه.

- ١- حقبة الولاة: وتبدأ بدخول المسلمين الأندلس سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م- ١٣٨هـ/ ٧٧٥م. أي إلى قيام دولة الأمويين هناك .
- ٢- حقبة ملوك بني أمية وملوك الطوائف: وتبدأ سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م- ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م. أي: إلى عصر المرابطين والموحدين .
- ٣- حقبة المرابطين والموحدين: وتبدأ سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م- ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، أي: إلى قيام دولة بني الأحمر.
- ٤- حقبة دولة بني الأحمر: وتبدأ سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م- ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م، أي: حين طُرد المسلمون من الأندلس.
- ٦- العصر التركي: ويبدأ من سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م- ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، أي: إلى بداية الحملة الفرنسية على مصر.
- ٧- العصر الحديث: ويبدأ من سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م- إلى اليوم.

وسنأخذ بالتقسيم التالي:

- ١- العصر الجاهلي: ما قبل الإسلام.
- ٢- عصر صدر الإسلام: ويبدأ بظهور الإسلام وينتهي سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م.
- ٣- العصر الأموي: ويبدأ سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م. وينتهي سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.
- ٤- العصر العباسي: ويبدأ سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. وينتهي سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.
- ٥- العصر الأندلسي: ويبدأ سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م وينتهي سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م.
- ٦- العصر المملوكي والعثماني: ويبدأ سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وينتهي سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م.
- ٧- العصر الحديث: ويبدأ سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م- إلى الآن.

والسؤال الذي يطرح الآن، ما مميزات هذا التقسيم إلى عصوره؟ وما سلبياته؟ وهل يمكننا اللجوء إلى تقسيم آخر؟

مما لا شك فيه أن الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية تؤثر تأثيراً مباشراً في الأدب، ولسنا بصدد تتبع ظاهرة هذا التأثير، ولكن - كما يبدو - أن الظروف السياسية، هي الأكثر تأثيراً في الحركة الأدبية، ولهذا نجد معظم المؤرخين يقسمون تاريخ الأدب معتمدين على العصور السياسية كما رأينا. وكان لا بد من اللجوء إلى هذا التقسيم الذي يواكب التغير السياسي عبر العصور، على الرغم من المناداة بتقسيمات أخرى يرى أصحابها أهمية الأخذ بها... أما سليات هذا التقسيم، الذي يطبق المنهج المدرسي أو النظرية المدرسية، فهي:

١ - إن النظرية المدرسية تعتمد على تقسيم التاريخ الأدبي إلى عصور، وتربطها إلى العصور السياسية وتجعلهما متطابقين، بل تجعل الأدب في موقف التبعية.

٢ - تتجاهل هذه النظرية بل تنكر تداخل العصور مع بعضها البعض.

٣ - تأخذ بالأساس الزماني وتلغي الأساس المكاني والبيئي أو الإقليمي الذي له أكبر الأثر على الأدب.

٤ - إن النظرية المدرسية تهمل النوازع الفردية عند الأدباء وتكتفي بالأحكام العامة حول كل عصر، من حيث الرقي والجودة والهبوط والركود والانحطاط.

٥ - تهتم هذه النظرية بأدباء القمة المشهورين، وتجعلهم الممثلين عن أدباء العصر، ويحكم بالرقي أو الانحطاط من خلال أعمالهم الفنية على الأدب في ذلك العصر.

٦ - تتجاهل الأدباء المقلين المجودين، الذين قد يضاھون أدباء القمة، على الرغم من قلة إنتاجهم الفني ويمكن أن نقول: إنها تهتم بالكم الذي يتصف بالجودة، وتهمل الكيف الذي يتصف بالقلّة، ولا نعني بذلك أن هذه النظرة لا تذكرهم نهائياً، بل تشير إليهم حين تستدعي الضرورة...

وعلى أية حال، فإن هذه النظرية استطاعت أن ترسم وتحدد هيكلًا عامًا لتاريخ الأدب عبر العصور^(١). وعلى الرغم من توجيه هذا النقد لهذه النظرية، فإنها - في

(١) انظر: د. محمد حسن عبد الله، مقلمة في النقد الأدبي، ص، ٢٨٠. ود. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١١-١٣.

نظرنا - تبقى المنهج القادر على تغطية كثير من الاتجاهات الأدبية، وعلى تسليط الضوء على الأدب بصفة عامة أكثر من المناهج الأخرى التي سنحاول التعريف بها بإيجاز^(١) :

أ - نظرية الفنون الأدبية: تهتم هذه النظرية بدراسة كل فنّ على حده، كالشعر، وتراجم الشعراء، والخطابة، والنحو وغير ذلك، وتؤرّخ للفن الواحد عبر امتداده الزمني من أقدم العصور إلى آخر المراحل... ومن سلبياتها أنها تجزئ نتاج الشاعر الواحد وتأخذ الجزئية المطلوبة، وتهمل باقي الإنتاج، كما أنها تهمل صاحب النص، في الوقت الذي تهتم بنصه.

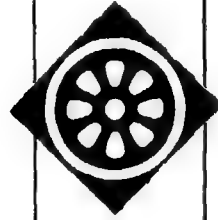
٢ - نظرية خصائص الجنس: تقوم على علم الأجناس، ومثالها دراسة العقاد لشاعرية ابن الرومي كممثل لخصائص العقلية اليونانية. وابن الرومي - كما هو معروف - من أعظم شعراء الدولة العباسية ولد في بغداد من أب رومي وأم فارسية... أثر تراثه اليوناني الفارسي في عبقريته... فالفروق العرقية لا تعني بالضرورة وجود فروق في الإبداع الفني... وخاصة حين ندرس شعراء العرب والفرس في العصر العباسي، نجد أن الأعراق قد اختلطت، وتوحد الدين، وكذلك اللغة.

٣ - النظرية الثقافية: تتركز على أن الآداب، لا تعيش في عزلة تامة، إنما تقوم على مبدأ التأثير والتأثر... ومثال ذلك أدب الجزيرة العربية كان له طابعه الخاص، وحين غادرها إلى الأمصار، وتأثر بالثقافات الأخرى اكتسب طابعاً مختلفاً، فظهرت فيه أغراض جديدة، واستعمل أساليب غير مألوفة.

٤ - نظرية المذاهب الفنية: تهتم باتجاه فني معين، ودراسته منذ بواكيره إلى ازدهاره ثم انحطاطه، كدراسة شعراء الصنعة مقابل شعراء الطبع، أو دراسة ظاهرة البديع في الشعر، أو دراسة الاتجاه الرومانسي.

٥ - النظرية الإقليمية: تهتم بدراسة الأدب على أساس مكاني، أي أثر المكان في الأدب، نحو دراسة شعراء البادية أو شعراء القرى، أو الأدب المصري، أو الأدب الفلسطيني، ومن هنا نجد أن تأثير البيئة واضحاً في هذا المنهج.

(١) المرجع السابق نفسه.



مختارات شعرية ونثرية من العصور الأدبية التالية:

- ١ - العصر الجاهلي
- ٢ - العصر الإسلامي
- ٣ - العصر الأموي
- ٤ - العصر العباسي

١

العصر الجاهلي

أولاً: الشعر

١ - من معلقة امرئ القيس^(١)

(من الطويل)

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيِّبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(٢)

(١) هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو. . . الكندي، يقال له الملك الضليل، وذو القروح، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى، طرده أبوه لما صنع الشاعر بقاطمة ما صنع - وكان لها عاشقاً - وأمر بقتله، ثم عفا عنه، ونهاه عن قول الشعر، ولكنه نظم بعدئذ فبلغ ذلك أباه فطرده، وبقي طريداً إلى أن وصله خبر مقتل أبيه - الذي كان ملكاً على أسد وغطفان - على أيدي بني أسد، وكان حينذاك بدمون - بحضرموت - فقال: «ضعيني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لاصحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر». وأخذ يطلب ثار أبيه، يستجد القبائل، إلى أن وصل إلى السموال، والحارث الغساني - في بلاد الشام - وقصر الروم - في القسطنطينية - الذي ضم إليه جيشاً كثيفاً، فوشى رجل من بني أسد بامرؤ القيس إلى قيصر، فبعث إليه بحلّة وشي مسمومة منسوجة بالذهب. فلما وصلت إليه لبسها، فأسرع فيه السم، وسقط جلده، وكان حينذاك بأنقرة، التي مات فيها. وله أشعار كثيرة، يصف فيها رحلته هذه. انظر حياته في: الأغاني ٧٧/٩ - ١٠٧. وطبقات الشعراء، ص ١٣ - ١٧. والشعر والشعراء، ص ٣٧ - ٥٦. وخزانة الأدب ١/٣٢٨ - ٣٣٥.

أما مناسبة معلقته هذه، فانه كان يعشق عنيزة ابنة عمه شرحبيل، وكان لا يحظى بلقاؤها، فانتظر ظعن الحي على الغدير المسمى دارة جلجل، فلما وردت العذارى ومعهن عنيزة، نضون ثيابهن، وشرعن في الانغماس في الماء، حينئذ جمع امرؤ القيس ثيابهن، وحلف على أن لا يدفع إليهن ثيابهن إلا بعد أن يخرجن إليه عاريات، ففعلن. فعقر ناقته وأكلن حتى شبعن، فلما ارتحلن قسمن امتعته، وحملته عنيزة على مقدم هودجها، فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها. انظر: شرح المعلقات السبع، ص ٣ - ٤. وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣ - ١٥.

(٢) قفا: فعل أمر للاثنتين، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء في مخاطبة الاثنين، ولو كان المراد واحداً. =

- فَتَوْضِحَ فَأَلْمِقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا
تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئَهُمْ
وإنَّ شِفَائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ
كَذَابِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِثِ قَبْلَهَا
إِذَا قَامَتَا تَضْوَعُ الْمِسْكُ مِنْهُمَا
فَقَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةٌ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ
وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيئَتِي
فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا
- لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (١)
وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلُفْلِفَ (٢)
لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٍ (٣)
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْمَلِ (٤)
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعُولٍ (٥)
وَجَارَتْهَا أُمُّ الرِّيَابِ بِمَاسَلٍ (٦)
نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنَفَلِ (٧)
عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي (٨)
وَلَا سِيِّمَا يَوْمَ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ (٩)
فِيَا عَجَباً مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمِّلِ (١٠)
وَشَحْمٍ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ (١١)



= وقيل: أراد قفن، بالنون، على جهة التأكيد، فقلبت النون ألفاً في -حال الوصل، لأن هذه النون تقلب ألفاً في -حال الوقف فحمل الوصل على الوقف. وسقط اللوى: مكان منزل المحبوبة. والدخول وحومل: موضعان.

- (١) توضح والمقرة: موضعان. ولم يعف: لم يمنع أثرها. والرسم: ما لصق بالأرض من آثار الدار.
والجنوب: ربح الجنوب. والشمال كذلك.
(٢) الأرام: واحدها رهم، وهي الظباء البيض. وعرصة الدار: ساحتها.
(٣) الغداة: الضحوة. والبين: الفرقة. وتحملوا: ارتحلوا. وسمرات: من شجر الطلح.
(٤) الصحب: الجماعة. والمطي: المراكب. والأسى: الحزن.
(٥) العبرة: الدمع. والمهراق: المصبوبة. والرسم: الأثر. والمعول: المبكي. وهنا استفهام يتضمن معنى الإنكار.

- (٦) كذابك: كعادتك. وماسل: جبل.
(٧) تضوع: انتشر. والريا: الرائحة الطيبة.
(٨) فاضت: سالت. والصبابة: رقة الشوق. والمحمل: السير الذي يُحمل به السيف. والجمع حمائل.
(٩) دارة جلجل: غدير بعينه.
(١٠) الكور: الرجل.
(١١) الدمقس: الحرير الأبيض الخالص.

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ
وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صُرْمِي فَأَجْمَلِي ^(١) فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِ ^(٢)
وَأَنْكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ ^(٣) أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي
وَمَا ذَرَفْتَ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَضْرِبِي ^(٤)

* * *

مُهِفَهْفَةً بَيْضَاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ ^(٥)
كَيْكُرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاها نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحْلَلِ ^(٦)
تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَسْقِي بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِلِ ^(٧)
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرُّثَمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا بِمُعْطَلِ ^(٨)
وَفَرْعٍ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقَنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِّكِ ^(٩)
غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُشْنَى وَمُرْسَلِ ^(١٠)

- (١) أفاطم: ترخيم فاطمة، وهي صاحبتها، وقيل: هو لقب لعنيزة. وأزمنت صرمي: عزمت عليه.
والصرم: الهجر. وأجملي: أحسنني.
(٢) ساءتلك: آذتك. الخليفة والخلق واحد. والثياب: جعلها بمعنى القلب. وتنسل: تسقط.
(٣) أغرك: ألأف للاستفهام، دخلت على هذا القول للتقرير لا للاستفهام والاستخبار.
(٤) ذرفت: سالت. ومقتل: مدلل منقاد. ومعشراً: مكسراً.
(٥) المهفهفة: الخفيفة اللحم التي ليست برهيلة، ولا ضخمة البطن. والمفاضة: المسترخية البطن.
والترائب: جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر. والسجنجل: المرأة. وقيل: سبيكة الفضة.
(٦) البكر من كل شيء: ما لم يسبقه مثله، والمقصود هنا: أول بيض النعامة. والمقانة: المخالطة. يقال:
قانيت بين الشيئين: إذا خلط أحدهما بالآخر. والنمير: الماء المفيد العذب. وغير محلل: لم يحلل
عليه، أي لم ينزل به أحد فيكدره، فهو صاف.
(٧) تصد: تعرض. وتبدي: تظهر. وأسيل: صفة الخد المستطيل اللين. والناطرة: أراد بها عينها. وجرة:
موضع، أراد بوحش وجرة: الطباء. والمطفل: التي لها أطفال.
(٨) الجيد: العنق. والرثم: الظبي الأبيض الخالص البياض. والفاحش: ما جاوز القدر المحمود من كل
شيء. ونصته: رفعته. والمعطل: الذي لا حلي عليه.
(٩) الفرع: الشعر التام. والمتن: ما عن يمين الصلب وشماله، الظهر. وأثيث: كثير. والقنو: عذق النخلة،
وهو يقابل العنقود للكرم. والمتعكل: المتدلي الذي دخل بعضه في بعض.
(١٠) الغدائر: مفردا الغديرة وهي الذؤابة من الشعر. ومستشزرات: مرفوعات. والعقاص: مفردا =

- وكشَحْ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ (١)
 وَتُضْجِي فَتِيَّتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا
 وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَنِ كَأَنَّهُ
 تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا
 إِلَى مِثْلِهَا يَرْزُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً
 تَسَلَّتْ عَمَائِيَّاتُ الرَّجَالِ عَنِ الصَّبَا
 أَلَا رَبُّ خَصْمٍ فِيكَ أَلَوَى رَدَدْتُهُ
 وَلَيْلَ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
 فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي
- وساقِ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّ (١)
 تَتَوَّمُ الضُّحَى لَمْ تَتَنَطَّقْ عَنْ تَفَضُّلِ (٢)
 أَسَارِيعُ ظِلِّي أَوْ مَسَاوِيكَ إِسْحَلِ (٣)
 مَنَارَةٌ مُمَسِّي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ (٤)
 إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ (٥)
 وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ (٦)
 نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِي (٧)
 عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي (٨)
 وَأُرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلْكَلِ (٩)
 بِصُبحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ (١٠)

= العقيصة، وهي الخصلة من الشعر. والمعنى: أن ذوائبها وغداثرها مرفوعات أو مرتفعات إلى فوق، يراد به شدها على الرأس بخيوط، ثم قال تغيب تعاقبها في شعر بعضه مثني وبعضه مرسل، أراد به وفور شعرها.

- (١) الكشح: المخصر. والجديل: خطام يتخذ من الأدم. والمخصر: الدقيق الوسط. والأنبوب: ما بين العقدتين من القصب وغيره. والسقي: بمعنى المسقي.
- (٢) الفتيت: اسم لدقاق الشيء الحاصل بالفت. وتنطق: تشد النطق، أي المثزرة على وسطها. وتفضل: لبس الفضلة، وهي ثوب واحد يلبس للخفة في العمل. أي انها تُخدم ولا تُخدم.
- (٣) تعطو: تتناول. والرخص: اللين، الناعم، صفة البنان. والشن: الغليظ. والأساريع: مفردها الأسروع، نوع من الدود يكون في البقل والأماكن الندية، تشبه أنامل النساء به. وظي: موضع. والأسحل: شجر له أغصان ناعمة.
- (٤) الممسي: بمعنى الامساء. والمتبتل: المنقطع عن الناس لعبادة الله.
- (٥) اسبكرت: امتدت. والدرع: قميص تلبسه المرأة. والمجول: ثوب تلبسه الجارية الصغيرة. أي أنها بين اللواتي أدركن الحلم وبين اللواتي لم يدركنه. أي أنها في ريعان الشباب ليست بصغيرة ولا كبيرة.
- (٦) تسلى: نسي، أي: ألجأه من قلبه أو زال حزنه. والعماية والعمى: واحد، أي الجهالة. ومنسل: من السلو، أي النسيان.
- (٧) الألوى: الشديد الخصومة، كأنه يلتوي على خصمه بالحجج. والتعدال والعذل: واحد. وغير مؤتل: أي غير تارك نصحي.
- (٨) سدوله: ستوره. شبه ظلام الليل بأمواج البحر. والهموم: الأحزان. ويبتلي: يختبر.
- (٩) تمطى: تمدد. وأردف أعجازاً: أي رجع. وناء بكلكل: أي تهاً ونهض. والكلكل: الصدر.
- (١٠) الانجلاء: الانكشاف. والأمثل: الأفضل.

فيا لك من ليل كأن نجومه
 كأن الثريا علقت في مصامها
 وقد أغتدي والطير في وكناتها
 مكر مفر مقبل مذبر معاً
 كميت يزل اللبد عن حال متيه
 على الذبل جياش كأن اهتزاه
 مسح إذا ما السابحات على الونى
 يزول الغلام الخف عن صهواته
 درير كخذروف الوليد أمره
 بكمل مغار القتل شدت يذبل^(١)
 بأمراس كسان إلى صم جندل^(٢)
 بمنجرد قيد الأوابد هيكل^(٣)
 كجلمود صخر حطه السيل من عل^(٤)
 كما زلت الصفواء بالمتنزل^(٥)
 إذا جاش فيه حنيه غلي مرجل^(٦)
 أثرن الغبار بالكديد المركل^(٧)
 ويلوي بأثواب العنيف المثقل^(٨)
 تسابع كفيه بخيط موصل^(٩)

(١) المغار: المحكم القتل. ويذبل: جبل.

(٢) الثريا: مجموعة من الكواكب. والمصام: موضع وقوفها. والأمراس: الحبال. والجندل: الحجارة.

(٣) أغتدي: أبكر في الذهاب. والوكنات: جمع وكنة، وهي المواضع التي تبيت فيها الطيور. والمنجرد: الأجرد الشعر، أي قصيرة، وقيل: الماضي في السير. والأوابد: جمع أبد، وهي الوحوش. والهيكل: الطويل المرتفع.

(٤) مكر: يصلح للكر. ومفر: يصلح للفر. ومقبل: حسن الأقبال. ومذبر: حسن الأدبار. أي أن هذه الصفات اجتمعت فيه. والجلمود: الحجر العظيم الصلب.

(٥) الكيمت: الفرس الأحمر المائل إلى السواد. وحال متيه: وسط ظهره. شبه ملاسة ظهر الفرس، لاكتناز اللحم عليه، وامتلائه، بالصفة الملساء، والصفة الصفواء: الصخرة الملساء. والمتنزل: السيل أو المطر الذي يدفع الصخور ويجرها.

(٦) الذبل: الضمور. والجياش: الذي يجيش في عدوه، كما تجيش القدر في غليانها. واهتزاه: صوته. وحميه: غليه.

(٧) المسح: الذي يصب الجري صبا كالمنطر. والسابحات: اللواتي عدوهن سباحة. والسباحة في الجري: أن تدح بأيديها دحواً: أي: تبسطها. والونى: الفتور. والكديد: الأرض اليابسة الغليظة. والمركل: الذي تركله الخيل بأرجلها. والمعنى: أن الخيل السريعة إذا فترت، فأنارت الغبار من التعب، جرى هذا الفرس جرياً سهلاً، كما يسح السحاب المنطر.

(٨) الخف: الخفيف. والصهوة: موضع اللبد، وصهوة كل شيء أعلاه. ويلوي بأثواب العنيف: أي يرمي بشيابه. والعنيف: البدن الذي ليس برقيق. والمثقل: الثقل.

(٩) در الفرس: عدا عدواً سريعاً، فهو درير. والخذروف: الخفارة التي يلعب بها الصبيان، تسمع لها صوتاً. وأمره: أحكم قتله. وتتابع كفيه: يريد متابعتها بالتخدير.

- لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ
ضَلِيعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدُّ فَرْجِهِ
كَأَنَّ عَلَى الْمَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى
كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَرِهِ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ
فَأَدْبَرْنَ كَالْجَزْعِ الْمُفْصَلِ بَيْنَهُ
فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ
فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ
- (١) وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ
(٢) بِضَافٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلٍ
(٣) مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةِ حَنْظَلٍ
(٤) عَصَارَةُ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرْجَلٍ
(٥) عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذْيَلٍ
(٦) بِجَيْدٍ مُعَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوَلٍ
(٧) جَوَاحِرُهَا فِي صُرَّةٍ لَمْ تُزِيلٍ
(٨) دِرَاكَا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَغْسَلَ
(٩) صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ

(١) أَيْطَلَا الظلي: خاصرته. والإرخاء: الجري السريع. والسرحان: الذئب. والتنفل: ولد الثعلب. والتقريب: أن يرفع يديه معاً، ويضعهما معاً.

(٢) الضليع: العظيم الاضلاع، المستنخ الجنين. والاستدبار: النظر إلى دبر الشيء، وهو مؤخره. الفرج: الفضاء بين اليدين والرجلين. وضاف: أي يذنب ضاف، وهو السايغ. والأعزل: أن يكون ذنبه إلى جانب.

(٣) المتنان: جانباً ظهره. إذا انتحى: وقف في ناحية البيت. والمداك: الحجر الذي يسحق به الطيب وغيره. والصلاية: الحجر الاملس الذي يسحق عليه حب الحنظل.

(٤) الهاديات: جمع الهادية، وهن الأوائل والمتقدمات في السير من سرب الوحش. وعصاره حناء: ما بقي من الأثر. والمرجل: المشرج.

(٥) عن: ظهر. والسرب: القطيع، والعذراء: البكر التي لم تمس. والدوار: صنم (حجر) كان أهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبيهاً بالطائفين حول الكعبة إذا نأوا عنها. والملاء: جمع ملاءة. والمذيل: الذي أطيل ذيله، وأرخي. شبه طول أذيالها وسبرغ شعرها بالملاء المذيل، وشبه حسن مشيها بحسن تبخر العذارى في مشيهن.

(٦) الجزع: الخرز اليماني، فيه بياض وسواد. وكذلك بقر الوحش، فإن قرونها وقوائمها سود. والجيد: العنق. والمعم: الكريم الأعمام. والمخول: الكريم الأخوال. يقول: فأدبرت النعاج كالخرز اليماني الذي فصل بينه وبغيته من الجواهر في عنق صبي كرم أعمامه وأخواله.

(٧) الهاديات: الأوائل المتقدمات. والجواحر: المتخلفات. والصرة: الجماعة. وتزيل: تفرق. أي انه يدرك أوائلها وأواخرها مجتمعة لم تفرق بعد.

(٨) عادي: وإلى. أي: فوالى بين ثور ونعجة من بقر الوحش في طلق واحد، ولم يعرق عرقاً مفترطاً يغسل جسده.

(٩) الطهو والطهي: الانضاج. والطهارة: جمع طاه. والصفيق: المصفوف على الحجارة لينضج. والتقدير: اللحم المطبوخ في القدر.

وَرُحْنَا يَكَاذُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْفُلُ^(١)
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلَجِبَاهُ وَبَاتَ يَعْينِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ^(٢)

- ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال، ص ١٥ - ٩٩.
- التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٢٠ - ٨٤.
- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ٥ - ٣٢.
- ديوان امرئ القيس، ص ٨ - ٢٣.
- جمهرة أشعار العرب، ص ١١٣ - ١٤٨.
- الأعلام الشتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢٩/١ - ٤٠.

٢ - من معلقة طرفة بن العبد^(٣)

(من الطويل)

المطلع:

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرَقَّةٍ تَهْمِدُ تَلُوحُ كَبَائِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(٤)

(١) الطرف: البصر. ورحنا: من الراح، أي الرجوع عشية. والقصور: العجز. يقول: ثم أمسينا وتكاد عيوننا تعجز عن ضبط حسنه، واستقصاء محاسن خلقه، ومهما نظرت العيون إلى أعالي خلقه أي: جسمه، فإن أسافله تجذب النظر إليها.

(٢) المعنى: بات مسرجاً ملجماً قائماً بين يدي، غير مرسى إلى المرحى.

(٣) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن بكر بن وائل الشاعر المشهور، وطرفة بالتحريك، والجمع الطرفاء، وطرفة لقبه الذي عرف به، واسمه عمرو. وقد عاش الشاعر يتيماً، ونشأ في كنف خاله المتلمس، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله، وظلموا حقاً لأمه ووردة، وحرّم من إرث والده. وطرفة من الطبقة الرابعة عند ابن سلام، ويقال: هو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس، ومرتبته ثاني مرتبة ولهذا نبي بمعلته، وقد أجمعت المصادر على أنه أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً، كان في بيته كلها شعر، فالمرقش الأكبر عم والده، والمرقش الأصغر عمه، والمتلمس خاله، وأخته الخرنق شاعرة أيضاً، رثته حين وفاته. وكان طرفة معاصراً للملك عمرو بن هند، وكان ينادمه، ولكنه هجاه، فبعث به إلى عامل له بالبحرين، بأن يأخذ جائزته منه، وأوعز عمرو إلى عامله المكعبر بقتله، فقتله شاباً، في هجر، قيل: ابن العشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين ويقال: إنه من أوصف الناس للناقة. وقد سئل لبيد عن أشعر الناس: فقال: الملك الضليل، ثم سئل: ثم من؟ قال: الشاب القليل، يعني طرفة... وللشاعر ديوان صغير مطبوع. توفي نحو سنة ٦٠ ق. هـ / ٥٦٤ م. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء، ص ٣٠. وطبقات فحول الشعراء ١٣٢/٢. وشرح القصائد السبع الطوال، ص ١١٧. وشرح القصائد السبع، ص ٣٧. والشعر والشعراء، ص ٨٨. والعمدة ١٠٢/١. والمزهر ٤٧٦/٢. وخزانة الأدب ٤١٩/٢. وكتاب شعراء النصرانية في الجاهلية، ص ٣٠٧. ومقدمة الديوان، ص ٥. وجمهرة أشعار العرب، ص ٨٩. ووفيات الأعيان ٩٣/٦.

(٤) حولة: امرأة من كلب. الاطلال: واحدها طلل، وهوما شخص من آثار الدار. والبرقة الراية، فيها رمل =

الافتخار:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنَّنِي
وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً
فَإِنْ تَبَغَّيْنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي
وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجَمِيعُ، تُلَاقِنِي
عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ^(١)
وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدُ^(٢)
وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطِدْ^(٣)
إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمُصَمِّدِ^(٤)

اللذة:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ، وَلَذَّتَنِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا
رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي
أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَخْضَرَ الْوَعَى
فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي
وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِّي^(٥)
وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ^(٦)
وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ الْمُمَدَّدِ^(٧)
وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(٨)
فَدَعْنِي أَبَادِرَهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي^(٩)

- = وطن، أو حجارة وطن، يختلطان. وثهمد: موضع. وتلوح: تلمع، تظهر، تبدو. والوشم: أن يغرز بالابر في الجلد، ثم يُدْرُغُ عليها الكحل، فيبقى سواده ظاهرا. ظاهر اليد: ظهر الكف.
- (١) خلت أنني عنيت: خلت أنهم يعنونني، ويقولون: ليس لها غيره، فلم أكسل عن أن أقول: أنا لها، ولم أتبلد عن سلوكها.
- (٢) الحلال: مبالغة الحال من الحلول، أي: النزول بالمكان. التلاع: جمع تلعة، ما ارتفع من مسيل الماء وانخفض عن الجبال. الرفد والإرفاد: الإعانة، والاسترفاد: الاستعانة. والمعنى: لا أتخذ التلاع مكانا لي خوفا من أن يراني الأضياف أو غزو الأعداء إياي، ولكني أعين القوم إذا استعانوا بي.
- (٣) تبغي: تريد. الحوانيت: بيوت الخمارين. الاصطياد: الاقتناص.
- (٤) تلاقني: تجليني. وذروة: كل شيء أعلاه. والبيت: الأشراف. وهناك رواية: الكريم، وكذلك الشريف. والمصمد والصمد: الذي يُصَمَدُ إليه في الحوائج والأمور، أي: يقصد.
- (٥) التشرب: الشرب الكثير. الطريف: المال الحديث. والمتلد: المال الموروث.
- (٦) تحامتنني: تجنبتنني. البعير المعبد: المنزل المطلي بالقطران، يُبْعَدُ لأنه مصاب بالجرب.
- (٧) الغبراء: الأرض. والمراد ببني الغبراء: الفقراء. الطراف: قبة من آدم يتخذها الأغنياء. الممدد: الذي مدَّ بالأطناب. والمعنى: إن الفقراء يعرفونه، لأنه يعطيهم، والأغنياء يعرفونه لمكانته.
- (٨) الوعى: صوت الأبطال في الحروب ثم استعيرت للحرب. الخلود: البقاء.
- (٩) المعنى: إن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل بالمال وترك اللذات.

سَوَّلَا ثَلَاثَ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى
حَنْهُنَّ سَبَقَ الْعَاذِلَاتِ بِشُرْبَةِ
كَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحِبًّا
تَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَاللَّجْنِ مُعْجَبٌ
سَأَنَّ الْبُرَيْنَ وَالْذَّمَالِيَجَ عُلَّقَتْ
تَحْمِيَةِ الْمَوْتِ:

سَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ مَخَافَةَ شُرْبٍ، فِي الْمَمَاتِ، مُصَرِّدٌ^(٦)

٤ عيشة الفتى : ما يعيش به ، ويلتذ . وجدك : الواو للقسم ، وقيل معنى جدك : وحقك . وقيل : ونفسك .
وقيل : وأبيك . لم أحفل : لم أبال . والعود : جمع عائد من العيادة ، وعُوْدُهُ : من يحضره عند موته وفي مرضه وينوح عليه .

٥ سبق العاذلات : شرب الخمر باكراً قبل انتباه العواذل . الكميت : الأحمر الضارب إلى السواد . متى ما
تعل بالماء : أي : متى تمزج به . تزيد : يعلوها الحجاب لأنها عتيقة . وهناك رواية «سبقي العاذلات»
والسبق رفع بمن ، ومن تعود على ثلاث .

٦ الكر : العطف والرجوع . المضاف : الخائف المذعور . المُحَنَّب : الذي في يده انحناء . السيد : الذئب .
الغضا : شجر ، وذئابه أخبث الذئاب . نيهته : هيجهته . المتورد : الذي يطلب أن يرد الماء . وهنا الخصلة
الثانية وهي اغائة المستغيث واعانته . فقال : أعطف في اغائته فرسي الذي في يده انحناء . وهو محمود
في الفرس إذا لم يفرط ، ثم شبهه بذئب أجتمع له ثلاث خصال : أحدها كونه بين الغضا ، وبذئب الغضا من
أخبث الذئاب . والثانية : إثارة الإنسان إتياءه ، والثالثة : وروده الماء وهما يزيدان في شدة العدو .

٧ قصرت الشيء : جعلته قصيراً . والدجن : الباس الغيم آفاق السماء . والبهكنة : المرأة الحسنة الخلق ،
السمينة الناعمة . والطراف : البيت من آدم . وهناك رواية «الحباء» . والمعمد : المرفوع بالعمد ، جعل الخصلة
الثالثة استمتاعه بحبائبه . حيث يقول : «إني أقصر يوم الغيم بالمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق ، تحت بيت
مرفوع بالعمد . وشرط تقصير اليوم ؛ لأن أوقات اللهو والطرب أفضل الأوقات» .

٨ البرة : حلقة تجعل في أنف الناقة ، استعارها للإسورة والخلاخيل . والدملج : المعضد . والعشر
والخروج : ضربان من الشجر . والتخضيد : التشذيب من الأغصان والأوراق ، والتشذيب : قشر ما على
الجذع من الشوك . نقول : فرس مُشْدَب : طويل وليس بكثير اللحم . والعشر : وصف البهكنة . يقول :
«كأن خلاخيلها وأسورتها ومعاضدها معلقة على أحد هذين الضريين من الشجر ، وجعله غير مخضد ؛
ليكون أغلظ . وهنا إشارة إلى الامتلاء والنعمة والضحامة .

٩ والمعنى : إني كريم اشفي نفسي وأروها من الخمر خوفاً من أن يكون شرابي مصرداً ، أي مقطوعاً قبل
الري بالمات ويروى : «في الحياة» . ويروى صدر هذا البيت مع عجز البيت الذي يليه . وعجز هذا البيت
مع صدر البيت الذي يليه .

فَلَذَرْنِي، أَرَوْي هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ
تَرَى حُثُوتَيْنِ، مِنْ تُرَابٍ، عَلَيْهِمَا
أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ، وَيَصْطَفِي
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى

سَتَعْلَمُ إِنَّ مِتْنَا عَدَاً، أَيُّنَا الصَّدِي؟^(١)
كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ^(٢)
صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍ^(٣)
عَقِيلَةٌ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٤)
وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالذَّهْرُ يَنْفَدُ^(٥)
لَكَالطُّولِ الْمُرْخَى وَثِيَّاهُ بِالْيَدِ^(٦)

عتاب ابن عمه له :

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنُ عَمِّي مَالِكاً
يَلُومُ وَمَا أَدْرِي عِلَامَ يَلُومُنِي

مَتَى أَدُنْ مِنْهُ يَنَأْ عَنِّي وَيَبْعُدِ^(٧)
كَمَا لَا مَنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبِدِ^(٨)

(١) وفي هذا البيت إشارة الى خرافة قديمة عند العرب تقول: ان الرجل إذا قُتل، ولم يدرك بثاره، خرج من رأسه طائر، يشبه البوم، فيصيح: أسقوني أسقوني، حتى يؤخذ بثاره وإذا أخذ بثاره سكن. ولهذا سمي «صدى» من الصدى بمعنى العطش. والمعنى: دعني أروي بالخير هذه الهامة (أو الطائر الذي اسمه الصدى أو الهامة)، فستعلم إذا متنا، صدى أي واحد منا يكون أشد عطشا.

(٢) النحام: الحريص على الجمع والمنع. والغوي الغاوي: الضال. والغواية: الضلالة. «لا فرق بين البخيل والجواد بعد الوفاة، فلم أبخل بأعلاقي». ويقول: أرى قبر البخيل والحريص بماله كقبر الضال في بطالته المفسد بماله.

(٣) الحثوة: الكومة من التراب، والجمع: الجثا. والتنضيد مبالغة النضد. يقول: «أرى قبر البخيل والجواد كومتين من تراب عليهما حجارة عراض صلاب، بين قبور عليهما حجارة عراض قد نضدت».

(٤) الاعتيام: الاختيار. والمقائل: كرائم المال والنساء، الواحدة: عقيلة. والفاحش: البخيل. يقول: «أرى الموت يختار الكرام بالإفناء ويصطفى كريمة مال البخيل المتشدد بالإبقاء، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير، فالجود أحرى، لأنه أحمد. والموت يعم الأجواد والبخلاء».

(٥) ينفد: يفتي «وهنا شبه البقاء بكنز ينقص كل ليلة، وكذلك العيش صائر إلى النفاد لا محالة».

(٦) لعمرك: أي أقسم بحياتك: إن الموت في مدة إخطائه الفتى، أي مجاوزته إياه، بمنزلة جبل طُول للداية ترعى فيه. وطرهه بيد صاحبه. والطول: الجبل الذي يُطَوَّل للداية، فترعى فيه. والإرخاء: الإرسال. والثني: الطرف.

(٧) النَّأْيُ والبعد: بمعنى واحد، جمع الشاعر بين اللفظين للتأكيد، وثبات القافية. والمعنى: «فما لي أَرَانِي وَابْنُ عَمِّي متى تقربت منه تباعد عني».

(٨) «يلومني مالك، وما أدري ما السبب الداعي إلى لومه إياي، كما لا مني هذا الرجل في القبيلة».

التشفع :

وَأَيُّا سَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ عَلَى رَمْسٍ مُلْحَدٍ^(١)
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنِّي نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْقِلْ حُمُولَةَ مَعْبِدٍ^(٢)

التظلم :

وَقَرَّبْتُ بِالْقُرْبَى وَجَدَّكَ إِنِّي مَتَى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيسَةِ أَشْهَدُ^(٣)
وَإِنْ أَدْعَ لِلْجَلِي أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وَإِنْ يَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجُهْدِ أَجْهَدُ^(٤)
وَإِنْ يَقْدِفُوا بِالْقَذَعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ بِكَأْسِ حِيَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدِيدِ^(٥)
بِلَا حَدِيثٍ أَحَدْتُهُ وَكَمْ حَدِيثٍ هَجَائِي وَقَدْ فِي بِالشَّكَاةِ وَمُطَرِدِي^(٦)
فَلَوْ كَانَ مَوْلَايَ أَمْرًا هُوَ غَيْرُهُ لَفَرَجَ كَرِييَ أَوْ لَأَنْظَرَنِي غَيْدِي^(٧)

(١) الرمس : القبر . وأصله الدفن . أحدث الرجل : جعلت له لحداً . يقول : قُتُنِي مالك من كل خير رجوته منه ، حتى كأننا وضعنا ذلك الطلب إلى قبر رجل مدفون في اللحد . يريد : أنه آيسه من كل خير طلبه ، كما أن الميت لا يرجى خيره .

(٢) نشدت : أي طلبت المفقود . والاغفال : الترك . والحمولة : الإبل التي تطيق أن يحمل عليها . ومعبد : أخوه ، يقول : «يلومني على غير شيء قتلته ، وجناية جنيتها ، ولكنني طلبت إبل أخي ولم أتركها ، فنقم ذلك مني ، وجعل يلومني» .

(٣) القرى : جمع قرية . وقيل : هو اسم من القرب والقرابة . والنكيسة : المبالغة في الجهد وأقصى الطاقة ، يقال : بلغت نكيسة البعير : أي أقصى ما يطيق من السير . يقول : «وقربت نفسي بالقرابة التي ضمنا حبيلها ، ونظمنا خيطها ، وأقسم بحظك وحبك أنه متى حدث له أمر يبلغ فيه غاية الطاقة ، ويبدل فيه المجهود ، أحضره وأنصره» .

(٤) الجلي : تأنيث الأجل : وهي الخطة العظيمة . والحماة : جمع الحامي من الحماية . يقول : «وان دعوتي للأمر العظيم ، والخطب العظيم الجسيم ، أكن من الذين يحمون حريمك ، وإن يأتك الأعداء لقتالك ، أجهد في دفعه عنك غاية الجهد» .

(٥) القذع : الفحش . والعرض : موضع المدح والذم من الإنسان . والتهدد والتهديد بمعنى واحد . والقذف : السب . يقول : «وان أساء الأعداء القول فيك ، وأفحشوا الكلام ، أوردتهم حياض الموت قبل أن أهددهم» .

(٦) الشكاية والشكوى والشكية والشكاة بمعنى واحد . والمطرد : بمعنى الإطراد . وأطردته : جعلته طريداً . يقول : «أجنى وأهجر وأضام ، من غير إساءة أحدثتها ، ثم أهجى وأشكى وأطرد كما يهجى من أحدث إساءة ، وجراً جريرة ، وجنى جناية» .

(٧) فرجت الأمر : كشفت . والفرج : انكشاف المكروه . كرية الغم : إذا ملا صدره . الإنظار : الإمهال . يقول : «فلو كان ابن عمي غير مالك ، لفرج كربي ، أو لأمهلني زماناً» .

وَلَكِنْ مَوْلَايَ أَمْرُوهُوَ خَائِفِي عَلَى الشُّكْرِ وَالتَّسَالِ أَوْ أَنَا مُفْتَدِي^(١)
الاستعطف

وَطَلَّمْ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهْنَدِ^(٢)
فَذَرْنِي وَخُلُقِي إِنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِيًا عِنْدَ ضَرْغَدِ^(٣)
القدر:

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بْنَ مَرْثَدِ^(٤)
فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَزَارَنِي بَنُونَ كِرَامٍ سَادَةً لِمُسَوْدِ^(٥)
الافتخار مرة أخرى:

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشُ كِرَاسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ^(٦)
فَأَلَيْتُ لَا يَنْفُكُ كَشْحِي بِطَانَةٍ لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهْنَدِ^(٧)
حُسَامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدءُ، لَيْسَ بِمُعْضَدِ^(٨)

(١) خنقت الرجل خنقا: عصرت خلقه. والتسأل: السؤال، يقول: «ولكن ابن عمي رجل يضيّق الأمر عليّ، حتى كأنه يأخذ عليّ متنفسي، على حال شكري إياه، وسؤالي عفوه، أو طلبت تخليص نفسي منه».
(٢) ظلم الأقارب أشد تأثيرا في تهيج نار الحزن والغضب، من وقع السيف القاطع المحدد، أو المطبوع بالهند.

(٣) ضرغد: جبل بعينه. يقول: «خل بيني وبين خلقي، وكلني إلى سجيّتي، فإني شاكر لك وإن بعدت غاية البعد، حتى تنزل بيتي عند هذا الجبل الذي سمي بضرغد». بينهم وبين هذا الجبل مسافة بعيدة.
(٤) يقول: «لو شاء الله بلغني منزلة هذين الرجلين وقدرهما». والرجلان المذكوران هما سيدان من سادات العرب، المذكوران بوفور المال، ونجاية الأولاد، وشرف النسب، وعظم الحساب.
(٥) يقول: «فصرت حينئذ صاحب مال كثير، وزارني بنون موصوفون بالكرم والسؤدد لرجل مسود، يعني به نفسه».

(٦) الضرب: الرجل الخفيف اللحم. يقول: «أنا الرجل الضرب الذي عرفتموه، والعرب تتمدح بخفة اللحم، لأن كثرة داعية إلى الكسل والثقل، وهما يمنعان من الإسراع في دفع الملمات وكشف المهمات. ثم قال: وأنا دخال في الأمور بخفة وسرعة. شبه تيقظه وذكاء ذهنه، بسرعة حركة رأس الحية، وشدة توقّده».

(٧) لا ينفك: لا يزال. والبطانة: نقيض الظهارة. والعضب: السيف القاطع. وشفرتا السيف: حداه. يقول: «ولقد حلفت ألا يزال كشحي لسيف قاطع، رقيق الحدين، طبعته الهند، بمنزلة البطانة للظهارة».

(٨) الانتصار: الانتقام. والعضد: سيف يقطع به الشجر. والعضد: قطع الشجر. والمعنى: «لا يزال =

أَخِي ثَقَّةٌ لَا يَتَّشِي عَنْ ضَرِيرَةٍ إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِرُهُ قَدِي^(١)
 إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي^(٢)
 فَإِنْ مِتُّ فَاثْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشَقِيَّ عَلَيَّ الْجَيْبُ يَا ابْنَةُ مَعْبَدٍ^(٣)
 وَلَا تَجْعَلِينِي كَأَمْرِي لَيْسَ هُمُ بَطِيءٌ عَنِ الْجُلَى سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَا^(٤)
 فَلَوْ كُنْتُ وَغَلًّا فِي الرِّجَالِ لَضُرْنِي عَدَاوَةُ ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَوَحِّدِ^(٥)
 وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَالُ جَرَائِي عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصِدْقِي وَمُخْتَدِي^(٦)

= كشحي بطانة لسيف قاطع، إذا ما قمت منتقياً به من الأعداء، كفى الضربة الأولى به الضربة الثانية. فيغني البلء عن العود، وليس سيفاً يقطع به الشجر، وقد نفى ذلك لأنه من أردأ السيوف.

(١) أخي ثقة: أي صاحب ثقة يوثق به. لا يتشي: لا يعوج ولا ينبو. والضريرة: ما يضرب بالسيف. مهلاً: أي: كف. قدي: حسي. يقول: «هذا السيف سيف يوثق بمضائه، كالآخ الذي يوثق بإخائه، لا ينصرف عن ضريبة. إذا قيل لصاحبه: كف عن ضرب عدوك، قال مانع السيف، وهو صاحبه: حسي، فأني قد بلغت ما أردت من قتل عدوي».

(٢) ابتدر القوم السلاح، استبقوه، والمنيع: الذي لا يقهر ولا يغلب. بل بالشيء: إذا ظفر به، يقول: «إذا استبق القوم أسلحتهم، وجدتنني منيعاً، لا أقهر ولا أغلب، إذا ظفرت يدي بقائم هذا السيف».

(٣) النعي: إشاعة خبر الموت. أهله: أي مستحقه. لما فرغ من تعداد مفاخره، أوصى ابنة أخيه، ومعبد أخوه، فقال: «إذا هلكت فأشيحي خبر هلاكك، بثنائي الذي أستحقه، وأستوجه، وشقي جيبك علي».

(٤) الهم: أصله القصد. يقال: هم بكذا، أي قصد له. ثم يجعل الهم والهمة: اسماً لداعية النفس إلى العلا. والغناء: الكفاية. والمشهد: بمعنى الشهود وهو الحضور. أي ولا يغني غناء مثل غنائي. ولا يشهد الوقائع شهوداً مثل شهودي. يقول: «ولا تسوي بيني وبين رجل لا يكون همّه مطلب المعالي كهمي، ولا يكفي المهم والملم كفايتي، ولا يشهد الوقائع مشهدي».

(٥) البطء: ضد العجلة. والجلى: الأمر العظيم. والخناء: الفحش. اللهد: الدفع بجمع الكف. يقول: ولا تجعليني كرجل يبطئ عن الأمر العظيم، ويسرع إلى الفحش، وكثيراً ما يدفعه الرجال بأجماع أكفهم، فقد ذل غاية الذل».

(٦) الوغل: أصله الضعيف، ثم يستعار للثيم، يقول: «لو كنت ضعيفاً من الرجال لضررتني معاداة ذي الأتباع والمنفرد الذي لا أتباع له إياي، ولكنني قوي منيع، لا تضرتني معاداتهما إياي».

(٧) الجرأة والجراءة: واحد، الشجاعة. والمحتد: الأصل. يقول: «ولكن نفى عني مباراة الرجال ومجاراتهم، شجاعتي وإقدامي في الحروب، وصدق صريمي، أي: عزيمتي، وكرم أصلي».

لَعَمْرُكَ مَا أُمِرِي عَلَيَّ بِغَمَّةٍ نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدٍ^(١)
وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفَاطًا عَلَى عَوْرَاتِهِ وَالتَّهْدِيدِ^(٢)
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكَ فِيهِ الْفَرَائِصُ تُرْعِدِ^(٣)

الحكم:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ^(٤)
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعْ لَهُ بَنَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ^(٥)

- شرح القصائد السبع الطوال، ص ١٣٢ - ٢٣١.
- شرح القصائد المشهورات، ص ٥٣ - ٩٥.
- شرح القصائد العشر، ص، ٩٥ - ١٥٩.
- شرح المعلقات السبع، ص ٣٨ - ٦١.
- جمهرة أشعار العرب، ص ٣٠٤ - ٣٤٢.
- ديوان طرفة بن العبد، ص ١٩ - ٤١.

-
- (١) الغم والغمة: واحد، وأصل الغم: التغطية. يقول: أقسم ببقائك: ما يَغَمُّ أمري رأيي، أي: ما يغطي الهموم رأيي في نهاري، ولا يطول علي ليلي حتى كأنه صار دائماً سرمداً.
 - (٢) المراك والمعاركة: القتال. والحفاظ: المحافظة على ما تجب المحافظة عليه، من حماية الحوزة، والذب عن الحرم، ودفع الذم عن الأحساب. يقول: «وربَّ يوم حبست نفسي عن القتال والفرعات وتهدد الأقران محافظة على حسي».
 - (٣) الموطن: الموقع، والردي: الهلاك. والاعتراك والتعارك واحد. والفرائص: جمع فريضة، وهي لحماء عند مجمع الكتف، ترعد عند الفزع. يقول: «حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك، ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت، من فرط الفزع، وهول المقام».
 - (٤) يقول: «ستطلعك الأيام على ما تغفل عنه، وسينقل إليك الأخبار من لم تزوده».
 - (٥) باع: قد يكون بمعنى اشترى، وهو في البيت بهذا المعنى. والبتات: كساء المسافرين وأداته. ولم تضرب له: أي لم تبين له. كقوله تعالى: ﴿ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا﴾ أي: بين وأوضح، يقول: «سينقل إليك الأخبار من لم تشتر له متاع المسافرين، ولم تبين له وقتاً لنقل الأخبار إليك».

٣ - من معلقة زهير بن أبي سلمى (١)

(من الطويل)

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُثَلَّمِ (٢)

* * *

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالسُّدَمِ (٣)
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ (٤)
يَمِينًا لِنَعَمِ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَبُيْرَمِ (٥)

(١) زهير بن أبي سلمى ربعة بن رباح... المزني من مضر بن نزار، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأما الثلاثة، فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ القيس، وزهير، والناطقة الذبياني. ويقال: إنه شاعر الشعراء، وحكيم الشعراء في الجاهلية. وقد اجتمع لزهير في الشعر ما لم يجتمع لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، وقد رثته عند موته. لم يدرك الإسلام. قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنه لا يعاظم في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه. كان ينظم قصيدته وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى «الحوليات». نظم غرر قصائده - التي احتلت من ديوانه ثلثين تقريباً - في مدح الهرم بن سنان؛ الذي يروى عنه أنه حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه: عبداً أو وليدة أو فرساً، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملا قال: عموا صباحاً غير هرم، وخيركم استنيت. ويقال: إن عمر بن الخطاب قال لبعض ولد هرم: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. انظر ترجمته في: الديوان. وطبقات الشعراء ص ١٥ - ١٩. والشعر والشعراء، ص ٥٧ - ٦٧. والأغاني ٢٨٨/١٠ - ٣١٥. وخزانة الأدب ٥/٣ - ١٥. (ويقال ليس في العرب سلمى بضم السين غيره).

هذه المعلقة في مدح الهرم بن سنان والحارث بن عوف، لحسن سعيهما في الصلح بين عيسى وذبيان، بتحملهما ديات القتلى.

(٢) الدمنة: ما اسود من آثار الدار بالبر والرماد وغيرهما، والجمع الدمن. وحومانة الدراج والمثلم: موضعان. وأم أوفى: قيل امرأة زهير.

(٣) الساعيان: الهرم بن سنان الذبياني، والحارث بن عوف. وسعيا: عملاً صالحاً. وغيط بن مرة: حي من غطفان، منه الرجلان الساعيان في الصلح - وتبزل: تشقق. أي: كان بينهم صلح، فتشقق بالدم، فسمي ساعيا غيط بن مرة، فأصلحاه.

(٤) البيت: الكعبة. وجهرهم: قبيلة يمانية كانوا ولاية البيت، أي: سدانة الكعبة، ثم استولى على سدانة الكعبة خزاعة، ثم عادت إلى قريش، ينريش اسم لولد النضر بن كنانة.

(٥) السحيل: الحبل المفتول على قوة واحدة. والمبرم: الحبل المفتول على قوتين أو أكثر، ثم يستعار السحيل للضعيف. والمبرم: للقوي.

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نَذْرِكَ السَّلَمَ وَاسِعًا
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا
تُعْفَى الْكَلُومُ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ
يَنْجُمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تَلَادِكُمْ
أَلَا أَبْلِغِ الْأَخْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً
فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ
يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ

تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطَرَ مَنْشَمٍ^(١)
يَمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ^(٢)
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ^(٣)
وَمَنْ يَسْتَبِجْ كَثْرًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ^(٤)
يُنْجَمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ^(٥)
وَلَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلَّةً مِجْجَمِ^(٦)
مَغَانِمِ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمِ^(٧)
وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقَسَمِ^(٨)
لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ^(٩)
لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلَ فَيُنْقَمِ^(١٠)

(١) التدارك: التلاقي في إدراك أمرهما. والتفاني: التشارك في الفناء ودقوا بينهم عطر منشم: مثل يضرب في شدة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم. ومنشم: قيل: إن أصله اسم امرأة عطارة، اشترى قوم منها جفنة من العطر، وتعاقدوا وتحالفوا، وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله، فقتلوا عن آخرهم. وقيل بل كان عطاراً يشتري منه ما يحتط به الموق فसार المثل بعطره.

(٢) واسع: ممكن. أي نسلم، أي نسلم من الحرب.

(٣) منها: من الحرب. والعقوق: العصيان، وقطعية الرحم. والمأثم: الإثم.

(٤) عليا معد: أرفعها. ومعد بن عدنان: أبو القبائل النزارية. وهديتما: دعاء لهما. والاستباحة: وجود الشيء مباحاً. وهي أيضاً الاستئصال. ويعظم: يصير عظيماً، أي يعظمه الناس.

(٥) تعفى: تمحى الجراح. والكلوم: جمع كلم، وهي الجراح. وينجمها: يجعل لأدائها وقتاً، أي أقساطاً. والمعنى: تمحى الجراح ببذل المئين من الإبل، ويغرمها من لم يجرم فيها.

(٦) الميجم: آلة الحجام، والجمع المحاجم.

(٧) التلاد: المال القديم الموروث. والمغانم: جمع المغنم، وهو الغنيمة. وشتى: متفرقة. والأفبال: والأفيل: هو صغير السن من الإبل. المزمن: المعلم بزمنة، والزمنة: العلامة.

(٨) الأخلاف والحلفاء: الجيران، وهي القبائل التي حالفت ذبيان على حرب عبس، والمقصود: أسد وغطفان. وهل أقسمت كل مقسم: أي، هل أقسمت كل إقسام إنكم تفعلون مالا ينبغي أي أن هل بمعنى (قد).

المعنى: لا تظهروا الصلح، وفي أنفسكم أن تغدروا.

(١٠) المعنى: لا تكتمن الله تعالى ما في نفوسكم فيؤخر ذلك إلى الحساب فتحاسبوا به ويعجل في الدنيا لكم النعمة به. ويقال: إنما أراد بهذا الغدر وتعظيم شأنه.

- وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ
مَتَى تَبَعْتُوهَا تَبَعْتُوهَا ذَمِيمَةً
فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى يَشْفَالِهَا
فَتُتَنَجِّ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمُ كُلُّهُمْ
فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغْلِلُ لِأَهْلِهَا
لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْحَيِّ جَرٌّ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكْنَةٍ
وَقَالَ سَأُقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقِي
فَشْدٌ وَلَمْ يُفْرَغْ بُيُوتاً كَثِيرَةً
- (١) وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ (١)
(٢) وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضَرَمِ (٢)
(٣) وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثُمَّ تُتَنَجِّ فَتُتَمِّ (٣)
(٤) كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمِ (٤)
(٥) قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيرٍ وَدِرْهَمِ (٥)
(٦) بِمَا لَا يُوَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بَنُ ضَمْضَمِ (٦)
(٧) فَلَا هُوَ أَبْدَاهُ وَلَمْ يَتَقَدَّمِ (٧)
(٨) عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمِ (٨)
(٩) لَدَى حَيْثُ أَلَقْتُ رَحْلَهَا أَمْ قَشْعَمِ (٩)

(١) الحديث المرحم : الذي يرجم فيه بالظنون ، أي يحكم فيه بظنونها ، أي ما الخبر عنها . بحديث ، يرجم فيه بالظن .

- (٢) تبعثوها : تثيروها . وذميمة ؛ مذمومة . أي تذمون على إثارتها . وتضرم : تلتهب .
(٣) الثفال : جلد يجعل تحت الرحى . والباء بمعنى مع . أي عرك الرحى ومعها ثفالها . تلقح : تحمل .
والكشفاف : ان تلقح النعجة في السنة مرتين . وتتنج : تلد . وتشم : تأتي بتوأمين .
(٤) الشؤم : ضد اليمن . وأحمر عاد : قُدار بن سالف . ويقال : إن عافر الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من ثمود . ويقال هذا ليس بغلط ، لأن ثمود ، يقال لها : عاد الآخرة ، ويقال لقوم هود : عاد الأولى .
والمعنى : تولد لكم أبناء في أثناء الحروب كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عافر الناقة ، ثم ترضعهم الحروب وتقطمهم ، فيصبحون مشائيم على آبائهم .
(٥) أغلت الأرض تغل : إذا كانت لها غلة .

- (٦) جر عليهم : جنى عليهم والجريرة : الجناية . ويؤاتيه : يوافقهم . وهنا يشير إلى قصة الحصين ، وذلك ان رجلاً من بني عيس قتل أخاً للحصين بن ضمضم قبل الصلح ، فلما وقع الصلح بين القبيلتين ، أضمر الحصين لأخذ الثأر من قاتل أخيه ، وانتهاز الفرصة حتى ظفر برجل من عيس يراه بأخيه ، فشده عليه فقتله ، فركبت عيس وثارت ، وتدارك الحارث بن عوف الشر .
(٧) الكشح : منقطع الأضلاع ، الجنب ، ومعناه : كان طوى كشحته على فَعْلَةٍ ، أكتها في نفسه ، فلم يظهرها .
المستكنة : العُدرة ، من الاستكنان : الاستتار . ولم يتقدم : أي لم ير التقدم ، على ما أضمر .
والمعنى : وكان حصين أضمر في صدره حقداً على نية مسترة فيه ، ولم يظهرها لأحد ولم يقدم عليها قبل إمكانه الفرصة .

- (٨) ملجم : أي بألف فارس ملجم .
(٩) الإفزاع : الإخافة . وأم قشعم : كنية المنية . والمعنى : فشده الحصين على العبي غلداً من غير أن تفزع بذلك بيوت كثيرة من عيس ، وملقى الرحل المنزل ، لأن المسافر يلقي به رحله .

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذِّفٍ
جَرِيٍّ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ
رَعَوْا ظَمَاهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
فَقَضُّوا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
لَعْمُرُكَ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
وَلَا شَارَكَتْ فِي الْحَرْبِ فِي دَمٍ نَوْفَلٍ
فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ
تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لَقَوْمٍ، غَرَامَةٌ
كَرَامٍ فَلَا ذُو الضُّغَيْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ

لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ^(١)
سَرِيعاً وَإِلَّا يُبَدَّ بِالظُّلْمِ يَظْلِمُ^(٢)
غِمَاراً تَفَرَّى بِالسِّلَاحِ وَبِالدَّمِ^(٣)
إِلَى كِلَا مُسْتَوِيلٍ مُتَوَخِّمٍ^(٤)
دَمَ آبِنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثْلَمِ^(٥)
وَلَا وَهَبَ فِيهَا وَلَا آبِنِ الْمُخْزَمِ
عُلَالَةً أَلْفٍ، بَعْدَ أَلْفٍ مُصْتَمٍ^(٦)
صَحِيحَاتِ مَالٍ، طَالِعَاتٍ بِمَخْرَمٍ^(٧)
وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ^(٨)

(١) شاكي السلاح: تام السلاح، تام العدة والقوة. ومقذف: أي يقذف به كثيراً إلى الوقائع، والتقليد مبالغة القذف. واللبد: جمع لبدة الأسد وهي ما تلبد من شعره على منكبيه. يريد أن الحصين لا يعتره ضعف، ولا يعيبه عدم شوكه، كما أن الأسد لا يقلم برأته.

(٢) الجرة والجرعة: الشجاعة. وهذا البيت يصف الجيش، بأنه شجاع جريء، إذا ظلم عاقب ظالمه سريعاً بظلمه، وإن لم يظلمه أحد ظلم الناس لقوته.

(٣) الغمار: جمع غمر، وهو الماء الكثير. والتفري: التشقق يقول: رعوإلهم الكلا حتى إذا تم الظما، أوردوها مياهاً كثيرة، وهذا كله استعارة، والمعنى: أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة كما ترعى الإبل مدة معلومة، ثم عادوا إلى الوقائع كما تورد الإبل بعد الرعي فالحروب بمنزلة الغمار، ولكنها تنشق عنهم باستعمال السلاح وسفك الدماء.

(٤) قضوا: أنفذوا وأحكموا وأتموا وأصدروا: أرجعوا. والكلا المستويل: ما تجده ويلاً من العشب والمتوخم: ما تجده وخيماً يقول: أحكموا وتمموا منايا قتلاهم، ثم أصدروا إيلهم إلى كلا وبيل وخيم، أي أقلعوا عن القتال، واشتغلوا بالاستعداد له ثانية، كما تصدر الإبل فترعى إلى أن تورد ثانياً. ثم أضرب عن هذا الكلام، وعاد إلى مدح الذين أعطوا ديات القتلى.

(٥) جرت: من الجريرة، أي جنت، والمعنى: أن هؤلاء (ابن نهيك، وقتيال المثلم، ونوفل، ووهب، وابن المخزم) قتلوا، قبل هذه الحرب، فلما شملتهم هذه الحرب أدخلوا كل قتيلا كان لهم في هذه الحرب، فطالبوا بهم حمالات، وقوداً، حتى اصطللحوا.

(٦) يعقلونه: يؤدون عقله، أي ديتة. والعلالة: الزيادة وأصله من العلل، وهو الشرب الثاني. والمصتم: التام.

(٧) المخزم: الطريق في أعلى الجبل.

(٨) الضغن والضغينة واحد، وهو ما استكن في القلب من العداوة. والتبل: الحقد. والجارم والجاني واحد. والمسلم: المخذول. أي أن الذي جر عليهم الجنايات ليس بمسلم، أي مخذول، لا ينتصر له.

سَمِثْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُخْلِ نَفْضَهُ
وَمَنْ يُوفِ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلَنُهُ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ يَعْصِ اطِّرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَمْ يَذُدَّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَنْ يَغْتَرِبَ يَحْسَتْ عَدُوًّا صَبْدِيقَهُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ

(١) ثمانينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ (١)
وَلَكُنْتَنِي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِي
تُمِيتُهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يَعْمَرُ فِيهِرَمِ (٢)
يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمِ (٣)
يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ يُشْتَمِ
عَلَى قَوْمِهِ يَسْتَفِنُ عَنْهُ وَيَذَمُّ
إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّعُ (٥)
وَإِنْ يَرْقُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يُسَلِّمُ (٦)
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمِ (٧)
يُهْذَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ (٨)
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمِ (٩)
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ (١٠)
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

(١) سَمِثْتُ الشَّيْءَ: ملئته. والتكاليف: المشاق والشدائد. لا أبالك: كلمة جافية لا يراد بها الجفاء، وإنما يراد بها التنبيه والإعلام. ويقال: إن اللام في «لا أبالك» زائدة، والتقدير: لا أباك. ولو أنها زائدة لكان لا أب لك، لأن الألف إنما تثبت مع الإضافة. والخبر محذوف، والتقدير: لا أبالك موجود، أو بالحضرة. (٢) الخبط: الضرب باليد. والعشواء: تأنيث الأعشى. والعشواء: الناقة التي لا تبصر ليلًا فتخط بيديها على عصى. (٣) يصانع: يترفق ويداري. ويضرس: يعضض بضرس. ويوطأ بمنسم: يذل. والمنسم للبعير، بمنزلة الظفر للإنسان، والجمع المناسم. (٤) يفِرُّه: يتمه، ولا ينقصه. يريد: من بذل معروفه صان عرضه، ومن يبخل بمعرفه عرضه للذم والشتم. (٥) وفي وأوفى: أكثر. ومن يفيض قلبه: أي يصير. ومطمئن البر: خالصه. ويتجمع: أي: يتردد في الصلح. (٦) رقي في السلم: صعد فيه. والأسباب: النواحي. (٧) الزجاج: جمع زُجْ، وهو أسفل الرمح. والعوالي: جمع عالية، وهي أعلى الرمح. واللهزم: الحاد. والمعنى: أن من لا يقبل الصلح، وهو الزُجْ الذي لا يقاتل به، فإنه يطيع العوالي، وهو السنان الذي يقاتل به.

(٨) يذد: يدفع ويطرده.

(٩) يغترب: يبعد عن قومه.

(١٠) الخليفة والطبيعة واحد. أي أن الأخلاق لا تخفى، والتخلق لا يبقى.

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ (١)
وَأَنَّ سَفَاةَ الشَّيْخِ لَا جِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسَالِ يَوْمًا سَيُحْرَمُ

- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/ ٢٧٨ - ٢٨٨ .

- شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٣٧ - ٢٩٠ .

- شرح القصائد العشر، ص ١٦٢ - ١٩٩ .

- شرح المعلقات السبع، ص ٦٢ - ٧٦ .

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، لأبي العباس ثعلب، ص ١٦ - ٣٧ .

- جمهرة أشعار العرب، ص ١٥٣ - ١٧٨ .

٤ - من معلقة عمرو بن كلثوم (٢)

(من الوافر)

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا (٣)
* * *

(١) أي إن المرأة بأصغريه: لسانه وجنانه، أي قلبه .

(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبو الأسود، شاعر جاهلي مشهور، من الطبقة السادسة عند ابن سلام في طبقاته، تجول في الجزيرة العربية، وفي الشام والعراق، وكان من الفتاك الشجعان، ساد قومه تغلب وهو فتى، وعمر طويلاً، وهو الذي قتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أُمِّي . فقالوا: نعم، عمرو بن كلثوم . قال: ولم ذلك؟ قالوا: لأن أباهما مهلهل بن ربيعة، وعمرها كليب وائل أعز العرب ويعلمها كلثوم بن مالك بن عتاب، أفرس العرب، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزيّر أمه أمه، فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب وأقبلت أمه ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب، فدخل الشاعر على عمرو بن هند في القبة التي ضربها بين الحيرة والفراة، وكان مع ملك الحيرة وجوه أهل مملكته . ودخلت ليلى على هند، في القبة التي ضربت بجانب القبة الأخرى، وكان ملك الحيرة عمر طلب من أمه أن تنحى الخدم، وتستخدم ليلى، ويعد أن أكلوا، قالت هند، يا ليلى! ناوليني ذلك الطبق . فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها، وألحت، فصاحت ليلى: واذا له! يا لتغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم، فثار الدم في وجهه، ونظر إلى عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه، فقام إلى سيف لعمر بن هند معلق بالرواق، ليس هناك سيف غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله، ونادى في بني تغلب، فانتهبوا جميع ما في الرواق وساقوا نجايبه، وساروا نحو الجزيرة . ويصف الشاعر هذا في معلقته هذه . مات نحو سنة ٤٠ ق هـ . انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥١ . وطبقات الشعراء، ص ٣٤ . والشعر والشعراء ص ١١٧ - ١٢٠ . والأغاني ١١/ ٤٦ - ٥٤ . وجمهرة أشعار العرب، ص ٨٦ - ٨٨ . والأعلام ٨٤/٥ .

(٣) هبي: استيقظي . والصحن: القدح العظيم . واصبحينا: اسقينا الصبوح، أي الشراب في الصباح .
والأندرين: قرى بالشام .

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا
بَأْنَا نُورِدُ الرَايَاتِ بِيضاً
وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ، طُولِ
وَسَيْدٍ مَعْشَرٍ، قَدْ تَوَجَّوْهُ
تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ
وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مَنَا
وَأَنْزَلْنَا الْبَيْوتَ بِذِي طُلُوحٍ
مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا
يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ
نَزَلْتُمْ مِنْزَلَ الْأَضْيَافِ مَنَا

وَأَنْظَرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا^(١)
وَنُضْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا^(٢)
عَصِينَا الْمَلِكُ فِيهَا أَنْ نَدِينَا^(٣)
بِتَاجِ الْمُلْكِ، يَحْمِي الْمُحْجَرِينَا^(٤)
مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا^(٥)
وَشَدْبْنَا قَتَادَةً مَنْ يَلِينَا^(٦)
إِلَى الشَّامَاتِ تَنْفِي الْمَوْعِدِينَا^(٧)
يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا^(٨)
وَلَهْوَتُهَا قُضَاعَةً أَجْمَعِينَا^(٩)
فَاعْجَلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتُمُونَا^(١٠)

- (١) أباهند: يعني عمرو بن هند. وأنظرنا: أمهلنا.
- (٢) الرايات: جمع الراية، وهي العلم. يقول: نخبرك باليقين من أمرنا بأننا نورد أعلامنا الحروب بيضاء، ونرجعها منها حمراء قد روين من دماء الأبطال.
- (٣) الغر: بمعنى المشاهير كالخيل الغر لاشتهارها فيما بين الخيل. يقول: نخبرك بوقائع لنا مشاهير كالغر من الخيل عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه، ونتذلل له.
- (٤) المحجرون: اللاجئون إلى من يحميهم، يقول: ورب سيد قوم متوج بتاج الملك حام للملجئين، قهرناه.
- (٥) الصفون: جمع الصافن، وهو القائم الذي قام على ثلاث قوائم، وثني سنبكه الرابع. يقول: قتلناه، وحبسنا خيلنا عليه، وقد قلدناها أعتتها في حال صفونها عنده لعباً. أي نزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه.
- (٦) هرت الكلاب: نبحت خوفاً. والتشذيب: قطع أشواك الشجره أو أغصانها. والقتاد: شجر ذو شوك، والواحدة قتادة. يقول: وقد لبسنا الأسلحة حتى انكرونا الكلاب، ونبحت لإنكارها إيانا وقد كسرنا شوكه من يقرب منا من أعدائنا.
- (٧) ذو طلوح، والشامات: موضعان. والموعدين: المهلجين، وأراد الأعداء. يقول: وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح إلى الشامات: ننفي من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا.
- (٨) أراد بالرحى: رحى الحرب. يقول: متى حاربنا قوماً قتلناهم. استعار للحرب اسم الرحى. واستعار لقتلهم اسم الطحين.
- (٩) الثفال: خرقه أو جلدة تبسط تحت الرحى. واللهوة: القبض من الحب، تلقى في فم الرحى. يقول: تكون معركتنا الجانب الشرقي من نجد وتكون قبضتنا قضاة أجمعينا. استعار للمعركة اسم انقال، وللقنلى اسم اللهوة ليشاكل الرحى والطحين.
- (١٠) القري: الضيافة. يقول: نزلتم منزلة الأضياف، فجعلنا قراكم كراهية أن تشتمونا ولكي لا تشتمونا.

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ
نَعْمُ أَنَا سَنَا وَنَعِيفُ عَنْهُمْ
نَطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَا
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِيُّ لُذْنِ
كَأَنَّ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا
نَشَقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا
وَلِإِنَّ الضُّغْنَ بَعْدَ الضُّغْنِ يَبْدُو
وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدُّ
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ

قُبِيلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا^(١)
وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا^(٢)
وَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ إِذَا غُشِينَا^(٣)
ذَوَابِلَ أَوْ بَبِيضٍ يَخْتَلِينَا^(٤)
وَسُوقَ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا^(٥)
وَنَخْتَلِبُ الرُّقَابَ فَتَخْتَلِينَا^(٦)
عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا^(٧)
نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا^(٨)
عَنِ الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا^(٩)

= والمعنى: تعرضتم لمعادتنا كما يتعرض الضيف للقرى، فقتلناكم عاجلاً كما يحمّد تعجيل قرى الضيف. أي: جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب، ولم نتظركم أن تشتمونا. ويقال في معناه: عاجلناكم بالقتل قبل أن توقعوا بنا، فتكونوا سبباً لثمت الناس إيانا. وأن بمعنى: لثلا.

(١) المردة: الصخرة التي يكسر بها الصخور ومرداة طحونا: أي حرباً أهلكتكم أشد هلاك. استعار المردة للحرب.

(٢) يقول: نعم عشانرنا بنوالنا وسبيننا، ونعف عن أموالهم، ونحمل عنهم ما حملونا من أنقال حقوقهم ومؤونتهم، وما حملونا من الديات والدفاع ونحو ذلك.

(٣) التراخي: البعد. والغشيان: الإتيان. يقول: إننا نحسن استعمال السلاح، فنطاعن أعداءنا بالرماح إذا لم يلاصقونا، فإذا لاصقونا ضربناهم بالسيف.

(٤) السمر: الرماح، وهي سمر لنضجها في منابتها. والقنا: الرماح. والخطي: نسبة إلى بلدة الخط على ساحل البحرين تجلب منها الرماح. واللدن: جمع لدن، اللين. يقول: نطاعنهم برماح سمر لينة. أو نضاربهم بسيف بيض يقطع ما ضرب بها.

(٥) الوسوق: جمع الوسق، وهو حمل البعير. والأماعز: جمع الأمعز: وهو المكان الذي تكثر حجراته. يقول كأن جماجم الشجعان منهم أحمال إبل تسقط في الأماكن الكثيرة الحجارة.

(٦) الاختلاب: قطع الشيء بالمخلب، وهو المنجل الذي لا أسنان له. والاختلاء: قطع الخلا، وهو رطب الحشيش. يقول: نشق بها رؤوس الأعداء، ونقطع بها رقابهم فيقطعن.

(٧) يقول: إن الضغن بعد الضغن تفشو آثاره، ويخرج الداء المدفون من الأثنية، أي يبعث على الانتقام.

(٨) يقول: ورثنا شرف آبائنا قد علمت ذلك معد، نطاعن الأعداء دون شرفنا حتى يظهر الشرف لنا.

(٩) الحفض: متاع البيت. وخرت: سقطت. وسقوط الأعملة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والظعن. يقول: ونحن إذا قوضت الخيام فخرت على أمتعتها لمنع ونحمي من يقرب منا من جيراننا.

نَجْدُ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ
كَأَنَّ سِيوفَنَا فَبْنَا وَفِيهِمْ
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مَنَا وَمِنْهُمْ
إِذَا مَا عَبِي بِبِالْإِسْنَفِ حَيٍّ
نَضَبْنَا مِثْلَ رَقَسٍ نَابِئٍ رَدٍّ
بِشُبَّانٍ يَرُونَ الْقَتْلَ سَجَادًا
حُدًيًا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا
فَأَمَّا يَوْمَ خَشَيْتَنَا عَلَيْهِمْ
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ
بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بَنَ بَكْرٍ
فَمَا يَذْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا^(١)
مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا^(٢)
خَضِبْنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طَلِينَا^(٣)
مَنْ الْهَوْلُ الْمُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا^(٤)
مَحَافِظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا^(٥)
وَشَيْبٌ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا^(٦)
مَقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا^(٧)
فَتُضْبَحُ خَيْلُنَا عَصَبَا ثُبِينَا^(٨)
فَنُفْعِنُ غَارَةً مُتَلَبَّبِينَا^(٩)
نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالْحَزُونََا^(١٠)

(١) الجذ: القطع. يقول: نقطع رؤوسهم في غير بر، أي: في عقوق ولا يدرون ماذا يحذرون منا من القتل وسبي الحرم واستباحة الأموال.

(٢) المخاريق: جمع المخراق، وهو المندبل أو الخرقه تلف ويضرب بها، والمخراق: سيف من خشب يلعب به الصبيان. يقول: كنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لا يحفل اللاعبون بالمخاريق، أو كنا نضرب بها في سرعة كما يضرب بالمخاريق في سرعة.

(٣) الأرجوان: صبغ أحمر. يقول: كأن ثيابنا وثياب أقراننا خضبت بأرجوان أو طليت.

(٤) الأسناف: الإقدام. وعي بالامر: تحير فيه. يقول: إذا عجز من التقدم قوم مخافة هول منتظر متوقع.
(٥) رهوة: جبل. يقول: نصبنا خيلاً مثل هذا الجبل، أو كتيبة ذات شوكة محافظة على أحسابنا، وسبقنا خصوصنا: أي غلبناهم. والمعنى: إذا فزع غيرنا من التقدم أقدمنا مع كتيبة ذات شوكة وغلبة، وإنما نفعل هذا محافظة على أحسابنا.

(٦) يقول: نسبق ونغلب شبان يعدون القتل في الحروب مجداً، وشيب قد مرنوا على الحروب.

(٧) حدياً: اسم جاء على صيغة التصغير، وهي بمعنى التحدي. يقول: تتحدى الناس كلهم بمثل مجدنا وشرفنا، ونقارع أبناءهم ذابيين عن أبائنا.

(٨) العصب: جمع العصبه، وهي الجماعة. والثبة: الجماعة. يقول: فأما يوم نخشى على أبائنا، وحرمتنا من الأعداء تصبح خيلنا جماعات، أي تتفرق في كل وجه لذب الأعداء عن الحرم.

(٩) الإمعان: الإسراع في المبالغة في الشيء. والتلبب: لبس السلاح. يقول: وأما يوم لا نخشى على حرمتنا من أعدائنا فنمعن في الإغارة على الأعداء لابسين أسلحتنا.

(١٠) الرأس: الرئيس والسيد. يقول: نغير عليهم مع سيد من هؤلاء القوم ندق به السهل والحزن، أي نهزم الضعاف والأشداء.

بأي مشيئة عمرو بن هند تُطِيعُ بنا الوشاة وتزدرينا^(١)
بأي مشيئة عمرو بن هند نكونُ لِقَيْلُكُمْ فيها قَطِينا^(٢)
تَهْدُنَا وأَوْعِدُنَا رُوَيْدًا متى كُنَّا لِأَمِّكَ مُقْتَوِينَا^(٣)

* * *

وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا قُبِبَ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا^(٤)
بَأْنَا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا^(٥)
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أُرْدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا^(٦)
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا^(٧)
وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطْعِنَا وَأَنَا الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا^(٨)
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَنَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينَا^(٩)
إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا أَبِينَا أَنْ نُقِرَّ الدُّلَّ فِينَا^(١٠)

(١) تزدرينا: تحتقرنا. يقول: كيف تشاء أن تطيع الوشاة بنا إليك وتحقرنا وتقصر بنا؟ أي شيء دعاك إلى هذه المشيئة؟

(٢) القطين: الخدم. والقييل: الملك دون الملك الأعظم. يقول: كيف تشاء يا عمرو بن هند أن نكون خدماً لمن وليتموهم أمرنا من الملوك؟ أي شيء دعاك إلى المشيئة المحالة؟ يريد: إنه لم يظهر منهم ضعف يطمع الملك في إذلалهم باستخدام قبيله إياهم.

(٣) القتو: خدمة الملوك، والفعل قتا يقتو. يقول: ترفق في تهددنا وإبعادنا، ولا تمنع فيهما، فمتى كنا خدماً لأمك؟ أي لم تكن خدماً لها حتى نعبأ بتهديدك ووعيدك إيانا، ثم قال: رويداً رويداً، أي دع الوعيد والتهديد وأمهله.

(٤) يقول: وقد علمت قبائل معد إذا بنيت قبابي بأبطحها. والقيب والقباب: جمع قبة.

(٥) يقول: قد علمت هذه القبائل أننا نطعم الضيفان إذا قدرنا عليه، ونهلك أعداءنا إذا اختبروا قتالنا.

(٦) يقول: إنا نمنع الناس ما أردنا منعه إياهم، وننزل حيث شئنا من بلاد العرب.

(٧) يقول: إنا نترك ما نسخط عليه، ونأخذ إذا رضىنا، أي: لا نقبل عطايا من سخطنا عليه، ونقبل هدايا من رضىنا عليه.

(٨) يقول: إنا نعصم ونمنع جيراننا إذا أطاعونا، ونعزم عليهم بالعدوان إذا عصونا.

(٩) يقول: نأخذ من كل شيء أفضله ونُدع لغيرنا أرذله. يريد: أنهم السادة والقادة وغيرهم أتباع لهم.

(١٠) الخسف: الدل. والسؤم: أن تجشم إنساناً مشقة وشرّاً. يقول: إذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد له. وسامه خسفاً: حملة وكلفه ما فيه ذله.

لنا الدنيا ومن أمسى عليها وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا^(١)
 إذا بلغَ الفِطَامَ لنا صبيُّ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينَا^(٢)
 ملأنا البرَّ حتَّى ضاقَ عَنَّا وَظَهَرَ البحرُ نملؤُهُ سفينَا^(٣)
 ألا لا يجهلُنَّ أحدُ علينا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الجاهليِنَا^(٤)

- ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال، ص ٣٦٩ - ٤٢٧.

- ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات ٨٩/٢ - ١٢٥.

- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ١٠١ - ١١٥.

- الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٣١٨ - ٣٦٧.

- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢٧٢ - ٣٠٠.

٥ - من معلقة عنترة بن شداد العبسي^(٥)

(من الكامل)

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارُ بَعْدَ تَوَهُمٍ؟^(٦)

(١) يقول: لنا الدنيا وما عليها، نتصرف فيها كيف ما نشاء، لأننا أقوياء أعزاء.

(٢) يقول: إذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا.

(٣) يقول: عممنا الدنيا برأ وبحراً، فضاقت البر عن بيوتنا وضاقت البحر عن سفننا.

(٤) أي: لا يسهفون أحد علينا فنسفه فوق سفهمهم، أي: نجازيهم بسفهمهم جزاء يربي عليه، فسمي جزاء

الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا﴾

وقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾.

(٥) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، من مضر، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، وأمه أمة

حبشية يقال لها زبيبة، نفاه والده شداد، ثم اعترف به، فألحق بنسبه. وعنترة أحد أغربة العرب - وهم

الذين جاءهم السواد من قبل أمهاتهم - وكان أشجع العرب وأشدّها، وأعزهم نفساً، يروى عن الرسول

ﷺ أنه قال: «ما وصف لي أعزابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة» ولم يدرك الإسلام. وكان لا يقول من

الشعر إلا البيتين والثلاثة حتى سابه رجل من بني عس فذكر سواده وسواد أمه وإخوته من أمه وعيره

بذلك، وبأنه لا يقول الشعر. فكان أول ما قال من قصائد معلقته هذه، وهي أجود شعره يسمونها

المذهبة. وكان قد شهد حرب داحس والغبراء، فحسن فيها بلاؤه، وحمدت مشاهدته. عشق ابنة عمه

عبلة. أنظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ١٣٠ - ١٣٥. والأغاني ٢٣٧/٨ - ٤٢٥. والديوان.

(٦) التردم: من قولك: ردمت الشيء، إذا أصلحته. والمعنى: هل تركت الشعراء موضعاً مسترقاً إلا وقد

رفعوه وأصلحوه؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار، أي: لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه شعر إلا وقد

صاغوه فيه.

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةَ وَاسْلَمِي (١)

* * *

إِنْ تُغْدِي فِي دُونِي الْقِنَبَاعَ فَإِنِّي طَبُّ بِأَخْذِ الْفَارَسِ الْمُسْتَلْتِمِ (٢)
أُنِّي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي سَهْلٌ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمِ
فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بِأَسِئِلُ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ (٣)
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ (٤)
بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أُسْرَةٍ قَرَنْتُ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مُقَدِّمِ (٥)
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكُ مَالِي وَعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يُكَلِّمْ (٦)
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكْرُمِي (٧)
وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجْدَلًا تَمْكُو قَرِيصَتُهُ كَشِدْقِي الْأَعْلَمِ (٨)

(١) عبله: اسم عشيقته. والجواء: بلد، أو الوادي. وتكلمي: أخبري عن أهلك وسكانك. وعم وأنعم واحد. واسلمي: أي سلمك الله من الآفات.

(٢) الإغداق: إرخاء القناع على الوجه. والطب: الحاذق. والمستلثم: الذي لبس للالامة، وهي الدرع. والمعنى: إن ترخي دوني القناع، أي: تستري عني، فإنني حاذق بأخذ الفرسان الدارعين، أي: إذا كان الأمر كذلك مع الفرسان، فكيف أعجز عن صيد أمثالك.

(٣) باسل: أي كريبه. والعلقم: الحنظل.

(٤) المدامة: الخمر. وركد: سكن. الهواجر: جمع الهاجرة: وهي أشد الأوقات حرًا. يقول: شربت من الخمر بعد ركود الهواجر، أي: حين ركدت الشمس، ووقفت. والمشوف: الدينار والدرهم. وقيل: هو الكأس. والمعلم: الذي فيه كتابة.

(٥) ذات أسيرة: أي ذات طرائق وخطوط. وبأزهر: يعني: إبريقاً من فضة أو رصاص. ومُقَدِّم: مشدود فمه بخرقه.

(٦) العرض: موضع المدح والذم من الرجل. ولم يكلم: لم يبرح. يقول: إذا شربت أنفقت مالي، وأهلكته في السماح، وأنا أصون عرضي، ولا أشعُ بمالي.

(٧) صحوت: أي أفاق من سكره. والندى: السخاء. والشائل: الأخلاق، مفردا الشمال: الخلق. والمعنى: إنه يسخر على السكر، والصحو.

(٨) الحليل: الزوج. والمرأة: حليلة، قيل لهما ذلك، لأن كل واحد منهما يحل على صاحبه. والغانية: ذات الزوج من النساء لأنها غنيت بزوجها من الرجال. وقيل: بل الغانية المقيمة في بيت أبيوها، لم تزوج بعد، من غني بالمكان إذا أقام به. وقيل الشابة الحسنة التي تعجب الرجال، ويعجبها الرجال. وجدلته: ألقته على الجدالة، وهي الأرض فتجدل، أي: سقط عليها. وتمكو: =

سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَ مَالِكٍ
إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةٍ سَابِحٍ
طَوْرًا يُجَرِّدُ لِطُطْعَانٍ وَتَارَةٍ
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ السَّوْقِيَةَ أَنِّي
وَمُدْجَجٍ كَرِهَ الْكِمَاءُ نَزَالَهُ
جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
بَرْحِيَةِ الْفَرَعَيْنِ يَهْدِي جَرُسَهَا

وَرَشَاشٍ نَافِلَةٍ كَلَوْنِ الْعَنْدَمِ (١)
إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الْكِمَاءُ مُكَلِّمِ (٢)
يَأْوِي إِلَى حَصِيدِ الْقِسِيِّ عَرْمَرَمِ (٣)
أَغْشَى الْوَعَى وَأَعِيفٌ عِنْدَ الْمَغْنَمِ (٤)
لَا مُمَعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ (٥)
بِمُتَّقِفٍ صَدَقِ الْكُعُوبِ مُقَوِّمِ (٦)
بِاللَّيْلِ مُعْتَسٍّ الذُّنَابِ الضُّرْمِ (٧)

= تَصْفِير. والمكاء: الصفير. والفريضة: الموضع الذي يُرعد من الدابة، والإنسان، إذا خاف. الأعلم: الذي في شفته العليا شق. وهنا شبه صوت انصباب الدم بصوت خروج النفس، من شدق الأعلم، والأعلم: لعله قصد الفرس.

(١) الرشاش: ما تطاير من الدم. والنافلة: الطعنة التي نفلت إلى جانب الآخر. ويقال: التي نفلت إلى الجوف. والعندم: دم الأخوين. وقيل: البقم. وقيل: شقائق النعمان. وقيل: المعصفر. وقيل: صبغ أحمر.

(٢) الرحالة: السرج، كان يعمل من جلود الشاء بأصوافها، يتخذ للجري الشديد. والسابح من الخيل الذي يدحوي بيديه دحواً. والنهد: الغليظ. وتعاور: تداول. يقال: تعاوروه ضرباً: إذا جعلوا يضربونه على جهة التناوب. والكماء: جمع كمي، وهو الشجاع، التام السلاح. والكلم: الجرح.

(٣) الطور: التارة والمرة، والجمع الأطوار. والحصد: الكثير. وكذلك العرمم.

(٤) الوقعة والوقية: اسمان من أسماء الحرب، والجمع الوقعات، والوقائع. والوعى: الصوت والجلبة، ثم استعير للحرب. والمغنم والغنم والغنمية، واحد. والمعنى: لا استأثر بشيء دون أصحابي.

(٥) المدجج: الذي توارى بالسلاح. والكماء: جمع كمي وهو الشجاع. ونزاله: منازلته. ولا ممعن هرباً: أي لا يمعن هرباً فيبعد، ولا هو مستسلم فيؤسر، ولكنه يقاتل. ويقال: لا يفرّ فراراً بعيداً، إنما هو منحرف لرجعة، أو كَرَّوْ يَكُرُّها.

(٦) جادت له كفي بعاجل طعنه: أي سبقته بالطعن، لأنني كنت أحلق منه. والمتقف: المصلح المقوم. الكعوب: عقد الأنابيب. والصلق: الصلب. وما بين كل أنبوبين: كعب. والمقوم: الذي قوم وشوي.

(٧) الرحية: الواسعة. والفرغ: مصب الماء من الدلو، وللدلو: فرغان. فضرب هذا مثلاً لمخرج دم هذه الطعنة، فجعله مثل مصب الدلو. والجرس: الصوت. والمعتنس من الذناب وغيرها: المبتغي الطالب. والضرم: الحياض. أي أن سيلان دم هذه الطعنة يدلّ السباع، إذا سمعن خرير الدم منها، فيأتينه، ليأكلن منه.

فَشَكَّكَتْ بِالرَّمَحِ الْأَصَمُّ ثِيَابَهُ
فَتَرَكَّتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَتَشَنَّهُ
وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكَتْ فُرُوجَهَا
رَبِذٌ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا
لَمَّا رَأَنِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ
فَطَعَنَتْهُ بِالرَّمَحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ
عَهْدِي بِهِ مَدُّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا
بَطَلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ

لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ (١)
يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمَعْصَمِ (٢)
بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلِمٍ (٣)
هَتَاكَ غَايَاتِ التُّجَارِ مُلُومٍ (٤)
أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمٍ (٥)
بِمُهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْذَمٍ (٦)
خُضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلَمِ (٧)
يُحْدَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ (٨)

* * *

نَبُتٌ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي وَالْكَفَرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ (٩)

(١) شككته وشققته. بمعنى واحد. والأصم: الصلب. وثيابه: درعه، وقيل: قلبه، وقيل: بدنه. يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام، وقيل بل معناه: أن كرمه لا يخلصه من القتل المقدر له.
(٢) الجزر: جمع الجزرة، وهي الشاة التي أعدت للذبح. والنوش: التناول. والقضم: الأكل بمقدم الأسنان. والبنان: الأصابع، وأحدثها بنانة، والأنامل: أطرافها. والمعصم: موضع السوار.
(٣) المشك: الدرع التي قد شك بعضها. وقيل مساميرها التي تكون في حلقها. والسابغة: الكاملة. وهتك فروعها: شقت وفرت فروع الدرع، وهي جيبيها وكماها، واحدها فرج. وحامي الحقيقة: الذي يحمي ما يحق عليه أن يحميه. والمعلم: الذي قد شهر نفسه بعلامة إدلالاً بشجاعته، وإعلاماً بمكانه.

(٤) الربذ: السريع الضرب بالقداح يقول: هو حاذق بالقمار والميسر، خفيف اليد بضرب القداح. وهذا كان مدحاً عند العرب في الجاهلية. وإذا شتا: دخل في الشتاء. والغايات: مفردا الغاية، وهي العلامات والرايات التي ينصبها الخمار ليعرف مكانه بها. وأراد بالتجار: الخمارين. والمعنى: أنه يأتي الخمارين، فيشتري كل ما عندهم من الخمر، فيقلعون راياتهم ويذهبون، فذلك هتكها. والملوم: الذي يكثر لومه، على إنفاق ماله، في الفتوة.

(٥) أبدى: أظهر وكشر عن أسنانه. والنواجذ: آخر الأضراس.

(٦) المهند: المعمول بالهند، وهو السيف. والمخدم: القاطع.

(٧) مدّ النهار: أوله، ومدّ النهار، وشدّ النهار، ووجه النهار، وشباب النهار: أوله. والبنان: الأصابع. والعظلم: نبت يختضب به.

(٨) البطل: الشجاع. وسرحة: شجرة. وفي هنا بمعنى: على. ويحلى يلبس. ونعال السبت: المدبوغة بالقرظ، وكانت الملوك تلبسها. وليس بتوأم: أي لم يولد معه آخر، فيكون ضعيفاً.

(٩) نبئت: أعلمت. وكفر النعمة: جحودها. ولنفس المنعم: أي النفس المنعم عليه.

- وَلَقَدْ حَفَظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضَّحَى
 فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي
 إِذْ يَتَّقُونَ بِي الْأَسِنَّةَ لَمْ أَجْمِ
 لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
 يَدْعُونَ عَتَرَ وَالرِّمَاحَ كَأَنَّهُا
 مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِشُغْرَةٍ نَحْرِهِ
 فَازَوْرَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانِهِ
 لَوْ كَانَ يَذِرِي مَا الْمَحَاوِرَةُ أَشْتَكَى
 وَالْخَيْلُ تَفْتَحُ الْخَبَارَ عَوَابِسًا
 وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا
- (١) إِذْ تَقْلِصُ الشَّفْتَانِ عَنْ وَضَحِ الْقَمْرِ (١)
 غَمَرَاتُهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَغْمُغُمْ (٢)
 عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَائِقُ مُقَدِّمِي (٣)
 يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذْمَمِ (٤)
 أَشْطَانُ بِشْرِ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ (٥)
 وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبِلَ بِالذَّمِ (٦)
 وَشَكَا إِلَيَّ بَعْبَرَةَ وَتَحْمُحُمِ (٧)
 وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامُ مُكَلِّمِي (٨)
 مِنْ بَيْنِ شَيْطَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ (٩)
 قِيلُ الْفَوَارِسِ وَبِكَ عَتَرَ أَقْدَمِ (١٠)
 - شرح القصائد السبع الطوال، ص ٢٩٤ - ٣٦٥.
 - شرح القصائد العشر، ص ٢٦٢ - ٣١٤.
 - شرح المعلقات السبع، ص ١١٦ - ١٣٠.
 - ديوان عترة بن شداد، ص ١٨٦ - ٢٢٢.
 - جمهرة أشعار العرب، ص ٣٤٧ - ٣٧٥.

- (١) وصاة ووصية بمعنى واحد. والضحي: أي وقت الضحى. وتقلص: ترتفع وتقص وتشتنج. وفي الحرب ترتفع الشفة من الإنسان، حتى يرى كأنه يتبسم.
- (٢) حومة كل شيء: معظمه. وغمرات الحرب: شدائدها. والتغمغم: صبح ولجب وصوت تسمعه ولا تفهمه.
- (٣) يتقون بي الأسنة: أي يجعلونني بينهم وبينها، أي يقدمونني للموت. ولم أجم: لم أجبن. تضائيق مقدي: تضائيق الموضع الذي هو قدامي، من أن يدنوه أحد. والمقدم: الإقدام أيضاً.
- (٤) يتذامرون: يحضن بعضهم بعضاً. وغير مذمم: أي محمود القتال، غير مذمومة. والمعنى: لما رأيت جمع الأعداء قد أقبلوا نحونا يحض بعضهم بعضاً على قتلنا كررت عليهم غير مذمم.
- (٥) الشطن: الحبل، والجمع الأشطان. واللبان: الصدر. والأدهم: فرسه.
- (٦) الشفرة: الثقب في أعلى النحر. واللبان: الصدر. وتسربل: صار بمنزلة السربال، وهو القميص، أو كل ما يُلبس.
- (٧) ازور: مال. والتحمم: صوت مقطوع ليس بالصهيل. والعبرة: تردد البكاء في الصدر قبل أن تسيل الدمعة.
- (٨) المحاور: المراجعة.
- (٩) الاقتحام: الدخول في الشيء بسرعة. والخبار: الأرض اللينة التي يشتد فيها الركض. والعوابس: الكوالج من الجهد. والشيطم: الطويل. والأجرد: القصير الشعر.
- (١٠) وبك عترة: أراد ويلك. وقيل: ويحك. وقيل: معنى أي نبيه، والكاف للخطاب. وأقدم: تقدم. يريد: أن تعويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غمه.

٦ - من معلقة النابغة الذبياني^(١)

(من البسيط)

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا مَالِفُ الْأَبْدِ^(٢)
وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً كَيَّ أَسَائِلُهَا عَيَّتْ جَوَاباً وَمَا بِالرُّبْعِ مِنْ أَحَدِ^(٣)
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيَّ مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ^(٤)
كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ^(٥)
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ^(٦)

(١) النابغة اسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع من قبيلة ذبيان من القبائل المضربية، أحد الأشراف، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء. سمي بالنابغة لأنه كان أحسن الشعراء، ديباجة، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، ولنبوغه في الشعر فجأة وهو كبير كان يضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ، فتأثت الشعراء فتعرض عليه أشعارها. . . تكسب النابغة بشعره، فمدح ملوك المناذرة والغساسنة، تغزل بالمتجردة زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فوشى به عند الملك، وهم بقتله، فالتجأ إلى ملوك الغساسنة يمدحهم ويستعطفهم، ثم عاد ليكتب قصائده للنعمان يستعطفه ويعتذر إليه. لم يدرك الإسلام. انظر حياته في: طبقات الشعراء، ص ١٥ - ١٩. والشعر والشعراء، ص ٧٠ - ٨١. والأغاني، ٣/ ٤٠.

يمدح النابغة - في هذه القصيدة - النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه عنه فيما وشى به بنو قريظ في أمر المتجردة. وتدخل هذه القصيدة ضمن المعلقات العشر، لا السبع.

(٢) مية: قيل إنها المتجردة زوجة النعمان بن المنذر وقد كنى عنها بهذا الاسم. والعلياء: مرتفع من الأرض. والسند: سند الوادي في الجبل، وقد جعل الدار بالعلياء والسند حتى لا يؤثر بها السيل، ولا تنهال عليها الرمال. وأقوت: خلت من أهلها. والسالف: الماضي. والأبد: الدهر.

(٣) أصيلاً: عشياً وعيت جواباً: أي لم تجبني، وليس بها أحد يكلمني والربيع: منزل القوم.

(٤) الأوارى: محاسن الخيل ومرباطها، واحدها: آرى. واللأي: البطء. والمعنى: بعد بطف أستبينها. والنؤى: حاجز من تراب حول الخباء، لئلا يدخله السيل. والمظلومة: الأرض التي لم تمطر فجاءها السيل فملاها. والجلد: الأرض الصلبة. وقيل: المظلومة: الأرض التي لم يكن بها أثر، فاحتاج أهلها أن يحفروا فيها حوضاً لمطر أصابهم، أو لسيل مر بهم فحفروا بها، وحفرهم لها ظلمهم إياها، إذ أخذوا فيها ما لم يكن، وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه.

(٥) زال النهار بنا: أي انتصف، وبنا: في معنى علينا، وقيل في معنى عنا. والمعنى زال النهار عنا، لأن السير في نصف النهار صعب من أجل الهاجة، والجليل: الثمام، وهو نبت، أي بموضع فيه ثمام. والمستأنس: ثور يخاف الأنيس، وقيل: هو الذي يرفع برأسه، الناظر بعينه. يقول: كأن رحله على ثور مستأنس منفرد، لنشاط ناقته في وقت إعياء الإبل.

(٦) وجرة: الفلاة، وهي مجتمع الوحش، وهي ستون ميلاً، وماؤها قليل، لذا تجد بطون وحشها طاوياً لقلة

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمَانَ إِنْ لَهُ
وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهِ لَهُ
وَحَيْسَ الْجَنُّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ
فَمَنْ أَطَاعَكَ فَاَنْفَعُهُ بِطَاعَتِهِ
وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبُهُ مُعَاقِبَةٌ
إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ
أَعْطَى لِفَارِهِةٍ حُلُوقَ تَوَابِعُهَا

فَضْلاً عَلَى النَّاسِ فِي الْأَذْنَى وَفِي الْبَعْدِ (١)
وَلَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ (٢)
قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْذُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ (٣)
يُثْنُونَ تَذْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ (٤)
كَمَا أَطَاعَكَ وَادَّلُهُ عَلَى الرَّشْدِ (٥)
تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْعُدُ عَلَى ضَمَدٍ (٦)
سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْأَمَدِ (٧)
مَنْ الْمَوَاهِبِ لَا تُعْطَى عَلَى نَكْدٍ (٨)

= شربها الماء. وطاوي: ضامر. والمصير: المعى، وجمعه مصران وجمع مصران مصارين. وموشى

الذي فيه ألوان مختلفة، أي نقط سود وخطوط. والأكارع: القوائم. الصيقل: المصقول اللامع والفرد: المنقطع القرن أو النظير، المنفرد بالجودة. أي أن الثور أبيض لامع كالسيف.

(١) النعمان بن المنذر: ملك الحيرة. أ وفي الأدنى وفي البعد: أي في القريب والبعيد. وإن له فضلاً: يريد التفضل على القريب والبعيد، أو أنه يريد الرفعة، إذ هو يفضل جميع الناس. وتلك: يعني ناقته التي شبهها بهذا الثور.

(٢) ولا أحاشي: ولا أستثني. والمعنى: لا أرى أحداً يفعل فعلاً كريماً يشبهه في فعله.

(٣) إلا سليمان: استثناء من القوم المنفي عنهم شبه النعمان. وقم في البرية: أي انظر في مصالحها واجتهد في إرشادها. واحذوها: امنعها. الفند: الخطأ.

(٤) وخيس: ذلل. والصفاح: جمع صُفَّاحَة، وهي حجارة رفاق، عراض. والعمد: أساطين الرخام. وتذمر: مدينة بالشام، فيها بناء لسليمان بن داود عليهما السلام.

(٥) الرُّشد والرُّشد واحد.

(٦) الضمد: الذل والحقد والغيط والظلم. والمعنى: لا تنطوي على حقد وغضب إلا لمن هو مثلك في الناس، أو قريب منك.

(٧) إلا لمثلك: أي إلا لرجل في مثل حالك أو مَنْ فَضَّلَكَ عليه، كفضل السابق على المصلى (المصلى من الخيل هو الفرس الذي يدرك الغاية بعد السابق) أي: ليس بينك وبينه في الفضل إلا اليسير. واستولى عليه: غلبه. والأمد: الغاية التي يُجْري إليها. وقيل في معناه: إن التابعة حضن النعمان على أن يقعد عنه، ولا يضممر له حقداً لأنه ليس مثله ولا قريباً منه.

(٨) أعطى لفارهة: تعود على قوله: ولا أرى فاعلاً أعطى لفارهة منه. والفارهة: الناقة الكريمة، أو العطية الحسنة. وتوابعها: ما تبعها من المطايا. وحلو توابعها: أي متيسرة هينة: لم يمدّها مظل ولا امتنان. والنكد: الضيق والعسر. ويروى: «لا تعطى على حسد» أي: لا تعطى ونفسك تتبع العطية وترغب فيها.

السَّوَاهِبُ الْمَاءَةُ الْأَبْكَارَ زَيْنَهَا
والرَّاکِضَاتِ دُيُولَ الرِّيطِ فَنَقَّهَا
وَالْخَيْلَ تَمَزَّعَ غَرْباً فِي أَعْيَتِهَا
وَالْأَدَمَ قَدْ خُيِّسَتْ قَتلاً مَرَاغِقُهَا
أَحْكُمَ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ
سَعْدَانُ تَوْضِخَ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبْدُ^(١)
بَرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْغَزْلَانِ بِالْجَرْدِ^(٢)
كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي الْبَرْدِ^(٣)
مَشْدُودَةً بِرَحَالِ الْحِمِرَةِ الْجُدْدِ^(٤)
إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ^(٥)

(١) السعدان: نبت من أنجع ما ترعاه الإبل، ومنه قيل: ومرعى ولا كالسعدان، وتوضح: موضع بالجمي، وكانت إبل الملوك ترعاه. واللبد: جمع لبدة، أي ما تلبد من الوبر. يريد أنها سائمة مهملة في المرعى، لا تستعمل ظهورها، فأوبارها متلبدة لذلك.

(٢) الراكضات ذيول الريط: يعني الجواري يركضن وبأرجلهن مآخر الريط (وهو الملاحف البيض) لسبوغه عليهن وتبخترهن فيه. وفنقها: نغم عيشها. ويرد الهواجر: أي هي في الهواجر في موضع بارد، فلا يؤذيها وهج الشمس. ثم شبههن بالغزلان في طول الأعناق، وضمير الخصور، وحسن العيون، والجرد: الأرض الجرداء لا شجر فيها ولا نبات، وقال ذلك، لإظهار محاسن الغزلان للناظر، لأنه لم يحجبها عنه شيء.

(٣) تمزع: تسرع في سيرها. والغرب: الحدة والنشاط. والشؤبوب: دفعه المطر وشدته. وقيل: السحاب العظيم القطر، القليل العرض، الواحدة شؤبوبة، ولا يقال لها شؤبوية حتى يكون فيها برْد. ونلاحظ أن الشاعر يقول: يهب المائة الأبكار، والراكضات، والخيل.

(٤) الأدم من الإبل: البيض، ومن النساء: السُّمر. وخيست: ذللت بالركوب. والقتل: التي بانست مرافقها عن أباطها، فلا يصيبها ضاغط ولا حاز ولا ناكث: وهو جرح كراكرها، إذا صكتها مرافقها، فربما امتنعت من السير لذلك. والكراكر: مفرد الكركرة: صدر كل ذي خف من البهائم. والحيرة: مدينة النعمان وإليها تنسب الرجال.

(٥) احكم: أي كن حكيماً في أمرك، مصيباً في الرأي. ولا تقبل ممن سمي إليك - كفتاة الحي إذ أصابت ووضعت الأمر موضعه. والثمد: الماء القليل. والشراع: القاصد إلى الماء. يقال إن فتاة الحي: هي بنت الخسر، كانت قاعدة، فمر بها قطعاً واردة في مضيق من الجبل، فقالت:

يَا لَيْتَ ذَا الْقَطَا لَنَا وَمِثْلَ نَصْفِهِ مَعَهُ
إِلَى قِطَاةٍ أَهْلَنَا إِذَا لَنَا قِطَاةٌ مِثْلُهُ

وقيل: هي زرقاء اليمامة، كان من بقية طشم وجليس، وكانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام، وكانت لها قطاة ومَر بها سرب من قطا بين جبلين، فقالت: ليت هذا الحمام لنا ونصفه إلى حمامتنا، فيتم لنا مائة، فنظر فإذا هي كما قالت. وأرادت بالحمام القطا، وكان ستاً وستين، يقال: إنها وقعت في شبكة صائد، فأنزلها، فعرف عددها. ويقال إن زرقاء اليمامة قالت:

لَيْتَ الْحَمَامَ لِيَّ إِلَى حِمَامَتَيْنِ
وَنَصْفَهُ قَلِيَّةٍ تَمَّ الْحَمَامُ مِثْلَهُ

يَحْفُهُ جَانِبَا نَيْقٍ وَتَتَّبِعُهُ
 قَالَتْ أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا
 فَحَسَبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ
 فَكَمَلَتْ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا
 فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي مَسَحَتْ كَعْبَتَهُ
 وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ تَمْسُحُهَا
 مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ
 إِذَا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً
 هَذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُذِفْتُ بِهِ
 أَنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي
 مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ

مِثْلَ الرُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ^(١)
 إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ^(٢)
 يَسْعَا وَتَسْعِينَ لَمْ تَقْصُصْ وَلَمْ تَزِدِ^(٣)
 وَأَسْرَعَتْ جِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ
 وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ^(٤)
 رُكْبَانٍ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ^(٥)
 إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوَاطِي إِلَى يَدِ^(٦)
 قَرْتُ بِهَا عَيْنٌ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ
 طَارَتْ نَوَافِذُهُ حَرًّا عَلَى كِبْدِي^(٧)
 وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ^(٨)
 وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ^(٩)

- (١) يحفه جانبا نيق: أي يحيط به من جانبيه. والنيق: الجبل. وتتبعه مثل الزجاجه: أي عينها صافية كصفاء الزجاجه. ولم تكحل من الرمذ: أي لم يصبها رمذ فتكحل.
- (٢) فقد: أي حسبي.
- (٣) فألفوه: فوجدوه.
- (٤) مسحت كعبته: أي أتيت بيته وطفته به. والكعبة: كل بيت مربع، وبه سميت الكعبة. والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون عليها الذبائح لآلهتهم. والجسد: الدم اللازق.
- (٥) العائذات: التي عادت بالحرم. والمؤمن العائذات: يعنى الله تبارك وتعالى أمئها أن تُهاج أو تصاد في الحرم. والغيل: الشجر الملتف، والسعد: كذلك أيضاً. وتمسحها: أي يمرّون عليها، لا يهيجها أحد ولا ينفرها.
- (٦) إن: هنا تأكيد. فلا رفعت سوطي إلى يدي؛ أي شلت، أي: إذا فشلت يدي حتى لا أطيق رفع السوط، وإنما حصّ السوط؛ لأنه خفيف المحمل، مع كثرة احتياجه إليه، لحت المطي في السفر وغير ذلك.
- (٧) النوافذ: تمثيل، من قولهم: جرح نافذ. والمعنى: ما قلت شيئاً مما أتوك به عني، لكنهم قالوا قولاً صار حُرّه على كبدي، وشقيت به عندك.
- (٨) أبو قابوس: هو النعمان بن المنذر. وأوعدني: هددني. وزار الأسد: صوته ووعيده. يقول: وعيد النعمان لا تستقر معه نفسي ولا تطمئن هية له، كما لا تطيق، ولا تسكن على زئير الأسد.
- (٩) مهلاً: أي تثبت في أمري ولا تعجل عليّ. وفداء لك الأقوام أي: الأقوام كلّهم يفدونك فداء. وما أثمر من مال ومن ولد: أي أكثر وأصلح.

لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ
فَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ
يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتَرَعٍ لِحَبِّ
يَظِلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَأُحُ مُعْتَصِمًا
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ
هَذَا الشَّاءُ فَإِنْ تَسْمَعِ لِقَائِهِ
هَإِنْ ذِي عِذْرَةٍ إِلَّا تَكُنْ نَفَعَتْ

وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ^(١)
تَرْمِي أَوَاذِيَهُ الْعِبْرَيْنِ بِالزَّبْدِ^(٢)
فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَبُوتِ وَالْخَضْدِ^(٣)
بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْآيْنِ وَالنُّجْدِ^(٤)
وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ^(٥)
فَلَمْ أَعْرِضْ أَبَيْتَ اللَّعْنُ بِالصَّفْدِ^(٦)
فَإِنْ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكَدِ^(٧)

- شرح القصائد العشر، ص ٤٤٦ - ٤٦٥.

- ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤ - ٢٨.

- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/ ٨٨ - ١٩٧.

- (١) الكفاء: المثل والنظير. ولا تقذفني بركن: أي لا ترميني بنفسك، فإنه لا مثل لك، وقد ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة. تأتفك: أي اجتمعوا حولك، مثل الأثافي، مجتمعين عليه. والرفد: أن يترافد عليه أعداؤه الذين وشوا به، أي يتعاونون عليه، والمقصود بالأعداء: أعداء النابغة. ويقال: إنه يريد: لا ترميني بما لا أطيق منك، ولا يقرم إليه أحد، ولا يكافئك فيه أعداؤك، ولو أحاطوا بك متعاونين عليك.
- (٢) جاشت: فارت. والغوارب: ما علا منه، الواحد غارب. والأواذي: الأمواج. والعبران: الشيطان. وعبرا الوادي: جانباه. والزبد: ما يطرحه الوادي، إذا جاش ماؤه، واضطربت أمواجه.
- (٣) يمدد كل واد: أي يزيد فيه ويقويه. والمترع: المملوء. واللجب: المصوَّب، لشدة جريه، وقوة سيله. والركام: ما تراكم بمضه على بعض، أي تراكم. والينبوت والخضد: نبتان، وقيل: الينبوت: شجر الخروب. والخضد: كل ما تكسر من الشجر وغيره.
- (٤) يظل من خوفه: أي من خوف الفرات، لاضطراب أمواجه، وشدة هوله. والمعتصم: المستمسك. والخيزرانة: سُكَّان السفينة، أو المُرْدِي (خشب تدفع بها السفينة، تكون بيد الملاح) والآين: الإعياء والتعب. والنجد: العرق والكرب.
- (٥) «يوماً بأجود منه»، متصل بقوله: «فما الفرات»، «وَمَا الْفَرَاتُ». والسبب: العطاء. والنافلة: الفضل، وإنما خص النافلة ليبالغ في المدح، لأنه إذا أكثر من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب.
- (٦) لم أعرض: أي لم أمدحك تعرضاً لمعروفك لكن اعتذاراً إليك، وإقراراً بفضلك. وأبيت اللعن: تحية كانوا يحيون بها الملوك، أي: أبيت أن تأتي من الأمور ما تلثم به، وتلعن عليه. والصفد: العطاء جزاء.
- (٧) ها إن ذي عذرة: أي هذه - القصيدة - عذرٌ إليك، وتبرؤ مما وُثِّيتُ به عندك. والنكد: العسر.

٧ - قصيدة دريد بن الصِّمَّة^(١) في رثاء أخيه عبد الله

(من البطول)

أَرْتُ جَدِيدُ الحبلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ بعاقبةٍ وأخلقتُ كلَّ موعِدٍ^(٢)

* * *

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الغَدِ^(٣)
فلما بَعَصُونِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ^(٤)
وهلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوِيْتُ وَإِنْ تَرُشَّدَ غَزِيَّةُ أَرُشِدِ^(٥)
دَعَانِي أَخِي، وَالخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدِ^(٦)
أَخِي أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ بِلِبَانِهَا بِثَدْيِ صَفَاءٍ، يَبْنِنَا، لَمْ يُجَدِّ^(٧)

(١) هو دريد بن الصمة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وكان دريد من فخذ من جُشَم يقال لهم: بنو غزيرة، وأمه ريحانة بنت معدى كرب، أخت عمرو بن معدى كرب، وكان دريد سيد قبيلته، وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وأدرك الإسلام فلم يسلم. وخرج مع قومه في يوم حنين مظاهراً للمشركين، ولا فضل فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دريد يومئذ على شركه في السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ م). ويقال: إنه عاش نحواً من مائتي سنة، حتى سقط حاجباه على عينيه.

ويقال في قصة أخيه: أنه خرج مع دريد في غارة على إبل لعيس وفَرَارة، وقد أشار دريد على أخيه ألا يفعل، فخالفه، فخرجت عليهم الخيل، فاستحرق القتال، في بني جُشَم وقتل عبد الله بن الصمة. انظر: الشعر والشعراء، ص ٤٧٠ - ٤٧٣. والأغاني ٣/١٠ - ٤٠. والأعلام ٣٣٩/٢. وقد عدَّ صاحب الجمهرة هذه القصيدة من المتقيات.

(٢) أَرْتُ: أخلق. وبعاقبة: بأخرة، وعاقبة كل شيء آخره، وقد بدأ الشاعر مرثيته بضرب من النسيب يلائم الرثاء، وهو خلف الحبيبة وبينها، ثم أعرب عن فداحة رزته... إلى أن يصل إلى ما كان من نصيبته وإنذاره قومه بأعدائهم، وعصيانهم أمره ثم تناول مقتل أخيه وولاه لذلك.

(٣) اللوى: موضع بعينه كانت به الوقعة التي قتل فيها عبد الله أخوه. وأصل اللوى: ما التوى من الرمل. والمنعرج: المنعطف.

(٤) كنت منهم: (من تفيد هنا تبيين الوفاق وترك الخلاف وأن الشائنين واحد). وغير مهتد: أي أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي، وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد، كراهة الخروج من هواه. ويقال: إن هذا أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده.

(٥) غزيرة: هو أحد أجداد الشاعر، وهو غزيرة بن جُشَم. والبيت مثل في موافقة الرجل قومه في الخير والشر.

(٦) القعد: الجبان يقعد عن نصرة قومه، أو هو الجبان اللثيم في حربه.

(٧) لبانها: صدرها. ولم يجدد: لم يقطع رضاعها حتى أتم مدة الرضاعة.

فَجِئْتُ إِلَيْهِ، وَالرَّمَا حُ تَنْوِشُهُ
فَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُو، رِيَعْتُ، فَأَقْبَلْتُ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ
طِعَانُ امْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
تَنَادَوْا فَقَالُوا: أَرَدْتَ الْخَيْلَ فَارِسًا
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ
وَلَا بَرِمًا، إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ
كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجُ نَصْفِ سَاقِهِ
رَئِيسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رِبِيئَةً
صَبُورٌ عَلَى رُزْءِ الْمَصَائِبِ حَافِظٌ

كَوْعِ الصِّيَاصِي فِي النَسِيجِ الْمَمْدِدِ^(١)
إِلَى جِذَمٍ مِنْ جِلْدٍ سَقَبٍ مُجَلَّدِ^(٢)
وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ^(٣)
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرَّدْيِ؟^(٤)
فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ^(٥)
يَرْطِبُ الْعِضَاهُ، وَالضَّرِيعِ الْمَعْضَدِ^(٦)
صَبُورٌ عَلَى الْعَزَاءِ طَلَّاعٌ أَنْجِدِ^(٧)
مُشِيحًا عَلَى مُحَقَّقِ الصُّلْبِ مُلَبَّدِ^(٨)
مِنْ الْيَوْمِ أَدْبَارَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ^(٩)

- (١) تنوشه: تتناوله. والصياصي: جمع الصبيصة: وهي شوكة الحائك التي يسوي بها السداة واللحمة. يريد: أن أخاه دعاه والرماح تتناوله، ولها خشخشة ووقع كوقع صياصي الحاككة في ثوب ينسج.
- (٢) البو: ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبنًا أو حشيشًا لتعطف عليه، لأنها تجد رائحته فيه، فتدثر اللبن. وريعت: فزعت. والجذم: جمع جذمة، وهي القطعة. والمسك: الجلد. والسقب: ولد الناقة. والمجلد: المسلوخ.
- (٣) أسود: بالرفع، وهو إقواء. وتبددت: كفت، وأبعدت.
- (٤) الردى: الهالك، من الردى وهو الهلاك. وأردت: أهلكت.
- (٥) وقافا: محجما عن القتال جينًا. ولا طائش اليد في الضرب والرمي، وخلى مكانه: أي مات.
- (٦) البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. وتناوحت: تقابلت في المهيب، وذلك إذا اشتد هبوبها. والعضاه: ما عظم من شجر الشوك، وطال واشتد شوكه، الواحدة عضاهة. والضريع: نبت بالحجاز له شوك كبار. والمعضد: المقطع.
- (٧) الكميش: الماضي العزم، السريع في أموره. إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته. وإما أنه لا يطيل إزاره، ليظهر نصف ساقه، تدليلاً على نشاطه وسرعته. والعزاء: الشدة. وطلّاع أنجد: ركاب لصعاب الأمور، أو هو السامي. لمعالي الأمور. والأنجد: جمع نجد، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض أو الطريق في الجبل.
- (٨) الربيئة: الطليعة، وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو مكان عالٍ.
- (٩) يقول: إنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته، وإنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده. ويقال: إن هذا البيت أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب.

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ: ابْعُدِ^(١)
 وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذِبْتَ، وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي^(٢)
 - الأصمعي، الأصمعيات، ص ١٠٥ - ١١٠.
 - الأخفش، كتاب الاختيارين، ص ٤٠٤ - ٤١٦.
 - القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٤٤٦ - ٤٧٤.
 - الأغاني ٧/١٠ - ٨ (طبعة دار الثقافة).
 - التبريزي، شرح ديوان الحماسة ١/٣٣٦ - ٣٤٠.

٨ - قصيدة لبید بن ربيعة^(٣) في رثاء أخيه أربد^(٤)

(من الطويل)

بَلِينَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطُّوَالِغُ وَتَبَقِيَ الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ^(٥)
 وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافٍ جَارٍ مَضْنَةٍ فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِعُ^(٦)

(١) صبا: من الصبوة، وهي جهلة الفتوة واللهور.

(٢) المعنى: ليس القصد إلى أنه لم يقل له كذبت فقط، وإنما المراد أنه لم يحفه بأدنى جفاء.

(٣) هو لبید بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، قتل والده بنو أسد في حرب بينهم وبين قومه. ويكنى لبید أبا عقیل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وهو من الطبقة الثالثة، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. توقف عن نظم الشعر بعد إسلامه، وقيل: إنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، هو:

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كُنْفِيسِهِ وَالْمَرْءُ يُضْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ

وقد سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. توفي سنة ٤١هـ / ٦٦١ م. وأخباره كثيرة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية وغيرهما. انظر: طبقات الشعراء، ص ٢٦، ٢٩. وطبقات فحول الشعراء ١/١٢٣، ١٣٥ - ١٣٦. والشعر والشعراء، ص ١٤٨ - ١٥٢. والأغاني ١٥/٢٩١ - ٣٠٥. وجمهرة أشعار العرب، ص ٨٢ وما بعدها. وديوان لبید، ص ٥ - ١٥. والأعلام ٥/٢٤٠.

(٤) قال لبید هذه القصيدة يرثي أخاه لأمه أربد بن قيس، الذي أتى النبي ﷺ غادراً، وكان قدم عليه مع عامر بن الطفيل، فدعا الله عليه، فأصابته بعد منصرفه صاعقة فأحرقته. انظر: الشعر والشعراء، ص ١٥١. والأغاني ١٧/١٥ - ٢٤.

(٥) المصانع: المباني تتخذ للماء أو هي القصور.

(٦) الأكناف: جمع كنف، وهو الجانب. وجار مضنة: جار يضمن به، يحافظ عليه. ففارقتني بأربد: أي فارقتني منه جار نافع، يعني: أنه هو المفارق.

فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
فَلَا أَنَا يَأْتِينِي طَرِيفٌ بِفَرَحَةٍ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشُّهَابِ وَضُوئِهِ
وَمَا الْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقَى
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ: فَعَامِلٌ
فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ أَخَذَ لِنَصِيبِهِ
أَلَيْسَ وَرَائِي، إِنْ تَرَخْتُ مَنِيتِي
أُخْبِرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ غَيْرَ جَفْنَةٍ

وَكُلُّ فَتَى يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعٌ^(١)
وَلَا أَنَا أَحَدُ الدَّهْرِ جَارِعٌ^(٢)
بِهَا، يَوْمَ حَلَّوْهَا وَغَدَاً بِلَاقِعٍ^(٣)
يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ^(٤)
وَمَا الْمَالُ إِلَّا مُعْمرَاتٌ وَدَائِعٌ^(٥)
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ السُّودَائِعُ^(٦)
يَتَبَرُّ مَا يَبْنِي، وَآخِرُ رَافِعٍ^(٧)
وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيشَةِ قَانِعٌ^(٨)
لَزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ^(٩)
أَدَبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قَمْتُ رَاكِعٌ^(١٠)
تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ وَالنُّصْلُ قَاطِعٌ^(١١)

فلا جزع: فلا خوار عند المصيبة وفاجع به: فاجع له، أي يرميه بالفجائع، أي: لا يروعي هذا الحادث؛ لأن قلبي قد وقرته المصائب، فأصبح لا يرتاع لها. وربما كان المعنى: وكل فتى (من أهلك وأصحابك) يفجعك الدهر يوماً يفقده.

(٢) الطريف: ما استطرف من مال أو غيره، وهو ما حذ. يقول: الجديد لم يعد يثير نفسي فرحاً. وحوادث الدهر - لتكررها - لم تعد تورثني جزعاً.

(٣) غدواً: غداً. والبلاقع: جمع البلقع، وهو القفر والجمع القفار.

(٤) الشهاب: النار. ويحور: يصير. وساطع: مشتعل. يقول: كل امرئ يحبو بعد توقد، حين تدركه المنية، كالنار تكون ساطعة الضوء ثم تصبح رماداً.

(٥) مضمرة: ما أكنه الضمير. والمعمرة: الموضوع وديعة، أو الذي يبقى مفيداً ما بقي العمر.

(٦) يروى: «وما الناس والأموال إلا ودائع».

(٧) يتبر: يخسر ويهلك. ورافع: يقيم البناء، ويرفعه.

(٨) يروى: «أخذ بنصيبه»، و«في المعيشة».

(٩) ورائي: قدامي. وتراخت: تباعدت وأبطأت. ولزوم العصا: أي مصاحبة المحجن؛ لأنه حيثئذ يصبح شيخاً يتوكأ على عصا.

(١٠) أدب: أمشي الديب، وهو مشية الشيخ الهرم. وراكع: بسبب الانحناء من كبر السن.

(١١) الجفن: الغمد، وهو يكتي به عن جسده. والقين: الحداد. والنصل: قاطع: يعني أن نفسه ما تزال في حداثتها وعزتها كأنها السيف القاطع الذي يلي جفنه.

فلا تَبْعَدَنَّ إِنَّ المنيَّةَ موعِدُ
أَعَاذِلْ مَا يُدْرِيكَ، إِلَّا تَظَنِّيًّا
أَتَجَزُّعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى
سَلَوْهِنَّ إِنْ كَذَبْتُمُونِي مَتَى الْفَتَى
عَلَيْكَ فِدَانٍ لِلطَّلُوعِ وَطَالَعُ^(١)
إِذَا ارْتَحَلَ الْفَتَيَانُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ^(٢)
وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِيبْهُ الْقَوَارِعُ^(٣)
وَلَا زَاغِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(٤)
يَذُوقُ الْمَنَايَا أَوْ مَتَى الْغَيْثُ وَقَعُ

- ديوان لبید بن ربیعۃ العامری، ص ۸۸ - ۹۰.

- الشعر والشعراء، ص ۱۵۱ - ۱۵۲.

- الأغاني ۱۷/ ۲۱ - ۲۲ (طبعة دار الثقافة).

(١) دان للطلوع: قريب الأجل. وطالع: متخلف يسيراً عن الداني للطلوع. ولا تبعد: دعاء للميت. وموعِد علينا: أي واجبة علينا.

(٢) أعاذل: ترخيم عاذلة والتظني: الظن والتخمين.

(٣) القوارع: الدوامي والمصائب.

(٤) ضرب الحصى وزجر الطير: من مظاهر العرافة والشوق إلى المستقبل.

ثانياً: النشر

أ - الخطب^(١)

١ - خطبة قُوس بن ساعدة الإيادي^(٢) في سوق عكاظ :

أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُوا، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ

(١) لم يكن شأن الخطابة في العصر الجاهلي كشأنها في العصر الإسلامي، وهذا راجع إلى طبيعة العصر وظروفه، ولم يهتم الرواة بالنثر مثلما اهتموا بالشعر، لعلو مكانته، فهو ديوان العرب، وفيه علومهم وأخبارهم وحكمهم. ولم يصل إلينا من العصر الجاهلي إلا كمية قليلة من النثر. ولم نعرف أنه روي عن الجاهليين الخطب الطوال، وأغلب ما عندهم الخطب القصار. وأهم موضوعات الخطب هي:

١ - المنافرات والمفاخرات: والمنافرة: المفاخرة والمحكمة. والمنافرة: المحاكمة في الحسب، وهي أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما يفاخر صاحبه، ثم يحكما بينهما رجلاً، فالمنفور هو المغلوب، والنافر:

هو الغالب.

٢ - الحض على القتال والأخذ بالثأر: وهو أن يقف الخطيب قومه يحثهم على قتال الأعداء، لأي سبب كان.

٣ - خطب إصلاح ذات البين وإطفاء نائرة الحرب وحمالة الدماء.

٤ - خطب المناسبات الاجتماعية كالزواج والإصهار ونحوهما.

٥ - خطب الإرشاد والتوجيه.

٦ - خطب المحافل والوفود: وهي الخطب التي كانت تلقى في الأسواق والمحافل العظام والوفادة على

الملوك والأمراء، وتتضمن مفاخر القبائل ومحامدها.

٧ - سجع الكهان.

ومن مظاهر الخطابة الخيال الذي يتجلى بقوة الإقناع والتأثير وسلب العقول والقلوب. ومن أساسيات

الخطابة: البلاغة، وهي الإيجاز. ويختلف هذا من غرض إلى غرض.

ومن صفات الخطيب: أنه كان يرتدي زياً خاصاً. وكان يقف في أماكن معروفة وبارزة - وغالباً ما تكون

في أسواق العرب - ومنهم من كان يركب دابة ويجوب بها في المواسم العظام. ومنهم من كان يأخذ

بمخصرته عند مناقلة الكلام، أي: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو عكازة وغير ذلك، عند

مراجعة الكلام، في صخب. وكان الخطيب يرفع يده ويضعها، ويستعين بالإشارة على توصيل العبارة.

ومما كان يزيد في حسن الخطابة وجلالة موقعها جهازة الصوت، فإنه من أجل أوصاف الخطباء. انظر:

نقد النثر، ص ٧٥ وما بعدها. والبيان والتبيين ١/ ٥٢ - ٥٣، ١١٨، ١٢٤ - ٥/ ٣. ومقدمة ابن خلدون،

ص ٥٣٢. والفن ومذاهبه، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب وشاعرها، وحليها وحكيمها، يقال: إنه أول من خطب على =

آت^(١)، آيات مُحْكَمَات^(٢)، مَطَرٌ وَنَبَاتٌ، وآبَاءٌ وَأُمَهَاتٌ، وذاهِبٌ وآتٍ^(٣)، ضَوْءٌ وظلامٌ، وَبَرٌّ وَأَثَامٌ، ولباسٌ وَمَرْكَبٌ، وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ، ونجومٌ تَمُورُ^(٤)، وبحورٌ لا تَغُورُ^(٥)، وسفْقٌ مرفوعٌ، ومِهَادٌ موضوعٌ^(٦)، وليلٌ داجٍ^(٧)، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ^(٨)، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبيراً^(٩)، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعَبيراً^(١٠)، ما بالُ الناسِ يَذْهَبُونَ ولا يَرْجِعُونَ؟ أَرْضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا؟ أَمْ تَرِكُوا فَنَامُوا؟

يا مَعَشَرَ إِيَادَا! أَيْنَ ثُمُودٌ وَعَادٌ؟ وَأَيْنَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ؟ أَيْنَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لم يشكر، وَالظُّلُمُ الَّذِي لم يُنْكَرْ؟ يُقْسِمُ قُسٌ بِاللَّهِ قَسَمًا لَا إِثْمَ فِيهِ إِنَّ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَرْضَى لَهُ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، فَطُوبَى^(١١) لِمَنْ أَذْرَكَه فَاتَّبَعَهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ.

(ويروى أَن قَسًا أَنْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ): (من مجزوء الكامل المرفل)
فِي السَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

= شرف، واتكأ عند خطبته على سيف أو عصا. وأول من قال في كلامه: «أما بعد» أي: بعد دعائي لك. أدرك الرسول ﷺ قبل النبوة، وراه بعكاظ فكان يؤثر عنه كلاماً سمعه منه، وسئل عنه فقال: «يحشر أمة وحده». والأمة: الرجل المنفرد بدين. وكان قس على رأس خطباء إِيَادا بل على العرب جميعاً، يضرب به المثل، وكان يفد على قيصر الروم، زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو معدود في المعمرين، توفي نحو ٢٣٣ق. هـ / ٦٠٠م. انظر ترجمته في: البيان والتبيين للجاحظ ٤٢/١ - ٤٣، ٢٦٩/٢. والأغاني ٢٤٦/١٥ - ٢٤٧. والأعلام ١٩٦/٥.

وقد تصرف في ربط الخطبة من مصادر متعددة، لأنها لم ترد كاملة في مصدر واحد.

(١) آت: أي كل آت لا مَقَرَّ منه.

(٢) آيات: مفردا آية وهي العبرة. ومحكمات: مفصلة، واضحة وبيّنة.

(٣) لعله قصد الميت والمولود.

(٤) تمور: تذهب وتجيء.

(٥) لا تغور: لا يذهب ماؤها. وتقول: غار الماء: ذهب في الأرض.

(٦) المهاد: الأرض المنخفضة.

(٧) داج: مظلم.

(٨) بروج السماء: صور تقع في هيئة حيوان، وهي اثنا عشر برجاً، وهي عبارة عن دائرة ترسمها الشمس في سيرها في السماء في سنة كاملة.

(٩) في السماء لخيراً: أي دليلاً على خالق عظيم.

(١٠) في الأرض لعبيراً: أي عظام وخيرات.

(١١) الطوبى: الغبطة والسعادة والخير. تقول: طوبى لك: أي لك الحظ والعيش الطيب.

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِّلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَايِرُ^(١)
أُيْقِنْتُ أَنِّي لَامِحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

- البيان والتبيين ٣٠٨/١ - ٣٠٩.
- نقد النثر، ص ٩٨ - ٩٩.
- مجمع الأمثال ١١١/١.
- صبح الأعشى ٢١٢/١.
- العقد الفريد ٢١٥/٤.

٢ - خطبة هانيء بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار يحرض قومه على الحرب^(٢):

يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ، هَالِكٌ مَعْدُورٌ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٍ، إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ،
وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظُّفْرِ، الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ،
الطُّعْنُ فِي ثَغْرِ^(٣) النُّحُورِ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ، يَا آلَ بَكْرٍ، قَاتِلُوا فَمَا
لِلْمَنَآيَا مِنْ بَدٍّ.

- الأملاني لأبي علي القالي ١٦٩/١.

٣ - خطبة أكثم بن صيفي يعزّي عمرو بن هند ملك العرب في موت أخيه^(٤):

أَيُّهَا الْمَلِكُ: إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفَرُوا لَا يَحُلُونُ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ

(١) الغابر: الباقي.

(٢) كان هانيء بن قبيصة من فرسان الجاهلية، ومسيد بني شيبان في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم. أخذ يحرض قومه في يوم ذي قار، وهو ماء لبكر قريب من الكوفة، وكانت الغلبة في هذا اليوم لشيبان على كسرى أبرويز، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على المعجم. يقول صاحب العقد الفريد: كانت وقعة ذي قار يوم بُعث النبي ﷺ، وخبر أصحابه بها فقال: «اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من المعجم وبني نصر». انظر البيان والتبيين ٧٢/١، ١٤٥/٣، ١٦١. والعقد الفريد ١١١/٦ - ١١٣. والعمدة ٢١٧/٢ - ٢١٩.

(٣) ثغر: مفرداً ثغرة، وهي نقرة النحر بين الترقوتين.

(٤) كان أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، أحد حكام العرب في =

أَتَاكَ مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظُنُّ عَنْكَ وَيَدْعُكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ: فَأَمْسِرْ عِظَةً، وَشَاهِدْ عَدْلًا، فَجَعَلَ بِنَفْسِهِ، وَأَبْقَى لَكَ وَعَلَيْكَ حِكْمَتَهُ. وَالْيَوْمَ: غَنِيمَةٌ وَصَدِيقٌ، أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ، طَالَتْ عَلَيْكَ غَيْبَتُهُ، وَسُتِرَ عَنْكَ رَحْلَتُهُ. وَعَدِيدٌ: لَا تَدْرِي مَنْ أَهْلُهُ، وَسَيَاتِيكَ إِنْ وَجَدَكَ! فَمَا أَحْسَنَ الشُّكْرَ لِلْمَنْعَمِ، وَالتَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ! وَقَدْ مَضَتْ لَنَا أَصُولُ نَحْنُ فِرْعَوْنُهَا، فَمَا بَقَاءُ الْفُرُوعِ بَعْدَ أَصُولِهَا؟ وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءُ الْخَلْفِ مِنْهَا. وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مُعْطِيهِ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ.

- العقد الفريد ٣/ ٢٦٠.

خمسة نفر من طيء يمتحنون علم الكاهن سواد بن قارب^(١):

خرج خمسة نفر من طيء من ذوي الحجج والرأي، منهم: بُرْجُ بن مُسْهَرٍ وهو أحد المعمرين، وَأُتَيْفُ بن حارثة بن لأم، وعبد الله بن سعد بن الحشرج أبو حاتم

= الجاهلية، أدرك الإسلام، وقيل إنه لما سمع بذكر النبي ﷺ، كتب إليه كتاباً وأرسله مع ابنه حُيَيْشٍ. وردَّ عليه الرسول ﷺ، ولما عاد ابنه، جمع أكثم بن تميم وخطب بهم، يدعوهم إلى اتباع الرسول ﷺ، وخرج، إلا أن العطش أهلكه، فأوصى من معه باتباع النبي ﷺ، وأشهدهم أنه أسلم، وكان ذلك في سنة ٩ هـ / ٦٣٠ م. انظر: جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٣٣٨ - ٣٣٩.

(١) سواد بن قارب الأزدي الدوسي، كاهن شاعر في الجاهلية، صحابي في الإسلام، عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومات بالبصرة نحو سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م. قيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان جالساً في المسجد (مسجد رسول الله ﷺ) فاقبل رجل من العرب داخلاً المسجد، يريده، فلما نظر إليه، قال: إن هذا الرجل لعلّى شِرْكِهِ ما فارقهُ بعد، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية. فسلم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رضي الله عنه: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْتُ في (أي ظننت)، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيّتك منذ وليت ما وليت، فقال عمر: اللهم غفراً (أي اللهم اغفر لي غفراً)، قد كنا في الجاهلية على شر من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام. قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنت كاهناً في الجاهلية. قال: فأخبرني ما جاءك به صاحبك. قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شيعه (دونه بقليل)، فقال: ألم تر إلى الجنِّ وإبلاسه (أبلس الرجل: إذا سكت ذليلاً أو مغلوباً) وإبلاسه (البأس) من دنياه، وتحوقها بالقلاص (القلاص من الإبل: الفتية) وأحلاسه (الاحلاس: جمع جلس: وهو كساء من جلد يوضع على ظهر البعير، ثم يوضع عليه الرحل). السيرة النبوية ١/ ٢٠٩ - ٢١٠. والأعلام ٣/ ١٤٤.

طبيء، وعارف الشاعر، ومرة بن عبد رضى، يريدون سواد بن قارب الدؤسي ليمتحنوا علمه، فلما قربوا من السراة قالوا: ليخبأ كل رجل منا خبيثاً، ولا يُخبر به صاحبه ليسأله عنه، فإن أصاب، عرفنا علمه، وإن أخطأ، ارتحلنا عنه، فخبأ كل رجل منهم خبيثاً، ثم صاروا إليه، فأهدوا له إبلاً وطرفاً من طرف الحيرة، فضرب عليهم قبة، ونحرو لهم. فلما مضت ثلاث دعا بهم فدخلوا عليه، فتكلم برج وكان أسنهم، فقال:

جَاذَكَ السَّحَابُ^(١)، وَأَمَرَكَ لَكَ الْجَنَابُ^(٢)، وَضَفَّتْ عَلَيْكَ النَّعْمُ الرَّغَابُ^(٣)،
نَحْنُ أَوْلُو الْأَكَالِ^(٤)، وَالْحَدَاتِي وَالْأَغْيَالِ^(٥)، وَالنَّعْمُ الْجُفَالِ^(٦)، وَنَحْنُ أَصْهَارُ
الْأُمْلَاكِ، وَفُرسَانُ الْعِرَاكِ. (يُورِّي عنهم أنهم من بكر بن وائل).

فقال سواد: والسَّمَاءُ والأَرْضُ، والغَمَرُ والْبَرُضُ^(٧)، والقَرْصُ والفَرْصُ^(٨)،
إِنَّكُمْ لِأَهْلُ الْهَضَابِ الشَّمِّ، والنَّخِيلِ الْعُمِّ^(٩)، والصُّخُورِ الصُّمِّ، مِنْ أَجَا الْعَيْطَاءِ^(١٠)،
وَسَلَمَى ذَاتِ الرُّقْبَةِ السُّطْعَاءِ^(١١).

قالوا: إِنَّا كَذَلِكَ، وَقَدْ خَبَأَ لَكَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنَّا خَبِيثًا، لَتُخْبِرْنَا بِأَسْمِهِ وَخَبِيثِهِ. فقال
لُبرج: أَقْسِمُ بِالضِّيَاءِ وَالْحَلَكِ^(١٢)، وَالنُّجُومِ وَالْفَلَكَ، وَالشُّرُوقِ وَالذَّلَكِ^(١٣)، لَقَدْ

(١) جاذك السحاب: نزل بغزارة. وكان من عادة العرب أن يقولوا هذا، نوع من الدعاء بالخير والبركة.

(٢) أمرع: أخصب. والجناب: ما حول الدار.

(٣) الضافي: السابغ الكثير. والرغاب: الواسعة الكثيرة.

(٤) الأكال: مفردها أكل، تقول: فلان ذو أكل: أي ذو حظ وورق في الدنيا.

(٥) الأغيال: جمع غيل، والغيل: الماء الجاري على وجه الأرض.

(٦) الجفال: الكثيرة.

(٧) الغمر: الماء الكثير. والبرض: الماء القليل. يقال: فلان يتبرض حقه: أي يأخذه قليلاً قليلاً.

(٨) القرص: جمع القروض: ما سلفت من إحسان أو إساءة. أو ما تعطيه غيرك من المال بشرط أن يعيده لك

بعد أجل معلوم. والفرض: ما فرض على النفس من هبة أو منحة، لغير ثواب.

(٩) الشم والعم: الطوال.

(١٠) أجأ: جبل طبيء. والعيطاء: الطويلة.

(١١) سلمى: جبل طبيء. والسطعاء: الطويلة.

(١٢) الحلك: شديد الظلمة والسواد.

(١٣) الدلك: اصفرار الشمس عند المغيب.

خَبَاتٌ بُرْثَنٌ^(١)، فَرَحٌ، فِي إِعْلِيْطٍ مَرَحٍ^(٢)، تَحْتَ أَسْرَةِ الشَّرْحِ^(٣)، قَالَ: مَا أَخْطَأْتُ شَيْئًا، فَمَنْ أَنَا؟ قَالَ: أَنْتَ بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ، عَصْرَةُ الْمُعْمَرِ^(٤)، وَيَمَالُ الْمُحْجَرِ^(٥).

ثُمَّ قَامَ أُتَيْفُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ: مَا خَيْيْتُ وَمَا أَسْمِي؟

فَقَالَ سَوَادٌ: وَالسَّحَابِ وَالتُّرَابِ، وَالْأَصْبَابِ وَالْأَحْدَابِ^(٦)، وَالنَّعَمِ الْكِتَابِ^(٧)، لَقَدْ خَبَاتَ قُطَامَةٌ فَسِيْطٍ^(٨)، وَقُدَّةٌ مَرِيْطٍ^(٩)، فِي مَدْرَةٍ مِنْ مَدْيِ مَطِيْطٍ^(١٠). قَالَ: مَا أَخْطَأْتُ شَيْئًا، فَمَنْ أَنَا؟ قَالَ: أَنْتَ أُتَيْفُ، قَارِي الضَّيْفِ، وَمُعْمِلُ السَّيْفِ، وَخَالِطُ الشَّتَاءِ بِالضَّيْفِ.

ثُمَّ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ فَقَالَ: مَا خَيْيْتُ، وَمَا أَسْمِي؟

فَقَالَ سَوَادٌ: أَقْسِمُ بِالسَّوَامِ الْعَازِبِ^(١١)، وَالْوَقِيرِ الْكَارِبِ^(١٢)، وَالْمُجْدِّ الرَّائِبِ، وَالْمُشِيْحِ الْخَارِبِ^(١٣)، لَقَدْ خَبَاتَ نَفَاثَةٌ فَنِيْ^(١٤)، فِي قَطِيعٍ قَدْ مَرَنَ^(١٥)، أَوْ أُدِيمٍ قَدْ

(١) البرثن: جمع برائن: كل ما لا يصيد من السباع والطيور، مثل الحمام والضب والفأرة، فإذا كان مما يصيد قيل لظفره: مخلب.

(٢) الإعليط: وعاء تمر المرخ. والعرب تشبه به آذان الخيل. والمرخ: شجر تقدح منه النار.

(٣) الأسرة والإسار: القيد الذي يشد به خشب الرجل. والقيد: السير يقيد من جلد. وشرخا الرجل: جانباه.

(٤) المعمر: الذي ذهب ماله. يقال: ما أمعر من أذمن ألحج. والمعصرة: الملجأ.

(٥) يمال القوم: غياثهم الذي يقوم بأمرهم. والمحجر: الملجأ المضيئ عليه.

(٦) المصيب: ما انخفض من الأرض. والحذب: ما علا من الأرض.

(٧) النعم: جمع أنعام، وجمع الجمع أناعيم: الإبل، وتطلق على البقر والغنم. سمي بذلك لما فيه من الخير والنعمة. والكتاب: الكثيرة.

(٨) القطامة: ما قطعته بفيك، والقطم بأطراف الأسنان. والفسيط: قلامة الظفر.

(٩) القدة: الريش. وجمعها قُدَدٌ. والمريط من السهام: الذي قد تمرط ريشه، أي: نيف.

(١٠) المدرة: قطعة طين يابسة. المديي: جذئول يجري منه ما سال، مما هرق من الحوض. والمطيط: جمع مطائط: وهو الماء الكبير الخائر يبقى في الحوض.

(١١) السوام: المال الراعي من الإبل. والعازب: البعيد.

(١٢) الوقير والقيرة: الغنم. والقار: الإبل. والكارب: القريب.

(١٣) المشيح: الجاد في لغة هذيل، وفي غيرها الحاذر.

(١٤) النفثة: ما تنفثه من فيك. والفنن: واحد أفنان الأشجار، وهي أغصانها.

(١٥) مرن: لان. أي: في قطعة من الشجر لينة.

جَرَنَ^(١).. قال ما أخطأت حرفاً، فمن أنا؟ قال: أنت ابنُ سَعْدِ النَّوَالِ، عَطَاؤُكَ سِجَالاً، وَشَرُّكَ عُضَالاً، وَعَمْدُكَ طَوَالاً، وَبَيْتُكَ لَا يُنَالُ.

ثُمَّ قَامَ عَارِفٌ فَقَالَ: مَا خَبِيْثِي، وَمَا أَسْمِي؟

فَقَالَ سَوَادٌ: أَقْسَمُ بِنَفِيْفِ اللَّوْحِ^(٢)، وَالْمَاءِ الْمَسْفُوحِ^(٣)، وَالْفَضَاءِ الْمُنْدُوحِ^(٤)، لَقَدْ خَبَأْتُ زَمْعَةً طَلًّا أَعْفَرَ^(٥)، فِي زِعْفَةٍ أُدِيمٍ أَحْمَرَ^(٦)، تَحْتَ جِلْسٍ^(٧) نَضِوْ أَدْبَرٍ. قَالَ: مَا أخطأت شيئاً. فَمَنْ أَنَا؟ قَالَ: أَنْتَ عَارِفُ ذُو اللِّسَانِ الْعَضْبِ^(٨)، وَالْقَلْبِ النَّذْبِ^(٩)، وَالْمَضَاءِ الْغَرْبِ^(١٠)، مَنَاعُ السَّرْبِ^(١١)، وَمُيِخُ النَّهْبِ.

ثُمَّ قَامَ مَرَّةٌ بِنُ عَبْدِ رُضَى، فَقَالَ: مَا خَبِيْثِي، وَمَا أَسْمِي؟

فَقَالَ سَوَادٌ: أَقْسَمُ بِالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَالْبُرُوجِ وَالْأَنْوَاءِ، وَالظُّلْمَةِ وَالضُّبَاءِ، لَقَدْ خَبَأْتُ دِمَّةً فِي رِمَّةٍ^(١٢)، تَحْتَ مُشَيْطٍ لِمَةٍ^(١٣)، قَالَ: مَا أخطأت شيئاً. فَمَنْ أَنَا؟

(١) الأديم: جمع آدم وأدم: الجلد المدبوغ. وجرن: لان.

(٢) النفيف واللوح: واحد، وهما الهواء. وإنما أضاف لما اختلف اللفظان، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره.

(٣) الماء المسفوح: المصبوب. وتقول سفحت الشيء: صببته.

(٤) الفضاء المندوح: الواسع.

(٥) الزمعة: الشعرات المتدليات في رجل الأرنب والطل: ولد الظبي ساعة يولد. والأعفر: اللون الذي يعلو بياضه حمرة.

(٦) زعانف الأديم: أطرافه: مثل اليدين والرجلين وما لا خير فيه. واحدها: زعنفة. ومنه قيل لردال الناس: الزعانف.

(٧) المجلس: كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرجل. والنضو: المهزول. والأدبر: الذي فيه قرحة.

(٨) العضب: السيف القاطع الحاد.

(٩) النذب: الذكي.

(١٠) الغرب: الحد.

(١١) السرب: جماعة الإبل. والسرب: بالكسر: القطيع من الظباء والبقر والنساء والقطا.

(١٢) الدمة: القملة. والرمة: العظام البالية.

(١٣) اللمة: الشعر الممشوط المجاوز شحمة الأذن.

قال: أَنْتَ مُرَّةٌ، السَّرِيعُ الْكَرَّةُ، الْبَيْطِيُّ الْقَرَّةُ، الشَّدِيدُ الْمِرَّةُ^(١)، قالوا: خَبَرْنَا بِمَا رَأَيْنَا فِي طَرِيقِنَا إِلَيْكَ.

فقال سواد: وَالنَّاظِرُ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى، وَالسَّامِعُ قَبْلَ أَنْ يُنَاجَى، وَالْعَالِمُ بِمَا لَا يُدْرَى، لَقَدْ عَنَّتْ لَكُمْ عُقَابَ عَجَزَاءٍ^(٢)، فِي شَغَانِيْبٍ دَوْحَةٍ جَرْدَاءٍ^(٣)، تَحْمِلُ جَذَلًا^(٤)، فَتَمَادِيْتُمْ، إِمَّا يَدًا، وَإِمَّا رِجْلًا، فقالوا: كَذَلِكَ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: سَنَحَ لَكُمْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّرْقِ^(٥)، سَيِّدَ أَمَقٍ^(٦)، عَلَى مَاءِ طَرْقٍ^(٧). قالوا: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ تَيْسٌ أَفْرَقُ^(٨)، سَنَدٌ فِي أَبْرَقٍ^(٩)، فَرَمَاهُ الْغَلَامُ الْأَزْرَقُ، فَأَصَابَ بَيْنَ الْوَابِلَةِ^(١٠) وَالْمِرْفَقِ. قالوا: صَدَقْتَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ مَنْ تَحْمِلُ الْأَرْضُ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهُ^(١١).

- الأماي لي علي القالي ٢٨٩/٢ - ٢٩٠.

ب - الوصايا

١ - وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد^(١٢):

لَمَّا احْتَضَرَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِيَّ، دَعَا ابْنَهُ أَسِيدًا، فَقَالَ لَهُ:

- (١) المِرَّة: القوة.
- (٢) العجزاء: التي ابيضُ ذَنبُهَا.
- (٣) الشغانيب: ما تداخل من الأغصان، والدوحة: الشجرة العظيمة.
- (٤) الجذل: العضو. والجمع: جُذُول.
- (٥) الشرق: الشمس. والعرب تقول: لا أفعل ذلك ما طلع شَرْقٌ. وشرقت الشمس: طلعت. وأشرقت: أضاءت.
- (٦) السيد: الذئب. والأمق: الطويل.
- (٧) الطرق: الماء الذي بَوَلَّتْ فِيهِ الْإِبِلُ. يقال: ماء طَرْقٍ ومطروق.
- (٨) تيس أفرق: يبعد ما بين القرنين.
- (٩) الأبرق والبرقاء والبرقة: غِلَظٌ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ حَجَارَةٌ وَرَمْلٌ، وَجِبَلٌ أَبْرَقٌ إِذَا كَانَ فِيهِ لَوْنَانِ.
- (١٠) الوابلة: رأسُ العُصْدِ الَّذِي يَلِي الْمَنْكَبَ.
- (١١) وقد أنشد عارف أبياتاً يظهر فيها إعجابه من علم سواد، ويذكر أن سواد حاز الكهانة عن سَطِيعٍ وَشَقٍ وَالْمِرْفَلِ مِنْ إِيَادٍ. انظر هذه الأبيات في الأماي ٢٨٩/٢.
- (١٢) هو حُرْثَانُ بْنُ عَدَوَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ، شَاعِرٌ فَارِسٌ، مِنْ قَدَمَاءِ الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَهُ غَارَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْعَرَبِ وَوَقَائِعٌ مَشْهُورَةٌ، وَسَمِيَ ذَا الْإِصْبَعِ لِأَنَّهُ نَهَشَتْهُ بِأَصْبَعِهِ فَتَشَنَّجَتْ. توفي نحو سنة ٢٢٠ ق. هـ - ٦٠٠ م. الشعر والشعراء، ص ٤٤٥. والأغاني ٨٩/٣. والأعلام ١٧٣/٢.

يَا بُنَيَّ، إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ، وَعَاشَ حَتَّى سَيِّمَ الْعَيْشَ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا
 إِنَّ حِفْظَهُ بَلَغَتْ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغَتْهُ، فَاحْفَظْ عَنِّي: أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ،
 وَتَوَاضِعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ، وَلَا تَسْتَأْثِرُ^(١)، عَلَيْهِمْ بَشِيءٌ
 يُسَوِّدُوكَ، وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ، يُكْرِمَكَ كِبَارُهُمْ، وَيَكْبِرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ
 صِغَارُهُمْ، وَأَسْمَحْ بِمَالِكَ، وَأَحْمِ حَرِيمَكَ، وَأَعِزَّ جَارَكَ، وَأَعِنْ مَنْ اسْتَعَانَ بِكَ،
 وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ، وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ^(٢)، فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ، وَصُنْ
 وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ^(٣) أَحَدٍ شَيْئًا، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤدُوكَ^(٤). ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:

(مجزوء الكامل المرفل)

أَأْسِيدُ إِنْ مَالًا مَلَكَ تَ فَسِرْ بِهِ سَيْرًا جَمِيلًا
 أَخِ الْكِرَامَ إِنْ اسْتَطَعْتَ تَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَبِيلًا
 وَأَشْرَبَ بِكَأْسِهِمْ وَإِنْ شَرِبُوا بِهِ السُّمَّ الثَّمِيلَ^(٥)
 أَهِنِ اللَّثَامَ وَلَا تَكُنْ لِإِخَائِهِمْ جَمَلًا ذُلُولًا
 إِنْ الْكِرَامَ إِذَا تَوَا خِيَهُمْ وَجَذَّتْ لَهُمْ فُضُولًا^(٦)
 - الأغاني ٩٨/٣ - ٩٩.

٢ - وصية عمرو بن كلثوم لابنه^(٧):

لَمَّا حَضَرَتْ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ الْوَفَاةَ، وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ خَمْسُونَ وَمِائَةً سَنَةً، جَمَعَ
 بَنِيهِ فَقَالَ:

يَا بُنَيَّ، قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْعُمُرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ بِي مَا

(١) تستأثر بشيء: تستبد به وتخص به نفسك.

(٢) الصريخ: نداء المستغيث.

(٣) المسألة: جمعها المسائل: الحاجة والمطلب.

(٤) السؤدد: السيادة وكرم المنصب والقدر الرفيع.

(٥) الثمال والمثمل: السم المنقع. أي: الذي أنقذ أياماً حتى اختمر.

(٦) الأغاني ٩٨/٣ - ٩٩. والقصيدة طويلة، اكتفينا بهذه الأبيات.

(٧) عمرو بن كلثوم من بني تغلب، جاهلي، من فحول الشعراء ومن أصحاب المعلقات، فارس شجاع، وأمه =

نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ أَحَدًا بِشَيْءٍ إِلَّا عَيَّرْتُ بِمِثْلِهِ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، وَمَنْ سَبَّ سُبًّا، فَكُفُّوا عَنِ الشَّتْمِ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَكُمْ، وَأَحْسِنُوا جَوَارِكُمْ يَحْسُنْ تَنَاوُكُمْ، وَأَمْتَعُوا مِنْ ضَيْمِ الْغَرِيبِ، قُرْبَ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ، وَرَدَّ خَيْرٌ مِنْ خُلْفٍ. وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَعُوا، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ تَكُونُ الْأَهْدَارُ^(١). وَأَشْجَعُ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ بَعْدَ الْكَرِّ، كَمَا أَنَّ أَكْرَمَ الْمَنَائَا الْقَتْلُ. وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رَوِيَّةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَلَا مَنْ إِذَا عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبَ^(٢). وَمِنْ النَّاسِ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُخَافُ شَرُّهُ، فَبِكُؤُهُ خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ^(٣)، وَعَقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بَرِّهِ، وَلَا تَتَزَوَّجُوا فِي حَيْكَمٍ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى قَبِيحِ الْبُغْضِ.

- الأغاني ٥٩/١١ - ٦٠.

٣ - وصية أكنم بن صيفي التميمي^(٤) إلى طيء:

كتب أكنم بن صيفي وصية إلى طيء، قال فيها:

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحِ الْحَمَقَاءِ، فَإِنَّ نِكَاحَهَا غَرَرٌ^(٥)، وَوَلَدُهَا ضَيَاعٌ. وَعَلَيْكُمْ بِالْخَيْلِ فَأَكْرِمُوهَا، فَإِنَّهَا حُصُونُ الْعَرَبِ، وَلَا تَضَعُوا رِقَابَ الْإِبِلِ فِي غَيْرِ حَقِّهَا، فَإِنْ فِيهَا ثَمَنَ الْكَرِيمَةِ^(٦)، وَرَقُوءَ الدَّمِ^(٧)، وَيَأْلُبَانِيهَا يُتَحَفُ الْكَبِيرُ وَيَغْدَى الصَّغِيرُ، وَلَوْ أَنَّ الْإِبِلَ كُلَّفَتِ الطَّحْنَ لَطَحْنَتْ، وَلَنْ يَهْلِكَ أَمْرُؤُ

= ليلي بنت مهلهل بن ربيعة، وعَمَهَا كليب وائل أعز العرب، ويعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب، وابنها عمرو سيد قومه. وعمرو هو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة. وكان قد عاش مائة وخمسين سنة انظر: الشعر والشعراء، ص ١١٧ - ١٢٠. والأغاني ٥٢/١١ وما بعدها. وانظر قصة قتله لعمرو بن هند ص ٦٤ من هذا الكتاب.

(١) الأهدار: جمع هذر، وهو سقط الكلام.

(٢) لم يعتب: لم يرض.

(٣) يقال: بكأت الناقة أو الشاة بكأت: قل لبنها. والمعنى: منعه خير من عطائه.

(٤) انظر ترجمة أكنم في هذا البحث، ص ٨٧ - ٨٨.

(٥) غرر: أي خطر.

(٦) المراد هنا المهر.

(٧) رقا الدم والدمع: جف وانقطع. ورقا بينهم: أصلح، وأفسد، وهي من الأضداد، والرقوء: المصلح بين

القوم والمراد أنها تعطى في الديات.

عَرَفَ قَدْرَهُ، وَالْعُدْمُ عُدْمُ الْعَقْلِ، لَا عُدْمُ الْمَالِ^(١)، وَلَرَجُلٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ،
وَمَنْ عَتَبَ عَلَى الذَّهْرِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَسَمِ طَابَتْ مَعِيشَتُهُ، وَأَفَةُ الرَّأْيِ
الْهَوَى، وَالْعَادَةُ أَمْلَكُ، وَالْحَاجَةُ مَعَ الْمَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْبُغْضِ مَعَ الْغِنَى، وَالْدُّنْيَا دُولٌ،
فَمَا كَانَ لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ، وَالْحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ
دَوَاءٌ، وَالشَّمَاتَةُ تُعْقِبُ. وَمَنْ يَرِ يَوْمًا يَرَهُ، قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكَنَائِنُ^(٢)، النَّدَامَةُ مَعَ
السَّفَاهَةِ، دِعَامَةُ الْعَقْلِ الْجِلْمُ، خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَةٌ^(٣) الصَّبْرُ، بَقَاءُ الْمَوَدَّةِ عَذْلُ التَّعَاهُدِ،
مَنْ يَزُرْ غِيَابًا^(٤) يَزِدُّ حُبًّا. التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ، مِنَ التَّوَانِي وَالْعَجْزِ نَتِجَتِ الْهَلَكَةُ،
لِكُلِّ شَيْءٍ ضَرَاوَةٌ^(٥)، فَضَرَّ لِسَانُكَ بِالْخَيْرِ^(٦)، عِيَّ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عِيَّ
الْمَنْطِقِ^(٧)، الْحَزْمُ حِفْظُ مَا كُلِّفَتْ وَتَرُكُ مَا كُفِيتْ، كَثِيرُ التَّنْصُحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ
الظَّنَّةِ، مَنْ أَلْحَفَ^(٨) فِي الْمَسْأَلَةِ نُقِلَ، مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ آسَتْحَقَّ الْجُرْمَانُ، الرَّفْقُ
يُؤْمِنُ، وَالْخَرْقُ سُؤْمٌ^(٩)، خَيْرُ السَّخَاءِ وَافِقُ الْحَاجَةِ، خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ.

- مجمع الأمثال للميداني ١٨٢/٢ - ١٨٣ - رقم ٣٢٧١.

٤ - وصية أمامة بنت الحارث إلى ابنتها أم إياس^(١٠).

(١) العدم: الفقدان.

(٢) الكنائن والكنانات مفردهما الكِنانة: جعبة من جلد أو خشب تُجعل فيها السهام.

(٣) المغبة: عاقبة الشيء.

(٤) غِبْ غِيَابًا: جاء زائراً بعد أيام.

(٥) الضراوة: العادة والدُّرْبَةُ.

(٦) ضَرَّ: عَوَّدَ.

(٧) العيَّ: الحضر:

(٨) أَلْحَفَ: أَلْحَ.

(٩) الخرق: ضد الرفق. والرفق: لين الجانب واللطف.

(١٠) لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جمال أم إياس بنت عوف بن مُحَلَمٍ الشَّيبَانِي، وكمالها، وقوة
عقلها، دعا امرأة من كِنْدَةَ يقال لها عِصَامُ ذات عقل ولسان وأدب وبيان، وقال لها: اذهبي حتى تعلمي
لي علم ابنة عوف، فمضت حتى انتهت إلى أمها، وهي أمامة بنت الحارث، فأعلمتها ما قدمت له،
فأرسلت أمامة إلى ابنتها، وقالت: أي بنية، هذه خالتك أنتك لتنتظر إليك، فلا تستري عنها شيئاً، إن
أرادت النظر من وجهي أو خلق، وناطقها إن استنطقتك، فدخلت إليها فنظرت إلى ما لم تر قط مثله،
فخرجت من عندها وهي تقول: «تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ الْقَنَاعَ». (هذا مثل يضرب للأمر يظهر مكنونه) =

لَمَّا حَانَ أَنْ تُحْمَلَ أُمُّ إِيَّاسَ إِلَى زَوْجِهَا الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو مَلِكِ كَنْدَةَ^(١) ،
دَخَلَتْ إِلَيْهَا أُمُّهَا لِتَوْصِيَّهَا ، فَقَالَتْ :

أَيُّ بَنِيَّةٍ : إِنَّ الْوَصِيَّةَ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لَذَلِكَ مِنْكِ ، وَلَكِنَّهَا تَذَكُّرَةٌ

== ثم انطلقت (عصام صاحبة المثل ، وهي من أهل اليمن) إلى الحارث ، فلما رآها مقبلة ، قال لها : ما وراك يا عصام ؟ قالت : « صرَّحَ الْمُخَضَّرُ عَنِ الزُّبَيْدِ » . فأرسلتها مثلاً ، أقول حقاً ، وأخبر صدقاً :

لَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهًا كَالْمَرْأَةِ الصَّبِيَّةِ ، يَزِينُهُ شَعْرُ حَالِكٍ كَأَذْنَابِ الْخَيْلِ الْمَضْفُورَةِ ، إِنَّ أَرْسَلْتَهُ خِلْتَهُ
السَّلَاسِلَ ، وَإِنْ مَشَطْتَهُ دَلَّتْ عَنَّا قَيْدَ كَرَمٍ جَلَّاهَا الْوَابِلُ (المطر الشديد) لها حاجبان ، كأنما خُطَا بِقَلَمٍ ،
قَدْ تَقَوَّسَا عَلَى عَيْنِي الظَّيْمَةِ الْعَبْهَرَةِ (الحسنة الخلقة) يَفْتَتَانِ الْمُتَوَسِّمَ ، بَيْنَهُمَا أَنْفٌ كَحَدِّ السَّيْفِ
المَصْقُولِ ، لَمْ يَخْنَسْ : (الخنس في الأنف : انخفاض القصة ، وعرض الأرنبة) بِوَقْصَرٍ ، وَلَمْ يُعْجِنْ بِهِ
طَوْلٌ ، تُحَفُّ بِهِ وَجْتَتَانِ كَالْأَرْجَوَانِ ، فِي بَيَاضٍ مُحَضَّرٍ كَأَنَّهُ الْجِمَانُ (اللؤلؤ) شَقٌّ فِيهِ فَمٌ لَذِيذِ
الْمُتَشَبِّهِ ، يَقْتَرِعُ عَنْ ثَنَائِي غَرًّا ، وَأَسْنَانِي مِثْلَ الدُّرِّ ، ذَاتِ أَشْرٍ (أي محززة) فِيهِ لِسَانٌ ، ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ ،
يَحْرُكُهُ عَقْلٌ وَافِرٌ ، وَجَوَابٌ حَاضِرٌ ، تَلْتَقِي دُونَهُ شَفَتَانِ حَمْرَاوَانِ كَالْوَرْدِ ، يَحْلِبَانِ رِيْقًا كَالشَّهْدِ ، تُصَبُّ
ذَلِكَ عَلَى عُنُقٍ أَبْيَضٍ ، كَأَنَّهُ إِبْرِيْقِي فِضَّةً ، وَصَدْرُ كِنَانُورٍ (الخوان من رخام أو فضة أو ذهب) اللَّجَيْنِ ، قَدْ
نَتَّنَا فِيهِ لَذْيَانٍ يَخْرُقَانِ عَنْهَا ثِيَابَهَا ، وَيَمْنَعَانَهَا مِنْ تَقَلُّدٍ يَسْخَابُهَا (قلادة تتخذ من قرنفل وغيره) مُكَنَّتٌ مِنْهُ
عَضْدَانِ مُذْجَعَتَانِ ، مُكْتَنِزَتَانِ شَحْمًا ، يَتَصَلُّ بِهُمَا ذِرَاعَانِ ، مَا فِيهِمَا عَظْمٌ يَمْسُ ، وَلَا عِرْقٌ يَجْسُ ،
وَكَفَّانِ دَقِيقٌ قَصْبُهُمَا ، لَيْنٌ عَصْبُهُمَا ، بِأَسْفَلٍ مِنْ ذَلِكَ بَطْنٌ طَوِيٌّ كَطِيٍّ الْقَبَاطِي (ثياب بيض من كتان ،
تنسب إلى أقباط مصر) وَكَبِيْرٌ عَكْنَاءُ (جمع عكنة وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً) كَالْقِرَاطِيْسِ
الْمُذْرَجَةِ ، يَحِيطُ بِسُرَّةٍ كَمُدَّهِنِ الْعَاجِ (أي قارورة الدهن) لَهَا ظَهْرٌ فِيهِ كَالْجُلُولِ ، يَتَّبِعِي إِلَى خَصْرِ ، لَوْلَا
لُطْفُ رَبِّي لَانْتَبَرْتُ تَحْتَهُ كَفَلٌ (عجن) يُقْبَعُهَا إِذَا نَهَضْتُ ، وَيَنْهَضُهَا إِذَا قَعَدْتُ ، كَأَنَّهُ دَغَصٌ (ما اجتمع من
الرمل) مِنَ الرَّمْلِ ، لَبْدُهُ سَقُوطُ الطَّلِّ ، أَسْفَلُ مِنْ ذَلِكَ فَخْذَانِ لِفَاوَانِ : (اللفاء : ضخمة الفخذ) كَأَنَّهُمَا نَصَبَتَا
عَلَى نَفْدٍ عَقِيَانِ ، مَتَصِلٌ بِهِمَا سَاقَانِ بِيضَاوَانِ خَدَلَجَتَانِ (ممتلئتان) قَدْ وَشَّيَا بِشَعْرِ أَسْوَدَ ، كَأَنَّهُ حَلَقُ
الزُّرْدِ ، تَحْمِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ قَدَمَانِ كَحَرْفِ اللِّسَانِ ، تَبَارَكَ اللَّهُ مَعَ لَطَافَتِهِمَا كَيْفَ يُطْلِقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ،
فَمَا مَا سِوَى ذَلِكَ ، فَإِنِّي تَرَكْتُ نَعْتَهُ وَوَصَفَهُ لَوْقَتِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَأَكْمَلِ وَأَحْسَنِ وَأَجْمَلَ مَا وَصَفَ فِي شَعْرِ
وَقَوْلٍ .

قيل : فبعث إلى أبيها فخطبها ، فزوجه إياها . قيل : فبعث إليها من الصداق بمثل مهور نساء الملوك . مائة
ألف درهم ، وألفا من الإبل ، فلما حان أن تحمل إليه دخلت إليها أمها لتوصيها . (العقد الفريد
١١٩/٧ - ١٢٠ . ومجمع الأمثال ٢/٢٦٢ - ٢٦٣ رقم ٣٧٥٩ . وجمهرة الأمثال ١/٥٦٩ - ٥٧١ . رقم
١٠٧٣) .

(١) الحارث هو جد امرئ القيس . ويقول صاحب العقد الفريد : الذي خطب أم إياس : هو عمرو بن حُجْر .
(٨٩/٧) .

لِلْغَافِلِ ، وَمَعُونَةً لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ إِمْرَأَةً اسْتَعْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ لَغْنَى أَبُوَيْهَا وَشِدَّةَ حَاجَتَيْهِمَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنَّ النِّسَاءَ لِلرِّجَالِ خُلُقْنَ ، وَلِهَذَا خُلِقَ الرَّجَالُ ، أَيُّ بُنْيَةٍ : إِنَّكَ فَارَقْتَ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتَ ، وَخَلَفْتَ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتَ ، إِلَى وَكَرٍ لَمْ تَعْرِفِهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأْلَفِهِ ، فَأَصْبَحَ بِمُلْكِهِ عَلَيْكَ رَقِيبًا وَمَلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أُمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا .

يَا بُنْيَّةُ : احْمِلِي عَنِّي عَشْرَ خِصَالٍ تَكُنْ لَكَ ذُخْرًا وَذِكْرًا : الصُّحْبَةُ بِالْقَنَاعَةِ وَالْمُعَاشَرَةُ بِحُسْنِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالتَّعَهُدُ لِمَوْعِدٍ عَيْنِي ، وَالتَّفَقُّدُ لِمَوْضِعٍ أَنْفِي ، فَلَا تَقْعُ عَيْنَاهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ ، وَلَا يَشْمُ مِنْكَ إِلَّا طِيبَ رِيحٍ ، وَالْكُحْلُ أَحْسَنُ الْحُسْنِ ، وَالْمَاءُ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ الْمَفْقُودِ ، وَالتَّعَهُدُ لَوْقَتِ طَعَامِهِ ، وَالْهُدُو عَنْهُ عِنْدَ مَنَامِهِ ، فَإِنَّ حَرَارَةَ الْجُوعِ مَلْهَبَةٌ ، وَتَنَغِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ ، وَالْإِحْتِفَاطُ بِبَيْتِهِ وَمَالِهِ ، وَالْإِرْعَاءُ عَلَى نَفْسِهِ وَحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ ، فَإِنَّ الْإِحْتِفَاطَ بِالْمَالِ حُسْنُ التَّقْدِيرِ ، وَالْإِرْعَاءُ عَلَى الْعِيَالِ وَالْحَشَمُ حُسْنُ التَّنْذِيرِ . وَلَا تُفْشِي لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا ، فَإِنَّكَ إِنْ أَفْشَيْتَ سِرَّهُ لَمْ تَأْمَنِ غَدْرَهُ ، وَإِنْ عَصَيْتَ أَمْرَهُ أَوْغَرْتَ^(١) صَدْرَهُ ، ثُمَّ اتَّقِي مَعَ ذَلِكَ الْفَرَحَ إِنْ كَانَ تَرَحًّا ، وَالْاِكْتِسَابَ عِنْدَهُ إِنْ كَانَ قَرَحًا ، فَإِنَّ الْخَصْلَةَ الْأُولَى مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَالثَّانِيَّةُ مِنَ التَّكْدِيرِ ، وَكُونِي أَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ إِعْظَامًا ، يَكُنْ أَشَدَّ مَا يَكُونُ لَكَ إِكْرَامًا ، وَأَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُوَافَقَةً ، يَكُنْ أَطْوَلَ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُرَافَقَةً ، وَاعْلَمِي أَنَّكَ لَا تَصِلِينَ إِلَى مَا تُحِبِّينَ حَتَّى تُؤْثِرِي رِضَاهُ عَلَى رِضَاكَ ، وَهَوَاهُ عَلَى هَوَاكَ ، فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ ، وَاللَّهُ يَخِيرُ لَكَ^(٢) .

- العقد الفريد ٨٩/٧ - ٩٠ .

- مجمع الأمثال ٢/٢٦٢ - ٢٦٣ ، رقم ٣٧٥٩ .

- جمهرة الأمثال ١/٥٧١ - ٥٧٢ ، رقم ١٠٧٤ .

(١) وغر صدره على فلان : توقد عليه من الغيظ .

(٢) فحملت ، وسلمت إليه ، . فعظم موقعها منه ، وولدت له من الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن .

جـ - الحكم والأمثال :

١ - الحكم^(١)

من الحكم الثرية :

«رَبِّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا»^(٢). و «رَبِّ رَيْثٍ يُعَقِّبُ قَوْنًا»^(٣). و «رَبُّ أَخٍ لَمْ تَلْذُهُ أُمْلُكَ»^(٤). و «رَبِّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٥). و «أَزْهَى مِنْ غَرَابٍ»^(٦). و «أَوَّلُ الْحَزْمِ الْمَشُورَةُ»^(٧). و «مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَهُ»^(٨). و «مِنْ مَأْمِنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرُ»^(٩). و «رِضَا

(١) الحكمة : هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها ؛ حكيم . أي : عالم . والحُكْمُ والحكمة من العلم . والحكمة : قول بليغ موجز ، يحاول سنَّ نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك ، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات ، تصاغ في بيت شعر ، أو مثل ، أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى ، ذات دلالات بعيدة ، تؤدي ما يؤديه المثل ، إلا أنها لم تشع في الجمهور ، ولم تجر إلا بين الخواص . ولا تنفق مع السيوطي فيما ذهب إليه من أن الفرق بين الحكمة والمثل ، الشيوخ وحده . بمعنى أن الحكمة إذا شاعت على اللسان صارت مثلاً . ويمكن تدوين الفرق بينهما على النحو التالي . وهو أن الحكمة غير مرتبطة بمناسبة أو حادثة ، والمثل لا بد أن يرتبط بهما . نعود ونقول : إن الحكمة تصدر عن عقل واع ، وتجربة عميقة ، وخبرة طويلة ، بشكل أدبي فني عميق . مزيج من عقل وشعور - بالفاظ متقاة ، وعبارة متينة ، وقوة في المعنى ، وأسلوب فريد ، من أجل المحافظة على البقاء والخلود . ولا بد لها أن تعطي عبرة أو موعظة ، ويكون هدفها : توجيه النفس الإنسانية إلى الكمال والأفضل . ومن شروطها أن يسلم بها الجميع ، ما دام الهدف منها المنفعة والنهي عن الجهل أو الوقوع في الخطأ ، انظر : لسان العرب (مادة حكم) . والشعر الجاهلي - خصائصه وفنونه ، للدكتور يحيى الجبري ، ص ٤٠٣ . والمزهر ١/ ٤٨٦ .

(٢) جمهرة الأمثال ١/ ٤٨٢ رقم ٨٦٢ . ومجمع الأمثال ١/ ٢٩٤ رقم ١٥٥٥ . والعقد الفريد ١/ ٨٩ : «ورب عجلة تعقب ريثاً» . والرث : الإبطاء ، والحكمة لأكثم بن صيفي ، ويقال للرجل حين يشتد حرصه على الحاجة فيخرق فيها ، ويفارق التؤدة في التماسها ، فتفوته وتسبقه .

(٣) مجمع الأمثال ١/ ٣٠٢ رقم ١٥٩٦ . والمعنى : أي ربما أضر أمر فيفوت .

(٤) جمهرة الأمثال ١/ ٤٨١ رقم ٨٦١ . ومجمع الأمثال ١/ ٣٠٢ رقم ١٥٩٥ يعني به الصديق ، فإنه ربما أربى في الشفقة على الأخ من الأب والأم .

(٥) مجمع الأمثال ١/ ٣٠٥ رقم ١٦٢٨ . والحكمة لأكثم بن صيفي .

(٦) جمهرة الأمثال ١/ ٥٠٧ رقم ٩٢٠ . وهو من الزهو ، أي : الكبر ، وهو أنه إذا مشى يختال .

(٧) جمهرة الأمثال ١/ ١٨٧ . رقم ٢١٤ .

(٨) مجمع الأمثال ٢/ ٣١٩ رقم ٤١٣٦ . والحكمة لعامر بن الطرب .

(٩) جمهرة الأمثال ٢/ ٢٧١ رقم ١٦٦٧ . والحكمة لأكثم بن صيفي . يقول : إن الحذر لا يدفع المقدور عن صاحبه .

لنَّاسٍ غَايَةً لَا تُدْرِكُ^(١) . وَكَلَّمُ اللِّسَانِ أَنْكَأُ مِنْ كَلَمِ الْحَسَامِ^(٢) . وَ« مِنْ سَلَكٍ لَجَدَدَ أَمِنَ الْعِثَارُ^(٣) » .

ومن الحكم الشعرية:

من هَابَ أسباب المنايا ينلته ولو نال أسباب السماء يسلم^(٤)
من يغترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم^(٥)
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود^(٦)
إن باب أمر عليك التوى فشاور لبيباً، ولا نعصيه^(٧)
٢ - الأمثال^(٨)

من الأمثال النثرية:

* - تجشأ لقمان من غير سبع^(٩)

يضرب مثلاً للرجل يظهر الغنى وهو فقير، والجلد وهو ضعيف وأصله في
الرجل يتجشأ على جوع.

(١) جمهرة الأمثال ٤٩٣/١ رقم ٨٨٢ ، (برواية لا تبلغ) . ومجمع الأمثال ٣٠١/١ رقم ١٥٨٤ . والحكمة
لأكثم بن صيفي، ومعناها: إن الرجل لا يسلم من الناس على كل حال، فينبغي أن يستعمل ما يصلحه،
ولا يلتفت إلى قولهم .

(٢) جمهرة الأمثال ٢٥٧/٢ . والكلم: الجرح، وانكا: أشد وأقطع . والحكمة لأكثم بن صيفي .

(٣) جمهرة الأمثال ٢٥٧/٢ رقم ١٦٤٣ . والجلد: الأرض المستوية . والحكمة لأكثم بن صيفي .

(٤) هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى . والمعنى: ومن خاف أسباب المنايا نالته، ولم يجد عليه خوفه
وهيبته، إياها نفعا ولو رام الصعود إلى السماء فراراً منها . (شرح المعلقات السبع، ص ٧٥) .

(٥) هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى . والمعنى: من سافر حسب الأعداء أصدقاء، لأنه لم يجربهم،
فتوقفه التجارب على ضمائر صدورهم، ومن لم يكرم نفسه بتجنب الدنيا لم يكرمه الناس . (شرح
المعلقات السبع، ص ٧٥) .

(٦) هذا البيت من معلقة طرفة بن العبد، أي: ستطلعك الأيام على ما تغفل عنه، وسينقل إليك الأخبار من لم
تزوده . (شرح المعلقات السبع، ص ٦٠) .

(٧) هذا البيت لطرفة اقتطفناه من قصيدة حكمية (يرجع إلى القصيدة في الديوان ص ٦٤، وما بعدها) .

(٨) المثل: مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه . ويقول ابن =

* - رَجَعَ بِخَفِي حُنَيْنٍ . ويقال : أَخِيبَ مِنْ حُنَيْنٍ^(١) .

يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

* - رَبُّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ^(٢) .

يضرب مثلاً للمخطيء يصيب أحياناً .

* - مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ . ويقال^(٣) : أَخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ .

يضرب مثلاً للذي يخلف في مواعيده .

* - اسْتَنُوقَ الْجَمْلُ^(٤) .

يضرب مثلاً للرجل الواهن الرأي ، المخلط في كلامه .

* - إِنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَاراً^(٥) .

يضرب مثلاً للقوي يلقي أقوى منه .

* - رَمَنْتِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ^(٦) .

يضرب مثلاً لمن يعيب على غيره بما يعاب هو فيه .

= السكيت : المثل : لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره .

ويقال : إن المثل تجتمع فيه أربعة أمور لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة . ويقال : المثل أبقي من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عمَّ عمومها ، حتى قيل : أسير من مثل . انظر : مجمع الأمثال ٥/١ وما بعدها . وجمهرة الأمثال ٤/١ وما بعدها . والعمدة ٢٨١/١ . والمزهر ٤٨٦/١ وما بعدها .

(٩) جمهرة الأمثال ٢٦٩/١ رقم ٣٧١ .

(١) جمهرة الأمثال ٤٣٣/١ رقم ٧٤١ . ومجمع الأمثال ٢٩٦/١ .

(٢) جمهرة الأمثال ٤٩١/١ رقم ٨٧٩ . ومجمع الأمثال ٢٩٩/١ رقم ١٥٨١ .

(٣) جمهرة الأمثال ٤٣٣/١ رقم ٧٤٢ . ومجمع الأمثال ٣١١/١ رقم ٤٠٧٠ .

(٤) جمهرة الأمثال ٥٤/١ رقم ٢٩ . وهذه العبارة لطرفة بن العبد .

(٥) جمهرة الأمثال ٣١/١ رقم ١٧ . والإعصار : الريح الشديدة تثير الغبار . والجمع الأعاصير .

(٦) جمهرة الأمثال ٤٧٥/١ رقم ٨٥١ .

* - ذكّرني فوكٍ حماري أهلي^(١).

يضرب مثلاً للرجل يبصر الشيء، فيذكر به حاجة كان قد نسيها.

ومن الأمثلة الشعرية:

ومن يصنع المعروف في غير أهله	يلاقى الذي لاقى مُجيرَ أمٍّ عامِرٍ ^(٢)
إذا قالت حَذَامُ فصِدَّقوها	فإنَّ القولَ ما قالت حَذَامُ ^(٣)
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا	حنانيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ ^(٤)
لا تقطعن ذنبَ الأفعى وترسلها	إن كنتَ شهماً فأتبعْ رأسها الذنبا ^(٥)

(١) جمهرة الأمثال ١/٤٦٣. رقم ٨٢٢.

(٢) المزمهر ١/٤٩٤. وأم عامر: الضبعة.

(٣) لسان العرب (مادة حلم). ومجمع الأمثال ٢/١٠٦ رقم ٢٨٩٠. والمزمهر ٢/٤٧٥. والمثل يضرب في التصديق.

(٤) جمهرة الأمثال ١/٦٧. والبيت لطرفة بن العبد من قصيدة له في السجن يخاطب بها عمرو بن هند. انظر: الديوان، ص ٦٦. وأبو منذر: عمرو بن هند ملك الحيرة. وحنانيك: أي حنانا بعد حنان. وهذا مثل يضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت، يفضل أحدهما على الآخر.

(٥) البيت لأبي أذينة اللخمي يحرض الأسود بن المنذر على قتل بعض أسارى غسان. يضرب هذا في التحريض على استئصال شأفة الشر. انظر: الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، للدكتور محمد خفاجي والدكتور صلاح الدين عبد التواب، ص ٥٧.

أولاً: الشعر

١ - قصيدة بشامة بن حزن النهشلي^(١)

في الفخر والحماسة

(من البسيط)

إِنَّا مَحْبُوكٌ يَا سَلَمَى فَحْيَيْنَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا^(٢)
 وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلَى وَمَكْرَمَةٍ يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَأَدْعِينَا^(٣)

(١) لم نجد لهذا الشاعر ترجمة عن حياته، ويرجح أنه إسلامي، هذا ما ذهب إليه صاحب الخزائنة، أما الأملدي فيقول: بشامة بن حزن النهشلي، نهشل بن دارم. وقد اختلف في قائل هذه الأبيات فنسبت إلى أبي مخزم النهشلي، ونسبت إلى بشامة بن جَزء، وقيل لبشامة بن حَرْي، وقيل لابن غلفاء التميمي، وقيل: هي لبعض بني قيس بن ثعلبة. وقيل غير ذلك: انظر: الشعر والشعراء، ص ٤٠٤ - ٤٠٥. والمؤتلف والمختلف ص ٨٦ - ٨٨. والكامل ١/ ١٤٥ - ١٤٦. وشرح ديوان الحماسة، للتبريزي ١/ ٢٥ - ٢٧. وخزانة الأدب ٨/ ٣٠٠ - ٣١٤. وقد أورد ابن قتيبة بعض هذه الأبيات، ونسبها إلى نهشل بن حَرْي النهشلي، وهو نهشل بن حري بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، شاعر جاهلي، حسن الشعر، أنشد الملك النعمان بن المنذر. (الشعر والشعراء، ص ٤٠٥). ونجد أن بعض محققي هذه المصادر، التي اقتطفنا منها هذه الأبيات، قد رجح نسبتها لبشامة، وهو إسلامي. والبشامة: شجرة يستاك بعودها.

(٢) فحيينا: من التحية بمعنى السلام. والمعنى: إنا مسلمون عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله. وإن سقيت الكرام فأجرينا مجراهم، فأنا منهم، وقيل: سقيت، بمعنى دعوت، يعني: إن دعوت لكرام الناس بالسقيا فادعي لنا أيضاً.

(٣) جلى: تأنيث الأجل، ويراد بها جليلة. والسراة: كرام الناس. يقول: إن أشدت بذكر خيار الناس بجليلة نابت أو مكربة عرضت فأشيدي بذكرنا أيضاً. والقصد من هذا الكلام، الوصول إلى بيان شرفه، واستحقاقه ما يستحقه الأشراف. والمكرمة: اسم من الكرم.

إِنَّا - بني نَهْشَلٍ - لا ندَّعي لأبٍ
 إِن تَبْدَرَ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ
 وليس يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا
 إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا
 بِيَضٍّ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا
 إِنَّا لِمِنْ مَعْشِرٍ أَقْنَى أَوَائِلِهِمْ
 عنه، ولا هو بالأبناء يَشْرِينَا^(١)
 تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمَصْلِينَ^(٢)
 إِلَّا أَفْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا^(٣)
 وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا^(٤)
 نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا^(٥)
 قَوْلُ الْكِمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا؟^(٦)

(١) بني نهشل: منصوب على الاختصاص، أي على إضمار فعل، كأنه قال: اذكر بني نهشل، وهذا على الاختصاص أمدح. وخبر إن «لا ندعي» ولو رفع فقال: «إنا بنو نهشل» كان خبراً وكانت جملة «لا ندعي» في موضع الحال. ولا ندعي لأب: لا نتسب لأب غير أبينا. ولا هو بالأبناء يشرينا: معناه، أنه راض بنا كما نحن راضون به.

(٢) يقال ابتدرنا الغاية وإلى الغاية أي: استبقنا إليها. وقوله لمكرمة: أي لاكتساب مكرمة. والمصلي: من أسماء خيل الحلبة التي تخرج للسباق، أي: هو الذي يتلو السابق فيكون رأسه عند صلالة، والصَّلَوَان: العظمان الناتئان من جانبي العجز. وأسماء خيل الحلبة عشرة، أولها السابق، وهو المُجَلِّي، لأنه كان يجلي عن صاحبه، وثانيها المصلي، ثم المُسَلِّي، ثم التالي، ثم المرتاح، ثم العاطف، ثم المؤمل. وهذه السبعة لها حظوظ، ثم اللواتي لا حظوظ لها هي: اللظيم، ثم الوغد، ثم السكيت.

(٣) الاقتلاء: الاقتطام والأخذ عن الأم، ومنه القلُّو. والأبد: الدهر. يقول: نحن لا نخلو من سيد مدرب على السيادة أي: مرشح لها، فإذا هلك السيد، خلفه المدرب.

(٤) نرخص: من أرخص الشيء، جعله رخيصاً، أي: سهلاً هيناً. والروع: الحرب. وأغلينا: الألف: للإطلاق، وهي ناتجة عن حركة إشباع الروي، والنون نون النسوة، ضمير الأنفس، ومعنى أغلينا: وجدت غالية، يقول: إذا كان يوم الروع تقدمنا للقاء، فإن ذهبت أنفسنا، ذهبت رخيصة لأننا بدلناها بالإقدام، ولم نمنعها بالإحجام، ولكنها يوم الأمن غالية. وفي البيت طباق في موضعين: بذكر الإرخاص والإغلاء، والروع والأمن.

(٥) يروى: «بيض معارفنا» وهي الوجوه، والمراد بذلك نقاء العرض وانتفاء الblem والعيب. وبيض مفارقنا: يجوز أن يكون المراد ابيضت مفارقنا من كثرة ما نقاسي الشدائد، وبيض المفارق كناية عن نقاء العرض، وانتفاء الblem والعيب. وتغلي مراجلنا: أي حروينا. ونأسو: نداوي. والمعنى: أنهم أغنياء، أصحاب سطوة، لا يطمع الناس في مقاصبتهم، بل يكتفون منهم بأخذ الدية. ويقال: إنه يجوز أن يكون المراد من: «بيض مفارقنا» هو من كثرة استعمال الطيب، ويكون على هذا، «تغلي مراجلنا» أي: قدورنا للضيافة، ويجوز أن يكون مشيهم مشيب الكرام لا مشيب اللثام.

(٦) الكماة: جمع كمي، وهو الشجاع، المدمج بالسلاح، وأصله من كمي شهادته، إذا كتمها، لأن الشجاع يستغني بأفعاله عن دعواه، وكذلك. إذا كمي الفارس نفسه في السلاح، أي: إذا توارى فيه. يقول: إني من جماعة أفنتهم الإعانة والإغاثة والنجدة والإقدام على الحروب.

لو كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا
إِذَا الْكَمَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمْ
وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ
وَنَرَكِبُ الْكَرَّةَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ

مَنْ فَارَسُ خَالِهِمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا^(١)
حَدُّ الطُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا^(٢)
مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَتَكُونَا^(٣)
عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافٌ تُوَاتِينَا^(٤)

- الشعر والشعراء، ص ٤٠٥ .

- المؤلف والمختلف، ص ٨٧ - ٨٨ .

- الكامل للمبرد ١/١٤٥ - ١٤٦ .

- ديوان الحماسة، شرح التبريزي، ١/٢٥ - ٢٧ .

- خزانة الأدب ٨/٣٠٢ - ٣٠٤ .

٢ - قصيدة قَتِيلَةَ بِنْتِ النَّضْرِ^(٥) فِي رثاء أبيها

(من الكامل)

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظَنَّةٌ
مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ^(٦)

(١) خالهم: أي ظنهم. والمعنى: أنهم لشدة بأسهم وقوة حماستهم لا يعترفون بشجاعة غيرهم.

(٢) الطُّبَاةُ: جمع الطُّبَّةِ، وهي حَدُّ السِّيفِ، وقيل: الطُّبَّةُ طرف السِّيفِ، والشُّبَاةُ حَدُّ طرفه. وقوله: وصلناها بأيدينا: هذا الكلام كناية عن علو همتهم في الحرب وطول باعهم فيها.

(٣) البُكَاءُ: جمع باك، والمعنى: إنهم لا يموتون إلا بالقتل حيث صار لهم عادة، وإن كل من يولد منهم يكون سيداً فلا يجزعون على من مات منهم.

(٤) الْكَرَّةُ: المكروه. وركوبه: كناية عن وقوعهم فيه، وقصدهم إليه. والحفاظ: المحافظة، والذب عن المحارم، وأسيف تواتينا: أي توافقتا. ويفرجه: يكشفه ويوسعه. يقول: وأحياناً نفع في المكروه فيكشفه عنا محافظتنا على أحسابنا وديننا عن حريمنا، وأسيف توافقتا. ويجوز أن يكون قد أراد بالسيوف رجالاً كأنهم السيوف مضاء.

(٥) قَتِيلَةُ بِنْتِ النَّضْرِ بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار من قريش، شاعرة مخضرمة، أسر أبوها النضر في وقعة بدر، فأمر الرسول ﷺ بقتله، فقتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقالت هذه القصيدة ترثي والدها، ويقال: إن الرسول ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغني هذا قبل قتله مننت عليه». ويقال: فرق رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وقال لأبي بكر رضي الله عنه: يا أبا بكر! لو كنت سمعت شعرها لما قتلت أباه». أسلمت بعد مقتل أبيها، وتوفيت سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م. وقصيدتها هذه مما اختاره أبو تمام في حماسته. انظر: السيرة النبوية ٣/٤٢ - ٤٣. ومنح المدح لابن سيد الناس، ص ٣٥٩ - ٣٦٠. وديوان الحماسة ١/٤٠٠ - ٤٠١. والأعلام ٥/١٩٠.

(٦) الأثيل: موضع فيه قبر النضر بين بدر ووادي الصفراء. والمظنة: موضع لإقاع الظن. وصبح خامسة: أي =

أبلغَ بها مَيتاً بأنَّ تحيَّةَ
 مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً
 هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ
 أَمَحْمَدُ يَا خَيْرَ ضِيَاءِ كَرِيمَةٍ
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا
 أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفِقَنَّ
 فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةً
 ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ
 قَسراً يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مُنْعَباً

ما إِنْ تَزَالُ بِهَا الرِّكَائِبُ تُخَفِّقُ^(١)
 جَادَتْ بِوَائِكِفِهَا وَأُخْرَى تُخَفِّقُ^(٢)
 أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ
 فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُغْرِقُ^(٣)
 مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخَنَقُ^(٤)
 بِأَعَزُّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ^(٥)
 وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِنْتُ يُغْتَقُ
 لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقُّ^(٦)
 رَسَفَ الْمَقِيدِ وَهُوَ عَانٍ مُوْتَقُ^(٧)

- السيرة النبوية ٤٢/٣ - ٤٣.

- ديوان الحماسة ٤٠٠/١ - ٤٠١.

- منع المدح لابن سيد الناس، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

= صبح ليلة خامسة لليلة تبتلى في السير منها إلى الأتيل. والمعنى: يا راكباً إن الأتيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم تنزع عنه.

(١) إن: زائدة. وتخفق: تتحرك وتسرع.

(٢) العبارة: الدفعة. ومسفوحة: مصبوبة، والواكف: السائل.

(٣) الضنء: الأصل. والمغرق: الذي له أصول واضحة في الكرم.

(٤) الحق: الغيظ الشديد. والمعنى: ما كان يضرك لو مننت على والدي، وأطلقت، وليس هذا عيباً عليك، إذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحق.

(٥) أي ما ضرك لو قبلت فدية، ولو فعلت ذلك، لأنفقنا من أجله الغالي والنفيس.

(٦) تنوشه: تتناوله. وتشقق: تقطع. واللام في الله للمتعجب. والمعنى: لم يقتله أحد غير بني أبيه فعجباً من أرحام تقطع هناك.

(٧) الرسف: المشي الثقيل، كمشي المقيد ونحوه. والعاني: الأسير. والقسر: القهر والغلبة. أي: أنه يقاد للموت بعد الحبس وهو متعب. ورسف المقيد: أسير موثق.

٣ - قصيدة الخنساء في مدح أخيها صخر^(١)

(من الكامل)

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَا يَتَمَعَاوِرَانِ مُلَاعَةً الْفَخْرِ^(٢)
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لُزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ^(٣)
وَعَلَا مُتَافٍ النَّاسُ: أَيُّهُمَا؟ قَالَ الْمَجِيبُ، هُنَاكَ: لَا أُدْرِي
بَرَزَتْ صَحِيفَةٌ وَجْهِهِ وَالِدِي وَمَضَى عَلَى غُلُوَائِهِ يَجْرِي^(٤)
أُولَى فَأُولَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ
وَهَمَا كَانَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا صُفْرَانٍ قَدْ حَطَا عَلَى وَكْرِ

- ديوان الخنساء، ص ٧٦.

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر، وهي شاعرة مخضرمة، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وكانت أشهر شاعرات العرب على الإطلاق، عرضت شعرها على النابغة الذبياني، في سوق عكاظ، وحكم لها بقوله: «والله لولا أن أبا بصير أنشدني، لقلت: إنك أشعر الجن والإنس». ونجد غرر قصائدها في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلوا في الجاهلية. أدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم. وكان الرسول ﷺ يستنشدتها ويعجبه شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ. فجعلت تحرضهم على الثبات والصمود حتى قتلوا جميعاً، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. توفيت سنة ٢٤ هـ / ٦٤٥ م. انظر ترجمتها: طبقات الشعراء، ص ٤٨، ٥١. وطبقات فضول الشعراء ٢/ ٢٠٣، ٢١٠. والشعر والشعراء، ص ١٩٧ - ٢٠١. والأغاني ١٥/ ٦١ - ٨٠ (طبعة دار الثقافة). وخزانة الأدب ١/ ٥٣٤ - ٤٣٨. والأعلام ٢/ ٨٦.

ويقال: إنه قيل للخنساء: لئن مدحت أخاك، فقد هجوت أباك. فقالت تصف صخرًا، وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حق الوالد. انظر: الديوان ص ٧٦.

(٢) الملاعة: أي عبادة السبق. استعارتها للفخر، يلبسها أبوها مرة وأخوها أخرى. ويتعاوران: يتبادلان.

(٣) نزت: وثبت. العذر: جمع عذار، جانب اللحية، أي: الشعر الذي يحاذي الأذن. كناية عن الازدحام.

(٤) الغلواء: نشاط الشباب وأوله.

٤ - من قصيدة لكعب بن زهير^(١) في مدح النبي ﷺ

(من البسيط)

بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مُتِمِّمٌ إِثْرَهَا، لَمْ يُفَدِّ، مَكْبُولُ^(٢)
وما سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ، إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ، مَكْحُولُ^(٣)
تَجَلُّوْ عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ، إِذَا ابْتَسَمْتُ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ، مَعْلُولُ^(٤)
إِخْصَالُهَا خُلَّةٌ، لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا، أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ^(٥)
فَلَا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَنْتَ، وَمَا وَعَدْتُ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٦)

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، أحد فحول الطبقة الثانية عند ابن سلام، وكان كعب فحلاً مجيداً، وكان أخوه بجير أسلم قبله، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام فبلغ ذلك النبي ﷺ فتواعده، فبعث إليه بجير يحذره، فقدم على رسول الله ﷺ فبدأ بأبي بكر، فلما سلم النبي ﷺ من صلاة الصبح، جاء به وهو متلثم بعمامته، فقال يا رسول الله، هذا رجل جاءه يبائعك على الإسلام، فبسط النبي ﷺ يده، فحسر كعب عن وجهه، وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول الله! أنا كعب بن زهير، فتهجمته الأنصار، وغلظت له لذكره، كان قبل ذلك رسول الله ﷺ وأحب المهاجرين أن يسلم ويؤمنه النبي ﷺ فأمناه، واستنشده هذه القصيدة. ويقال إن إسلامه كان في السنة التاسعة للهجرة، وتوفي سنة ٢٦ هـ / ٦٤٥ م. وقد وصف شعره بقوة التماسك، وجزالة اللفظ، وسمو المعنى، له ديوان شعر مطبوع. انظر ترجمته: الديوان. وطبقات الشعراء، ص ٢٠ - ٢٥. والشعر والشعراء ص ٥٩ - ٦٠، ٦٧ - ٧٠. وجمهرة أشعار العرب ص ٦٣٢. وما بعدها. وتاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٧٤. والأعلام ٥/ ٢٢٦. ومنح الملاح. ص ٢٥٤ - ٢٧٠.

(٢) بانت: فارقت، ومتبول: من تبلة الحب، أسقمه وأضناه. ومتيم: مذل بالحب. ولم يفد: لم يجد من يفديه، ومكبول: محتبس عندها.

(٣) غداة البين: صباح الفراق. والأغن: الذي في صوته غنة. وغضيبض الطرف: فاتره، منكسر الأجفان.

(٤) تجللو: تكشف. والعوارض: الضواحيك من الأسنان، وهي ما بين الثنية والضرس. والظلم: ماء الأسنان ويريقها ويباضها. ومنهل: أي أول شربة. والراح: الخمر. والمعلول: قد سقي مرتين، والغلل: الشرب الثاني.

(٥) الخلّة: الخليلة الصاحبة.

(٦) عرقوب بن نصر: رجل من العمالقة، نزل بالمدينة قبل أن يتزلها اليهود، وكان صاحب نخل. وإنه وعد صديقاً له ثمر نخلة من نخله، فلما حملت وصارت بلحاً، أراد الرجل أن يصرمه، فقال عرقوب: دعه حتى يشقح، أي: يجر أو يصفر، فلما شقحت أراد الرجل أن يصرمها، فقال عرقوب: دعه حتى يصير =

أَرْجُو وَأُمَلُّ أَنْ تَذُنُوَ مَوَدَّتْهَا
 أُمِسْتُ سَعَادَ بَأَرْضٍ لَا يُبْلَغُهَا
 يَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمْ:
 وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ
 فَقُلْتُ: خَلُّوا سَبِيلِي، لَا أَبَا لَكُمْ
 كُلُّ ابْنِ أُتَى، وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
 أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
 مَهْلًا: هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً
 لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ، وَلَمْ
 لَقَدْ أَقَوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ، أَرَى
 لَظِلَّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ

وَمَا إِحَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ^(١)
 إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيَّاتُ الْمَرَايِلُ^(٢)
 «إِنَّكَ يَا أَبْنَى أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ»^(٣)
 «لَا إِلَهِيَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ»^(٤)
 فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ^(٥)
 يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءُ مَحْمُولُ^(٦)
 وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ^(٧)
 الْقُرْآنِ، فِيهِ مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيلُ^(٨)
 أَذْنِبْ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلُ^(٩)
 وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ^(١٠)
 مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(١١)

- = رطباً، فلما صارت رطباً قال: دعه حتى يصير تمرأ، فلما صار تمرأ انطلق إليه عرقوب، فجده ليلاً، فجاء الرجل بعد أيام، فلم ير إلا عوداً قائماً، فذهبت وعود عرقوب مثلاً.
- (١) تنوِيل: عطاء.
- (٢) لا يبلُغها: أي لا يبلغ، سعاد إليها. والعِتَاق: النوق أو الإبل الكرام. والنجيات: السريعات.
- والمراييل: الخفاف التي تعطيك ما عندها عفواً.
- (٣) جنابها: أي حوالي الناقة.
- (٤) إلهيكَ: أشغلنك. والمعنى: لا أشغلنك عما أنت فيه فأسليك.
- (٥) لا أبا لكم: أي لا أبا حراً لكم. وانظر: شرح بيت زهير الذي يقول فيه: «سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش...» - في هذا الكتاب، ص ٦٣.
- (٦) آلة حدباء: المقصود هنا الآلة التي يحمل عليها الميت، أي: النعش. والحدباء: مؤنث الأحدب. أي: الذي تقوس ظهره لعله أول كبير السن.
- (٧) أنبئت: أعلمت وأخبرت. وأوعدني: هددني. ومأمول: متوقع.
- (٨) النافلة: العطية الزائدة. وتفصيل: تبين وتوضيح.
- (٩) لا تأخذني: لا تتهمني بأقوال الوشاة.
- (١٠) لقد أقوم مقاماً لويقوم به الفيل لظل... ولما كان الفيل عنده ضخماً توهم أنه أسمع الأشياء.
- (١١) يرعد: تناله الرعدة، أي: الفزع والخوف، وأراد ذلك للتهويل والتعظيم. والتنوِيل: العطاء، وهنا الأمان والعفو.

- حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي، لَا أَنَا زَعُهُ
لِذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّمُهُ
مِنْ خَادِرٍ مِنْ لُيُوثِ الْأَسَدِ مَسْكَنُهُ
إِنْ الرَّسُولَ لَسَيُفِّ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشِفَ
شَمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
لَا يَقَعُ الطُّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ
- (١) فِي كَفِّ ذِي نِقَمَاتٍ، قِيلَهُ الْقَيْلُ
وَقِيلَ: إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ
يَبْطِنُ عَشْرَ غَيْلٍ دُونَهُ غَيْلٌ
مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مُسْلُولٌ
يَبْطِنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُؤَلُوا
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا يَمِيلُ مَعَاذِيلُ
مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَائِيلُ
قَوْمًا، وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا^(٨)
وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٩)
- شرح ديوان كعب بن زهير للسكري، ص ٦ - ٢٥.
- جمهرة اشعار العرب، ص ٦٣٢ - ٦٤١.
- منح المدح لابن سيد الناس، ص ٢٥٧ - ٢٦٢.

- (١) لَا أَنَا زَعُهُ: لَا أَخَالَفُهُ. ذِي نِقَمَاتٍ: صَاحِبُ سَطْوَةٍ وَقُوَّةٍ. وَقِيلَهُ الْقَيْلُ: أَيُّ قَوْلِهِ هُوَ الْقَوْلُ النَّافِذُ.
(٢) أَهْيَبُ: أَرْهَبُ. وَمَنْسُوبٌ: أَيُّ مَنْسُوبٍ لَكَ أُمُورٌ أَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهَا.
(٣) الْخَادِرُ: الْأَسَدُ فِي خَدْرِهِ. وَلُيُوثُ الْأَسَدِ: أَقْرَاهَا. وَعَشْرُ: مَكَانٌ تَكَثَّرَ فِيهِ السَّبَاعُ. وَالْغَيْلُ: الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ، أَيُّ أَجْمَةِ الْأَسَدِ. يَرِيدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْيَبُ عِنْدَهُ مِنْ أَسَدٍ خَادِرٍ...
(٤) يُسْتَضَاءُ بِهِ: يَهْتَدَى بِهِ، لِأَنَّهُ سَيْفٌ هَدَايَةٌ لَا سَيْفٌ ضَلَالٍ، وَالْمَهْنَدُ: السَّيْفُ الْمَصْنُوعُ بِالْهِنْدِ. وَهُوَ أَفْضَلُ السُّيُوفِ وَأَجُودُهَا.
(٥) الْفِتْيَةُ: الْعَصْبَةُ، وَالْجَمَاعَةُ. وَقَائِلُهُمْ: لَعَلَّهُ قَصْدُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَزُؤَلُوا: انْتَقَلُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَيَعْنِي بِذَلِكَ الْهَجْرَةَ.
(٦) زَالُوا: هَاجَرُوا، فَمَا زَالَ: فَمَا هَاجَرَ. وَالْأَنْكَاسُ: جَمْعُ نَكَسٍ، وَهُوَ الضَّعِيفُ. وَالْكَشْفُ: الَّذِينَ يَنْهَزُمُونَ وَلَا يَثْبُتُونَ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْكَشْفِ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَرَسَ مَعَهُ فِي الْحَرْبِ. وَالْمِيلُ: جَمْعُ الْأَمِيلِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسُنُ رُكُوبَ الْخَيْلِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَيُّ: أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ عَلَى السَّرِجِ. وَالْمَعَاذِيلُ: جَمْعُ مَعْزُولٍ، وَهُوَ مَنْ لَا سِلَاحَ لَهُ. وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هَاجَرُوا أَقْوِيَاءَ لَا ضَعْفَاءَ، هَاجَرُوا عَنْ رَغْبَةٍ، لَا مِنْ رَهْبَةٍ أَوْ خَوْفٍ.
(٧) الْعَرَانِينَ: جَمْعُ الْعَرْنَيْنِ، وَهِيَ الْأَنْوَفُ، وَتَكُونُ أَطْرَافُ الْأَنْوَفِ. وَالشَّمُّ: جَمْعُ الْأَشْمِ، وَهُوَ الْمَرْتَفِعُ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْإِبَاءِ وَالْأَنْفَةِ. وَاللَّبُوسُ: اللَّبَاسُ. وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ: مَنْ صَنَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالْهَيْجَا: الْحَرْبُ. وَالسَّرَائِيلُ: الدَّرُوعُ.
(٨) بَالَتْ: أَصَابَتْ. وَالْمَجَازِيْعُ: جَمْعُ الْمَجْزَاعِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْخَوْفِ. وَنِيلُوا: أَصَابُوا.
(٩) حِيَاضُ الْمَوْتِ: مَوَارِدُ الْهَلَاكِ. وَتَهْلِيلُ: جَبْنٌ وَفَرَارٌ، وَتُسَمَّى هَذِهِ الْقَصِيدَةُ «بِالْبَرْدَةِ» لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ خَلَعَ بَرْدَتَهُ عَلَيْهِ.

٥ - قصيدة مُتَمِّم بن نُؤَيْرَةَ اليربُوعِيّ^(١) في رثاء أخيه مالك^(٢)

(من الطويل)

لَعَمْرِي وما دَهْرِي بتأبين هَالِكٍ ولا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا^(٣)
لقد كَفَّنَ المِنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ، أَرْوَعَا^(٤)
ولا بَرَمًا تُهْدِي النِّسَاءُ لِعَرْسِهِ إِذَا القَشْعُ مِنْ حَسِّ الشِّتَاءِ تَفَقَّعَا^(٥)
لَيْبٌ أَعَانَ اللَّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ خَصِيبٌ إِذَا مَا رَاكِبُ الجَذَبِ أَوْضَعَا^(٦)

(١) متمم بن نؤيرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل، شاعر فحل، لم يؤثر عنه شعر إلا بعد أن قتل أخوه مالك، كان متمم من أشراف قومه، سكن المدينة في أيام عمر رضي الله عنه. يقال أن متمم بن نؤيرة دخل على عمر بن الخطاب، فقال له: أنشدني بعض ما قلت في أخيك، فأنشدته من قصيدته هذه، فقال عمر: يا متمم لو كنت أقول الشعر لسرتني أن أقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلت في أخيك، قال متمم: يا أمير المؤمنين! لو قتل أخي قِتْلَةً أخيك ما قلت فيه شعراً أبداً، فقال عمر: يا متمم! ما عزاني أحدٌ في أخي بأحسن مما عزيتني به. توفي سنة ٣٠ هـ / ٦٥٠ م. انظر ترجمته: طبقات الشعراء، ص ٤٨ - ٤٩. والشعر والشعراء ص ١٩٢ - ١٩٥. والمفضليات ص ٢٦٣ - ٢٧٣. وجمهرة أشعار العرب، ص ٥٩٤. والأعلام ٢٧٤/٥.

(٢) مالك بن نؤيرة، أبو حنظلة، فارس شاعر، كان وسيماً، يقول متمم: لقد أسرتني بنو تغلب في الجاهلية، بلغ ذلك أخي مالكا فجاء ليفدني فلما رآه القوم، أعجبهم جماله، وحذّتهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداء. وكان مالك فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه، يضرب به المثل، «فتى ولا كمالك»، أدرك الإسلام، وأسلم، ولاه الرسول ﷺ صدقات قومه بني يربوع، ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر رضي الله عنه، اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرقها، ويقال إنه ارتد، فأمر خالد بن الوليد ضرار بن الأزور الأسدي بقتله، فقتله في الردة، وقتل من قومه مقتلة عظيمة، وتزوج امرأته، ويقال: إن سحق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على خالد بن الوليد كان لهذا السبب. قتل مالك سنة ١٢ هـ / ٦٣٤ م. انظر ترجمته في المصادر السابقة. والأعلام ٢٦٧/٥. ومنح المدح ص ٢٩٧.

(٣) دهري: همي، تقول: ما دهري بكذا: أي همي وإرادتي وعادتي. والتأبين: مدح الميت. أي أقسم

بعمرى إن دهري غير معني برثاء أخي مالك، ولا هو بمشفق علي لما أصابني من ضرباته المؤلمة.

(٤) المنهال: هو ابن عصمة الرياحي، كفن مالكا، ألقى ثوبه على مالك بعد قتله ليستره. وغير مبطان

العشيات: لا يعجل بالعشاء، ينتظر الضيفان، والأروع: الذي إذا رأيته راعك بجماله وحسنه.

(٥) البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لفقره أو نحو ذلك. وتهدي النساء: أي أنه ليس ممن تعطي

النساء زوجه لحماً في شدة الشتاء، أي: أنه يعمل ويكسب، ويقوم على زوجته ويكفيها مؤنتها في كل

حال. والقشع: بيت من جلد.

(٦) الخصيب: الرحب الفناء، السهل السخي، كثير العطاء. وأوضع: أسرع: أي إذا ما أتاه مجذب مسرع

وجده خصيباً.

تَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
ويوماً إِذَا مَا كَطَّكَ الْخَضَمُ إِنْ يَكُنْ
وإِنْ ضَرَسَ الْغَزْوُ الرُّجَالَ رَأَيْتُهُ
وَمَا كَانَ وَقَافاً إِذَا الْخَيْلُ أَجَحَمَتْ
وَلَا بِكَهَامٍ بَزُهُ عَيْنُ عَدُوِّهِ
فَعَيْنِي هَلَّا تَبْكِيَانِ لِمَالِكٍ
وَضَيْفٍ إِذَا أُرْغَى طُرُوقاً بِعَيْبَرِهِ
وَأَرْمَلَةٍ تَمْشِي بِأَشْعَثِ مُحْتَلٍ
أَبَى الصَّبْرَ آيَاتُ أَرَاهَا وَأَنْنِي

إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِي السَّوْمَ مَطْمَعاً^(١)
نَصِيرَكَ مِنْهُمْ لَا تَكُنْ أَنْتَ أَضْيَعاً^(٢)
أَخَا الْحَرْبِ صَدَقاً فِي اللَّقَاءِ سَمِيدَاعاً^(٣)
وَلَا طَائِشاً عِنْدَ اللَّقَاءِ مُدْفَعاً^(٤)
- إِذَا هُوَ لَا قَى - حَاسِراً أَوْ مُقْنَعاً^(٥)
إِذَا أَذْرَتْ الرِّيحُ الْكَئِيفَ الْمَرْفَعاً^(٦)
وَعَانِ ثَوَى فِي الْقِدِّ حَتَّى تَكْنَعاً^(٧)
كَفَرَّخِ الْحَبَارَى رَأْسُهُ قَدْ تَضَوَّعاً^(٨)
أَرَى كُلَّ حَبَلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعاً^(٩)

(١) كصدر السيف: أراد به السيف نفسه. وأنه صارم ماض كالسيف، يهرع للطاء والنجدة، إذا ما بخل الآخرون بما لهم.

(٢) كَطَّكَ: بلغ منك غاية الغم، حتى يقطعك عن الكلام، يقول: إذا ما قام مالك إلى جانبك وأنجذك، فإنه لا يضيع حقك، ولن تبقى مظلوماً.

(٣) ضرس: كدح وأثر فيهم. والصلب: والسميدع: الجميل الشجاع المديد القامة.

(٤) أجحمت: جبت وكفت. أراد بالخيل أصحابها. وقافاً: غير متراجع أو منهزم. والمدفع: المدفوع يرغب عن حضوره لجبنه. أي: أنه لا يهرب خوفاً من الموت، بل يقاتل ببسالة إذا ما جبن الفرسان.

(٥) الكهام: الجبان. والكهام: الكليل، أي ليس سلاحه بكتليل عن عدوه. والبرز: السلاح، والحاسر: الذي لا سلاح عليه. والمقنع: لا يس السلاح والألمة.

(٦) أذرت: ألفت. والكئيف: حظيرة من شجر تجعل للإبل تقيها من البرد. والمرفع: المرفوع. يقول: هلا تبكيان لمالك في ذلك الوقت لشدة الخلة وإطعامه الناس.

(٧) أرغى بعيره: إذا ضل الرجل أرغى بعيره، أي: حمله على الرغاء، لتجبيه الإبل برغائها، أو تنبج لرغائه الكلاب، فيقصده الحي. والعاني: الأسير، وثوى: أقام. والقيد: السير من الجلد، أراد القيد. وتكنع: تقبض، يعني حتى يمس القيد على جلده. وهنا يتحسر ويكي عليه لنجدته الضعيف الضائع، والأسير المقيد.

(٨) الأرملة: التي مات زوجها. والأشعث: المتلبد الشعر، عني به ولدها. والمبطل: الذي أسىء غذاؤه، والحبارى: ضرب من الطير. وتضوع: تفرق، أراد شعره. وهنا يكي عليه لنجدته المرأة التي تحمل وليدها الهزيل.

(٩) الآيات هنا: آثار كرمه التي عدّها في قصيدته قبل هذا البيت. يقول: لا صبر مع ما أراه من آثارك ومعالمك، فإني أذكرك إذا رأيته.

وَأَنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَسْمِكَ لَا تُجِبْ
وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا
وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَزِيمَةَ حِقْبَةٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ
سَفَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكِ
وَأَنزَرَ سَيْلَ الْوَادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ
فَمُجْتَمِعَ الْأَسْدَامِ مِنْ حَوْلِ شَارِعِ
فَوَاللَّهِ مَا أُسْقِي الْبِلَادَ لِحُبِّهَا

وَكُنْتُ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسَمِعَا^(١)
أَصَابَ الْمَنِيَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَعَا^(٢)
لِطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا^(٣)
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا^(٤)
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي جِينَ وَدَّعَا^(٥)
وَجَوْنٌ يَسُحُ الْمَاءَ حَتَّى تَرِيَعَا^(٦)
ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا^(٧)
تُرْشُحُ وَسَمِيًّا مِنَ النَّبْتِ خِرْوَعَا^(٨)
فَرَوَى جِبَالِ الْقَرِيَتَيْنِ فَضْلَفَعَا^(٩)
وَلَكِنِّي أُسْقِي الْحَبِيبَ الْمُودَّعَا^(١٠)

(١) في هذا البيت يتألم ويتحسر، ويقول: إني أناديك فلا تجيب، وكنت نهرع من قبل إلى نجلتي ولاجأتي.

(٢) كسرى: ملك الفرس. وتبع: لقب لملوك اليمن.

(٣) لطول اجتماع: بعد طول اجتماع. وقد جاءت اللام بمعنى بعد. أي: أن سعادتهما التي كانت زالت، ولم يعد لها أثر.

(٤) الندمان: النديم. أراد مالكا وعقيلًا ابني فارج بن كعب من بني القين بن جسر بن قضاة، نادما جذيمة الأبرش، حين ردا عليه ابن أخته عمرو بن عدي، فحكمهما فاختارا منادمتهم، فكانا نديمييه دهرًا، ثم قتلها.

(٥) إذا كانت الأيام قد فرقت بينهما، فإن عزاءه أن أخاه لم يذم بل كان محموداً كريماً.

(٦) السنا: ضوء البرق. والرباب: السحاب المتراكم، والجون: السحاب الأسود، والتريع: التردد والاضطراب، ويقال للسحاب: «يتريع» إذا كثر فصار متحيراً متردداً. وهذا البيت مرتبط بالذي يليه.

(٧) الذهاب: جمع ذهبة، وهي المطرة الغزيرة. والغوادي: التي تغدو بالمطر. والمدجئات: السحاب التي تأتي بالدجن، والدجن: تغطية السماء بالسحاب. وأمرع: أخضب وأتى بالخصب. وهنا يستسقي لقبر أخيه.

(٨) أثر: خص، والديمة: المطر يدوم أياماً بلا ريح. وترشح: تربي وتنمي. والوسمي: أول النبات. والخروج: اللين من كل شيء. يتمنى أن ينهمر المطر على قبر أخيه حتى ينبت النبات الطري.

(٩) الأسدام: جمع سلم: وهو الماء المندفن يتغير من طول المكث. وشارع والقريتان وضلفع: مواضع. وهنا يعين المواضع التي يتمنى أن ينهمر عليها المطر.

(١٠) أسقي: أدعو بالسقيا، أي: أنه لا يستدر السحاب لتخصب البلاد التي ينزل بها، بل أنه يستدره حباً بأخيه المدفون بقبوره فيها.

تَجِيئَتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِياً
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ مَالِكَ بَعْدَمَا
فَقُلْتُ لَهَا: طُولُ الْأَمْسَى إِذْ سَأَلْتَنِي
وَفَقَدْتُ بَنِي أُمِّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ
وَلِكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّماً
وغيرَني مَا غَالَ قَيْساً وَمَالِكاً
وَمَا غَالَ نَدْمَانِي يَزِيدَ، وَلَيْتَنِي
وإِنِّي وَإِنْ هَارَلْتَنِي قَدْ أَصَابَنِي
وَلَسْتُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَخَذَتْ نَكْبَةً
قَعِيدِكَ أَلَّا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً
فَقَضْرِكَ إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ

وَأَمْسَى تُرَاباً فَوْقَهُ الْأَرْضُ بُلْقَعاً^(١)
أُرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعاً^(٢)
وَلَوْعَةً حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعاً^(٣)
خِلَافَهُمْ أَنْ أُسْتَكِينَ وَأَضْرَعاً^(٤)
إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى الْحُرُوبَ تَكَعَّعاً^(٥)
وَعَمراً وَجَزْأً بِالشَّقْرِ الْمَعَا^(٦)
تَمَلُّتُهُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ أَجْمَعاً^(٧)
مِنْ الْبُتِّ مَا يُيَكِّي الْحَزْنَ الْمُفْجَعاً^(٨)
وَرَزْأً يَزْوَارِ الْقَرَائِبِ أَخْضَعاً^(٩)
وَلَا تَنْكُحِي قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَجْعاً^(١٠)
بَكْفِي عَنْهُمْ لِلْمَنِيَةِ مَدْفَعاً^(١١)

- (١) أرض بلقع: لا أحد بها ولا نبات. وهنا يحيي أخاه وإن كان بعيداً، وأمسى تحت التراب.
- (٢) ابنة العمري: قيل زوجته، أي تقول له: مالك شاحباً متغيراً بعد أن كنت منذ قريب ناعم البال أفرع.
- (٣) لوعة الحزن: حرارته. وأسفع: من السفعة، وهي سواد يضرب إلى حمرة.
- (٤) تداعوا: تبع بعضهم بعضاً. وخلافهم: بعدهم. والضرع: الذلة والاستكانة. يقول: على الرغم من حزني على من فقدتهم، فإني لم أجبن ولم أذل.
- (٥) التكمع: الرجوع والنكوص. أي: إني أتقدم وأسير إلى العدو لقتاله - على الرغم مما أصابني - عندما يتخلف فرسان المعارك عن القتال.
- (٦) غال: أهلك. قيس وعمر: رجلان من يربوع، وجزء: هوا بن سعد الرياحي، وهؤلاء قوم قتلهم الأسود ابن المنذر يوم أواره، ومالك: أخوه. والمشقر: حصن بالبحرين. والمعا: قيل أراد «معاً». ثم أدخل الألف واللام. وقيل: «المعا» يريد الذين معاً.
- (٧) يزيد: كان نديمه وابن عمه. وتملّته: عشت معه ملاوة من الدهر وتمتعت به. والملاوة: مدة العيش. وبالأهل: أي بدلاً من أهلي ومالي.
- (٨) البت: الحزن الشديد.
- (٩) القرائب: جمع قرابة. بمعنى القريب. والأخضع: الراضي بالذل. يعني أنه لا يأتي أقاربه عند النكبة مستجدياً.
- (١٠) قعيدك: أصله «قعيدك الله» وهو من إيمان العرب. كقولهم «نشدتك الله» ولا تنكحي: من قولهم «نكأت القرحة» إذا قشرتها. ويجمع: يوجع. يتوسل إليها ألا تثير جراحه حتى لا توجهه وتؤلمه.
- (١١) قصرك: أقلني وأقصري. وشهدت: يعني أنه حضر مصارعهم.

فَلَا فَرِحَا إِنْ كُنْتَ يَوْمًا بِغِبْطَةٍ
فَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى يُصِيبُ مُتَالِعَا
وَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمِ
يُذَكِّرُنَ: ذَا الْبَيْتِ الْحَزِينِ بِبَيْتِهِ
إِذَا شَارِفٌ مِنْهُنَّ قَامَتْ فَمَرَجَعَتْ
بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ قَامَ بِمَالِكَ
أَلَمْ تَأْتِ أَخْبَارُ الْمُحِلِّ سَرَاتِكُمْ
بِمَشْمَتِهِ إِذْ صَادَفَ الْحَنْفُ مَالِكَا
أَثَرَتْ هَذَا بِأَلِيَا وَسُوِيَّة
فِيَلَا تَفْرَحْنَ يَوْمًا بِنَفْسِكَ، إِنِّي
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَ مُلِمَةً
نَعَيْتَ أَمْرًا لَوْ كَانَ لَحْمُكَ عِنْدَهُ

وَلَا جَزِعَا مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا^(١)
أَوِ الرُّكْنِ مِنْ سَلَمَى إِذَا لَتَضَعُضَعَا^(٢)
أَصْبَنَ مَجْرًا مِنْ حَوَارٍ وَمَضْرَعَا^(٣)
إِذَا حَنْتِ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا
حَيْنًا فَأُبْكِي شَجْوَهَا الْبَرْكَ أَجْمَعَا
مُنَادٍ بِصِيرٍ بِالْفِرَاقِ فَأَسْمَعَا^(٤)
فِيَغْضَبُ مِنْكُمْ كُلُّ مَنْ كَانَ مُوَجَعَا^(٥)
وَمَشْهَدِهِ مَا قَدْ رَأَى ثُمَّ ضَيِّعَا^(٦)
وَجِئْتُ بِهَا تَعْدُو بِرِيدًا مُقَرَّعَا^(٧)
أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا
عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُوكَ أَجْدَعَا^(٨)
لَاوَاهُ مَجْمُوعَا لَهُ أَوْ مُمَزَّعَا^(٩)

(١) ويصرح - هنا - أنه أصبح فوق الأفراح والأفراح، لا يبالي بها.

(٢) متالع وسلمي: جبلان.

(٣) الأظار: جمع ظئر، وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له، من الناس والإبل. والزوائم: جمع رائم، وهن المحبات اللاتي يعطفن على الرضيع، والحوار: ولد الناقة، وجمعه حيران. والمجر والمصرع: مصدران من الجر والصرع.

(٤) البت: الحزن الشديد. يعني أن النياق اللواتي رأين مصرع الولد الذي يرضعنه، فأخذن يرسلن الأصوات البعيدة، فتجيبها الإبل، ليست بأشد حزنًا وجزعًا منه حين نودي بنعي أخيه. والشارف: المسنة من الإبل، وإنما خصها لأنها أرق من الفتية، والبرك: الألف من الإبل. وبأوجد: بأشد وجدًا.

(٥) المحل: هو ابن قدامة بن أسود بن أوس بن الحمرة... من يربوع... مر بمالك بن نيرة مقتولاً فنعاه كأنه شامت.

(٦) بمشمتة: يعني شماتة المحل بمقتل مالك.

(٧) الهدم: الكساء الخلق. والسوية: كساء محشو بليف أو غيره. والمقرزع: السريع الخفيف. أراد أن المحل ضنّ بثيابه أن يكفن فيها مالكا، وأتى مسرعاً يخبره، كمجيء البريد.

(٨) الأجدع: المقطوع الأنف. والأقطع: المقطوع الأذن.

(٩) الممزق: الممزق، أو المفرق.

فلا يَبْخِيءِ الْوَأَشِيْنَ مَقْتُلُ مَالِكِ فقد أَبَ شَانِيهِ إِيَاباً فَوَدَّعَا^(١)

- المفضليات، ص ٢٦٣ - ٢٧٠.

- جمهرة أشعار العرب، ص ٥٩٤ - ٦٠٣.

٦ - قصيدة الحطيئة^(٢) في هجاء الزُّبْرَقَانِ بن بدر

(من البسيط)

وَاللَّهِ مَا مَعَشَرُ لَامُوا أَمْرَةً جُنُباً فِي آلِ لَأْيٍ بَنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ^(٣)
عَلَامٌ كَلَّفْتَنِي مَجْدٍ أَبْنِ عَمَّكُمْ وَالْعَيْسُ تَخْرُجُ مِنْ أَعْلَامٍ أَوْطَاسٍ^(٤)

(١) الشانئ: المبغض، وسهلت الهمزة هنا.

(٢) الحطيئة لقب لقب به، واسمه جَرْوَلُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ مَالِكِ الْعَبْسِيِّ مِنْ مَضَرَ، يَكْنَى: أَبَا مُلَيْكَةَ، وَهُوَ مِنْ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ، وَمُتَقَدِّمِيهِمْ وَفَصَحَائِهِمْ، مُتَصَرِّفٌ فِي جَمِيعِ فُنُونِ الشُّعْرِ مِنَ الْمَدِيحِ، وَالْهَجَاءِ وَالْفَخْرِ وَالنَّسِيبِ، مُجِيدٌ فِي ذَلِكَ أَجْمَعِ، وَكَانَ ذَا شَرِّ وَتَفَهٍّ، وَنَسَبُهُ مُتَدَافِعٌ بَيْنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَكَانَ يَنْتَمِي إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِذَا غَضِبَ عَلَى الْآخَرِينَ. وَهُوَ مُخَضَّرٌ. أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ، لَمْ يَسْلَمْ مِنْ لِسَانِهِ أَحَدٌ، حَتَّى إِنَّهُ هَجَا أُمَّهُ... كَانَتْ تَخْشَاهُ الْقَبَائِلُ وَقِيلَ: إِنَّهُ حِينَ قَدَّمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَتْ لَهُ قَرِيشَ الْعَطَايَا خَوْفاً مِنْ شَرِّهِ... مَاتَ سَنَةَ ٤٥ هـ / ٦٦٥ م.

أما قصيدته هذه، فقد هجا بها الزُّبْرَقَانَ، ومدح بغيضاً، فشكاه الزُّبْرَقَانُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَسْمَعُ هَجَاءً، وَلَكِنَّهَا مَعَاتِبَةٌ، فَقَالَ الزُّبْرَقَانُ: أَوْبَمَا تَبْلُغُ مَرُوءَتِي إِلَّا أَنْ أَكُلَ وَالْبَسَا فَقَالَ عُمَرُ: عَلِيٌّ بِحَسَانٍ، فَجِيءَ بِهِ فَسَّالَهُ، فَقَالَ: لَمْ يَهْجُجْهُ وَلَكِنْ سَلَحَ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ سَأَلَ لِيَبْدَأَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا يَسْرُنِي أَنَّهُ لَحَقَنِي مِنْ هَذَا الشُّعْرِ مَا لَحَقَهُ، فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ فَجُعِلَ فِي تَقْيِيرِ فِي بَثْرِ ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَقَالَ أُبَيَّاتًا يَسْتَعْطِفُ فِيهَا الْخَلِيفَةُ مِنْهَا:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بَنِي مَرْخٍ زَغَبَ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ
الْقَيْتِ كَاسِبِهِمْ فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ

فَأَخْرَجَهُ: وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ وَهَجَاءُ النَّاسِ. قَالَ: إِذَا يَمُوتُ عِيَالِي جَوْعاً... وَيُقَالُ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَرَى مِنْهُ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ. انْظُرْ تَرْجَمَتَهُ: طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ، ص ٢٠ - ٢٥. وَالشُّعْرَاءُ وَالشُّعْرَاءُ، ص ١٨٠ - ١٨٧. وَالْأَغَانِي ٢/ ١٥٧ - ٢٠١. وَالزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ التَّمِيمِيِّ السَّعْدِيُّ صَحَابِيٌّ. وَقِيلَ اسْمُهُ الْحَصِينُ وَلَقَّبَ بِالزُّبْرَقَانِ (وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْقَمَرِ) لِحَسَنِ وَجْهِهِ وَوَلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ، فَنُبِتَ إِلَى زَمَنِ عُمَرَ، وَكَفَّ بَصْرَهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٤٥ هـ / ٦٦٥ م. (الأعلام ٤١/٣).

(٣) الجنب: الغريب. يقول: لَامُونِي فِي مَدْحٍ هَؤُلَاءِ فَمَا أَصَابُوا. أَي: مِنْ لَامَنِي عَلَى مَدْحِ بَيْضِ فُلَيْسٍ بِكَيْسٍ لِإِحْسَانِهِمْ إِلَيَّ.

(٤) الأعلام: الجبال. وأوطاس: اسم موضع.

ما كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٌ لَا أَبَا لَكُمْ
لَقَدْ مَرَيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ
وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمْدًا لِأَرْشِدِكُمْ
وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ إِعْشَاءَ صَادِرَةٍ
فَمَا مَلَكَتُ بِأَنَّ كَانَتْ نُفُوسُكُمْ
لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ غَيْبٌ أَنْفُسِكُمْ
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ
أَنَا ابْنٌ بَجَدْتَهَا عِلْمًا وَتَجَرِبَةً
فِي بَائِسٍ جَاءَ يَخْدُو آخِرَ النَّاسِ^(١)
يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِسَاسِي^(٢)
كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتَحِي وَإِمْرَاسِي^(٣)
لِلخُمْسِ طَالَ بِهَا حَبْسِي وَتَنْسَاسِي^(٤)
كَفَارِكِ كَرِهَتْ ثُوبِي وَالبَاسِي^(٥)
وَلَمْ يَكُنْ لَجِرَاحِي مِنْكُمْ آسِي^(٦)
وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ^(٧)
فَسَلْ يَسْعِدُ تَجِدْنِي أَعْلَمَ النَّاسِ^(٨)

(١) لا أبا لكم، ولا أم لك: قيل كلمة تستحسنها العرب. فلا أبا لك: مدح، ولا أم لك: ذم. ويقول الزوزني في شرح المعلقات السبع ص ٧٤: لا أبا لك: كلمة جافية لا يراد بها الجفاء. وإنما يراد بها التنبيه والإعلام. والبائس: أراد نفسه. والبائس الفقير. ويحدو: يسوق. يقول: أصابت الناس سنة شديدة، وكان الحظيئة فيمن انحدر مع الناس. فلم يكن به من القوة أن يكون في أول الناس.

(٢) مريتك: طلبت ما عندكم، وأصله من: مَرَيْتُ الناقة. وهو أن يمسح ضرعها لتدر. والذرة والذر: اللبن. والإيساس: صوت تسكن به الناقة عند الحلب، تقول: بُسُّ بُسٍّ. والمعنى: طلبت ما عندكم من سيب ونائل فأبيت علي: يقول: قد داريتكم ومدحتكم لتدروا علي بخير فأيتتم.

(٣) المتع: استسقاء الماء بكرة. والإمراس: أن يزول الحبل عن مجراه من البكرة فيرد إليه. يريد: مدحتكم ليكون مدحي لكم خالصاً. دون غيركم، فأيتتم.

(٤) نظرتكم: انتظرتكم. وإعشاء: جمع عشاء، يقال: إبل عاشية: إذا كانت تُعَشَّى. وصادرة للخمس: أي صدرت، وكان ظمؤها خيمساً فهي تُعَشَّى عشاءً طويلاً، والخمس: أن تُعَفَّى الإبل أربع ليال لا تشرب، وترد يوم الخامس. يقول: انتظرتكم مثل عشاء هذه الإبل. والتتناس: تفعال من النَّس. وهو السوق الشديد. ويقال: العطش، تقول: نسّه العطش: إذا بلغ منه الجهد من العطش. والمعنى: انتظرت خيركم كما ينتظر الضيف مجيء الإبل الراجعة من الشرب، بعد أن أبطأت في المرعى، وقال ذلك لإبطائهم بخيرهم.

(٥) الباء في بأن زائدة، والفارك: المرأة المبغضة لزوجها. كرهت ثوبي: كرهت أن تدخل معي في ثوبي وأن تدخلني في ثوبها. والمعنى: لم أملك بغضكم، فأجعله حباً، فأنتم في ذلك كحال الفارك لزوجها.

(٦) غيب أنفسكم: أي لما ظهر لي ما كان غائباً في أنفسكم من البغض لي، ولم يكن فيكم مصلح لما بي من الفساد وسوء الحال. والآسي: المداوي.

(٧) أزمت: عزمت وصممت.

(٨) ابن بجدة الأمر: أي هو عالم به. وبجدة الأمر: باطنه وحقيقته.

ما كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٌ أَنْ رَأَى رَجُلًا
جَارٌ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنْزِلِهِ
مَلُّوا قِرَاءَهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا
وَأَبْعَثْ يَسَارًا إِلَى وَفْرِ مُذَمِّمَةٍ
مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ
مَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ فَلْتُ مَعَاوِلَكُمْ
قَدْ نَاضَلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كِنَانَتِهِمْ

- ديوان الحطيطية برواية وشرح ابن السكيت، ص ٤٤ - ٥٣ .
- ديوان الحطيطية برواية وشرح أبي سعيد السكري، ص ١٠٥ - ١٠٩ .

٧ - من قصيدة لكعب بن مالك الخزرجي^(٩)

يناقض بها ضرار بن الخطاب يوم بدر

(من الطويل)

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا أَرَادَ، لَيْسَ لِيْلَهُ قَاهِرٌ

- (١) المستور: المكان الوعر. والشاسيء بالهمز: الوعر، الغليظ، والمعنى: لم يكن ذنب بغيض عند الزبرقان إلا أنه دعاني فأحسن إليّ لأنه رأي ضائعاً في مكان وعر قاحل فأعاني.
- (٢) الهون: الهوان. والمذلة.. وغادروه: خلفوه. والأرامس: القبور. يقول: كنت بينكم كاني بين موتى.
- (٣) هرته كلابهم: ضجروا به، وجرحوه: أساءوا إليه وآذوه. وقيل: أكلوا لحمه غيبة والمقصود آل الزبرقان. وهرته الكلاب: نبخته، كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم.
- (٤) الطاعم: الحسن الحال في المطعم، أي أنك ترضى بأن تشيع وتلبس، وكسي الرجل بكساء: إذا اكتسى.
- (٥) يسار: عبد الزبرقان، أو هو راعي إبله. والوفر: السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شيء، ومذمة: يذمها الأضياف والجيران. وأحجج إليها: أي: أرحل إليها. والعركان: الضاغطان يكونان تحت إبطي البعير. والقنعاس: الشديد. يقول: ابعت يساراً ليأتيك بالسقاء المذمة التي لا يسقى منها الضيفان ولا الجيران. والمراد: أن هذا هو عملكم دون المكارم.
- (٦) الجوازي: جمع جازية أو جاز أوجزاء. والعرف: المعروف.
- (٧) فلّنت: ثلّمت. والصفاة: الصخرة الملساء، أي: صارت معاولكم لا تعمل في صفاة آل بغيض، يقول: ما كان ذنبي، فأني مدحت هؤلاء لأنهم أشرف منكم ولهم مجد راس لا تطبيقون إزالته.
- (٨) المناضلة: المفاخرة والمرامة، أي لما رميت ورموا فلجوا عليك، وجاءوا بما لم تحيء به، كأنهم فآخروه، فرجحوا عليه بآبائهم وأجدادهم. والنكس من السهام: المنكوس: الذي جعل أعلاه أسفله فهو ضعيف أبداً.
- (٩) هو كعب بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد من الخزرج. من شعراء الرسول ﷺ، نافح عنه بالشعر=

قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلَاقِيْ مَعْشَرًا
وَقَدْ جَشَدُوا، وَاسْتَفَرُّوا مِنْ يَلِيهِمْ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تَحَاوِلْ غَيْرَنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ، وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلُّ مَجَاهِدٍ
شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَقَدْ عَرِيتْ بِيضُ خِفَافٍ كَأَنَّهَا
بِهَنْ أَبْذَنَّا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا
فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا لَوَجْهِهِ
وَشِيئَةً وَالتَّيْمِيُّ غَادَرَنَ فِي الْوَعْدِ
فَأَمْسَوْا وَقَوْدُ النَّارِ فِي مَسْتَقَرِّهَا

بَغَوْا وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرٌ
مِنَ النَّاسِ، حَتَّى جَمَعَهُمْ مَتَكَائِرُ
بِأَجْمَعِهَا: كَعَبٌ جَمِيعًا، وَعَامِرُ
لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ غَرِيْزٌ وَنَاصِرُ
يُمَشُّونَ فِي الْمَآذِي، وَالنَّقْعُ ثَائِرُ^(١)
لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ
مُقَابِيسٍ يُزْهِيْهَا لِعَيْنِكَ شَاهِرُ^(٢)
وَكَانَ يَلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
وَعُتْبَةٌ قَدْ غَادَرَتْهُ وَهُوَ عَائِرُ^(٣)
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرُ
وَكَأَنَّ كُفُورَ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ

= والسيف. ألبسه النبي ﷺ لأمته، أي درعه، يوم أحد، ولبس عليه السلام لامة كعب، فجرح كعب أحد عشر جرحاً، وكان كعب عثمانياً، وله مرات في عثمان بن عفان رحمه الله. دعا الأنصار لنصرتهم قبل قتله، روى بعض الأحاديث عن الرسول ﷺ، عاش سبعا وسبعين سنة، توفي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م. انظر: الأغاني ١٦/ ٢٢٦ - ٢٤٠. ومنع الملح لابن سيد الناس، ص: ٢٧٠ - ٢٧٤. وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٢٣ - ٥٣٠. والأعلام ٥/ ٢٢٨.

وفي هذه القصيدة يناقض ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري (فارس شاعر، صحابي. قاتل المسلمين يوم أحد والخلدق، أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة ولم يكن في قريش أشعر منه، استشهد سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م) (الأعلام ٣/ ٢١٥) الذي توعد المسلمين بجولة أخرى بعد بدر في السنة الثانية للهجرة، منكرًا على الأنصار فخرهم بانتصارهم، عازيًا سبب الانتصار إلى قيادة الرسول ﷺ ومن معاه من المهاجرين، لا إلى بطولة الأنصار من حول الرسول ﷺ، وقصد ضرار واضح تمامًا، فهو يريد أن يحول النصر الذي حققه المسلمون - أنصارهم ومهاجروهم - إلى قريش التي ينتمي إليها الرسول ﷺ والمهاجرون، ليجرد الأنصار من هذه الفضيلة. (كعب بن مالك الأنصاري، شاعر العقيدة الإسلامية للدكتور سامي مكِّي العاني، ص ١٠٣).

(١) المآذِي: السلاح المجلو.

(٢) المقابيس: مفردا المقباس، وهو شعلة النار. ويزهيا: يشعلها.

(٣) غادرته: أي السيوف.

وكان رسول الله قد قال: أقبلوا فلوئأ، وقالوا: إنما أنت ساحرٌ
لأمرٍ أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمرٍ حمهُ الله زاجرٌ^(١)
- السيرة النبوية ١٤/٣ - ١٥.

- كعب بن مالك الأنصاري - شاعر العقيدة الإسلامية، ص ٩٧ - ٩٨ - ١٠٥.

٨ - من همزية حسان بن ثابت الأنصاري^(٢)

في مدح الرسول ﷺ، وفي هجاء أبي سفيان

(من الوافر)

عِدْمَنَا خَيْلَنَا، إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ، مَوْعِدُهَا كَدَاءُ^(٣)
يُبَارِينَ الْأَعْنَةَ مُضْعِدَاتٍ، عَلَى أَكْتَفِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ^(٤)
تَظُلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطَّرَاتٍ، تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ^(٥)
فَإِمَّا تُعْزِرُوهَا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ^(٦)
وَالَا، فَاصْبِرُوا لِجَلَادِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ^(٧)

(١) حمهُ الله: قضاه. وزاجر: راد.

(٢) حسان بن ثابت (الأنصاري) بن المنذر... بن النجار، أبو الوليد، صحابي، شاعر الرسول ﷺ، وهو من المخضرمين، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، كان من سكان المدينة، مدح المناذرة والغساسنة، أسلم مع الأنصار بعد الهجرة. يختلف شعره الجاهلي عن شعره الإسلامي، نافع عن الرسول ﷺ ضد المشركين، وقال النبي ﷺ: «ولا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق». توفي سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م في خلافة معاوية، انظر ترجمته في: السيرة النبوية. وطبقات الشعراء، ص ٥٢ - ٥٤. والشعر والشعراء، ص ١٧٠ - ١٧٤. والأغاني ١٣٤/٤ - ١٦٩ و ١٥٧/١٥ - ١٧٣. وسير أعلام النبلاء ٥١٢/٢ - ٥٢٢. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة كان من الشعراء المطبوعين، وكان في جاهليته يؤذي الرسول ﷺ ويهجو، ثم أسلم وحسن إسلامه، واعتذر للرسول ﷺ مما فرط منه.

وفي هذه القصيدة يمدح حسان رضي الله عنه المصطفى ﷺ وذلك قبل فتح مكة، ويهجو أبا سفيان، وكان هجا النبي ﷺ قبل إسلامه. (الديوان ص ٥٧).

(٣) النقع: الغبار. وكداء: الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر. وفي الحديث أنه دخل مكة عام الفتح من كداء. وجملة عدمننا: دعائية.

(٤) يبارين: يجارين الأعنة في سرعة الانقياد. والأسل: الرماح.

(٥) متمطرات: مسرعات. والخمر: الواحد، خمار: ما تغطي به المرأة رأسها.

(٦) اعتمرنا: أدينا العمرة، وهي، زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة.

(٧) الجلاذ: التضارب بالسيف في القتال.

وَجِبْرِيلَ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا
 وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
 شَهِدْتُ بِهِ، فَقُومُوا صَدِّقُوهُ!
 وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا
 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍ
 فَنُحَكِّمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا،
 أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي
 بِأَنْ سَيُوفِنَا تَرَكَّتْكَ عَبْدًا
 هَجَوْتَ مُحَمَّدًا، فَأَجَبْتُ عَنْهُ
 أَتَهْجُوهُ، وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ
 هَجَوْتَ مُبَارَكًا، بَرًّا، حَنِيفًا
 فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي
 فَإِمَّا تَتَّقِنَ بَنُو لُؤَيٍّ

وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ^(١)
 يَقُولُ الْحَقُّ إِنَّ نَفَعَ الْبَلَاءِ^(٢)
 فَقُلْتُمْ: لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ^(٣)
 هُمْ الْأَنْصَارُ، عُرِضَتْهَا اللَّقَاءُ^(٤)
 سَبَابٌ، أَوْ قِتَالٌ، أَوْ هِجَاءٌ^(٥)
 وَنَضْرِبُ جَيْنَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ^(٦)
 فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَجَبٌ هَوَاءُ^(٧)
 وَعَبْدَ الدَّارِ سَادَتْهَا الْإِمَاءُ^(٨)
 وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
 فَشَرُّكُمْ مَا لَخِيرُكُمْ مَا الْفِدَاءُ
 أَمِينُ اللَّهِ، شِيَمَتُهُ الْوَفَاءُ
 وَيَمْدَحُهُ، وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
 لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ^(٩)
 جُذَيْمَةَ، إِنَّ قَتْلَهُمْ شِفَاءُ^(١٠)

(١) وروح القدس: هو جبريل عليه السلام، لأن القدس الطهارة وهو من الطهارة خلق. الكفاء: النظير.

(٢) عبداً: يعني الرسول ﷺ. والبلاء: الامتحان والاختبار.

(٣) شهدت به: آمنت وصدقت.

(٤) عرضتها: أي همتها وقوتها، يريد أن الأنصار أقوياء على القتال.

(٥) لنا: يعني معشر الأنصار، وقوله من معد: يريد قريشاً لأنهم عدنانيون.

(٦) نحكم: نمنع.

(٧) المجوف: الجبان لا قلب له، ومثله النخب والهواء.

(٨) عبداً: يريد أبا سفيان. وعبد الدار: بطن من قريش، قال لهم أبو سفيان في غزوة أحد: إنكم ضيعتم

اللواء يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم فادفعوا اللواء إلينا، فغضبوا له... ويقال إنه انتقل اللواء في غزوة

بدر إلى عدة أشخاص من عبد الدار، إلى أن أخذه عبد لهم أسود يسمى صوال فقتل وهو في يده، ثم

أخذته امرأة منهم، فاجتمعوا حواله.

(٩) عرض الرجل: نفسه لا غير. وقيل: عرض الرجل، أسلافه وآبائه.

(١٠) تتقن: من ثقفه: أدركه وظفر به. وبنو لؤي: فاعله، وجذيمة: مفعوله.

أَوْلَيْكَ مَعْشَرَ نَصَرُوا عَلَيْنَا فَفِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءٌ^(١)
وَجِلْفُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ وَجِلْفُ قُرَيْظَةَ مِنَّا بَرَاءٌ^(٢)
لِسَانِي صَارُمْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تُكَذِّرُهُ الدَّلَاءُ^(٣)

- ديوان حسان بن ثابت، ص ٧١ - ٧٧.

- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص ٥٧ - ٦٦.

٩ - قصيدة ملك بن الريب التميمي^(٤) في رثاء نفسه^(٥)

(من الطويل)

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيَّنَّ لَيْلَةً بِجَنِبِ الْعَضَى، أَرْجِي الْقِلَاصِ النَّوَاجِيَا^(٦)

(١) نصرُوا علينا: أي نصرُوا أعداءنا.

(٢) الحارث: قاد بني المصطلق لیساعد قريشاً على حرب المسلمين في أحد، وكان من بين الأسرى جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار أم المؤمنين، وأسلم الحارث بعد ذلك. وقريظة هم بنو قريظة إخوة

النضير: حيان من اليهود. كانوا بالمدينة.

(٣) شبه لسانه بالسيف الصارم. وشبه شعره بالبحر الصافي الذي لا تكدره الدلاء.

(٤) هو من مازن تميم، وكان فاتكاً لصاً، نشأ في يادية بني تميم بالبصرة، وهو من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية، اشتهر في أوائل العصر الأموي، ويروى عنه أنه قطع الطريق مدة. ويقال: إن معاوية بن أبي سفيان استعمل سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان، فمضى سعيد بجندته في طريق فارس، فلقبه بها مالك بن الريب المازني، وكان من أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم ثياباً، فلما رآه سعيد أعجبه، وقال له: ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق؟ وما يدعوك إلى ما يبغني عنك من العبث والفساد وفيك هذا الفضل؟ قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتك واستصحبتك، أنكف عما كنت تفعل؟ قال: إي والله أيها الأمير، أنكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه، قال: فاستصحبه، وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر. وأخبره مع شظاظ الضبي وغيره من قطاع الطرق كثيرة. وقد توفي سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠ م. في مرو، وهي اليوم مدينة في الاتحاد السوفياتي واسمها ماري، منها خرج أبو مسلم الخراساني، فتحها العرب سنة ٦٥١ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء ص ٢٠٥ - ٢٠٧. والأغاني ٣٠٤/٢٢ - ٣٢٥. والأمال للقال ١٣٥/٣ - ١٣٩. والأعلام ٢٦١/٥.

(٥) يقال إنه ذهب في صحبة سعيد بن عثمان بن عفان، حينما سار بجندته في طريق فارس، حتى إذا أناخ الركب في بعض المنازل، نزل مالك للقيولة، ولما هموا بالرحيل أراد أن يلبس خفه، فلبسته أفعى كانت قد اندست فيه، فلما أحس بالموت أنشأ يرثي نفسه. ويقال: مكث مالك بخراسان، بعد مقتل سعيد، فقال يذكر مرضه وغربته. ومات في منزله، وقبره هناك معروف. ويقال: مات في خان، فثرته الجان لما رأت من غربته ووحده، ووضعت الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه... انظر: الأغاني ٣٢٣/٢٢ - ٣٢٤. والأمال للقال ١٣٥/٣. وقد أثرت وضع هذا الشاعر ضمن الشعراء الإسلاميين، وإن كان قد نظم هذه القصيدة في العصر الأموي.

(٦) الغنم: شجر ينبت في الرمل. وأزجي: أسوق. والقلاص والقلاص والقلاص والقلاص جمع =

فَلَيْتَ الْغَضَى لَمْ يَقْطَعْ الرِّكْبُ عَرْضَهُ
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَى، لودنا الْغَضَى
أَلَمْ تَرْنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَادِيْ بَعْدَمَا
لَعْمَرِي لَثْنُ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ***
فَلِلَّهِ دَرِي يَوْمَ أَتَرُكُ طَائِعاً
وَدَرُ الطَّبَّاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً
وَدَرُ كَسْبِيرِي اللَّذِينَ كَلَاهُمَا
وَدَرُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صِحَابَهُ
تَذَكَّرْتُ مِنْ يَبْكِي عَلَيَّ، فَلَمْ أَجِدْ
وَأَشْقَرَ خَنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ
وَلَيْتَ الْغَضَى مَاشَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا^(١)
مَزَارُ، وَلَكِنْ الْغَضَى لَيْسَ دَانِيَا^(٢)
وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَانَ غَازِيَا^(٣)
أَرَانِي عَنْ أَرْضِ الْأَعَادِيْ قَاصِيَا
لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا^(٤)
بَنِي بَاعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ، وَمَالِيَا^(٥)
يُخْبِرُنِي أَنِّي هَالِكٌ مِّنْ وَرَائِيَا^(٦)
عَلَيَّ شَفِيقٌ، نَاصِحٌ، قَدْ نَهَانِيَا
وَدَرُ لَجَاجَاتِي، وَدَرُ انْتِهَائِيَا^(٧)
سِوَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ الرُّدْنِيِّ بَاكِيَا^(٨)
إِلَى الْمَاءِ، لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا^(٩)

* * *

- = القُلُوص: الإبل الطويلة القوائم، وهي الشابة منها أو الباقية على السير. والنواجي: السُّراع.
- (١) فلَيْتَ الْغَضَى لَمْ يَقْطَعْ الرِّكْبُ عَرْضَهُ: أي لَيْتَهُ طَالَ عَلَيْهِمُ الاسْتِرَاحَإِلَهُ وَالشُّوق. وَالرِّكَاب: الإبل وجمعها الرِّكَاب. وَلَيْتَ الْخ: أي لَيْتَهُ طَاوَلَهُمْ.
- (٢) يَقُول: لَوْ دَرْنَا قَدَرْنَا أَنْ نَزُورَهُمْ، وَلَكِنْ الْغَضَى لَيْسَ يَدْنُو، وَهَذَا عَلَى التَّلْهُف.
- (٣) جَيْشُ ابْنِ عَفَانَ: يَعْنِي سَعِيدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ. يَقُول: بَعْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الْفَتْكِ وَالضَّلَالَةِ بِأَنْ صَرْتُ فِي جَيْشِهِ.
- (٤) غَالَهُ: أَهْلَكَهُ وَأَخَذَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي. وَالْهَامَةُ: الرَّأْسُ.
- (٥) لِلَّهِ دَرِي: كَلِمَةُ اسْتِحْسَانٍ اسْتَعْمَلَهَا هُنَا لِلتَّحْسُرِ. وَالرَّقْمَتَانِ: مَوْضِعٌ قَرِبَ الْبَصْرَةِ، كَانَ فِيهِ مَنْزَلُ الشَّاعِرِ. وَهَنَا: تَعَجَّبَ مِنْ نَفْسِهِ حِينَ اغْتَرَبَ عَنْ وَلَدِهِ وَمَالِهِ.
- (٦) الطَّبَّاءُ: النِّسَاءُ مِنَ أَهْلِهِ، كَنَّ قَدْ تَشَاءَمَ مِنْ سَفَرِهِ. وَإِنَّمَا أَنَّهُ يَقْصِدُ: الطَّبَّاءَ الَّتِي سَنَحَتْ وَجَاءَتْ مِنَ الْمِيَّاسِ إِلَى الْمِيَّامِنِ، وَهُوَ مَا كَانَتْ تَتِيحُنُ بِهِ الْعَرَبُ، وَهِيَ كَانَتْ خِدَاعَةً بِذَلِكَ، حَيْثُ تَدْبِرُ الشُّومَ وَالْهَلَكَ.
- (٧) وَهَنَا يَتَهَكَّمُ بِأَنْ مَطَامَعُهُ دَفَعَتْهُ إِلَى الْهَلَكَ، وَأَنْ الْمَوْتَ كَانَ انْتِهَاءَ مَطَامَعِهِ.
- (٨) يَقُول: كُنْتُ أَحْمَلُ السِّيفَ وَالرَّمْحَ، فَهَمَا خَلِيلَانِ، وَأَنَا هَا هُنَا غَرِيبٌ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَبْكِي عَلَيَّ غَيْرَهُمَا. وَالرُّدْنِي: مَنْسُوبٌ إِلَى رَدْنَةَ، وَهِيَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تَقُومُ الرِّمَاحَ.
- (٩) وَأَشْقَرَ: أَيُ فَرَسٍ أَشْقَرٍ، وَالْخَنْذِيذُ: الْجَوَادُ الْكَرِيمُ الْأَصْلُ، الطَّوِيلُ الصَّلْبُ.

صريعٌ على أيدي الرجالِ بَقْفَرَةٍ
ولمّا تراءتْ عندَ مَرَوْ مَنِيَّتِي
أقولُ لأصحابي ارفعوني لأنني
فيا صاحبي رَحلي! دنا الموتُ، فانزلا
أقيما عليَّ اليومَ، أو بعضَ ليلةٍ
وقوما، إذا ما استلَّ رُوحِي، فهَيِّأَا
وخطًا بأطرافِ الأَسنةِ مضجعي
ولا تحسداني، بَارِكِ اللَّهُ فيكما
حُدَّاني، فَجُرَّاني يُردِّي إليكما
فقد كنتُ عَطافًا، إذا الخيلُ أدْبَرَتْ
وقد كنتُ محموداً لذي الزَّادِ والقَرَى
وقد كنتُ صَبَّاراً على القِرْنِ في الوغَى
وطَوَّراً تراني في ظلالٍ ومَجْمَعٍ
وطَوَّراً تراني في رُحَى مُستديرةٍ

يُسَوِّونَ قَبْرِي، حيثُ حُمَ قَضَائِي^(١)
وخلُّ بها جِسْمِي، وحانتَ وَفَاتِي^(٢)
يَقْرُ بِعَيْنِي أَنَّ سُهَيْلٌ بِدَالِيَا^(٣)
برابيةٍ، إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا
ولا تُعْجِلَانِي قد تبَيَّنَ مَا بِيَا
لِي القَبْرَ والأَكْفَانُ، ثم ابْكِيَا لِيَا
ورُدَّا على عَيْنِي فَضْلَ رَدَائِيَا^(٤)
مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تَوْسِعَا لِيَا
فقد كنتُ، قَبْلَ الْيَوْمِ، صَعْباً قِيَادِيَا^(٥)
سَرِيعاً لَدَى الْهَيْجَا، إِلَى مَنْ دَعَانِيَا^(٦)
وعنْ شَتْمِ ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا^(٧)
ثَقِيلاً عَلَى الْأَعْدَاءِ، عَضْباً لِسَانِيَا^(٨)
وطَوَّراً تَرَانِي، وَالْعِتَاقُ رَكَابِيَا^(٩)
تُحَرِّقُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا^(١٠)

(١) الفقرة: التي ليس بها أحد ولا شيء.

(٢) خلُّ بها جسمي: اختل، أي اضطرب وهزل.

(٣) يريد أن سهيلاً (نجم) لا يرى بناحية خراسان فقال: ارفعوني لعلِّي أراه فتقرَّ عيني برويته لأنه لا يرى إلا في بلده.

(٤) الأسنة: الرماح، وخطًا بأطراف: أي احفرا.

(٥) بردي: ثوبي.

(٦) الهيجاء: الحرب.

(٧) همزة ابن همزة وصل، ولكنها قطعت لضرورة الشعر.

(٨) القرن: الخصم. والوغى: الحرب. والعضب: السيف القاطع.

(٩) العتاق: جمع العتيق، وهو الفرس الكريم، يصف نفسه في السلم بأنه يتمتع بلذة العيش وظلال النعيم، وأنه كان صلاب رأي إذا التقى المجامع، وأنه فارس شجاع يمتطي مقرن الخيل، إذا ما نشبت المعارك أو الحروب.

(١٠) أراد بالرحى المستديرة: الحرب.

وَقُومَا عَلَى بَثْرِ الشَّبِيكِ، فَاسْمِعَا
 بَأْنُكُمَا خَلَفْتُمَانِي بِسَقْفَرَةٍ
 وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي، خَلِيلِي، إِنِّي
 فَلَنْ يَْعْدَمَ الْوَالِدُونَ بَيْتاً يَجُنُّنِي
 يَقُولُونَ: لَا تَبْعُدْ، وَهُمْ يَدْفَنُونَنِي
 غَدَاةَ غَدٍ، يَا لَهْفٍ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
 وَأَصْبَحَ مَالِي، مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَغَيَّرَتِ الرَّحَى
 إِذَا الْقَوْمُ حَلُّوْهَا جَمِيعاً، وَأَنْزَلُوا
 وَعَيْنٌ وَقَدْ كَانَ الظَّلَامُ يُجْنُّهَا
 وَهَلْ تَرَكَ الْعَيْسُ الْمَرَاقِيلُ بِالضَّحَى
 إِذَا عَصَبُ الرُّكْبَانِ بَيْنَ عُنِيزَةٍ

بِهَا الْوَحْشَ وَالْبَيْضَ الْحَسَانَ الرَّوَانِيَا^(١)
 تُهَيِّلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَافِيَا^(٢)
 تَقَطُّعُ أَوْصَالِي، وَتَبْلَى عِظَامِيَا^(٣)
 وَلَنْ يَْعْدَمَ الْمِيرَاثُ مِنِّي الْمَوَالِيَا^(٤)
 وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟^(٥)
 إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي، وَخُلِفْتُ ثَاوِيَا^(٦)
 لِيُغَيِّرِي وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا^(٧)
 رَحَى الْحَرْبِ، أَوْ أَضْحَتْ بِفُلْجٍ كَمَا هِيََا^(٨)
 لَهَا بَقْرًا حُمَّ الْعَيُونِ، سَوَاجِيَا^(٩)
 يَسْفُنُ الْخُزَامَى نَوْرَهَا وَالْأَقَاحِيَا^(١٠)
 تَعَالِيَهَا تَعْلُو الْمُتُونُ الْفَيَافِيَا^(١١)
 وَبُولَانَ، عَاجُوا الْمُنْقِيَاتِ الْمَهَارِيَا^(١٢)

(١) الشبيك: موضع في بلاد بني مازن. والرواني: الناظرات بعطف وحنان.

(٢) السوافي: ما تحمله الريح من التراب فتذريه. والقفرة: الأرض الخالية.

(٣) الأوصال: المفاصل.

(٤) بيتا يجنني: قبراً يواريني. والمواليا: الأقارب. أي: أن لي من أهلي من يرثني.

(٥) لا تبعد: لا تهلك. وكان من عادة العرب أن تقول عند دفن الميت: لا تبعد.

(٦) أدلجوا: ساروا ليلاً، وثاو: مقيم.

(٧) الطريف: المال المكتسب حديثاً. والتلبد: المال الموروث.

(٨) ليت شعري: أي ليت أعرف أو أشعر أو أعلم. والفلج: موضع.

(٩) حلوها: نزلوا بها. وحَمَّ العيون: سوداء. والحم: جمع الحمام وهي السوداء. والسواجي: جمع

الساجية وهي العين الساكنة، ويريد بالبقر: النساء الجميلات.

(١٠) وعين: هناك رواية رعين. ويجننها: يخفيها. ويسفن: يشمن. والخزامي: نبت طيب الرائحة.

والأقاحي: جمع الأقحوان.

(١١) العيس: الإبل. والمراقيل: جمع المرقال، وهي السريعة: والتعالي: الارتفاع في السير. والمتون:

الجهات المرتفعة، والقيافي: جمع القفاء، وهي الأرض الغليظة أي: الصحاري.

(١٢) عنيزة: موضع، وبولان: موضع، وعصَب: اجتمع. وعاجوا: عطفوا. والمنقيات: النياق السمينة.

والمهاري: جمع المهرية، إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن.

ويا لَيْتَ شعري هل بَكَتْ أُمُّ مالِكِ
 إِذَا مَتَّ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ، وَسَلَّمِي
 تَرَيَّ جَدْنًا قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ
 رَهِينَةً أَحْجَارٍ وَتُرْبٍ تَضَمَّنَتْ
 فِيهَا رَاكِبًا إِمَّا عَرْضَتْ فَبَلَّغُنْ
 وَبَلِّغْ أَخِي عِمْرَانَ بُرْدِي وَمِثْرِي،
 وَسَلِّمْ عَلَى شَيْخِي مَنِي كِلَيْهِمَا،
 وَعَظَلْ قَلُوصِي فِي الرِّكَابِ، فَإِنَّهَا
 أَقْلَبُ طَرَفِي فَوْقَ رَحْلي، فَلَا أَرَى،
 وَبِالرَّمْلِ مَنِي نِسْوَةً لَوْ شَهِدَنِي
 فَمِنْهُمْ أُمِّي، وَابْنَتَاهَا، وَخَالَتي
 وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مَنِي وَأَهْلِهِ
 كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعِيمِكَ بَاكِيًا^(١)
 عَلَى الرِّيمِ، أُسْقِيَتِ الْغَمَامُ الْغَوَادِيَا^(٢)
 غُبَارًا كَلُونِ الْقَسْطَلَانِي هَايَا^(٣)
 قَرَارَتْهَا مَنِي الْعِظَامُ الْبَوَالِيَا^(٤)
 بَنِي مَالِكِ وَالرَّيْبُ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(٥)
 وَبَلِّغْ عَجُوزِي آلِيَوْمَ أَنْ لَا تَدَانِيَا^(٦)
 وَبَلِّغْ كَثِيرًا وَابْنَ عَمِّي وَخَالِيَا
 سُبُرْدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا
 بِهِ مِنْ عُيُونِ الْمُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا
 بَكِينَ وَفَدَّيْنِ الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
 وَبَاكِيةً أُخْرَى تَهَيِّجُ الْبَوَاكِيَا^(٧)
 ذَمِيمًا، وَلَا بِالرَّمْلِ وَدَعَتْ قَالِيَا^(٨)

- جمهرة أشعار العرب (طبعة دار بيروت) ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

- جمهرة أشعار العرب (تحقيق محمد الجاوي) ص ٦٠٧ - ٦١٥ .

- الأمايلي للقالبي ١٣٥/٣ - ١٣٨ .

-
- (١) عالوا: رفعوا، أي بلغوا، والمعنى: هل بكت أم مالك، كما كنت باكيًا عليها لو بلغوني نعيها.
 (٢) اعتادي القبور: الزميتها. والرَّيم: القبر. والغوادي: جمع الغادية، وهي السحابة الباردة المطر.
 (٣) القسطلاني: قوس قزح، وحمرة الشفق. وهو أيضاً غبار الحرب. وهاييا: من هبا الغبار، إذا انتشر في الجو.
 (٤) رهينة أحجار: أي في القبر علي التراب والحجارة. والقراة: بطن الوادي حيث يستقر الماء، وصيرته مثلاً للقبر ويطنه.
 (٥) يروي: والريث: وهي قبيلة.
 (٦) البرد: الثوب والمترز: أي الإزار الذي يشد به.
 (٧) وبأكية أخرى: يريد زوجته.
 (٨) الذميم: المذموم، ويقال: المَبْغُض. والقالبي: المبيغض.

ثانياً: النشر

١ - خُطْبَةُ حَجَّةِ الْوَدَاعِ لِلنَّبِيِّ ﷺ^(١)

قال الرسول ﷺ:

الحمد لله، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ

(١) باعث الخطبة: استعد الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة لأداء فريضة الحج، وهي حجة الوداع التي لم يحجَّ غيرها منذ هاجر إلى المدينة - وإن كان قد حجَّ حجتين قبل أن يهاجر - وقيل: إنه مكث تسع سنين لم يحجَّ ثم أذن في الناس في السنة العاشرة أن رسول ﷺ حاجٌ، وما أن انتشر خبر حجِّ الرسول ﷺ في أنحاء الجزيرة العربية، حتى تجمعت القبائل، فقدم المدينة بشرٌ كثيرٌ كلُّهم يلتمس أن يأتُم بالرسول ﷺ، ويعمل مثلَ عمله وينال شرف المصاحبة، وقد بلغ عدد المسلمين يومئذٍ -حوالي مائة ألف- وبدأ ركب الرسول ﷺ يولِّي وجهه شطر المسجد الحرام في اليوم الخامس لخمس بقين من ذي القعدة، وقد حجَّ بالناس، فأراهم منابيحهم وعلمهم سُنَنَ حجهم، وخطب خطبته التي بيَّن فيها للناس ما بيَّن، وكان الذي يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس. وقد صاحب معه جميع زوجاته، وكأنه شعر أن هذه الحجة هي آخر عهده بالحياة الدنيا -.

وقد حج المسلمون والمشركون في ذي القعدة في السنة الثامنة للهجرة، والجدير بالذكر أن البيت العتيق لم يكن قد تخلَّص من شوائب الشرك والجاهلية، هذا، وقد وقع الحج في السنة التاسعة في ذي الحجة، فأرسل النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى مكة أميراً على الحج بعد أن علَّمه المناسك، وأمره بالوقوف على عرفة وعلى جُمُع - المزدلفة - ثم نزلت سورة براءة بعد سفر أبي بكر رضي الله عنه إلى مكة بالحجيج فبعث بها النبي ﷺ مع علي رضي الله عنه، وأمره إذا خطب أبو بكر رضي الله عنه وفرغ من خطبته، قام فقرأ على الناس سورة براءة، ونبذ إلى المشركين عهدهم، وقال: لا يجتمعن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [سورة التوبة، آية ٢٨]. وقد أنزل على الرسول ﷺ في يوم عرفة: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ=

أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
 أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْسِنُكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.
 أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أُبَيِّنُ لَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ
 عَامِي هَذَا^(١)، فِي مَوْفِي^(٢) هَذَا. أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَى
 أَنْ تَلْقَوْا رَبُّكُمْ. كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ^(٣) هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا^(٤)، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا^(٥).
 أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ!

فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى الَّذِي آتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ
 مَوْضُوعٌ^(٦)، وَإِنْ أَوَّلُ رِبَاً أَبْدَأُ بِهِ رَبَا عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَإِنْ دِمَاءُ
 الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ^(٧)، وَإِنْ أَوَّلُ دَمٍ تَبْدَأُ بِهِ دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ
 الْمُطَّلِبِ^(٨)، وَإِنْ مَأْتَرٌ^(٩) الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، غَيْرَ السَّدَانَةِ وَالسَّقَايَةِ^(١٠)، وَالْعَمْدُ

= ديناً ﴿سورة المائدة آية ٣﴾. وكان الرسول ﷺ واقفاً بعرفة على ناقته العضباء. انظر: الإمام مسلم،
 الجامع الصحيح ٤: ٣٩ وما بعدها. والسيرة النبوية ٦٠١/٢ - ٦٠٦. وإبراهيم رفعت باشا، مرآة
 الحرمين ١/٣١٧. وانظر دراسة تحليلية لهذه الخطبة: «خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع». للدكتور
 هاشم مناع.

- (١) أي العام العاشر.
- (٢) موفي هذا: أي في عرفة.
- (٣) يومكم هذا: يوم النحر.
- (٤) شهركم هذا: ذو الحجة.
- (٥) بلدكم هذا: مكة المكرمة.
- (٦) موضوع: ساقط، يقال: وضعت عنه الدِّينَ والجزية ونحوهما، إذا أسقطته.
- (٧) موضوعة: ساقطة وباطلة.
- (٨) عامر بن ربيعة: ابن ابن عم الرسول ﷺ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وقد أبطل الطلب به
 في الإسلام، ولم يجعل لربيعة في ذلك تبعه، أي: لم يجعل لهم حقاً في المطالبة.
- (٩) المأثر: كل ما هو قديم متواتر.
- (١٠) السدانة: خلعة الكعبة، وهي بفتح السين وكسرها، وكانت السدانة واللواء لبني عبد الدار في
 الجاهلية، فأقرها الرسول ﷺ في الإسلام. والسقاية: ما كانت فريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنسوب
 في الماء.

قَوْدٌ^(١)، وَشِبْهُ الْعَمْدِ: مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ، وَفِيهِ مَائَةٌ بَعِيرٍ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ النَّسِيَّةَ^(٢) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهَا الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًّا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًّا لِيُؤَاطِثُوا^(٣) عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ. إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ^(٤). يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ، وَوَاحِدٌ قُرْذُ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحَرَّمُ، وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ!

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُؤْطِنُ^(٥) فُرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ، وَلَا يُدْخِلُنَ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ^(٦)، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ^(٧)، وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي

(١) العمد: القتل المتعمد. وحكمه: القود، وهو قتل القاتل بالقتيل.

(٢) النسية: التأخير، تقول: نسأت الشيء، فهو منسوء: إذا أخرته.

(٣) ليؤايطوا: ليوافقوا.

(٤) في كتاب الله: في اللوح المحفوظ.

(٥) ألا يؤطئن فرشكم غيركم: أي ألا يأذن لأحد ممن تكرهون دخوله عليهن. وليس وطء الفراش كناية عن الزنا، لأنه حرام مع كل أحد تكرهونه أو لا، ولأنه لو كان المراد كذلك لكان عقوبتهن الرجم دون الضرب، مع أنه عليه السلام قال: «فإن فعلن ذلك» أي الإيطاء المذكور «فاضربوهن ضرباً غير مبرح» أي: غير جريح، وغير شديد ولا شاق. (الإمام مسلم، الجامع الصحيح ٤/٤١٤). والإيطاء هنا بمعنى الجلوس في الفراش... والله أعلم. تقول: وطئ المرأة يطؤها: نكحها، ووطئ أو وطئنا العدو بالخيل: دسناهم. ولا تقول: وطئت المرأة الرجل. ويقال: أنه يراد بذلك أن لا يأذن لأحد من الرجال أن يدخل فيتحدث إليهن، لأن الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب، لا يرون ذلك عيباً ولا يعدونه ريبة.

(٦) فاحشة مبينة: أي ظاهرة فحشاً وقبحاً.

(٧) تعضلوهن: تضيقوا عليهن.

المضاجع^(١)، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ^(٢)، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ^(٣) فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوْنُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ^(٤)، لَا يَمْلِكْنَ لَأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا^(٥)، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا^(٦).

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ!

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مُسْلِمٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهُ.

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ!

فَلَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ: كِتَابُ اللَّهِ^(٧).

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ!

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لَأَدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ. أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى.

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ!

قالوا: نعم. قال: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

(١) تهجروهن في المضاجع: أي فلا تدخلوهن تحت اللحف وتباشروهن، فيكون كناية عن الجماع.

(٢) غير مبرح: غير شديد ولا شاق.

(٣) وأطعنكم: أي في ترك النشوز.

(٤) العواني والعانيات: جمع عانية (والمذكر: العاني، والجمع: العناة) وهي الأسيرة، أي هن عندكم بمنزلة الأسرى.

(٥) لا يملكن لأنفسهن شيئاً: كناية عن الضعف.

(٦) الاستيضاء هنا: قبول الوصية، أي: أوصيكم بهن خيراً فاقبلوا وصيتي فيهن.

(٧) يروى: «كتاب الله وسنة نبيه».

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، فَلَا تَجُوزُوا لَوَارِثٍ وَصِيَّةً، وَلَا تَجُوزُوا وَصِيَّةً فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ. وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ^(١). وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ^(٢). مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ^(٣).
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

- البيان والتبيين ٣١/٢ - ٣٣.
- (وانظر) السيرة النبوية ٦٠٣/٢ - ٦٠٤.
- (وانظر) العقد الفريد ١٤٨/٤ - ١٤٩.

٢ - خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة في السنة الحادية عشرة للهجرة

حمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد.
أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى بَاطِلٍ فَسَدِّدُونِي، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ فِيكُمْ، فَإِذَا عَصَيْتُهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. أَلَا إِنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ الْحَقُّ لَهُ، وَأَضْعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ الْحَقُّ مِنْهُ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

- السيرة النبوية ٦٦١/٢.
- تاريخ الطبري ٢٠٣/٣.
- العقد الفريد ١٥٠/٤.
- عيون الأخبار م ١، ٢/٢٣٤.

٣ - خطبة لأبي بكر رضي الله عنه في السنة الحادية عشرة للهجرة

حمد الله، وأثنى عليه بالذي أهله، ثم قال:
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ، فَأُرِيدُوا اللَّهَ

-
- (١) الولد للفراش: أي الولد لصاحب الفراش وهو الزوج.
 - (٢) وللعاهر الحجر: أي للعاهر الخيبة والحرمان. وقيل: للعاهر الرجم، والمعنى الأول أصح.
 - (٣) أي لا يقبل منهم شيء: وأصل العدل: أن يقتل الرجل بالرجل: وقيل: الفدية. والصرف: أن ينصرف عن الدم إلى أخذ الدية. وقيل: التوبة.

بأعمالكم، واعلموا أن ما أَخْلَصْتُمْ لِلَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فِطَاعَةٌ أُتِيْتُمُوهَا، وَحُظُّ ظَفِرْتُمْ بِهِ، وَضَرَائِبُ أُدِيْتُمُوهَا، وَسَلَفٌ قَدْ مَتَمُّوهُ، مِنْ أَيَّامٍ فَانِيَةٍ لِأُخْرَى بَاقِيَةٍ، لَحِينِ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ.

اعتبروا عِبَادَ اللَّهِ بِمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ، وَتَفَكَّرُوا فِي مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. أَيْنَ كَانُوا أَمْسَ؟ وَأَيْنَ هُمْ الْيَوْمَ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ وَأَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْغَلْبَةِ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ؟ قَدْ تَضَعَّضَ بِهِمُ الدَّهْرُ، وَصَارُوا رَمِيمًا... وَأَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَّرُوهَا؟ قَدْ بَعْدُوا وَنُسِيَ ذِكْرُهُمْ، وَصَارُوا كَلَّا شَيْءٍ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّيْبَعَاتِ، وَقَطَعَ عَنْهُمْ الشُّهُورَاتِ، وَمَضَوْا وَالْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ. وَالْذُّنُوبُ دُنْيَا غَيْرِهِمْ، وَبَقِينَا خَلْفًا لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ. فَإِنْ نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِهِمْ نَجُونَا، وَإِنْ اغْتَرَرْنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ. أَيْنَ الْوِضَاءُ^(١) الْحَسَنَةُ وَجُوهُهُمْ، الْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ؟ صَارُوا تُرَابًا، وَصَارَ مَا فَرَّطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ. أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَائِطِ، وَجَعَلُوا فِيهَا الْأَعَاجِيبَ؟ قَدْ تَرَكُوهَا لِمَنْ خَلَفَهُمْ، فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ خَاوِيَةٌ، وَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ. هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(٢)؟ أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ؟ قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ أَجَالُهُمْ، فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدُمُوا، فَحُلُّوا عَلَيْهِ. وَأَقَامُوا لِلشَّقَوَةِ وَاللِّسَعَادَةِ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يَعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ سُوءًا إِلَّا بِطَاعَتِهِ. وَاتَّبَاعِ أَمْرِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبِيدٌ مَدِينُونَ، وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، أَمَّا وَإِنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَلَا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ.

- تاريخ الطبري ٢١١/٣.

(١) الوضاء: جمع وضىء، أي الحسن والنظيف.

(٢) الرکز: الصوت الخفي.

٤ - وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأسامة بن زيد وجيشه

عندما أرسله إلى أبنئ^(١) في السنة الحادية عشرة للهجرة

قال :

يا أيها الناس: قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرِ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي: لَا تَخُونُوا، وَلَا تَغْلُوا^(٢)، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَقْعُرُوا^(٣) نَخْلاً، وَلَا تَحْرِقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلَا تَذَبْحُوا شَاةً وَلَا بَقَرَةً وَلَا بَعِيراً إِلَّا لِمَا كَلَّه، وَسَوْفَ تَمُرُونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِ فَذَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ. وَسَوْفَ تَقْدِمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بَأَنِيَّةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ، فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَتَلْقَوْنَ أَقْوَاماً قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُؤُوسِهِمْ^(٤)، وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ^(٥) بِالسَّيْفِ خَفَقاً، ائِدْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ. - تاريخ الطبري ٢١٣/٣.

٥ - خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حين ولي الخلافة في السنة الثالثة عشرة للهجرة.

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أيها الناس: إِنِّي دَاعٍ فَأَمَّنُوا، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلْيَنِّ لَأَهْلِ طَاعَتِكَ بِمُوافِقَةِ الْحَقِّ، ابْتِغَاءً وَجْهَكَ وَالْدارِ الْآخِرَةِ، وَارْزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَأَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالنِّفَاقِ، مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مِنِّي لَهُمْ، وَلَا اعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيحٌ، فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ، قَصِداً مِنْ غَيْرِ مَرْفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ، وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، وَاجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالْدارِ الْآخِرَةَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ، وَلِينَ

(١) مكان بالقرب من مؤتة بالشام.

(٢) ولا تغلوا: لا تحقدوا.

(٣) تقعروا: تستاصلوا وتقطعوا.

(٤) أي: كأنهم حلقوا وسطها وتركوها مثل أفاعيص القطا. والأفاعيص جمع الأفحوص، وهو مَجْتَمِ القطا

ومبيضها، سمي بذلك لأنها تفحص الموضع ثم تبيض فيه. انظر: لسان العرب (مادة فحص).

(٥) اخفقوهم: اضربوهم.

الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرَكَ على كلِّ حالٍ، وذكّر الموت في كلِّ حينٍ. اللهم إني ضعيفٌ عن العمل بطاعتِكَ، فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعونِكَ وتوفيقِكَ. اللهم ثبّني باليقين والبر والتقوى، وذكّر المقام بين يديكَ والحياء مِنكَ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني. والمحاسبة لنفسِي. وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات. اللهم ارزقني التّفكّر والتّدبّر لما يتلوهُ لساني من كتابِكَ، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك على كلِّ شيءٍ قدير.

- العقد الفريد ١٥٥/٤ - ١٥٦.

٦ - خطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه . بعدما بويع بالخلافة في السنة الثالثة والعشرين للهجرة .

قال :

أما بعد، فإنني قد حُمِلْتُ وقد قِيلْتُ، ألا وإني مُتَّبِعٌ، ولست بمبتدعٍ، ألا وإن لَكُمْ عليّ بعد كتابِ اللهِ عز وجل، وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتَّباع مَنْ كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتهم. وسنَّ سنة أهل الخير فيما لم تَسُنُوا عن ملاي، والكفَّ عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خَصِرَةٌ قد شُهِيتْ إلى الناس. ومال إليها كثيرٌ منهم. فلا تَرَكُونَا إلى الدنيا، ولا تَتَّقُوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركةٍ إلا مَنْ تركها.

- تاريخ الطبري ١٤٩/٥.

٧ - خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه^(١) في الجهاد

أما بعد، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتَحَهُ اللهُ لخاصة أوليائه وهو لباسُ التّقوى ودرعُ اللهِ الحصينة وجنته الوثيقة^(٢). فمن تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثوبَ

(١) باعث الخطبة: أغار سفيان بن عوف الأسدي بجيش من جيوش معاوية على الأنبار، وقتل عامل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عليها، فنقم على جماعته، وخرج إليهم، وأخذ يخاطبهم بخطبته هذه.

(٢) جنته: وقايته.

الذِّلَّ وَسَمْلَةَ الْبَلَاءِ. وَدُيْتُ بِالصُّغَارِ وَالْقَمَاءِ^(١)، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ^(٢)، وَأُذِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ^(٣) بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخُسْفِ^(٤)، وَمُنِعَ النُّصْفَ^(٥). أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ. فَوَاللَّهِ مَا غَزِي قَوْمٌ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ^(٦) وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شَنِبَتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمَلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ. وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ^(٧) وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا^(٨)، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ^(٩)، فَيَسْتَرْجِعُ حِجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَاتِذَهَا وَرِعَائَهَا^(١٠) مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَسْتِرْحَامِ^(١١)، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ^(١٢) مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلَمٌ وَلَا أَرِيقٌ لَهُمْ دَمٌ. فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا. فَيَا عَجَبًا وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَجْلِبُ لَهُمُ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًّا^(١٣) جِئْتُمْ صَبْرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ. وَتَغْزُونَ وَلَا تَغْزُونَ. وَيُعْصِي اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حِمَارَةُ الْقَيْظِ^(١٤)، أَمَهَلْنَا يُسَبِّحُ

(١) ديْتُ: من دبه، أي ذلله. والصغار والقماء: الذل.

(٢) الأسداد: جمع السد، يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد.

(٣) أذيل الحق منه: أي صارت الدولة للحق.

(٤) وسيم الخسف: أولى الخسف وكلفه، والخسف: الذل والمشقة.

(٥) النصف: العدل، أي حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه.

(٦) تواكلتم: تعاجزتم، وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه.

(٧) أخو غامد: هو سفيان بن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق. والأنبار بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات.

(٨) المسالحي: جمع مسلحة وهي الثغر.

(٩) المعاهدة: الذمية.

(١٠) الحجل: الخلل. والقلب: السوار. والرعث: جمع رعة، وهو القرط.

(١١) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء، والاسترحام: أن تناشده الرحم.

(١٢) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

(١٣) الترح: الهم والحزن. والغرض: ما ينصب ليرمى بالسهم، فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون.

(١٤) حمارة القَيْظ: شدة الحر.

عَنَّا الْحَرْ^(١)، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشَّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرْ^(٢) أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ
عَنَّا الْبَرْدُ. كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحَرْ وَالْقُرْ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرْ وَالْقُرْ تَقْرُونَ فَإِذَا أَنْتُمْ وَاللَّهُ
مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ. يَا أَشْبَاهَ الرُّجَالِ وَلَا رَجَالٍ. حُلُومُ الْأَطْفَالِ. وَعُقُولُ رِبَاتِ
الْحِجَالِ^(٣). لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُم وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ. مَعْرِفَةُ وَاللَّهُ جَرَتْ نَدْمًا وَأَعْقَبَتْ
سَدَمًا^(٤)؛ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا. وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا. وَجَرَعْتُمُونِي نُغْبَ
التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٥). وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيشٌ إِنَّ
أَبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.

لِلَّهِ أَبْوَهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا
وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السُّتَيْنِ^(٦). وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا
يُطَاعُ.

- نهج البلاغة ٦٧/١ - ٧٠.

- العقد الفريد ١٦٠/٤ - ١٦١.

- (وانظر) عيون الأخبار م ١، ٢/٢٣٦ - ٢٣٧.

٨ - من وصية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لابنه الحسن

رضي الله عنه كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين

أَخِي قَلْبُكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمَّتُهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوَّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوَّرَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلَّلَهُ
بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ^(٧)، وَبَصَّرَهُ^(٨) فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفَحْشَ
تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ

(١) التسبيخ: التخفيف والتسكين.

(٢) صبارة الشتاء: شدة البرد، والقر بالضم: البرد.

(٣) ربات الحجال: النساء.

(٤) السدم: الهم والحزن والأسف.

(٥) النغب: جمع نغبة، وهي الجرع. والتهم: الهم والحزن.

(٦) ذرقت: زدت عليها ونيفت.

(٧) قرره بالفناء: اطلب منه الإقرار بالفناء.

(٨) بصره: اجعله بصيراً بالفجائع، جمع فجعة، وهي المصيبة، تفزع بحلولها.

من الأولين، وسِرَ في ديارِهِمْ وآثارِهِمْ، فانظُرْ فيما فعلُوا وعمَّا انتقلُوا وأين حلُّوا ونزلُوا، فإنَّكَ تجدُهُمْ قد انتقلُوا عن الأحيَّةِ، وحلُّوا ديارَ الغُربَةِ، وكأنَّكَ عن قليلٍ قد صرْتَ كأحدِهِمْ: فاصليحْ مَثَوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ. ودع القول فيما لا تعرفُ، والخطابَ فيما لم تُكَلِّفْ. وأمسِكْ عن طريقِ إِذَا خِفْتَ ضلالتَهُ فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأهوالِ. وأمرْ بالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ. وأنكِرِ المُنكَرَ بيدِكَ ولسانِكَ، وباين^(١) من فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ. وجَاهِدْ في اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ في اللَّهِ لومةُ لائمٍ. وخُضِرِ الغِمَرَاتِ^(٢) لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ في الدينِ، وعودْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ على المَكْرُوهِ ونِعَمَ الخُلُقِ التَّصَبُّرُ. وألجِءْ نَفْسَكَ في الأمورِ كُلِّهَا إلى إلهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إلى كَهْفِ حَرِيزٍ^(٣). ومَانِعِ عَزِيزٍ. وأخْلِصْ في المَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ يَدِيهِ العَطَاءَ والجِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الاستِخَارَةَ^(٤) وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً^(٥)، فَإِنَّ خَيْرَ القَوْلِ مَا نَفَعَ. وَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ في عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعْلُمُهُ^(٦).

- نهج البلاغة ٣/ ٣٨ - ٤٠.

(١) باين: أي باعد، وجانب الذي يفعل المنكر.

(٢) الغمرات: الشدائد.

(٣) الكهف: الملجأ، والحريز: الحافظ.

(٤) الاستخارة: إجمالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوه.

(٥) لا تذهبن عنها صفحاً: أي لا تعرض عنها.

(٦) أي: لا يكون من الحق تعلمه كالسحر والشعوذة ونحو ذلك.

العصر الأموي

أولاً: الشعر

١ - قصيدة^(١) لقيس بن الملوح (مجنون ليلي)^(٢)

(من الطويل)

تذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهِوَ نَاهِيَا

(١) تسمى هذه القصيدة «المؤنسة» لأنه كان لا يخلو بنفسه، إلا وينشدها.

(٢) مجنون ليلي: هو قيس بن معاذ، ويقال: قيس بن الملوح أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة العامري، من نجد ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه. ويقال: إنه لم يكن مجنوناً. وكان المجنون وليلى (بنت مهدي بن سعد العامري) صاحبته يريعيان البهم، وهما صبيان، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه، يقول في ذلك:

نَعَلَقْتُ لَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ ذَوَابَةِ وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ
صَغِيرِينَ نَرَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ تَكْبِرِ الْبَهْمُ
وكان ظريفاً جميلاً، راوية للأشعار، حلو الحديث، وكانت تعرض عنه، وتقبل على غيره بالحديث، حتى شقَّ عليه ذلك، فأقبلت عليه وقالت:

كَلَانَا مَظْهَرٌ لِلنَّاسِ بِغَضًا وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ
تَبَلَّغْنَا الْعَيُونَ بِمَا أَرَدْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثُمَّ هَوَى دَفِينُ

فلما سمع البيتين شفق شهقة شديدة وأغمي عليه، فمكث على ذلك ساعة، حتى أفاق، وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه. ولكن أباهما حجبا عنه، فهم على وجهه ينشد الأشعار حتى ذهب عقله، وهام مع الوحش. فبرى حيناً في الشام، وحيناً في نجد، وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله. توفي سنة ٦٨ هـ / ٦٨٨ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٣٥٥ - ٣٦٤. والأغاني ٥/٢ - ٧٩. (طبعة دار الثقافة). وانظر أيضاً: ديوانه في مواضع متفرقة.

ويسوم كظل الرمح قصرت ظله
 بثمانين لاحت نار ليلي وصحبتني
 فقال بصير القوم: لمحة كوكب
 فقلت له: بل نار ليلي تسوقدت
 فليت ركاب القوم لم تقطع الغضى
 فيا ليل كم من حاجة لي مهمة
 خليلي إن لا تبكياني ألتمس
 فما أشرف الأيفاع إلا صباية
 وقد يجمع الله الشيتين بعدما
 لحا الله أقواماً يقولون: إنني
 وعهدي بليلى وهي ذات مؤصدي
 فشب بنو ليلي وشب بنو ابنها
 إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه
 سقى الله جارات ليلي تباعدت
 ولم ينسيني ليلي افتقار ولا غنى

بليلى فلهاني وما كنت لاهيا^(١)
 بذات الغضى تزجي المطي النواجيا^(٢)
 بدا في سواد الليل فرداً يمانيا^(٣)
 بعلياً تسامى صوؤها فبداليا^(٤)
 وليت الغضى ماشى الركاب لياليا^(٥)
 إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا
 خليلاً إذا أنزفت دمي بكى ليما
 ولا أنشد الأشعار إلا تداويا^(٦)
 يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
 وجدت طوال الدهر للحب شافيا^(٧)
 ترد علينا بالعشي المواشيا^(٨)
 وأعلاق ليلي في فؤادي كما هيا
 تواسوا بنا حتى أمل مكانيا
 بهن النوى حيث احتلن المطاليا^(٩)
 ولا توبة حتى احتضنت السواريا^(١٠)

(١) كظل الرمح: في القصر؛ لأنه مر وهو غافل عنه بمحبوبته.

(٢) والثمانين: موضع. ولاحت: بانث وظهرت، وذات الغضى: الواحلة منه «غصاة» شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب. والغضى: موضع وأهل الغضى: سكان نجد. وتزجي: تسوق. والنواجيا: جمع ناجية وهي الناقة السريعة تنجو براكبها.

(٣) لمحة كوكب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هذه» أي: هذه لمحة كوكب. ويمانيا: من جهة اليمن.

(٤) بعلياً: كل ما علا من شيء.

(٥) ركاب القوم: مطاياهم. والمراد بالقوم: قوم ليلي الذين سافروا بها.

(٦) ما أشرف الأيفاع: ما أعلوها إلا لأنظر ركبهم. والأيفاع: جمع اليفع، وهو المكان المرتفع.

(٧) لحا الله أقواماً: قبحهم ولعنهم.

(٨) أصده: ألبسه الأصدة، قميص صغير، والجمع الأصد والإصاد.

(٩) المطاليا: المواضع تغدو فيها الوحش أطلاءها.

(١٠) السواريا: جمع سارية وهي الأسطوانة.

ولا نسوة صَبَّغْنَ كَبْدَاءَ جَلْعَدًا
 خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي
 قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتِلَانِي بِحَبِّهَا
 وَخَبَّرْتُ مَنَانِي أَنَّ تَيْمَاءَ مَنَزَلُ
 فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ آنَقَضَتْ
 فَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِالْإِمَامَةِ دَارُهُ
 وَمَاذَا لَهُمْ لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حَالَهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبِّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ
 فَيَا رَبِّ سَوْ الحُبِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 فَمَا طَلَعَ النَّجْمُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ
 وَلَا سِرْتُ مَيْلًا مِنْ دِمَشْقَ وَلَا بَدَا
 وَلَا سُمِّيَتْ عِنْدِي لَهَا مِنْ سَمِيَّةٍ
 وَلَا هَبَّتِ الرِّيحُ الْجَنُوبَ لِأَرْضِهَا
 فَإِنْ تَمَنَعُوا لَيْلَى وَتَحُمُّوا بِلَادَهَا
 فَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَحِبُّهَا
 قَضَى اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْهَا لِغَيْرِنَا
 وَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ يَا أُمَّ مَالِكِ
 أَعْدُ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
 وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلَّنِي

لِتُشْبِهَ لَيْلَى ثُمَّ عَرَّضْنَهَا لِيَا^(١)
 قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا
 فَهَلَا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا
 لِلَّيْلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاثِيَا^(٢)
 فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلَّيْلَى الْمَرَامِيَا
 وَدَارِي بِأَعْلَى خَضِرْمُوتٍ اهْتَدَى لِيَا
 مِنَ الْحِظِّ فِي تَصْرِيمِ لَيْلَى حَيَالِيَا^(٣)
 بِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ حَتَّى عَلَانِيَا^(٤)
 يَكُونُ كِفَافًا لَا عَلِيَّ وَلَا لِيَا
 وَلَا الصُّبْحُ إِلَّا هَيْجًا ذَكَرَهَا لِيَا
 سُهَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّامِ إِلَّا بِدَالِيَا
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا بَلُّ دَمْعِي رِدَائِيَا^(٥)
 مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا بِتُ الرِّيحِ حَانِيَا
 عَلِيَّ فَلَنْ تَحْمُوا عَلِيَّ الْقَوَافِيَا
 فَهَذَا لَهَا عِنْدِي فَمَا عِنْدَهَا لِيَا
 وَبِالشُّوقِ مَنِي وَالْغَرَامِ قَضَى لِيَا
 أَشَابَ قَوَيْدِي وَاسْتَهَامَ فَوَادِيَا^(٦)
 وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَعْدُ اللَّيَالِيَا
 أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ بِاللَّيْلِ خَالِيَا

(١) كبداء: امرأة ضخمة الوسط. وجلعدا: مستنة.

(٢) تيماء: بلد صغير في أطراف الشام.

(٣) في تصريح ليلي حاليًا: قطعها عهودي.

(٤) النقض: نقض العهد. والإبرام: أي إبرام العهد.

(٥) سمية: تسمى باسمها أي ليلي.

(٦) أم مالك: كنية ليلي، وفويدي: تصغير فود، وهو جانب الرأس.

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمُمْتُ نَحْوَهَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبَّهَا
أَجِبْتُ مِنْ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ أَسْمَهَا
خَلِيلِي لَيْلَى أَكْبَرَ الْحَاجِ وَالْمُنَى
لِعَمْرِي لَقَدْ أَبْكَيْتَنِي يَا حَمَامَةَ الْ
خَلِيلِي مَا أَرْجُو مِنَ الْعَيْشِ بَعْدَ مَا
وَتَجَرَّمُ لَيْلَى ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّي
فَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا خَلِيلِي صَبَابَةٍ
خَلِيلَانِ لَا نَرْجُو اللَّقَاءَ وَلَا نَرَى
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِكَ أَنْ تَعْرِضَ الْمُنَى
يَقُولُ أَنْاسُ: عَلَّ مَجْنُونٍ عَامِرٍ
بِي الْيَأْسُ أَوْ ذَاءُ الْهَيْامِ أَصَابَنِي
إِذَا مَا اسْتَطَالَ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
إِذَا اكْتَحَلْتُ عَيْنِي بِعَيْنِكَ لَمْ تَزُلْ
فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَشْقَيْتِ عَيْشَتِي
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَا

بَوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا^(١)
وَعُظْمَ الْجَوَى أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمَدَاوِيَا^(٢)
أَوْ أَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
فَمَنْ لِي بَلِيلِي أَوْ فَمَنْ ذَا لَهَا بِيَا
عَقِيقٍ وَأَبْكَيْتِ الْعَيُونَ الْبَوَاكِِيَا^(٣)
أَرَى حَاجَتِي تُشْرَى وَلَا تُشْتَرَى لِيَا^(٤)
سَلَوْتُ وَلَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ مَا بِيَا
أَشَدُّ عَلَى رَغَمِ الْأَعَادِي تَصَافِيَا
خَلِيلَيْنِ إِلَّا يَرْجُوَانِ تَلَاقِيَا
بَوْصَلِكَ أَوْ أَنْ تَعْرِضِي فِي الْمُنَى لِيَا^(٥)
يَرُومُ سُلُوكًا قُلْتُ: أَنَّى لِمَا بِيَا^(٦)
فَإِيَّاكَ عَنِي لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا
فَشَأْنُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشَانِيَا^(٧)
بَخِيرٍ وَجَلَّتْ غَمْرَةٌ عَنْ فَوَادِيَا^(٨)
وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَنْعَمْتَ بِأَلِيَا
يَرَى نِضْوًا مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثِي لِيَا^(٩)

(١) يممت نحوها: جعلتها قبلتي.

(٢) وما بي إشراك: أي اعتقاد في أنها آلهة يصلى لها. والجوى: شدة الوجد من الحزن أو العشق.

(٣) العقيق: هو الوادي وكل مسيل ماء شقه السيل قديماً فوسعه.

(٤) تُشْرَى: تباع لغيري.

(٥) استحييك: استحي منك. يقول: أخرجك أن أتمنى وصالك أو أن تُقَدِّمِي لِي فِي الْأَمَانِي، لِأَنَّا لَمْ نَكُنْ

وَصَالًا، تَعَفُّفًا مِنِّي.

(٦) عل: لغة في لعل. وأنى: كيف؟ وهو استفهام يقصد منه استبعاد سلوّه.

(٧) أم مالك: كنية ليلَى.

(٨) جلّت: انكشفت، وغمرة: شدة.

(٩) النضو: الجسم المهزول. ورثي: حزن.

وَمُتَّخَذُ ذَنْباً لَهَا أَنْ تَرَانِيَا
أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ خِيَالِيَا^(١)
شِمَالاً يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا^(٢)
لَعَلَّ خِيَالَا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا^(٣)
وَأَنْتِ لَا أَلْفَى لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا
كَفَى لِمَطَايَانَا بِذِكْرَاكِ هَادِيَا^(٤)
لَهَا وَهَجٌ مُسْتَضْرَمٌ فِي فُؤَادِيَا^(٥)
عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا^(٦)
وَحُبُّ الْإِنَّا بِطُنْ نَعْمَانَ وَادِيَا؟^(٧)
عَلِيَّ الْهَوَى لَمَّا تَغْنِيْتُمَا لِيَا
أُبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
بَلْخَنِيكُمَا ثُمَّ اسْجَعَا عَلَلَانِيَا^(٨)
لِحَاقاً بِأَطْلَالِ الْعَصَا فَاتْبَعَانِيَا
وَمَا لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِ شَيْبِ عَلَانِيَا^(٩)
إِلَى مَنْ تَشْبِيهَا أَوْ لِمَنْ أَنْتَ وَاشِيَا
فَمَا ظَنَنْ الْحُبَّ الَّذِي فِي فُؤَادِيَا^(١٠)

أَمْضَرُوبَةً لِيَلَى عَلَى أَنْ أَرْوَرَهَا
إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي
يَمِيناً إِذَا كَانَتْ يَمِيناً وَإِنْ تَكُنْ
وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ
هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنْ لِّلْسَحَرِ رُقِيَةٌ
إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتِ أَمَامَنَا
ذَكَتْ نَارُ شَوْقِي فِي فُؤَادِي فَأَصْبَحْتُ
أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا
أَسْأَلُكُمْ: هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا
أَلَا يَا حَمَامِي بَطْنِ نَعْمَانَ هِجْتُمَا
وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَّ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ
وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيَتَانِ تَجَاوَيَا
فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا أَوْ أَرَدْتُمَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لِيَلَى وَمَالِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي بِلَيْلَى أَلَا تَرَى
لَنْ ظَنَنْ الْأَحْبَابُ يَا أُمَّ مَالِكٍ

(١) أصانع . . . : أحايله أن يميل مقابل لي لحفة جسمي وهزاله .

(٢) يميناً إذا كانت يميناً: أميل يميناً إذا كانت في جهته .

(٣) لاستغشي: أطلب النعاس فأنمطي لأنام .

(٤) أدلجنا: سرنا في الظلمة .

(٥) ذكت: اشتعلت .

(٦) اليمانون: الآتون من جهة اليمن . وعرجوا: ميلوا علينا لنسألكم عن نحب . وهوانا: من نهواه .

(٧) نعمان: واد . وحب إلينا: فعل مدح مثل نعم .

(٨) عللانيا: يقال علله بكذا ، أي: شغله وله به . والقُمري: جمع القُمر والقُمَارِي، والأنثى: قُمريّة، وهي

ضرب من الحمام حسن الصوت .

(٩) الصبا: الصبوة والميل إلى المحبوبة .

(١٠) ظعن: رحل . وأم مالك: كنية ليلي .

فيا ربَّ إذْ صيِّرْتَ ليليَ المُنَى فزِنِّي بعَيْنِهَا كما زِنْتَهَا لِي
وإلَّا فبَغْضُهَا إِلَيَّ وَأَهْلَهَا فإِنِّي بِلَيْلى قَدْ لَقِيتُ الدَّوَاهِيَا
عَلَى يَثَلٍ لَيْلى يَقْتُلُ المرءَ نَفْسَهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلى عَلَى اليَأْسِ طَاوِيَا
خَلِيلِي إِنْ ضُنُّوا بِلَيْلى فَقَرِّبَا لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا^(١)

- ديوان مجنون ليلي، ص ١٢٦ - ١٣٤.

٢ - قصيدة قَطْرِيَّ بنِ الفُجاءَةِ^(٢) في الحماسة والشجاعة

(من الوافر)

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعاً مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي^(٣)
فإِنَّكَ لَوَسَّالَتِ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي^(٤)

(١) ضنوا بليلى: بخلوا بها.

(٢) كان قطري بن الفجاءة بن مازن بن يزيد الكتاني المازني التميمي، زعيماً من الخوارج وبطلاً من أبطالهم، وكانت له كنيستان: كنية في السلم، وهي أبو محمد، وكنية في الحرب، وهي أبو نعام (ونعامه فرسه). وهو من أهل «قطر» بالقرب من البحرين، عرف بخطبه، وفروسته، وشعره، فقد كان خطيباً مشهوراً، وفارساً شجاعاً، وشاعراً معروفاً، خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير. وكانت ولاية مصعب سنة ٦٦ هـ. فبقي قطري عشرين سنة يقاتل، ويسلم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين. والحجاج بن يوسف الثقفي يسير إليه جيشاً بعد جيش، وهو يردهم ويستظهر عليهم. قيل: عثر به فرسه، فاندقت فخله فمات سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م. وقيل في وفاته غير ذلك انظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٣٠. والبيان والتبيين ١/ ٣٤١ - ٣٤٢. والأعلام ٥/ ٢٠٠ - ٢٠١. ويقال: إنه كان له امرأة من الخوارج يقال لها أم حكيم. وكانت من أشجع الناس وأحسنهم بدينهم تمسكاً. انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ٢٤.

(٣) أقول لها: أي أقول للنفس. والشعاع: المتفرق، وهذا مثل، ومعناه المبالغة في الفزع. وطارَتْ شعاعاً: تبددت من الخوف، أي: خافت خوفاً شديداً. ولن تراعي: من الروع وهو الفزع، أو الخوف. والمعنى: أقول للنفس، وقد طارت متفرقة من خوف الأبطال، ويحك لا تراعي ولا تفزعي، ولكن تشجعي واصبري. أي أنه يذكر تشجيعه نفسه وتعريفه إياها - بعدما استشعرت الفزع - أن الأجل مقدّر، وأن الزيادة لا تلحقه، ويوضح هذا في البيت التالي.

(٤) بقاء يوم: أي زيادة يوم. والمعنى: أن النفس إذا طلبت أن يفسح لها في أجلها زيادة عن الأجل المسمى لها لا يجاب طلبها.

فصبراً في مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فما نِيلَ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ^(١)
ولا ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبٍ عِزٍّ فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْيَرَاعِ^(٢)
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلِّ حَيٍّ فدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي^(٣)
وَمَنْ لَا يُغْتَبِطُ يَسَامُ وَيَهْرَمُ وتُسَلِّمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ^(٤)
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ^(٥)
- شرح ديوان الحماسة، للتبريزي ٢٤/١ - ٢٥.

٣ - قصيدة لـ جميل بن مَعْمَرٍ^(٦)

(من الطويل)

أَلَا لَيْتَ رِيْعَانَ الشُّبَابِ جَدِيدُ وَدَهْرًا تَوَلَّى، يَا بُثَيْنَ، يَعُودُ^(٧)

(١) فصبراً الثانية تأكيداً لصبراً أو البيت.

(٢) أخو الخنع: الدليل. والخنع: الذلة. واليراع: هنا الرجل الجبان، الذي لا قلب له. كأنه لا جوف له. فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه. وأصل اليراع: القصة التي لا جوف لها. يقول: إن الجبان وإن ليس ثوب البقاء والحياة، فإنه ليس بثوب عز وشرف فينزع عنه ويطوى.

(٣) غاية كل حي: يعني أنه لا بد لكل حي وإن طال عمره من سلوك سبيل الموت.
(٤) الاعتبار: أن يموت من غير علة، أي: من لم يمت شاباً مات هَرَمًا. ويسام: أي يسأم ما يعتربه من تكاليف الهرم. يقول: إن من لم يمت شاباً ملّ وسئم من طول العمر. وتكاليف الحياة، ولا بد في يومٍ من الأيام أن يسلمه إلى الموت وانقطاع الأجل.

(٥) السقط: الردىء. والمتاع: الأداة. وسقط المتاع: الشيء التافه، أو هو الشيء الذي لا فرق بين وجوده وعدمه ولا توقف المنفعة عليه. يقول: إن المرء لا فائدة له في هذه الحياة، إذا لم يكن عنده كفاية في المهمات والموت حينئذٍ خير له من تلك الحياة.

(٦) جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث. . . من عُدرة، ولهذا يسمى جميل بن معمر العُدري، ويكنى أبا عمرو، وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك. وصاحبه بثينة. وهي من عُدرة أيضاً، افتتن بها، وخصّها بقصائد كثيرة، وأكثر شعره في النسب والغزل والفخر، وله شعر قليل في المدح. وشعره في الغزل رقيق، صادق، عفيف، طاهر. وقد لقي في سبيل حبه الألم والحزن والعنت والحرمان والنفي، حيث كانت منازل بني عُدرة في وادي القرى (في المدينة) ورحلوا إلى أطراف الشام. ثم لجأ إلى مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه عبد العزيز، فأقام قليلاً، ومات في مصر سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م. انظر ترجمته وأخباره في: طبقات فحول الشعراء، ص ٦٤٨، ٦٦٩ - ٦٧٩. والشعر والشعراء، ص ٢٦٠-٢٦٨. والأغاني ٨/٩٠ - ١٥٥. (طبعة دار الثقافة). والأعلام ٢/١٣٨. وانظر: مقدمة ديوان جميل بثينة، ص ٥ - ٣٠.

(٧) ريعان الشباب: أوله وأفضله. وتولى: مضى.

فَنَبْقَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ، وَأَنْتُمْ
وَمَا أَنْسَ، مِ الْأَشْيَاءِ، لَا أَنْسَ قَوْلَهَا
وَلَا قَوْلَهَا: لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى
خَلِيلِي، مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ بَاطِنُ
أَلَا قَدْ أَرَى، وَاللَّهِ، أَنَّ رُبَّ عَبْرَةٍ
إِذَا قُلْتُ: مَا بِي يَا بُيْتِنَةَ قَاتِلِي
وَإِنْ قُلْتُ: رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أُعِشْ بِهِ!
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا،
جَزَيْتُكَ الْجَوَازِي، يَا بَيْتِنَ سَلَامَةَ
وَقُلْتُ لَهَا: بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَاغْلَمِي
وَقَدْ كَانَ حُبِّيكُمْ طَرِيفًا وَتَالِدًا
وَإِنَّ عَرُوضَ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بِأَنْتَظَارِي وَعَدَهَا
فَلَيْتَ وَشَاةَ النَّاسِ، بَيْنِي وَبَيْنَهَا

قَرِيبٌ، وَإِذَا مَا تَبَدَّلَيْنَ زَهِيدٌ
وَقَدْ قُرْبَتْ نَضْوِي: أَمِصَّرَ تُرِيدُ؟^(١)
لَزُرْتُكَ، فَاعِذِرْنِي، فَذَتِكَ جُدُودُ
وَدَمْعِي بِمَا أَخْفِي، الْغَدَاةُ، شَهِيدُ^(٢)
إِذَا الدَّارُ شَطَطَتْ بَيْنَنَا، سَتَزِيدُ^(٣)
مِنَ الْحَبِّ، قَالَتْ: ثَابِتٌ، وَيَزِيدُ^(٤)
تَوَلَّتْ وَقَالَتْ: ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدًا
وَلَا حُبَّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ^(٥)
إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ وَهُوَ حَمِيدُ^(٦)
مِنَ اللَّهِ مِثْقَالُ لَهُ وَعُهُودُ^(٧)
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَارِفٌ وَتَلِيدُ^(٨)
وَإِنْ سَهَلْتَهُ بِالْمُنَى، لَكَوْودُ^(٩)
وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
يَدُوفُ لَهُمْ سُمًّا طَمَاطِمُ سُودُ^(١٠)

(١) م الأشياء: من الأشياء. ونضوي: ناقتي الهزيلة الضامرة.

(٢) خليلي: من عادة الشعراء العرب أن يخاطب أحدهم صاحبيه. والخليل: الصديق المختص بالمودة. وشهيد: يشهد لي بذلك، ويقربه. والوجد: الحب الشديد. والغداة: ما بين الفجر، وطلوع الشمس.

(٣) شططت: بعدت، والعبرة اللدعة، يقسم أن دموعه ستزداد غزارة بعد الفراق الذي نصحه بعضهم به، أملاً في التخلص من الحب.

(٤) ثابت: باق. ويزيد: أنه سيزيد.

(٥) يبيد: ينقضي، ويفنى، أي: ينقضي حبها ويفنى لأستريح.

(٦) جزتك: كافأتك. والجوازي: واحدها الجازية، وهي المكافأة، أي: وجدت جزاء ما فعلت، وكوفئت سلامة. ويان: فارق. وهيد: صيغة مبالغة من حمد: شكر.

(٧) الميثاق: ما كان ثابتاً وقوياً ومحكماً من العهد. كأنه مشدود بالوثاق.

(٨) طارف: جديد. وتليد: قديم.

(٩) العروض: الطريق في عرض الجبل. وكؤود: شاقة وصعبة.

(١٠) الوشاة: مفردة الواشي، وهو الغمام. ويدوف: من داف أي خلط وأذاب في الماء. والطماطم: أناس في ألسنتهم عجمة. والظاهر أن هؤلاء كانوا حاذقين في خلط الأدوية وإعدادها في تلك الأيام.

وليتهم، في كل ممسى وشارق
ويحسب نسوان من الجهل أنني
فأقسيم طرفي بينهن فيستوي
ألا ليت شعري، هل أبيت ليلة
وهل أهبطن أرضاً تظل رياحها
وهل ألقين سعدى من الدهر مرة
وقد تلتقي الأشتات بعد تفرق
وهل أزجرن حرفاً علالة شملة
على ظهر مرهوب، كأن نشوزة
سبني بعيني جوذر وسط رب
تزيّف، كما زافت إلى سلفاتها

تضاعف أكبال لهم وقود^(١)
إذا جئت، إياهن كنت أريد
وفي الصدر بون بينهن بعيد^(٢)
بواي القرى؟ إني إذن لسعيداً^(٣)
لها بالثنايا القوايات ويّد؟^(٤)
وما رث من حبل الصفاء جديد؟^(٥)
وقد تدرك الحاجات وهي بعيد
بخرق، تباريها سواهم قود^(٦)
إذا جاز هلاك الطريق، رُقود^(٧)
وصدر كفاثور اللجين، وجيد^(٨)
مباهية، طي الشواح، ميود^(٩)

(١) ممسى وشارق: مساء كل يوم وصباحه. والأكبال: مفردا الكبل. وهو القيد العظيم.

(٢) طرفي: يقصد نظراته. والبون: الفرق الكبير بين أمرين.

(٣) ليت شعري: ليتني أعرف. وبواي القرى: وادي بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة، فيه منازل لقضاة ثم جهينة وعذرة، وهنا يتمنى أن يبيت بوادي القرى، حيث يقيم الأحبة.

(٤) الثنايا: جمع الثنية، وهي ما انطوى وانحنى واعوج من الأرض. والقوايات: الأرض المقفرة الخالية والتي لا تمطر. ويّد: الصوت الشديد، الأنثى كاللدوري من بعيد.

(٥) رث: بلى.

(٦) أزجرن: أسوق النوق صائحاً بها، وكأنني أطردها: والحرف: الناقة الظامرة. وعلاة: الناقة العالية المشرفة، وشملة: الناقة السريعة. والخرق: الأرض الواسعة التي تهب فيها الرياح وكأنها تخرقها. والسواهم: النوق الضواهر. والقود: المذلة للمسير. واحدها: أقود وقوداء.

(٧) النشوز: جمع النشز: وهو المكان المرتفع. يتساءل متمنياً عما إذا كان سيسوق ناقته العالية السريعة على طريق مخيف أشد الخوف. أو لعله يريد أنه يسير إلى غرضه على ظهر ناقه جهدها السير لكثرة ما سارت. وجاز هلاك الطريق: مرّ بهم وتجاوزهم وأبقاهم وراءه، وهم الذين ما عادوا قادرين على اجتياز تلك الأرض المقفرة الوعرة.

(٨) جوذر: ولد البقرة الوحشية. والربرب: القطيع من بقر الوحش. والفائور: المائدة من وخام، أو قرص الشمس. واللجين: الفضة.

(٩) تزيّف: تمشي كما تمشي الحمامة، أي مسترخية في المشي متمهلة جارة أذيالها. وسلفاتها: نساء إخوة =

إذا جثُّها يوماً من الدهر، زائراً
بصدِّ ويُغضي عن هَوَايَ، ويجتني
فأصرمها خوفاً، كأني مُجانبٌ
ومن يُعط في الدنيا قريناً كمثليها
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها
يقولون: جاهد، يا جميل، بغزوةٍ
لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٍ
وأحسن أيامي، وأبهج عيشتي
نذكرت ليلى، فالفؤاد عميدٌ
علقت الهوى منها وليداً، فلم يزَلْ
فما ذكر الخُلان إلا ذكرتها،
إذا فكرت قالت: قد أدركت ودَّه
فلو تُكشف الأحشاء صودف تحتها
ألم تعلمي يا أمَّ ذي الودع أنني
فهل القَيْن فرداً بُثينة ليلةٍ

تعرَض منقوض اليدين، صدود^(١)
دُئوباً عليها، إنه لعنودُ
ويغفلُ عنا مرةً، فنعود^(٢)
لهذا في عيش الحياة رشيد^(٣)
ويحيا، إذا فارقتها، فيعود
وأَيَّ جهادٍ، غيرهنَّ، أريدُ
وكلُّ قتلٍ عندهنَّ شهيدٌ
إذا هيج بي يوماً، وهنَّ قعودُ
وشطت نواها، فالمزارُ بعيد^(٤)
إلى اليوم ينمي حُبها ويزيدُ
ولا البخلُ إلا قلت سوف تجودُ
وما ضرني بُخلي، فكيف أجودُ!
لبثنة، حُب طارف وتليد^(٥)
أضاحك ذكراكم، وأنت صلود^(٦)
تجود لنا من ودَّها ونجودُ؟

= زوجها. شبه مشيتها بمشية المرأة التي تسير قاصدة نساء إخوة زوجها. والوشاح: نسج عريض يرصع بالجواهر تشبه المرأة بين عاتقها وكشحيها. وميود: كثيرة التمايل والاهتزاز.
(١) منقوض اليدين: من أصابته رعدة من غضب وسواه كالغيرة. . . . ولعله يريد زوجها. ويصد: يعرض ويمنع.

(٢) أصرمها: أهرجا. ومجانب: أي نحاه وأبعده ودفعه.

(٣) رشيد: موفق.

(٤) العميد: العاشق الذي هدَّه العشق. وشطت: بعدت. ونواها: النوى: البعد. رحلة بعيدة ينويها المسافر.

(٥) الطارف: القديم. والتليد: الجديد.

(٦) الودع: الواحدة الودعة، صدقات صغار تخرج من البحر، في وسطها شق مثل شق نواة النمر تعلّق في العنق للزينة، أولدفع الإصابة بالعين. وأم ذي الودع: بقصد حبيبته التي تتزين بهذه الأشياء. وصلود: شديدة البخل لا تلين.

ومن كَانَ فِي حَيِّ بُيْنَةٍ يَمْتَرِي فبرقاء ذي ضالٍ عليَّ شهيداً^(١)
- ديوان جميل بثينة، ص ٤٣ - ٤٦.

٤ - من قصيدة عُبَيْدِ اللَّهِ بن قيس الرقيات^(٢) في مدح مُصْعَبِ بن الزبير^(٣)
(من الخفيف)

حَبَّذَا الْعَيْشَ حِينَ قَوْمِي جَمِيعٌ لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ
قَبْلَ أَنْ تَطْمَعَ الْقَبَائِلُ فِي مُدِّ لِكَ قُرَيْشٍ وَتَشْمَتَ الْأَعْدَاءُ
أَيُّهَا الْمُشْتَهِي فَنَاءَ قُرَيْشٍ يَبِيدُ اللَّهُ عُمْرَهَا وَالْفَنَاءُ
إِنْ تُودَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحَيِّ بَقَاءُ^(٤)
لَوْ تَقَفِّي وَتَتَرَكُ النَّاسَ كَانُوا غَنَمَ الذُّبِّ غَابَ عَنْهَا الرَّعَاءُ^(٥)
هَلْ تَرَى مِنْ مُخَلَّدٍ غَيْرَ أَنَّ الـ لَهُ يَبْقَى وَتَذْهَبُ الْأَشْيَاءُ
يَأْمُلُ النَّاسُ فِي غَدٍ رَغَبَ الدَّهْرِ رِ، أَلَا فِي غَدٍ يَكُونُ الْقَضَاءُ
لَمْ نَزَلْ آمِنِينَ يَحْسُدُنَا النَّاسُ سٌ وَيَجْرِي لَنَا بِذَلِكَ الثَّرَاءُ

(١) يمتري: يشك، وبرقاء ذي ضال: موضع في وادي القرى. ويروي صاحب الأغاني (١٢٨/٨): أن رهط بثينة قالوا: إنما يتبع جميل أمة لنا. فواعد جميل بثينة حين لقيها ببرقاء ذي ضال، فتحدثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا. ثم قال لها: هل لك أن ترقدي؟ قالت: ما شئت، وأنا خائفة أن نكون قد أصبحنا، فوسدنا جانبها ثم أصبحها، ونامت، فأنسل واستوى على راحته فذهب، وأصبحت في مضجعها، فلم يُرَ الحَيَّ إلا بها راقدة عند مناح راحلة جميل في يوم ذي ضال، بوادي القرى.

(٢) عُبَيْدُ اللَّهِ بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة. . . بن لؤي بن غالب من قريش، وقد نسب إلى الرقيات لأنه شبيب بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية. وهو من الطبقة السادسة من الإسلاميين، وكان غزلاً، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة، وكان عمر يضرح بالغزل، ولا يهجو ولا يمدح، وكان عبد الله يشبيب ولا يصرح.. وكان انقطاعه إلى آل الزبير، وقد خصهم بغرر قصائده، وكان يهاجم الأمويين، وهو القائل لعبد الملك بن مروان:

قد رضينا، فمُتْ بدائك غيظاً لا تميّتْ غيْرَكَ الأدوية.
وكان مقيماً في المدينة، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير، مصعب وعبد الله، ثم سأل عبد الملك ليؤمنه، فأمنه، توفي سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء، ص ٦٤٧ - ٦٥٥. والأغاني ٦٤/٥ - ٩١، ١٧/١٩٦ - ٢٠٠ (طبعة دار الثقافة). والأعلام ٤/١٩٦.

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله، أحد الولاة، نشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير، ولآه البصرة، وجه إليه عبد الملك جيشاً، فانتصر عليه، وقتل سنة ٧١ هـ / ٦٩٠ م. (الأعلام ٧/٢٤٧).

(٤) تودع: تهلك.
تَقَفِّي: تذهب. والرعاء: جمع الراعي. يقول: لو ذهبت قريش، لكان الناس كالغنم للذئاب إذا تركها الرعاة.

فَرْضِينَا فَمُتْ بِدَائِكَ غُمًّا
لَوْ بَكَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ عَلَى قَوْمِ
نَحْنُ مِنْهَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ وَالصَّدِّ
وَقَتِيلُ الْأَحْزَابِ حَمَزَةٌ مِنْهَا
وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ
وَالزُّبَيْرُ الَّذِي أَجَابَ رَسُولَ اللَّهِ
وَالَّذِي نَفَّصَ ابْنَ دُومَةَ مَا تَوَّ
فَأَبَاحَ الْعِرَاقَ يَفْضِرُهُمْ بِالسَّيِّدِ
فَسَقَوْا كَيْيُفْلَلُوكَ وَيَأْبَى إِلَهُ
حَسَدًا إِذْ رَأَوْكَ فَضَّلَكَ اللَّهُ
فَعَلَى هَذِهِمْ خَرَجْتَ وَمَا طِ
إِنْ تَعِشْ لَا تَزَلْ بِخَيْرٍ وَإِنْ تَهْ
إِنَّمَا مُضْعَبُ شِهَابٍ مِنَ اللَّهِ
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ

لا تُمِيتَنَّ غَيْرَكَ الْأَذْوَاءُ
مِ كِرَامٍ بَكَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ
يَقُ مِنْهَا التَّقِيُّ وَالْخُلَفَاءُ
أَسَدُ اللَّهِ وَالسَّنَاءُ سَنَاءُ^(١)
مِنْ هُنَاكَ الْوَصِيُّ وَالشَّهْدَاءُ^(٢)
لَهُ فِي الْكَرْبِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءُ^(٣)
جِي الشَّيَاطِينُ وَالسُّيُوفُ ظُمَاءُ^(٤)
فِي صَلْتًا وَفِي الضَّرَابِ غَلَاءُ^(٥)
لَهُ إِلَّا الَّذِي يَرَى وَيَشَاءُ^(٦)
هُ بِمَا فُضِّلَتْ بِهِ النُّجَبَاءُ
بُكَ فِي اللَّهِ إِذْ خَرَجْتَ الرِّبَاءُ
لِكَ نَزُلَ مِثْلَ مَا يَزُولُ الْعَمَاءُ^(٧)
هُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ^(٨)
جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ
سَلَحَ مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْإِتْقَاءُ

- (١) حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ قتله وحشي غلام جبير بن مطعم يوم أحد.
(٢) جعفر بن أبي طالب. والوصي: يعني علياً كرم الله وجهه.
(٣) الزبير بن العوام، أبو عبد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، هاجر الهجرة، وشهد المشاهد كلها، وهو أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله، قتل يوم الجمل.
(٤) يعني مصعباً. وابن دومة: المختار، أي نفص ابن دومة ملكه. وابن دومة: المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان المختار لا يوقف له على مذهب، كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً في ظاهره. وقوله: ما توحى الشياطين، فإن المختار كان يدعي أنه يلهم ضرباً من الشجاعة لأمر تكون، ثم يحتال فيوقعها. فيقول للناس: هذا من عند الله عز وجل.
(٥) الصلت من السيوف: الصقيل الماضي. والصلت من الرجال: الشجاع الماضي في الحوائج. وفي الضراب غلاء: لا يقدر عليه كل إنسان.
(٦) يفلل: يضلل، يهزم، يكسر.
(٧) العماء: السحاب.
(٨) الشهاب: الكوكب، وتجلت: انكشفت.

إِنَّ لِلَّهِ دُرُّ قَوْمٍ يُرِيدُوا
 بَعْدَ مَا أُحْزِرَ إِلَهُ بِكَ الرُّتْدُ
 وَرِجَالٌ لَوْ شِئْتَ سَمَيْتَهُمْ بِـ
 مِنْهُمْ ذُو النَّدَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو
 حَاطَ أَخْوَالَهُ خُزَاعَةَ لَمَّا
 جِئَ قَالَ الرَّسُولُ زُؤِلُوا فَزَالُوا
 عَيْنِ فَابِكِي عَلَى قُرَيْشٍ، وَهَلْ يُرْ
 مَعَشَرٌ حَتَفُهُمْ سُيُوفُ بَنِي الْعَلَاءِ
 تَرَكَ الرَّأْسَ كَالثُّغَامَةِ مِنِّي
 مِثْلُ وَقَعِ الْقُدُومِ حَلَّ بِنَا فَالْدُ
 لَيْسَ لِلَّهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بَيْتِ
 خَصُّهُ اللَّهُ بِالْكَرَامَةِ فَالْبَا
 حَرَّقَتْهُ رِجَالٌ لَخْمٍ وَعَكٍّ
 فَبَنَيْنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَا حَرَّقُوهُ

* * *

جِئَ مَا فَاتَ إِنْ بَكَيْتِ الْبُكَاءُ
 تِ يَخْشَوْنَ أَنْ يَضِيعَ اللُّوَاءُ^(١)
 نَكَبَاتٌ تَسْرِي بِهَا الْأَنْبَاءُ^(٢)
 لَأَسْ مِنْ أَسَابِنَا أَخْلَاءُ^(٣)
 نَحْنُ حُجَابُهُ عَلَيْهِ الْمُلَاءُ^(٤)
 تُؤْنَ وَالْعَاكِفُونَ فِيهِ سَوَاءُ^(٥)
 وَجُدَامٌ وَحِمِيرٌ وَصُدَاءُ^(٦)
 فَاسْتَوَى السَّمَكَ وَاسْتَقَلَّ الْبِنَاءُ^(٧)

(١) أحرز الرتق: أزال التصدع والفرقة.

(٢) سهيل بن عمرو بن عبد شمس، هو الأعلام الخطيب، وكان من أشراف قريش وأمه من خزاعة، أسلم يوم الفتح، وقام بعد ذلك بمكة خطيباً حين توفي الرسول ﷺ وهاج أهل مكة، وكادوا يرتدون، فسكن الناس، وقبلوا منه. وخرج سهيل بجماعة أهله إلى الشام فجاهدوا حتى ماتوا كلهم هناك، توفي بالطاعون سنة ١٨ هـ.

(٣) بني العلات: الأقارب، والأصل: بنو أمهات شتى من أب واحد. يريد لخم وعك وجُدَام أيام عبد الله ابن الزبير وبني أمية.

(٤) الثغامة: واحدة الثغام، وهو نبت يبيض عندما يبس، يشبه به الشيب. وتسري: تسير ليلاً.

(٥) أخلاء: أي أخلياء من الهموم، وما نحن فيه من شقاق.

(٦) الملأ: جمع الملاعة، وهي الربطة أو الثوب.

(٧) البادون: من هم خارج المسجد. والعاكفون: من هم داخله. يريد من في مكة وخارجها.

(٨) أي هدمته رجال لخم وجُدَام وحمير (من اليمن) وعك من نزار.

(٩) السمك: السقف. واستقل: ارتفع.

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا يَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةً شَعْوَاءَ^(١)
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَيْتِهِ وَتُبْدِي عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعَزَّاءَ^(٢)
أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمِّيَّةٍ مُزَوَّرَ وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءَ^(٣)
إِنْ قَتَلْتَنِي بِالطُّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي كَانَ مِنْكُمْ لَشْنٌ قُتِلْتُمْ شِفَاءً^(٤)

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ٨٧-٩٦

٥ - من قصيدة للأخطل^(٥) في مدح عبد الملك بن مروان^(٦)

وهجاء قيس وبني كليب رهط جرير

(من البسيط)

خَفَّ الْقَطِيطُنْ، فَرَاخُوا مِنْكَ، أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوَى، فِي صَرْفِهَا غَيْرُ^(٧)

(١) غارة شعواء: أي متفرقة، أي: حرب الأمويين.

(٢) البُرى: الخلائيل، واحدها برة، يريد: أن النساء يكشفن عن خلايلهن، وسيقانهن أثناء الهرب حين وقوع الفرع.

(٣) مزور: كاره.

(٤) يشير إلى مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء، وهي تقع في الطف، من ضواحي الكوفة، وقد قتل فيها معه نفر كثير من القرشيين، في سنة ٦١ هـ.

(٥) هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة التغلبي، أبو مالك، نشأ على النصرانية في أطراف الحيرة بالعراق، اتصل بالأمويين فكان شاعرهم، ومحلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف، وهو جرير والفرزدق طبقة واحدة، جعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام، ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل ولكل واحد منهم طبقة تفضله على الجماعة، يقال عن التحامه بالشعراء: أنه بلغه تهاجي جرير والفرزدق، فقال لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما فتأنيني بخبرهما، فأنحدر مالك حتى لقيهما، واستمع منهما، ثم لقي أباه فقال: وجدت جريراً يغرف من بحر، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: الذي يغرف من بحر أشعرهما. وحين علم بشر بن مروان والي الكوفة بقدوم الأخطل عليه. أرسل إليه شخصاً ليرشوه بألف درهم وبغلة وكسوة وخمر، وقال له: اهج جريراً... وقد فعل ذلك... ولكنه لم يصمد لجرير، فدفعه ذلك إلى أن يعين الفرزدق عليه... وقد تقدم الأخطل في المدح ونعت الخمر على صاحبيه لنصرانيته وإسلامهما، وأعانه على السبق في المديح عنايته بالصياغة وتعلقه بالصنعة، وحرصه على إرضاء الخلفاء حماية للنصرانيين من تغلب. توفي سنة ٩٠ هـ/٧٠٨ م. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء، ص ٧٥-١١٧. وطبقات فحول الشعراء، ص ٤٥١-٥٢١. والشعر والشعراء. ص ٣٠١-٣١٢. والأغاني ٢٧٩/٨-٣٢١، ١١/٥٥-٦٢. (طبعة دار الثقافة) والأعلام ١٢٣/٥. وانظر تعريف النقاظ: قصيدة الفرزدق رقم ٨. (٦) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ. وتوفي سنة ٨٦ هـ/٧٠٥ م. الأعلام ١٦٥/٤.

(٧) اخف: أسرع. والقطين: القوم المجاورون. وأزعجتهم: أشخصتهم وأقلقتهم. وراحوا: ذهبوا في =

إلى امرئ، لا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ
 الخائضِ الغمر، والميمون طائرُهُ
 والهَمُّ، بعدَ نَجْيِ النَّفْسِ، يَبْعَثُهُ
 والمُسْتَمِرُّ بهِ أَمْرُ الْجَمِيعِ، فَمَا
 وَمَا الْفُرَاتُ - إِذَا جَاشَتْ حَوَالِيَهُ
 وَزَعَزَعَتْهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ، وَاضْطَرَبَتْ
 مُسْحَنِفَرًا، مِنْ جِبَالِ الرُّومِ، تَسْتُرُهُ
 يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ، حِينَ تَسْأَلُهُ
 وَلَمْ يَزَلْ بِكَ وَاشِيَهُمْ، وَمَكْرَهُمْ
 فَمَنْ يَكُنْ طَاوِيًا عَنَّا نَصِيحَتَهُ

أَظْفَرَهُ اللَّهُ، فَلْيَهْنَأْ لَهُ الظَّفَرُ^(١)
 خَلِيفَةُ اللَّهِ، يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ^(٢)
 بِالْحَزْمِ، وَالْأَصْمَعَانِ، الْقَلْبُ وَالْحَذَرُ^(٣)
 يَغْتَرُهُ، بَعْدَ تَوْكِيدِ لَهُ، عَرَرُ^(٤)
 فِي حَافَتَيْهِ، وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعُشْرُ^(٥)
 فَوْقَ الْجَاجِيِّ، مِنْ آذِيَةِ، عُذْرُ^(٦)
 مِنْهَا أَكَايِفُ، فِيهَا دُونُهُ زَوْرُ^(٧)
 وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ، حِينَ يُجْتَهِرُ^(٨)
 حَتَّى أَشَاطُوا، بِغَيْبِ، لَحْمٍ مَنْ يَسْرُوا^(٩)
 وَفِي يَدَيْهِ، بِدُنْيَا غَيْرَهَا، حَصْرُ^(١٠)

= الروح، أي: العشي، وهي ضد بكروا. والصرف: التقلب. والغير: التغير.

- (١) لا تعرينا: لا تتركنا ولا تغفلنا. والنوافل: الهبات.
 (٢) الغمر: الماء الكثير، وأراد به شدة الحرب. والميمون الطائر: المبارك الحظ.
 (٣) نجي النفس: ما ناجى به نفسه. والأصمع: الذكي الحاد. ويقال: أصمع القلب، إذا كان ذكياً. يقول:
 إذا هم بأمر بعثه الهَمُّ بالحزم، وكذلك القلب والحذر يبعثانه أيضاً.
 (٤) يغتره: يأتيه على حين غرة، والغرر: التغيرير. يقول: استمر به أمر الناس، واستقام وصلح، وأنه إذا وكَّد
 عهداً وفى به.
 (٥) جاشت: زخرت واضطربت. وحوالبه: موادّه التي تصب فيه. والعشر: كبار شجر العضاء. يريد أنه
 يقتلع بجزيره الشجر.
 (٦) زعزعت: حركته. والجرجؤ: مقدم السفينة. وجأجئه: قيل صدوره، وقيل صدور السفن. والأذي:
 الموج. والغدر: جمع غدِير.
 (٧) المسحنفر: المتدفق السريع الجري. والأكاييف: المناكب من الجبال والجوانب، أي: ما يجبس الماء،
 واحدها الإكفاف. والزور: الميل.
 (٨) الجهير: الجسم الرائع، يقال: جَهِرَتِ الرجلَ واجتَهرتُهُ: إذا أعجبك حسنه.
 (٩) أشاطوا: فرقوا. ويسرت الناقة: إذا جُرَّأت لحمها أجزاء. وهنا يعرض بعبد الله بن الزبير بن العوام،
 يقول: لم يزالوا يمحرون بك حتى عاد مكرهم بك عليهم، فيسروا لحومهم كما ييسرون الجُزور.
 (١٠) طاوياً: مضمراً ممسكاً. وحصر: ضيق ويخل. يقول: من كان من الناس يذكرك نصيحة ولا يوجد بماله
 على السؤال والمعطين فهم فداؤك إذا اشتد الأمر.

فَهُوَ فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا
مُقْتَرَشُ كَافِتِرَاشِ اللَّيْلِ كُلُّكَ
مُقَدَّمُ مَائَتِي أَلْفٍ، لِمَنْزِلَةٍ
يَغْشَى الْقَنَاطِرَ، بَيْنَهُمَا، وَيَهْدِيهَا
حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ بِالطَّفِ مَلْحَمَةٌ
وَتَسْتَبِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَّاتُهُمْ
وَالْمُسْتَقِيلُ بِأَثْقَالِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ
فِي نَبْعَةٍ، مِنْ قُرَيْشٍ، يَغْصِبُونَ بِهَا
تَعْلُو الْهَضَابَ، وَحَلُّوا فِي أَرْوَمَتِهَا
حُشْدٌ عَلَى الْحَقِّ، عَيَافُو الْخَنَا، أَنْفُ

أَبْدَى التَّوَاجِدِ يَوْمٌ، بِاسِلٌ، ذَكَرُ^(١)
لِوَقْعَةٍ، كَاتِنٌ فِيهَا لَهُ جَزْرُ^(٢)
مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جِنٌّ، وَلَا بَشَرٌ
مُسَوِّمٌ، فَوْقَهُ الرَّايَاتُ، وَالْقَتَرُ^(٣)
وَبِالثَّوِيَّةِ، لَمْ يُنْبِضْ بِهَا وَتَرُ^(٤)
وَيَسْتَقِيمُ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعْرُ^(٥)
كَانَتْ لَهُ نِعْمَةٌ فِيهِمْ، وَمُدْخَرُ^(٦)
مَا إِنْ يُوَارَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ^(٧)
أَهْلُ الرِّبَاءِ، وَأَهْلُ الْفَخْرِ، إِنْ فَخَرُوا^(٨)
إِذَا أَلَمَتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا^(٩)

- (١) التَّوَاجِدُ: جمع الناجد، وهو الضريس الذي يلي الناب. والباسل: الكريه الشديد. الذكر: الصلب العسير، يقول: فهم فداء أمير المؤمنين إذا اشتد اليوم وكشفه الله به.
- (٢) المقترش: البارك على صدره. والكلكل: مقدّم الصدر والجزر: القتل.
- (٣) المسموم: المعلم خيله بعلامات الحرب. والقتر: الغبار. يقول: هو يأمر بقطع جسور وبناء جسور، وهو مسوم أي قد علم خيله بعلامات الغزو وفوقه الرايات والألوية.
- (٤) أراد بقوله: «الطف» مصعب بن الزبير، بها قتل. والثوية: يظهر الكوفة وبها قبر زياد بن أبيه. ولم ينبض بها وتر: يريد أنها حرب صعبة، ليس فيها رقي، وإنما فيها الطعن والضرب.
- (٥) الصعر: الميل في الرأس من الكبير والنخوة.
- (٦) استقل: نهض بأثقال، أي بحملات ودماء، والمدخر: الصنائع المدخرة.
- (٧) يعصبون بها: يجتمعون حولها. والنبة: ضرب من الشجر، وهي أجوده. ويوازي: يحاذي. وقريش: هو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. والحديث عن عبد الملك وقومه يقول: هو في أمتع قريش، وأعزهم، فسائر قريش يُمتعون بهم وليس يوازيهم قوم في الشرف والمنعة.
- (٨) حلوا: نزلوا: والأرومة: الأصل. والرباء: العدد والكثرة. يقول: فرغت هذه النبة الهضاب ونزلوا في أصلها.
- (٩) الحشد: المتحاشدون، أي أنهم يتحاشدون على الحق ويتعاونون عليه. ويجتهدون فيه. والخنا: الفحش. والعياف: الشديد الكره. والأنف: جمع أنوف وأنف. وألمت: أصابتهم مكروهة داهية وشدة، يقول: هم يتعاونون على إقامة الحقوق، وهم حلماء، يصمتون عن الفحش، وإن أصابتهم الشدائد صبروا لها.

وإن تَدَجَّتْ على الأفاق مُظْلِمَةٌ
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا، يُنْصَرُونَ بِهِ
لم يَأْشُرُوا فِيهِ، إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ
شُمُسُ الْعَدَاوَةِ، حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ
لا يَسْتَقِيلُ ذُوو الْأَضْغَانِ حَرْبَهُمْ
هُمْ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَّاحَ، إِذَا
بَنِي أُمَيَّةَ، نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ
بَنِي أُمَيَّةَ، قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ
أَفْحَمْتُ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَارِ، قَدْ عَلِمْتُ
كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا، وَمُعْتَصِرٌ^(١)
لَا جَدٌّ إِلَّا صَغِيرٌ، بَعْدُ، مُحْتَقَرٌ^(٢)
وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ، غَيْرِهِمْ، أَشِيرُوا^(٣)
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا، إِذَا قَدَرُوا^(٤)
وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوْرٌ^(٥)
قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ، أَوْ قَتَرُوا^(٦)
تَمَّتْ، فَلَا مِنَّةَ فِيهَا، وَلَا كَدْرٌ^(٧)
أَبْنَاءُ قَوْمٍ، هُمْ آوُوا، وَهُمْ نَصَرُوا^(٨)
عُلَيَّا مَعَدٍّ، وَكَانُوا طَالِمًا هَدَرُوا^(٩)

(١) تدجت: أظلمت، والمعتصر: الملجأ. يقول: وإن فتن الناس، كانوا غيائهم وملجأهم الذي إليه يفترون.

(٢) الجد: الحظ. يقول: أعطاهم الله حظاً من الخير ينصرون به، فكل حظوظ الناس عنده محتقرة صغيرة.

(٣) يآشرون: يبطرون. ومواليه: أولياؤه، والهاء في مواليه، كناية عن الحق.

(٤) الشمس: جمع الشموس، وهو الصعب العسر. أي: أنهم يشمسون على أعدائهم حتى يذلّوهم، فإذا أطيعوا واستسلم لهم فهم أعظم الناس أحلاماً إذا قدروا على من بغى عليهم.

(٥) يستقل: يطيق، والأضغان: الأحقاد. ويبين: يظهر ويدور. والخور: الضعف. وفي عيدانهم: أي في أنفسهم.

(٦) العافون: جمع عاف. وهو طالب الخير والعطاء. وقتروا: أصابهم إقلال من الملأ. ويبارون الرياح: يسابقونها في الإسراع إلى الكرام.

(٧) المجللة: العامة الشاملة. والكدر: التنغيص. وأمية: هو ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

(٨) أراد بالقوم: الأنصار. وناضلت دونكم: دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول ﷺ بعد الهجرة ونصروه. وكان يزيد بن معاوية أمره أن يهجو الأنصار فهجاهم قائلاً:

ذهبت قريش بالمسكارم والعلى واللؤم تحت عمائم الأنصار
(٩) أفحمته: أسكته وقطعته عن قول الشعر. وبنو النجار: أخوال الرسول ﷺ من الأنصار. ومعد: جد النزارية. وهدروا: افتخروا. يقول: اسكت عنكم الأنصار بهجائي ولساني. وكانوا طالما تكلموا فيكم.

وكان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يشبب بابتة معاوية، فأمر يزيد كعب بن جعيل التغلبي بهجاء الأنصار. فقال: أرادي أنت إلى الكفر بعد الإيثار؟ أودله على الأخطل، فهجاهم بقصيدة.

حَتَّى اسْتَكَانُوا، وَهُمْ مَنِّي عَلَى مَضْضٍ
بَنِي أُمِيَّة، إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ
وَأَتَّخِذُوهُ، عَدُوًّا، إِنْ شَهِدَهُ
إِنَّ الضَّيْعِيْنَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمْتُ
وَقَدْ نُصِرْتُ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِنَا
يُعْرِفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحُبَابِ، وَقَدْ
لَا يَسْمَعُ الصَّوْتِ، مُسْتَكَاً مَسَامِعُهُ
أُمَسْتُ إِلَى جَانِبِ الْحَشَاكِ جِيفَتُهُ
يَسْأَلُهُ الصَّبْرُ مِنْ غَسَّانَ، إِذْ حَضَرُوا
وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ، لَعِينٌ بِهِ
وَقَيْسَ عَيْلَانَ، حَتَّى أَقْبَلُوا رَقْصاً

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ^(١)
فَلَا يَبِينُ، فَيَكُمُ، آمِنًا، زُفْرُ^(٢)
وَمَا تَغِيْبُ، مِنْ أَخْلَاقِهِ، دَعَرُ^(٣)
كَالْعَرِّ، يَكُمُنْ جِنًا، ثُمَّ يَتَشِيرُ^(٤)
لَمَّا أَتَاكَ، يَبْطِنُ الْغُوطَةَ، الْخَبْرُ^(٥)
أَضْحَى، وَلِلْسَيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثَرُ^(٦)
وَلَيْسَ يَنْطِقُ، حَتَّى يَنْطِقَ الْجَجْرُ^(٧)
وَرَأْسُهُ دُونَهُ الْيَحْمُومُ، وَالصِّوَرُ^(٨)
وَالْحَزَنُ: كَيْفَ قَرَاكَ الْغَلْمَةُ، الْجَشْرُ؟^(٩)
حَتَّى تَعَاوَرَهُ الْعُقْبَانُ، وَالسَّبْرُ^(١٠)
فَبَايَعُوكَ، جِهَارًا، بَعْدَ مَا كَفَرُوا^(١١)

(١) استكانوا: سكنوا. والمضض: الوجع. ونفذ القول: مضى وجرى. يقول: حتى أقروا وسكنوا بطاعتكم وفضلكم، والقول يدخل مداخل لا تجوزها الإبر.

(٢) زفر: هو ابن الحارث الكلابي، أحد بني نفيل بن عمرو بن كلاب، كان زعيم قيس على تغلب وعلى أمة.

(٣) شاهده: ظاهره. والدعر: الفساد والخبث. أي لا تغتروا بصلحه، لأنه لا خير فيه.

(٤) العر: الجرب. يقول: إن الجرب وإن كان كامناً لا بد أن يظهر. وكذلك العداوة وإن بعد عهدها.

(٥) الخبر: خبر مقتل عمير بن الحُباب، ولما انتهى الأخطل في الإنشاد إلى هذا البيت، قال له عبد الملك: بل الله أيديني. أي: أنك نصرت بنا على قيس عيلان لما أتاك الخبر بقتلنا عمير.

(٦) عمير بن الحُباب قتلته تغلب، وكان الحُباب أبوه من أغربة العرب. والخيشوم: أعلى الأنف.

(٧) استك سَمِعَهُ: إِذَا صَمَّ مِنْ دَوِيٍّ يَسُدُّ الْمَسْمَعَ، وَالْمَسْمَعُ مَدْخَلُ السَّمْعِ إِلَى الدِّمَاغِ. وَالْمَسْتَكُ: الْأَصَمُّ.

(٨) الحشاك واليحموم والصور: أسماء مواضع.

(٩) الصبر والحزن: قبائل من غسان بالشام. والجشر: الذين يعزبون في إيلهم، أي: الذين غابوا بها في الرعي، فلم يرجعوا إلى منازلهم ليلاً ولا نهاراً. وكان عمير يقول: إنما بنو تغلب جَشَرٌ لي. آخذ منهم ما شئت. فلما مروا برأسه على هؤلاء القبائل قالوا: كيف رأيت قري غلمتك الجَشَرُ؟ مستهزئين به.

(١٠) الحارث بن عوف: رجل من بني عامر بن صعصعة، وقيل هو ابن عوف بن أبي حارثة الحرِّي صاحب الحمالة في حرب داحس والغبراء. وتعاوره: تنازعه وتداوله. والسبر: طائر كبير، شبيه بالصقر، يقال إنه كان من بزة سليمان، يصيد الفار.

(١١) الرقص: السرعة في الجري، وكفروا: أي جحدوا خلافتك. وقيس عيلان كانت مع عبد الله بن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل في زمن عبد الملك بن مروان.

فلا هَدَى اللَّهُ قَيْسًا، مِنْ ضَلَالَتِهِمْ
ضُجُجُوا، مِنَ الْحَرْبِ، إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبُهُمْ
كَانُوا ذَوِي إِمَةٍ، حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ
صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ، صَعِبٍ مَرَاكِبُهَا
وَلَمْ يَزَلْ يُسَلِّمُ أَمْرُ جَاهِلِيهَا
إِذْ يَنْظُرُونَ، وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ
كَرُّوا إِلَى حَرَّتَيْهِمْ، يَغْمُرُونَهُمَا
فَأَصْبَحَتْ، مِنْهُمْ، سِنَجَارُ خَالِيَةٍ
وَمَا يُلَاقُونَ فَرَاصًا إِلَى نَسَبٍ
وَلَا الضُّبَابَ، إِذَا اخْضَرَّتْ عُيُونُهُمْ

وَلَا لَعَا لَبْنِي ذَكْوَانَ، إِذْ عَثَرُوا^(١)
وَقَيْسُ عَيْلَانَ، مِنْ أَخْلَاقِهَا الضَّجْرُ^(٢)
بِهِمْ حَبَائِلُ لِلشَّيْطَانِ، وَابْتَهَرُوا^(٣)
حَصَاءً، لَيْسَ لَهَا هَلَبٌ، وَلَا وَبَرٌ^(٤)
حَتَّى تَعْيَا بِهَا الْإِيرَادُ، وَالصَّدْرُ^(٥)
إِلَى الزَّوَابِي، فَقُلْنَا: بَعْدَ مَا نَظَرُوا^(٦)
كَمَا تَكُرُّ إِلَى أوطَانِهَا الْبَقَرُ^(٧)
فَالْمَحَلِّيَّاتُ، فَالْخَابُورُ، فَالْسَّرَرُ^(٨)
حَتَّى يُلَاقِي جَدْيَ الْفَرْقَدِ الْقَمَرُ^(٩)
وَلَا عُصِيَّةً، إِلَّا أَنَّهُمْ بَشَرٌ^(١٠)

(١) لا لعاً: أي لا أقامهم الله من عثرتهم. وذكوان: قبيلة من رهط عمير بن الحباب. كانوا قد خرجوا على الأمويين بعد معاوية، وحاربوا قبيلة تغلب، التي ينتمي إليها الشاعر.

(٢) الغوارب: جمع الغارب وهو أعلى الكتف.

(٣) الإمة: النعمة. والابتهار: قذف الإنسان بالباطل. وعلقت بهم حبال للشیطان: ضلوا.

(٤) صكوا: حُمِلُوا عَلَى خُطَّةٍ صَعْبَةٍ وَدَامِيَةٍ. والشارف: الناقة الكبيرة الهرمة. والحصاء: التي لا وبر لها. والهلب: شعر الذنب. شبه الحرب بالناقة الشارب الهرمة.

(٥) جاهل سليم: عمير بن الحباب. وتعيا بها: اشتدَّ فعجزت عنه. والإيراد: الورد. والصدر: الرجوع. يقول: لم يزل بهم عمير حتى وقعوا في بلية لا يقدرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهَا.

(٦) استعار الحنظل لما جنته الحرب. وقيل: الحنظل هو ما تجنيه سليم في ديارها. والزوابي: أنهار في الجزيرة، مفرداها: الزابي وهو الزاب. يقول: طمعوا فينا في ديارنا فما أبعد ما نظروا إليه، أي تعجباً منهم.

(٧) حرة بني سليم: هي أم صَبَّارَ بالبادية، أي: موضع فيه حجارة سود، ويقال: إنها شَرَّ مَكَانٍ بِالْبَادِيَةِ، وجعلها الأخطل مثنى. يقول: فروا منا ورجعوا إلى البادية إلى أكل الحنظل.

(٨) هذه بلدان من الجزيرة.

(٩) فراص: هو ابن معن بن مالك بن يعصر، وكان يقال: إن بني فراص من بني تغلب. وجدي الفرقد: نجم يدور مع بنات نعش ولا ينزل به القمر أبداً.

(١٠) الضباب: معاوية بن كلاب، من قيس عيلان. وعصية: من بني سليم. واخضرت: اسودت. يقول: ليس بينهم وبينهم نسب، إلا أن آدم يجمعهم.

وما سَعَى مِنْهُمْ سَاعٌ ، لِيُذَكِّرَنَا
وقد أَصَابَتْ كِلَابًا ، مِنْ عَدَوَاتِنَا
وقد تَفَاقَمَ أَمْرٌ ، غَيْرُ مُلْتِمٍ
أَمَّا كُلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ
مُخْلَفُونَ ، وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ
مُلْطَمُونَ بِأَغْفَارِ الْحِيَاضِ ، فَمَا
يَسُ الشَّحَاةُ ، وَيَسُ الشَّرْبُ شَرِبُهُمْ
قَوْمٌ تَنَاهَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ فَاجِشَةٍ
عَلَى الْعِيَارَاتِ هَذَاجُونَ ، قَدْ بَلَغَتْ
الْأَكْلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ ، وَخَذَهُمْ
وَإِذْكَرُ غَدَانَةَ عِدَانَا ، مُزْنَمَةٌ

إِلَّا تَقَاصَرَ عَنَّا ، وَهُوَ مُنْبَهَرٌ^(١)
إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى ، وَتَنْتَظَرُ
مَا بَيْنَنَا فِيهِ أَرْحَامٌ ، وَلَا عِذْرٌ^(٢)
عِنْدَ الْمَكَارِمِ لَا وَرْدٌ ، وَلَا صَدْرٌ^(٣)
وَهُمْ بَغِيْبٌ ، وَفِي عَمِيَاءَ ، مَا شَعُرُوا^(٤)
يَنْفَكُ ، مِنْ دَارِمِيٍّ ، فِيهِمْ ، أَثَرٌ^(٥)
إِذَا جَرَى فِيهِمُ الْمُزَاءُ ، وَالسَّكْرُ^(٦)
وَكُلُّ مَخْزِيَةٍ ، سُبَّتْ بِهَا مُضَرٌ^(٧)
نَجْرَانٌ ، أَوْ حُدِّثَتْ سَوَاتِيهِمْ هَجْرٌ^(٨)
وَالسَّائِلُونَ يَظْهَرُ الْغَيْبُ : مَا الْخَبْرُ؟^(٩)
مِنْ الْحَبْلَقِ ، تُبْنَى حَوْلَهَا الصَّيْرُ^(١٠)

- (١) المنبر: المعني. يقال: اتبره. إذا انقطع نفسه وتتابع من الإعياء. وتقاصر: قصر وتأخر.
- (٢) تقام: اشتد اختلافه وفسد. والملتم: المتفق المجتمع. والأرحام: الأنساب. والعدرة: المعاذير، وهي جمع عذرة.
- (٣) كليب بن يربوع: رهب جريير الشاعر. أي: هم أذلاء، فليس لهم في أمور الناس، إحلاء ولا إمرار.
- (٤) الغيب: ما غاب من الأرض وتطامن. والعمياء: الجهالة. وشعروا: دروا. يقول: يخلفهم الناس، ويقضون عليهم الأمور في عمياء وجهالة، ما يدرون ما فيه الناس.
- (٥) العقر: جمع عقر، وهو مقام الشاربة من الحوض، وهو أقصى الحوض حيث تضع الإبل أخفافها. يقول: هم أذلاء يُلْطَمُونَ عند الحياض، ويُدْفَعُونَ عنها، فما يزال دارمي إلا وقد جرح.
- (٦) الصحاة: جمع صاح وهو الذي ليس به سكر. والشرب: جماعة يشربون. والمزاء: الخمر بعينها. والسكر: ضرب من الأشرية.
- (٧) يقول: رجعت إليهم المخازي والفواحش لأنهم أهلها.
- (٨) الهداج: المشي المتقارب. والعيارات: جمع عير وهو الحمار. ونجران: اسم موضع باليمن. وسواتهم: فضائحهم. وهجر: موضع في البحرين. يعني أن بني كليب أصحاب حمر وليسوا بأصحاب خيل، وقد شهرت مساوئهم.
- (٩) خيث الزاد: أي لحم الضباب واليرابيع، وكل مكره فهو خيث. يعني أنهم رعاء، فهم يسألون الأشراف، عن الأخبار أبدأ.
- (١٠) غدانة: ابن يربوع. والعدان: جماعة عتود، وهو الجَلْع من المعزى. والحبلق: أولاد المعز الصغار الأجسام القصار. والصير: الحظائر. والمزمنة: المشقوقة الأذان.

وما غُدَانَةٌ في شَيْءٍ، مَكَانَهُمْ
يَتَصِلُونَ بِبِرْبُوعٍ، وَرَفْدُهُمْ
صَفْرُ اللَّحَى من وَقُودِ الْأَدْخِنَاتِ، إِذَا
قَدْ أَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُحَالِفُهُمْ
أَلْحَابِسُو الشَّاءِ، حَتَّى تَقْضَلَ السُّورُ^(١)
عِنْدَ التَّرَافِدِ مَعْمُورٌ، وَمُحْتَقَرُ^(٢)
رَدِّ الرِّفَادِ، وَكَفَّ الْحَالِبِ، الْقِرَرُ^(٣)
حَتَّى يُحَالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ
- شعر الأخطل ١٩٢/١ - ٢١١.

- نقائض جرير والأخطل، ص ١٤٨ - ١٦٥.

٦ - من قصيدة لكثير عزة في الغزل^(٤)

(من الطويل)

بعزة هاج الشوق، فالدمع سافح
بذي المرخ من ودان غير رسمها
معانٍ، ورسم قد تقادم ماصح^(٥)
ضروب الندى، ثم آعتقتها البوارح^(٦)

(١) السور: جمع سور، وهو ما يفضل في الإناء أو الحوض. يقول: هم أذلاء، لا يستطيعون أن يسقوا شاءهم حتى يشرب الأقوياء، وإنما يسقون مما أفضل الأشراف.

(٢) يتصلون بربوع: يتنسبون إلى ربوع. والرفد: الجمع والعدد في كل شيء.

(٣) الأدخنات: السرقين. والرفاد: القدح الضخم. والقرر: جمع قرة، وهي البرد. يقول: يجيء الحالب بالرفاد ليحتلب فيه، فيرده البرد خالياً لشدته. وانظر قصيدة جرير في الرد على هذه القصيدة: شرح ديوان جرير، ص ٣٠٨ - ٣١٦. ونقائض جرير والأخطل، ص ١٦٦ - ١٧٧.

(٤) كثير عزة: هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر، بن عويمر الخزاعي، ويكنى أبا صخر، وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى، وكان غالباً في التشيع رافضياً، يذهب مذهب الكيسانية، ويقول بالرجعة والتناسخ، وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرون ذلك لجلالته في أعينهم، ولطف محله في أنفسهم وعندهم. وهو شاعر أهل الحجاز، أقام بالمدينة، وأكثر إقامته بمصر. كان قصير القامة، ويروى: «أنه لا يزيد على ثلاثة أشبار»، ويقال: إنه كان عاقاً لأبيه، نسب كثير لكثرة تشبيهه بعزة الضميرية إليها، وعرف بها وقيل: كثير عزة، وهي عزة بنت جميل بن وقاص. وكان عفيفاً في حبه. سئل ذات مرة: هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها، فإذا وضعتها على جيني وجدت لذلك راحة. توفي كثير بالمدينة سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م. وقيل: ما تخلخت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازته. وقيل: مات اليوم أشعر الناس. وقد غلب النساء على جنازته، يبكيه ويذكرون عزة في نديتهن له. انظر ترجمته: طبقات فحول الشعراء ص ٥٣٤، ٥٤٠ - ٥٥١. والشعر والشعراء، ص ٣١٦ - ٣٢٩. والأغاني ٣/٩ - ٣٨. (طبعة دار الثقافة). وخزانة الأدب ٥/٢١٠ - ٢٢٤.

(٥) ما صح: دارس. وسفح الدمع: سفكه وأراقه وصبه. ومغان: جمع المغنى، المنزل. والرسم: الأثر.

(٦) ذو المرخ: موضع في ساحل البحر بالقرب من ينبع. وودان: موضع بين مكة والمدينة. والضروب:

أَتَيٌّْ ومفعومٌ حثيثٌ كأنه
ليالي منها الواديان، مَظَنَّةٌ،
ولما قضينا من مِني كل حاجةٍ
وَشُدَّتْ على حَذْبِ المَهَارِي رَحَالُنَا
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأحَادِيثِ بَيْنَنَا
نَقَعْنَا قُلُوباً بِالْأَحَادِيثِ، وَاشْتَفَّتْ
ولم نخش ريبَ الدهرِ في كل حالةٍ
لِعَيْنِكَ منها، يَوْمَ حَزَمِ مَبْرَةٌ
غُرُوبُ السَّوَاقي أَتَرَعَتْهَا النُّوَاضِحُ^(١)
فَبَرَّقَ العُنَابُ دَارُهَا، فالأَمَالِحُ^(٢)
وَمُسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ^(٣)
ولا يعلمُ الغادي الذي هو رَائِحُ^(٤)
وسالتُ بِأَعْنَاقِ المِطِيِّ الأَبَاطِحُ^(٥)
بِذَاكَ صَدُورُ مُنْضِجَاتٍ قَرَائِحُ^(٦)
ولا راعِنَا منه سَنِيعُ - وبارحُ^(٧)
شَرِيجَانٍ من دمعٍ: نَزِيعُ وسافِحُ^(٨)

الشديد الضرب. وأعتقتها: جعلتها قديمة، والأصل فيها الهمز، وقد وصل الهمز لضرورة استقامة الوزن. والبوارح: صفة الرياح الشديدة.

(١) الأتي: الماء السائل في الجدول. والمفعوم: الممتلئ. والحثيث: السريع. والغروب: جمع الغرب، وهو الدلو العظيمة. السواقي: النياق يستقى عليها. والنواضح: مفردها الناضح والناضحة، البعير أن الناقة يستقى عليه أو عليها. وأترع الإناء وغيره: ملاء.

(٢) الرواديان: أرض بمكة. والمظنة: جمعها مظان، وهي موضع يظن فيه الشيء، أي: موضعه ومألفه الذي يُظن فيه وجوده. تقول: فلان مظنة الخير: أي مألفه الذي يظن فيه وجوده. وفي المسألة مظنة اعتراض: أي موضع. وبرق العناب: جبل بطريق مكة. والأمالح: موضع.

(٣) منى: المكان المعروف القريب من مكة، وهو من مناسك الحج. والأركان: يريد أركان الكعبة.

(٤) الحذب: جمع أحذب وحذباء. والمهاري: جمع المهرية، الإبل السريعة. وهي المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن. وقيل: إنها كانت لا يُعَدَّلُ بها شيء في سرعة جريانها. والرحال: جمع الرحل، وهم ما يجعل على ظهر البعير كالسرج. والغادي: المسافر صباحاً. والرائح: المسافر في الرواح، أي: مساء.

(٥) الأباطح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى.

(٦) نقعنا: سكنا وأزلنا الهموم، ومنضجات: متألعات حتى النضج من الحر. والقرائح: جمع قريحة. والمقروحة: الجريحة.

(٧) راعنا: أخافنا. والسنيح: ما يبدو عن يمين الإنسان من طائر أو وحش. وهو رمز الخير والتفاؤل. والبارح: ما يبدو عن شماله وهو رمز الشر والتشاؤم. والمعنى: ترفعنا في غبطتنا تلك عن كل ما يبدو من صروف الدهر.

(٨) الحزم: ما غلظ من الأرض، وارتفع كالحزن. ومبرة: اسم موضع. والشريجان: خطأ النسيج المتعارضان. والنزيع: القليل، النافذ.

وجدتُ بها وَجَدَ الْمُضِلُّ قَلْوَصَهُ
رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الْهُدْبُ، لم يُصَبْ
وَإِنِّي لَأَكْمِي النَّاسَ مَا أَنَا مُضِمُّرُ
أَغْرُكُ مِنَّا أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا
يَرُوقُ الْعَيُونُ النَّاضِرَاتِ، كَأَنَّهُ
هُوَ الْعَسَلُ الصَّافِي مِرَاراً، وَتَارَةً
بِمَكَّةَ، وَالرَّكْبَانُ غَادٍ وَرَائِحُ^(١)
ظَوَاهِرَ جِلْدِي، فَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحُ^(٢)
مَخَافَةً أَنْ يَشْرِي بِذَلِكَ كَاشِحُ^(٣)
وَإِسْجَادَ عَيْنِيكَ الصَّبِوَدَيْنِ رَابِحُ^(٤)
هَرَقَلِي وَزَيْنِ، أَحْمَرُ التَّبْرِ، رَاجِحُ^(٥)
هُوَ السُّمُّ مَذْرُوراً عَلَيْهِ الذَّرَارِحُ^(٦)
- من كتاب في النقد والأدب ٢/٢٩٧ - ٢٩٨

٧ - قصيدة كثير في عزة

خَلِيلِي هَذَا رَبْعُ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْبُكََا
وَقَدْ خَلَفْتُ جَهْداً بِمَا نَحَرْتُ لَهُ
أُنَادِيكَ مَا حَجَّ الْحَجِيجُ وَكَبُرْتُ
وكَانَتْ لِقَطْعِ الْجَبَلِ بَنِي وَيَّتْهَا
قَلْوَصِيكُمَا ثُمَّ أَبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ^(٧)
وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ^(٨)
قَرِيشُ غَدَاةَ الْمَأْزَمِينَ وَصَلَّتِ^(٩)
بَفَيْفَا غَزَالٍ رُفْقَةً وَأَهْلَتِ^(١٠)
كَنَازِرَةً نَذْرًا وَقَتٌ فَأَحَلَّتِ^(١١)

- (١) وجدته: أحبه حباً شديداً حتى الهيام والحيرة. والقلوص: الناقة.
- (٢) الهدب: شعر الأجناف.
- (٣) أكمي: أستر. ويشري: يسر ويفرح بذلك فيشمت. والكاشح: العدو.
- (٤) الدل؛ التدلل. والإسجد: فتور الطرف وإداعة النظر مع سكون. والصيود: الشديد الصيد والإصابة.
- (٥) يروق: يعجب، وفاعله محذوف تقديره الوجه. وهرقلي: صفة الدينار المحذوف، منسوباً إلى هرقل، قيصر الروم. وهذا دليل على أن الدنانير حتى عهد كثير كانت تحمل من بلاد الروم. والتبر: الذهب.
- (٦) الذراح: ج الذراح والذروح، والذريح، والذرح: دوية حمراء منقطة بسواد وهي من السموم القاتلة، يشير إلى حالته من حب عزة.
- (٧) الربيع: الدار، وعقل البعير أو الناقة: شدّ وظيفة إلى ذراعه. والقلوص: الناقة الشابة أو الطويلة القوائم.
- (٨) هناك رواية «ولا موجعات الحزن» والذي أثبتناه هو المشهور.
- (٩) الجهد: الطاقة، وحلفت جهداً: بالغت في اليمين. ونحرت: ذبحت الضحايا. والمأزم: مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى.
- (١٠) وأناديك: أجالسك، وهو مأخوذ من التَّيَّبِي والنَّادِي، وهما المجلس. وفيفاء الغزال: مكان بمكة، لا ماء فيه. والرفقة: الأصحاب. وأهلت: رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء.
- (١١) الحبل: الوصل. فأحلت: خرجت من عهده لما أوفته.

فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ
لَمْ يَلَقْ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُبِّ مِيعَةً
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً جِئِنِ أَعْرَضَتْ
صَفْرُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ
أَبَاحَتْ جَمِيٍّ لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا
فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عِزَّةٍ قُيِّدَتْ
وَعُودِي فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحْلَهَا
وَكُنْتُ كَذِي رَجْلَيْنِ: رَجُلٍ صَحِيحَةٍ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلْعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ
أُرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَهَا وَأُظْنُهَا
فَمَا أَنْصَفْتُ، أَمَّا النِّسَاءُ فَبَغَضْتُ
يُكَلِّفُهَا الْغَيْرَانُ شَتْمِي وَمَا بَهَا
هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرُ دَاءٍ مُخَايِرٍ
وَوَالِلَهُ مَا قَارِبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ

إِذَا وَطَنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ^(١)
تَعُمُّ وَلَا عَمِيَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ^(٢)
مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعَيْسُ زَلَّتْ^(٣)
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلُ مَلَّتْ^(٤)
وَحَلَّتْ تِلَاعاً لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ^(٥)
بَقِيدٍ ضَعِيفٍ فَرُّ مِنْهَا فَضَلَّتْ^(٦)
وَكَانَ لَهَا بَاغٍ سِوَايَ قَبَلَتْ^(٧)
وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ^(٨)
عَلَى ظَلْعِهَا بَعْدَ الْعِثَارِ اسْتَقَلَّتْ^(٩)
إِذَا مَا أَطْلَنَّا عِنْدَهَا الْمُكْتَ مَلَّتْ^(١٠)
إِلَيَّ وَأَمَّا بِالنُّوَالِ فَضُنْتُ^(١١)
هَوَانِي وَلَكِنْ لِلْمَلِيكِ اسْتَذَلَّتْ^(١٢)
لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ^(١٣)
بِضُرْمٍ وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ^(١٤)

(١) وطنت: مهدت وأعدت. وذلت: سهلت ولانت. يروى أن عبد الملك بن مروان كان يقول: «لو كان هذا

البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس».

(٢) مِيعَةُ الشَّيْءِ: أَوَّلُهُ. وتجلت: انكشفت.

(٣) الصَّمِّ: الصلب.

(٤) الصفروح: المرأة المعرضة.

(٥) الحمى: هنا قلب الشاعر الذي احتلته.

(٦) القلوص: الناقة الطويلة القوائم.

(٧) الرجل: ما يوضع على ظهر الناقة كالسرج. وباغ: طالب. وبلت: نجت وذهبت.

(٨) رمى فيها الزمان: أصابها بالتلف والشلل. فشلت: أي مشلولة، لا حراك فيها، ولا حياة.

(٩) الظلع: العيب في المشي. استقلت: استقام مشيها.

(١٠) الثَّوَاءُ: الإقامة.

(١١) النوال: العطاء. وضننت: بخلت.

(١٢) الغيران: الغيور.

(١٣) مخالط: مخالط.

(١٤) الصرْم: القطيعة.

فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَىٰ فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَأِنْ تَكُنِ الْآخَرَىٰ فَإِنَّ وِرَاءَنَا
خَلِيلِي. إِنَّ الْحَاجِبِيَّةَ بَطَلَحَتْ
فَلَا يَتَّعَدَنْ وَضَلُّ لِعِزَّةٍ أَصْبَحَتْ
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ
وَلَكِنْ أَنْيَلِي وَأَذْكُرِي مِنْ مَوَدَّةٍ
وَأِنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لَمْثُنِ وَصَادَقُ
فَمَا أَنَا بِالْإِدَاعِي لِعِزَّةٍ بِالْجَوَى
فَلَا يَحْسِبِ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي
فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَبْلَلْتُ مِنْ دَنْفٍ بِهَا
وَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَا حَلَّ قَبْلَهَا
وَمَا مَرُّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا
فَأَضَحَّتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ
فِيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ
وَأِنِّي وَتَهْيَا مِي بِعِزَّةٍ بَعْدَمَا

وَحَقَّتْ لَهَا الْعُتْبَىٰ لَدَيْنَا وَقَلَّتْ^(١)
مَنَادِحَ لَوْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كَلَّتْ^(٢)
قُلُوصَيْكُمَا وَنَاقَتِي قَدْ أَكَلَتْ^(٣)
بِعَاقِبَةِ أَسْبَابِهِ قَدْ تَوَلَّتْ
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ^(٤)
لَنَا خُلَّةٌ كَانَتْ لَدَيْكَ فَطُلَّتْ^(٥)
عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِلَيْنَا أَزَلَّتْ^(٦)
وَلَا شَامِتٍ إِنْ نَعْلُ عِزَّةٍ زَلَّتْ
بِعِزَّةٍ كَانَتْ غَمْرَةً فَتَجَلَّتْ^(٧)
كَمَا أُذِنْتُ هَيْمَاءُ ثُمَّ أَسْتَبَلْتُ^(٨)
وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
وَأِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَىٰ وَجَلَّتْ
فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ
وَالنَّفْسُ لَمَّا وَطَّنَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ^(٩)
تَخَلَّتْ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ^(١٠)

- (١) العتبي: الرضا، أي: الرجوع عن الإساءة، إلى ما يرضى العاتب.
- (٢) الأخرى: القطيعة والهجر. (والأولى: العتبي أي الرضا). والمنايح: الأماكن الواسعة البعيدة. والعيس: الإبل. وكلت: أعت.
- (٣) طلحت: أكلت وأتعبت، والطليح: المعبي الذي قد سقط من الإعياء. والحاجبية: يريد عزة.
- (٤) مقلبة: من القل، وهو البعض: وتقلت: تبغضت. يروى: أن بعض العلماء قال: «لو جعل قوله - أي: البيت - في وصف الدنيا، كان أشعر الناس».
- (٥) طلت: هدرت. والخلة: الصداقة والمودة.
- (٦) أزلت: اصطنعت.
- (٧) الصبابة: الشوق ورقة الهوى والولع الشديد. وغمرة: شدة.
- (٨) بل من مرضه وأبلى واستبل: إذا برأ. ودنف: مرض ثقيل ملازم.
- (٩) وطنت: مهنت وأعيت. واعتراه: اصطباره. يقال: نزلت به مصيبة فوجد عروفا: أي صبورا، والعارف: الصابر.
- (١٠) تخليت: تركت.

لَكَ الْمُرْتَجَى ظِلُّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ ^(١)
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُمَجَّلٍ رَجَّاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ ^(٢)
فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ فِيمَ هَجَرَتْهَا؟ فَقُلْ نَفْسُ حُرٍّ سُلِّيتْ فَتَسَلَّتْ
- الشعر والشعراء، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
- الأمالي للقالبي، ١٠٧/٢ - ١١٠.
- خزانة الأدب، ٢١٢/٥ - ٢٢٣.

٨ - قصيدة الفرزدق ^(٣) في هجاء ^(٤) جرير

(من الكامل)

(١) الغمامة: السحابة. وتبوأ: نزل. والمقيل: النوم نصف النهار. واضمحلت: انقشعت. وهنا تشبيه رائع، يشبه تعلقه بعزة بعد الفراق بالمستظل بظل سحابة، سرعان ما تنقشع، وكذلك طمعه في تعلقه سرعان ما يزول، لأنها لا تصل حبل الرداد معه.

(٢) الممحل: المجذب. وجاوزته: بغدت عنه. واستهلت: أمطرت.

(٣) الفرزدق لقب غلب عليه، وهو الرغيف الضخم الذي تحفنه النساء للفتوت. وقيل: هو القطعة من العجين، التي تبسط فيخبز منها الرغيف، وشبه وجهه بذلك لأنه كان غليظاً جهماً، واسمه هَمَامٌ بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مائة بن تميم. كان شاعراً من الأجداد النبلاء، وكان أبوه وجده كذلك. وكان مشتهراً بالنساء، زير غوان. ولكنه لم يؤثر عنه أنه قال في النسب. نشأ في البصرة. ويقال: ولولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء، إلا قاعداً، لأنه كان يعتز ويفخر بأصله. ويعتبر الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى في الشعراء الإسلاميين. وقد اتفق العرب على أن أشهر أهل الإسلام ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض، ثم قضت كثرتهم: للفرزدق في الفخر، وللأخطل في المديح ونعت الخمر، ونحسوا جريراً بالفضل في الهجاء والغزل والرثاء. أما تقدم الفرزدق في الفخر، فلتقدمه على صاحبيه في شرف العشيرة، وفخامة العبارة. ويطلق على هؤلاء الشعراء اسم «الثلاث الأموي» عرفوا بهجائهم، وكان جرير يناقض الفرزدق في كثير من قصائده، نسب فيها إلى القين، وغمز به بأن قفيرة جدتهم بنت زنا، ورماه بنفور زوجته النوار منه، وغدر قومه بالزبير، وقتل أعين المجاشعي والد زوجه النوار، كما شنع بجعثن أخت الفرزدق، وعيره بخيخته في الضرب بالسيف الذي أعطاه له سليمان بن عبد الملك ليقتل به أسيراً رومياً، ونبا في يده. أي: كلل وارثه عن الضريبة ولم يقطع، وألقاه بين ضحك سليمان وسخرية القوم. تكاد تكون هذه النقاط أهم نقاط الضعف عند الفرزدق، والتي كانت غرضاً لجرير.

توفي الفرزدق بالبصرة سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م. ويقال: إنه حين علم جرير نبأ وفاة الفرزدق، حزن عليه حزناً شديداً، ورثاه بأبيات مختلفة، ويقال إنه لما رأى نعش الفرزدق بكى ودمعت عيناه. انظر ترجمته: طبقات الشعراء ص ٧٥ - ١٥٠ والشعر والشعراء، ص ٢٨٩ - ٣٠١. والأغاني ٢١/٢٩٩ - ٤٢٧ (طبعة دار الثقافة) والأعلام ٩٣/٨. والفرزدق، د. شاکر الفحام.

(٤) نقصد بالهجاء، النقائص التي كانت بينه وبين جرير. والنقيضة مفرد النقائص، والنقيضة في البناء =

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^(١)
 بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ، وَمَا بَنَى حَكَمَ السَّمَاءَ، فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ^(٢)
 بَيْتاً زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشَعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ^(٣)

= والحبلى والعهد وغيره، ضد الإبرام، تقول: نقض البناء: هدمه. ونقض الحبلى: حلّه. ونقض العهد أو الأمر: أفسده بعد إحكامه. والتناقض: التخالف والتدافع. يقال: «في كلامه تناقض» إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض، ومن ذلك قوله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقَصَّتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا» (سورة النحل آية ٩٢)، وقوله تعالى: «وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا» (سورة النحل آية ٩١)، وقوله تعالى: «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ» (سورة البقرة ٢٧). والمناقضة في القول أن تتكلم بما يتناقض معناه. والمناقضة في الشعر: أن يقول شاعر شعراً فينقض عليه شاعر آخر حيث يجيء بغير ما قال. أي: أن ينشئ شاعر قصيدة يفخر فيها بقبيلته وأجدادها ومناقبها، ويتحدى خصومها هاجباً، فيرد عليه خصمه بقصيدة على وزن القصيدة الأولى، وعلى نفس قافيتها ورويها ينقض بها قصيدته. والغرض من التزام الشاعر الثاني بما ألزم الشاعر الأول نفسه به من بحر وقافية وروي، إظهار تفوقه عليه. من حيث الموضوع والمعاني، ومن حيث الشاعرية والفن نفسه. لقد ظهرت النقائض في العصر الجاهلي، إلا أنها لم تكن كاملة الصورة، تامة العناصر، متوافرة الشروط، كما هي عند جرير والفرزدق والأخطل في عهد بني أمية. أما النقائض الإسلامية، فقد كانت امتداداً للنقائض الجاهلية، مع اختلاف في الأسباب والغايات، والمعاني والأساليب، وعلى الرغم من أن النقائض في العصر الأموي كانت خطراً اجتماعياً من حيث إثارتها لنعرة العصبية وإشاعة الفرقة وتنمية الإحزن والأحقاد، إلا أن آثارها الفنية لا يمكن نكرانها، فقد أعطت ثراء شعرياً في تفجير طاقات فنية حيث يكمن عنصر الإثارة النفسية والوجدانية لدى الشعراء الذين انساقوا إلى تيار تلك النقائض، أضف إلى ذلك أنها تحولت من الهجاء المخلص إلى نوع من أنواع التسلية والترويح للجماعات العربية في البصرة «المربد». إلى جانب ما تذكره النقائض من الحوادث، وما تحتويه من ثروة لغوية ضخمة. لذلك يقال: النقائض تعلم اللغة ولا تعلم الأخلاق. لمزيد من التفصيل، انظر: لسان العرب (مادة نقض). والأغاني ٣/٨-٩٢، ٢٨١-٣١٩، ٥٥-٦١، ٢٧٣-٢٧٦، ١٦/٢٤٥-٢٤٨، ٢١/٢٩٩-٢٩٧. (طبعة دار الثقافة). والشعر والشعراء ص ١٨٣-٣١٢. والمهجع والمهجون. للدكتور محمد محمد حسين. وأنماهاش الشعر في العصر الأموي، للدكتور صلاح الدين المهدي، ص ٢٣٣-٣٤٢.

(١) سمك: رفع. والدعائم: جمع دعامة وهي عمود البيت. وأعز: أقوى. وهنا إشارة إلى الآية القرآنية: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا» (سورة النازعات، آية ٢٧). والسمك: السقف.

(٢) المليك: الله عز وجل. وحكم السماء: الله القوي المقتدر. ولا ينقل: لا يزول. إنما يريد بيت شرف وعز.

(٣) احتبى احتباء: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها. وزرارة ومجاشع ونهشل: أولاد دارم من أجداد الفرزدق.

يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ ، وَإِذَا اخْتَبَوْا
لَا يَحْتَبِي بَيْنَاءَ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ
مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كُلِّيبٌ يَتَهَا
ضَرَبْتُ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بَنَسِجَهَا
أَبْنِ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا
يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ
وَالْمَانِعُونَ ، إِذَا النِّسَاءُ تَرَادَفَتْ
يَحْمِي ، إِذَا اخْتَرَطَ السَّيُوفُ ، نِسَاءَنَا
وَمُعَصَّبٍ بِالتَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ
مَلِكٌ تَسُوقُ لَهُ الرِّمَاحُ أَكْفُنَا

بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ (١)
أَبْدَأَ ، إِذَا عُدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ (٢)
زَرْبًا ، كَأَنَّهُمْ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ (٣)
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ (٤)
أَمْ مَنْ إِلَى سَلَفِي طَهِيَّةٌ تَجْعَلُ (٥)
جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكُحَيْلُ الْمُشْعَلُ (٦)
حَذَرَ السَّبَاءِ جَمَالُهَا لَا تُرَحَلُ (٧)
ضَرْبٌ تَخِرُّ لَهُ السَّوَاعِدُ أَرْعَلُ (٨)
خِرْقُ الْمُلُوكِ لَهُ خَمِيسٌ جَحْفَلُ (٩)
مِنْهُ نَعْلٌ صُدُورُهُنَّ وَنَنْهَلُ (١٠)

(١) يلجون: يدخلون. واحتبوا: اشتملوا بعمامة أو بثوب ونحوهما. المثل: المائلة الشاخصة المنتصبة، يشبههم بالجبال الراسية.

(٢) الفعال: الفعل الحسن.

(٣) الزرب: الزريبة، موضع المواشي. وجحرت: دخلت زرباً كأنه الجحر. وكليب: قوم جرير. والقمل: دواب صغار تتركب البعير عند الهزال.

(٤) وهنا إشارة إلى قوله تعالى ﴿مِثْلُ الَّذِينَ انْخَلَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية ٤١].

(٥) تسامي: تفاخر. وطهية: هي بنت عبد شمس بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وهي من قوم الفرزدق. وتجعل: تقارن وتساوي.

(٦) حلق الحديد: جمع حلقة، وهي الدرع. والكحيل: القَطِرَان. والمشعل: الحديد التي يحرق بها الجلد. وهنا يشبه الرجال لعظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المدهونة بالقطران.

(٧) ترادفت: أي أردفت خلف الفرسان الغزاة، وركب بعضهن خلف بعض. لا ترحل: لا توضع عليها الرحال للمعجلة. يقول: إذا كانت الغارة وفزعت النساء، فركبت الجمال، فهن يركبن أعزاء.

(٨) اخترط: سحب أو سمل، والأرعل: المسترخي. يقول: تخرله السواعد، أي: تسقط، ويريد: أنه يميل ما قطع فيسترخي.

(٩) المعصب: المتوج. والخرق: الرايات والأعلام. والخميس: الجيش الضخم. والجحفل: الكثير الخيل. وهنا يقصد حسان وقابوس ابني المنذر.

(١٠) ونعل صدورهن من الدم، ونهال الإنهال: الطعن الأول. والعلل: الطعن الثاني. وأصل هذا في الشرب أو السقي. ومنه: أي من الملك.

قَدْ مَاتَ فِي أَسْلَاتِنَا، أَوْ عَضَّهُ
 وَلَنَا قُرَاسِيَّةٌ تَظَلُّ خَوَاضِعاً
 مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عَادِيَّةٌ
 ضَخْمُ الْمَنَاكِبِ تَحْتَ شَجَرِ شُؤُونِهِ
 وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي فَقِيمٍ جَاءَنِي
 وَإِذَا الرِّبَائِعُ جَاءَنِي دُفَاعُهَا
 هَذَا وَفِي عَدَوِّيَّتِي جُرْثُومَةٌ
 وَإِذَا الْبَرَاكِمُ بِالْقُرُومِ تَخَاطَرُوا
 وَإِذَا بَذَخْتُ وَرَأَيْتِي يَمْشِي بِهَا
 الْأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ

- (١) الأسلات: الرماح. والمضب: السيف القاطع. ورونته: فِرْنْدُه وجوهره.
- (٢) القراسية: الفحل الضخم من الإبل .. والبزل: الواحد البازل وهو الذي نبت نابه. يقول: لنا عزّ قديم شبهه بالفحل. والقروم: جمع قرم، وهو السيد العظيم، أو الفحل الكريم.
- (٣) المتخمط: المتغضب في كِبَر. وقِيمٌ: هائج. العادية: الأولية القديمة. والفراقد: جمع الفرقد، وهو نجم يهتدى به. والسّمَاك الأعزل: الذي يكون في نوء المطر، يقال: إنه يهتدى به، ويقال: يستسقي به. يقول: لنا عزّ وشرف عال، كمكان النجوم التي لا تنال.
- (٤) الشجر: مجتمع للحيين. والشؤون: جمع الشأن، وهو ملتقى الرأس. وضغم: عضّ. والمقصل: القاطع.
- (٥) فقيم بن جرير بن دارم بن مالك من عشيرة الشاعر. والمجر: الجيش الكثير العدد. ولا يعدل: أي ليس له نظير.
- (٦) الربائع ثلاثة: ربيعة الكبرى وهوربيعة بن مالك بن زيد مائة وهم رهط علقمة بن عبدة الشاعر. وربيعه الوسطى وهوربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد وهم رهط المغيرة بن حبناء الشاعر. وربيعه الصغرى، وهوربيعة بن مالك بن حنظلة، وكلّ واحد من الربائع عمّ صاحبه. شبه كثرة الرجال بالسيل حين يندفع، أي: أنهم يندون كالجراد المتشتر أو كالموج المتلاطم.
- (٧) عدويّتي: أي: نسبتي إلى بني علي. والجرثومة: تراب تجمعه الريح في أصل شجرة فيرتفع على ما حولها. وصعب مناكبها: أي نواحيها. ونياف: مشرفة. وعطيل: طويلة.
- (٨) البراجم: من بني حنظلة، أي الشجعان. والقروم: الفحول. والأغلب: البطل الذي لا يقهر. تخاطروا حولي كما تخطر الفحول بأذنايها إذا تهدد بعضها بعضاً.
- (٩) بذخت: فخرت في كبر. والأسماء المذكورة من بني دارم.
- (١٠) حصاهم: عددهم. والأول: أي الآباء والأجداد.

وَرَحَلْتَ عَنْ عَتَبِ الطَّرِيقِ، وَلَمْ تَجِدْ
 إِنَّ الرَّحَامَ لَغَيْرُكُمْ، فَتَحَيْنُوا
 حُلُلَ الْمُلُوكِ لِيَأْسُنَا فِي أَهْلِنَا
 أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً
 فَادْفَعْ بِكَفِّكَ، إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا
 وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَغْرُ، وَإِنِّي
 فَرْعَانٍ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا
 فَلَيْثُنْ فَخَرْتُ بِهِمْ لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ
 زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ
 أَوْصَى عَشِيَّةً حِينَ فَارَقَ رَهْطَهُ
 إِنْ ابْنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرًا وَالِدًا
 مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كُلَيْبٍ رَهْطُهُ
 وَهُمْ عَلَى ابْنِ مُزَيْقِيَاءَ تَنَازَلُوا

قَدَمَاكَ حَيْثُ تَقُومُ، سُدَّ الْمَنْقَلُ^(١)
 وَرَدَّ الْعَشِيَّ، إِلَيْهِ يَخْلُو الْمَنْهَلُ^(٢)
 وَالسَّابِغَاتِ إِلَى الْوَعَى تَتَسَرَّبَلُ^(٣)
 وَتَخَالُّنَا جِنًّا، إِذَا مَا نَجْهَلُ
 ثَهْلَانِ ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّحَلُ؟^(٤)
 فِي آلِ ضَبَّةَ، لِلْمَعْمِ الْمُخَوَلُ^(٥)
 وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ^(٦)
 أَعْلُو الْحُزُونِ بِهِ وَلَا أُنْسَهُلُ^(٧)
 وَأَبُو قَيْصَةَ وَالرَّئِيسُ الْأَوَّلُ^(٨)
 عِنْدَ الشَّهَادَةِ وَالصَّحِيفَةِ، دَغْفَلُ^(٩)
 وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ^(١٠)
 أَوْ مَنْ يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَخَوَلُ^(١١)
 وَالْخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتِهَا الْقَسْطَلُ^(١٢)

- (١) زحلت: تحيت. والعتب: الغليظ مع ارتفاع. والمنقل: الطريق. وهنا يخاطب جريراً.
 (٢) ورد العشي: أي ورود الماء ليلاً. أي: أنهم ضعفاء. لأنهم إنما يسقون من فضل غيرهم.
 (٣) السابغات: الدروع السابغة، وتسربل: ترتدي.
 (٤) ثهلان: جبل كبير بنجد. هل يتحلحل: أي هل يزول ويتحرك؟ فكذلك نحن في العز والرفعة.
 (٥) حنظلة من رهط الشاعر. والمعمم المخول: الكريم الأعمام والأخوال. والأغر: المشهور بالعز والشرف.
 (٦) ذروة كل شيء: أعلاه. ويعقل: يلجأ.
 (٧) الحزون: ما غلظ من الأرض. والسهل: ما سهل منها.
 (٨) الرئيس الأول: محلم بن سويط من بني ثعلبة. وزيد الفوارس: هو ابن حصين بن ضرار، وإنما سمي بهذا الاسم لأن قوماً غازين مروا بحصين أبيه وكان شيخاً، فسأله عن نسبه فقال: أنا الحصين. وكانوا يطلبونه بثأر، فدفع إليهم سيفه فقال: اضرب الرأس. فإن النفس فيه، فقتلوه ومضوا، فأخبر بذلك زيد فخرج في طلبهم فلحقهم فوالى بين سبعة فوارس، فسمي بذلك زيد الفوارس.
 (٩) دغفل: ابن حنظلة النسابة، من بني ذهل بن ثعلبة.
 (١٠) بنو ضبة: رهط الشاعر لأمه. والحسب: مفاخر الآباء.
 (١١) يتخول: يفخر بأخواله. وبنو كليب: رهط جرير.
 (١٢) ابن مزريقاء: الحارث عمرو بن عامر قتله عامر بن ضامر بن مالك. ومحرقاً وزيداً ابني الحارث بن مزريقاء قتلها زيد الفوارس. وعجاجتها: يعني عجاجتي الجيشين اللذين التقيا. والقسطل: الغبار.

وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى الْأَمِيلِ تَذَارَكُوا
وَمَحْرَقًا صَفَدُوا إِلَيْهِ يَمِينَهُ
مَلِكًا يَوْمَ بُزَاخَةٍ قَتَلُوهُمَا
وَهُمُ الَّذِينَ عَلَوْا عِمَارَةَ ضَرَبَةً
وَهُمْ، إِذَا اقْتَسَمَ الْأَكَابِرُ، رَدُّهُمْ
جَارًا، إِذَا غَدَرَ اللَّثَامُ، وَفَى بِهِ
وَعَشِيَّةَ الْجَمَلِ الْمُجَلَّلِ ضَارِبُوا
يَا بْنَ الْمَرَاغَةِ! أَيْنَ خَالُكَ؟ إِنِّي
خَالِي الَّذِي غَضَبَ الْمُلُوكَ نَفْسَهُمْ
إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ
وَشُغِلَتْ عَنْ حَسَبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنُوا

(١) الأميل: موضع لبني ضبة. ويشل: يطرد. والنعم: الإبل والماشية. ويعكل: يجمع. والأميل: كذلك اسم يوم لبني ضبة على بني شيبان، وذلك أن يشطام الشيباني، أغار على بني ضبة، فاستاق ألف بعير لمالك رئيس بني ضبة، فتداركت ضبة الموقف، وردت النعم.

(٢) المحرق: انظر البيت الثاني قبل هذا البيت. وصفدوا: جمعوا إليه، أي: أسروه. والصفاد: الحديد الذي قيد فيه.

(٣) بزاخته: وقعة لضبة على غسان. والمكلل: المعقود على رأسه.

(٤) عمارة بن زياد العبسي قتله شيرحاف بن ضبة. وفوها: واسعة. والشؤون: المفرد الشأن. ملتقى قبائل الرأس. ولا توصل: لا تلتصم.

(٥) الأكابر: شيبان وعامر وجليحة من بني تميم الله بن ثعلبة أجارهم بدر بن حمراء الضبي، فوفى لهم. وتشلل: تطرد وتساق.

(٦) جار: يعني بدر بن حمراء الضبي. والماجد: جيرانه من بني تميم الله الذين التجأ إليهم في إحدى السنين. فوفوا له.

(٧) الجمل: وقعة الجمل مع عائشة رضي الله عنها. والفراش: جمع فراشة، كل دقيق من العظم أو الحديد. وتتنزل: تتفرق، يقول: وقتل من بني ضبة يوم الجمل فيما يذكرون ألف ومائة رجل ما منهم رجل يتحرك من مكانه.

(٨) ابن المراغة: جرير، وحبيش: من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغساني، فجز ناصيته. واشترط عليه أن لا يبعث إليه كل سنة بجباء حتى يموت.

(٩) الجباء: العطية. وجفنة: من آباء الغساسنة، ويسمون آل جفنة، وهم ملوك الشام في الجاهلية.

(١٠) الرأس: الرئيس. والأتان: الحمامة.

(١١) اللثيم: الدنيء الأصل والبخل.

إِنَّ الَّتِي فُقِثَتْ بِهَا أَبْصَارُكُمْ
 وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ، إِذْ مَضَوْا
 وَالْفَحْلُ عُلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ
 وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ، وَهَنْ قَتَلْنَهُ
 وَالْأَعْشِيَانِ، كِلَاهُمَا، وَمُرْقَشُ
 وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عَيْبِدُ، إِذْ مَضَى
 وَابْنَا أَبِي سُلَمَى زُهَيْرٌ وَابْنُهُ
 وَالْجَعْفَرِيُّ، وَكَانَ بِشْرُ قَبْلَهُ
 وَلَقَدْ وَرِثْتُ لَالِ أَوْسٍ مَنْطِقاً
 وَالْحَارِثِيَّ، أَخُو الْحَمَّاسِ، وَرِثْتُهُ
 يَصْذَعَنْ ضَاحِيَةَ الصَّفَا عَنْ مَتْنِهَا

وَهِيَ الَّتِي دَمَعَتْ أَبَاكَ، الْفَيْصَلُ^(١)
 وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ^(٢)
 حُلُّ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ^(٣)
 وَمُهْلَهُلُ الشَّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ^(٤)
 وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ^(٥)
 وَأَبُو دُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ^(٦)
 وَابْنُ الْفَرِيعَةِ حِينَ جَدَّ الْمَقُولُ^(٧)
 لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُجْمَلُ^(٨)
 كَالسَّمِّ خَالَطَ جَانِيئِهِ الْحَنْظَلُ^(٩)
 صَدْعاً، كَمَا صَدَعَ الصَّفَاةَ الْمِعْوَلُ^(١٠)
 وَلَهُنَّ مِنْ جَبَلِيَّ عَمَايَةَ أَثْقَلُ^(١١)

(١) دمعت: أي بلغت دماغه . والفَيْصَلُ: مقطع الحق فيما بيننا وبينكم . ويقال: إن هذه القصيدة كانت تسمى: «الفَيْصَل» .

(٢) النوابيع: هما النابتان : نابغة بني ذبيان، ونابغة بني جعدة . وأبو يزيد: المخبل، وذو القروح: امرؤ القيس . وجرول: الحطيط .

(٣) علقمة الفحل: شاعر جاهلي، معاصر لامرئ القيس، فضلته أم جندب على زوجها امرئ القيس، فطلقها، فتزوجها علقمة، ولذلك سمي الفحل . ويقال: لأن في بني عبد الله بن دارم علقمة الخصي فلذلك سمي الفحل .

(٤) أخو بني قيس: طرفة بن العبد . وهن قتلنه: يعني القوافي . ومهلهل بن ربيعة شاعر معروف .
 (٥) الأعشيان: أعشى بني قيس وأعشى باهلة . والمرقش: هو الملقب بالأكبر . وأخو قضاة: أبو الطمحان القيني .

(٦) عبيد: هو عبيد بن الأبرص الشاعر من أصحاب المعلقات العشر . وأبو دؤاد: جارية بن حُمران .
 (٧) وابنا أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى وابنه كعب . وابن الفريعة: حسان بن ثابت . وجد المقول: جد القول بيننا .

(٨) والجعفري: لبيد بن ربيعة الشاعر . وبشر: هو بشر بن أبي خازم الأسدي .
 (٩) أوس: هو أوس بن حَجَرٍ، الشاعر الجاهلي المشهور .
 (١٠) الحارثي: أخو الحماس: أراد النجاشي، وهو قيس بن عمرو الحارثي النجاشي الشاعر، توفي نحو سنة ٤٧ هـ . والصدع: القَسَم .

(١١) الصفا: الصخرة . وعماية: اسم جبل، وقيل: هو جبل بنجد .

دفعوا إليّ كتابَهُنَّ وَصِيَّةً
 فِيهِنَّ شَارَكَنِي الْمَسَاوِرُ بَعْدَهُمْ
 وَيُسُو غَدَانَةَ يُحْلِبُونَ، وَلَمْ يَكُنْ
 فَلْيَبْرُكَنَّ، يَا حَقُّ، إِنْ لَمْ تَنْتَهَوْا
 وَإِذَا بَكَيْتَ عَلَى أَمَامَةٍ، فَاسْتَمِعْ
 أَسَأَلْتَنِي عَنْ حُبُّوتِي مَا بَالُهَا
 فَالِلْزُومِ يَمْنَعُ مِنْكُمْ أَنْ تَحْتَبُّوا
 وَاللَّهُ أَثْبَتَهَا، وَعِزُّ لَمْ يَزَلْ
 جَبَلِي أَعَزُّ، إِذَا الْحُرُوبُ تَكْشَفَتْ
 إِنِّي أَرْفَعْتُ عَلَيْكَ كُلَّ ثَنِيَّةٍ
 هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي غَدَانَةَ مَا رَأَوْا
 كَسَرَتْ ثَنِيَّتَكَ الْآتَانُ، فَشَاهِدْ

فَوَرِثْتُهُنَّ كَأَنَّهُنَّ الْجَنْدَلُ^(١)
 وَأَخُو هَوَازِنَ وَالشَّامِي الْأَخْطَلُ^(٢)
 خَلِيلِي يَقُومُ لَهَا اللَّيْمُ الْأَغْزَلُ^(٣)
 مِنْ مَالِكِي عَلَى غَدَانَةَ كُلِّكُلُ^(٤)
 قَوْلًا يَعْصِمُ، وَتَارَةً يُتَنَخَّلُ^(٥)
 فَاسْأَلْ إِلَى خَبْرِي وَعَمَّا تَسْأَلُ^(٦)
 وَالْعِزُّ يَمْنَعُ حُبُّوتِي لَا تُحْلَلُ
 مُقْعَنَسِيًّا، وَأَبِيكَ، مَا يَتَحَوَّلُ^(٧)
 مِمَّا بَنَى لَكَ وَالِدَاكَ وَأَفْضَلُ^(٨)
 وَعَلَوْتُ فَوْقَ بَنِي كُلَيْبٍ مِنْ عَلٍ^(٩)
 حَيْثُ الْآتَانُ إِلَى عُمُودِكَ تُرْجَلُ^(١٠)
 مِنْهَا بِفِيكَ مُبَيَّنٌ مُسْتَقْبَلُ

- ديوان الفرزدق، ص ٤٨٩ - ٤٩٥.

- كتاب النقااض، نقااض جرير والفرزدق ١٨١/١ - ٢١١.

(١) الجندل: الصخور، الواحدة جندلة. أي: أنهم أوصوا إليّ بالشعر، كتبوا لي الوصية، ودفعوها إليّ.

(٢) المساوِر: هو ابن هند بن قيس بن زهير العبسي، وأخوه هوازِن: الراعي.

(٣) وغدانة: ابن يربوع. ويحلبون: يناصرون ويساندون.

(٤) حق: مرخم حقه: امرأة من بني غدانة، وقيل هي أم جرير، قيل: إنها هجت الفرزدق. والكلكل: الصدر. أراد هنا المصيبة والداهية. يقول: لأبركن بصدري على قومك إن لم تنتهوا من مالكي.

(٥) أمانة: وهي امرأة جرير، ويتنخل: ينفخ، ضد يعم ويشمل.

(٦) الحبوة: العزلة، أي الذين يجتمعون حوله من أهل وأقارب.

(٧) وأبيك: أقسم له بأبيه. والمقنعس: القوي.

(٨) الجبل هنا: العز والمناعة والعظمة.

(٩) الثنية: الطريق في الجبل.

(١٠) بنو غدانة: من يربوع.

٩ - قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين^(١) رضي الله عنه

(من البسيط)

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ^(٢)
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ السَّطَّاهِرُ الْعَلَمُ^(٣)
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ، إِنْ كُنْتُ جَاهِلُهُ بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خَتَمُوا^(٤)
وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَنْ هَذَا؟ بِضَائِرِهِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ^(٥)
كَلَّمَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا يُسْتَوَكَّفَانِ، وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ^(٦)
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَا تُخْشَى بِوَادِرِهِ يَزِينُهُ أَثْنَانِ: حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشِّيمِ^(٧)

(١) زين العابدين: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن الملقب بزين العابدين، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. ولد بالمدينة سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م. وتوفي بها سنة ٩٥ هـ / ٧١٢ م. (الأعلام ٤/ ٢٧٧). وقيل في مناسبة القصيدة: إن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي العاشر (تولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م) (وتوفي سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م). حج في أيام أبيه (عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥ م. وتوفي سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م). وطاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام. فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان الشام. فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين، فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس، حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيئة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أنه يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضراً، فقال: أنا أعرفه، ثم اندفع فأنشد هذه القصيدة. ويقال: إن هشام الخليفة غضب أشد الغضب، عند سماعه هذه القصيدة، ورمى بالشاعر في السجن. وأنفذ زين العابدين لشاعر أثني عشر ألف درهم، فرحما، وقال: «مدحته الله تعالى لا للعطاء».

(٢) البطحاء: أرض منبطة في وسطها مكة. والبيت: الكعبة، ويقال لها: البيت العتيق والبيت الحرام. والحرم: ما لا يحل انتهاكه، ويقصد هنا مكة وما أحاط بها من الأرض. والحل: ما جاوز الحرم من الأرض. والوطاة: موضع القدم، يريد: أن الممدوح يعرفه أهل الدنيا قاطبة.

(٣) العلم: كبير القوم وسيدهم.

(٤) فاطمة: بنت الرسول ﷺ وزوج الإمام علي جدّ زين العابدين رضي الله عنهم، أي: أنه ابن بنت محمد ﷺ خاتم النبيين.

(٥) بضائره: مضربه، أي: محط من قدره.

(٦) غياث: غوث وعون ومطر، واستوكف: استقطر الماء واستدعى جريانه. وعم: شمل الناس عامة. وعراه: ألم به. والعدم: الفقر، وفقدان الشيء.

(٧) الخليفة: الطبع والسجية. والبوادر: الواحدة البادرة، ما يبدو من الإنسان عند غضبه. والشيم: الأخلاق، يقول: هو حليم لا يخشى غضبه.

حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ ، إِذَا اقْتَدَحُوا
 مَا قَالَ: لَا قَطُّ، إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ، فَاَنْقَشَتْ
 إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا:
 يُغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 بِكَفِّهِ خَيْرُ زَرَانٍ رِيحُهُ عَبِيقٌ
 يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحِيَهُ
 السُّلَّةُ شَرْفُهُ قِدْمًا، وَعَظْمُهُ
 أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوْلِيَّةَ ذَا
 يُنْمَى إِلَى ذُرْوَةِ الدِّينِ الَّتِي قَصُرَتْ

حُلُو الشَّمَائِلِ، تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمٌ (١)
 لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاوُهُ نَعَمٌ (٢)
 عَنْهَا الْغِيَاهِبُ وَالْإِمْلَاقُ، وَالْعَدَمُ (٣)
 إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ (٤)
 مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ، فِي عِرْزِيهِ شَمَمٌ (٥)
 رُكْنُ الْحَاطِمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ (٦)
 جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ (٧)
 لِأَوْلِيَّةِ هَذَا، أَوْ لَهُ نَعَمٌ
 فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأَمَمُ
 عَنْهَا الْأَكْفُ، وَعَنْ إِدَارِكِهَا الْقَدَمُ (٨)

- (١) اقتدحوا: أثقلوا بالمصائب. والشمائِل: الواحدة الشميلة، الطبع والخصلة. أي: أنه يساعد من تحمل بهم المصائب، ويجد لفة في الإجابة بنعم على كل طلب معونة. يقال: إنه أحصى بعد موته عدد من كان يقوتهم سرًا، فكانوا نحو مئة بيت. وقال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرِّ إلا بعد موت زين العابدين. ويقال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معاشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين رضي الله عنهما فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم. (الأعلام ٤/ ٢٧٧).
- (٢) التشهد: ما يقوله المسلم من شهادة بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله. يقول: إن زين العابدين لا يعرف أن يقول: لا، إلا حينما يتلو الشهادة.
- (٣) عَمَّ البرية: شمل الخليقة بإحسانه. وانقشعت: انجلت. والغياب: الواحد الغيب: وهو الظلمة. والإملاق: الفقر المدقع.
- (٤) يغضي: يخفض الطرف. أي: أنه يغض طرفه حياء، لكن الناس لعظم هيئته لا يرفعون إليه أبصارهم إلا إذا ابتسم لهم إيناساً.
- (٥) الكف: الراحة. والعبق: الذي يفوح بالشذا والطيب. والأروع: من يروعك حسنه وشجاعته. والعرين: الأنف. والشمم: ارتفاع أرنية الأنف مع حسنها واستوائها.
- (٦) الراحة: الكف. والركن: الجانب الأقوى. والحطيم: ما بين ركن الكعبة، وقيل: جدار الكعبة. ويستلم: يلمس للتبرك. أي: أن حجر الكعبة نفسه يعرف كفَّ زين العابدين فيكاد يمسه، أي: يحسبه عنده شغفاً به.
- (٧) اللوح: الكتاب الذي يسطره القضاء والقدر لكل إنسان. أي: أنه كُتِبَ له التعظيم منذ القدم.
- (٨) ينمى: ينسب، وقد ورد الشطر الثاني في بعض الروايات: «عن نيلها عرب الإسلام والعجم».

مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضُلُّ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَعَتْهُ
يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ
مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ، وَيُغْضُّهُمْ
مُقَدِّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ جُودِهِمْ
هُمْ الْغِيُوثُ، إِذَا مَا أَرْمَتْ أَرْمَتْ
لَا يُنْقِصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْبَلَوَى بِحُبِّهِمْ

وَفَضْلُ أَمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ ^(١)
طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ ^(٢)
كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ ^(٣)
كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمٌ ^(٤)
فِي كُلِّ بَدْءٍ، وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ ^(٥)
أَوْ قِيلَ: «مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ؟» قِيلَ: هُمْ
وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ، وَإِنْ كَرُمُوا
وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرَى، وَالْبَاسُ مُحْتَدَمٌ ^(٦)
سَيِّانٍ ذَلِكَ: إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
وَيُسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ ^(٧)
- ديوان الفرزدق ص ٥١١ - ٥١٤.

١٠ - من قصيدة للفرزدق في وصف ذئب

صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده ^(٨)
(من الطويل)

- (١) دان: خضع.
(٢) نبعته: شجرته، أي: أصله الكريم. والنبع: شجرة تصنع منها القسي، وهي أجود الشجر. والخيم: السجية والطبيعة، يقول: إن شجرته من أصل شجرة النبي ﷺ، وقد طابت مغارسه، وطابت سجياه وأخلاقه.
(٣) تنجاب: تنكشف.
(٤) معشر: قوم. ومعتصم: ملجأ.
(٥) أي: أن المسلم بعد أن يذكر الله في بدء الكلام وختامه، يصلي ويسلم على النبي محمد ﷺ وآله. ولذلك قال: ذكرهم بعد ذكر الله.
(٦) الغيوث: الذين يغيثون الناس. والأزمة: الشدة. أزمّت: اشتدت. والشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل. والبأس: الشدة، الحرب.
(٧) يستدفع الشر: يبعد عنهم. ويُسْتَرْبُ: يُسْتَزَادُ.
(٨) يقال في مناسبة هذا النص: إن الفرزدق خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب (بن أبي صفرة الأزدي أبا خالد، أمير خراسان، عزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج، ثم ولاء سليمان بن عبد الملك العراق ثم خراسان، ثم البصرة، عزله عمر بن عبد العزيز عند توليه الخلافة، ثم استطاع من السيطرة على البصرة، إلا أن مسلمة بن عبد الملك أمير العراقيين قتله سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م - الأعلام ١٨٩/٨ - ١٩٠)، فلما عرسوا من آخر الليل، عند الغرين، وعلى بغير لهم مسلوخة، كان اجتزها، =

وَأُطْلِسَ عَسَالِي، وَمَا كَانَ صَاحِبًا،
فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ: أَذُنٌ دُونَكَ، إِنِّي
فِيهِ أَسْوَى الزَّادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا
تَعَشَّ فَإِنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونَنِي
وَأَنْتَ أَمْرٌ يَا ذَنْبُ، وَالْغَدْرُ كُتْمًا
وَلَوْ غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تَلْتِمِسُ الْقِرَى
وَكُلُّ رَفِيقِي كُلُّ رَحْلٍ، وَإِنْ هُمَا
فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللَّهُ نَفْسًا تَشْعَبَتْ
فَأَصْبَحَتْ لَا أَذْرِي أَتَّبِعُ ظَاعِنًا
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا تَوَلَّى بِشِيقَةٍ

دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَاتَّانِي^(١)
وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لِمُشْتَرِكَايَ^(٢)
عَلَى ضَوْءِ نَارٍ، مَرَّةً، وَدُخَانٍ
وَقَائِمٌ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانٍ^(٣)
نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَضْطَحِبَانِ^(٤)
أَخْيَيْنِ، كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانٍ^(٥)
أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شِبَاةٍ سِنَانٍ^(٦)
تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا، أَخَوَانِ،^(٧)
عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ كُلُّ مَكَانٍ^(٨)
أَمِ الشَّقُوقُ مِنِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي؟^(٩)
مَنْ الْقَلْبُ فَالْعَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ^(١٠)

- ديوان الفرزدق، ص ٦٢٨.

= ثم أعجله المسير، فسار بها، فجاء الذئب فحركها، وهي مربوطة على بعير، فلذعرت الإبل، وجفلت الركاب منه، وثار الفرزدق، فأبصر الذئب ينهسها، فقطع رجل الشاة، فرمى بها إلى الذئب، فأخذها وتنحى، ثم عاد فقطع اليد فرمى بها إليه، فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان، وأنشد هذه القصيدة.

- (١) الأطلس: الذئب الأغبر المائل إلى السواد. والعسال: المضطرب في جريه. والموهن: الليل.
- (٢) ادن: اقترب. ودونك: أمامك.
- (٣) تكشر: كشف عن أسنانه. وقائم السيف: مقبضه.
- (٤) واثقتني: عاهدتني.
- (٥) أخيان: أخوان توأمان. واللبان: الصدر.
- (٦) شباة سنان: طرف الرمح. والقرى: ما يقدم للضيف.
- (٧) تعاطى القنا قوماهما: تحارب أهلها.
- (٨) تشعبت: تفرقت من الموم. والغادون: الراحلون صباحاً؛ وربما قصد الميتين، إشارة إلى بنيه المتوفين.
- (٩) الطاعن: الراحل، ويقصد الميت. والمقيم: الباقي على قيد الحياة. وهنا يصف الاضطراب النفسي الذي يعترية.
- (١٠) تبتدران: تدعان. وتولى بشقة: أخذ وشغل قسماً من قلبه.

١١ - من قصيدة لجريز (١) يناقض فيها الفرزدق (٢)

(من الكامل)

لَمَنِ الدُّيَارُ كَانَتْهَا لَمْ تُحَلَّلْ بَيْنَ الْكِنَاسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْزَلِ (٣)
وَلَقَدْ أَرَى بِكَ وَالْجَدِيدُ إِلَى يَلَى مَوْتَ الْهَوَى وَشِفَاءَ عَيْنِ الْمُجْتَلِي (٤)
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي مُعْزِلِ قَطَعْتَ جِبَالَهَا بِأَعْلَى يَلِيلِ (٥)
وَإِذَا التَّمَسْتَ نَوَالَهَا بِبَخْلَتَ بِهِ وَإِذَا عَرَضْتَ بِوُدِّهَا لَمْ تَبْخَلِ (٦)
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْمِطْيُ خَوَاضِعُ وَكَأَنَّهُنَّ قَطَا فَلَآةٍ مَجْهَلِ (٧)

(١) جريز بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم، ولدت جريراً أمه لسبعة أشهر، وعمر ثيفاً وثمانين سنة، مات باليمامة سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م. وكان يكنى أبا حزرة، كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس في الشعر، شب جريز بدويّاً فقيراً يرعى الضأن والمعز، ويسوق الحمير، ونطق بالشعر صبيّاً ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره، فارض أخاه الأكبر عمراً الشعر، وهو من أسرة كلها شعراء، كان أبوه عطية شاعراً، وجده الخطفي، وأخوه، وبنوه، وبنو بنيه شعراء. اتصل بالولادة والأمراء والخلفاء، وخص الحجاج ببعض مدائحه، الذي أوصله إلى عبد الملك بن مروان، بعد أن كان زبيري الهوى، يقال: إن المعارك اشتدت بينه وبين الشعراء، وكان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً، ولم يثبت له غير الفرزدق والأخطل. وقد اتفقت العرب على تقدم جريز على صاحبيه، في الهجاء والغزل والرثاء. وجاء تفوقه في الهجاء بسبب عنفه في خصومته، وسخريته من غريمه، أما تفوقه في الغزل والرثاء فكان ذلك بسبب تدينه وعفته، وسلامة طبعه، وعذوبة منطقه، وصلق شعوره، وقلة تكلفه، فكان أغزهرم بحراً، إن طُلب لم يُسبق، وإن طُلب لم يلحق. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء، ص ٧٥ - ١٢١. وطبقات فحول الشعراء ص ٣٧٤ - ٤٥١. والشعر والشعراء، ص ٢٨٣ - ٢٨٩. والأغاني ٣/٨ - ٩٠، ١١/٥٥ - ٦٣. (طبعة دار الثقافة والأعلام ١١٩/٢).

(٢) مضى ذكر قصيدة الفرزدق، ص ١٦٤.

(٣) كأنها لم تحلل: أي درست كأنها لم تكن مسكونة. والكناس: موضع ببلاد غنى. والاعزل: واد لبني كليب. والطلح: شجر من العضاء.

(٤) المجتلي: الناظر. يقول: كنّا بك يا دار مجتمعين متجاورين فهوانا ميت، فلما افترقنا جاء التذكر والأحزان.

(٥) المغزل: الظبية المطفل. وليليل: موضع.

(٦) النوال: القيلة واللمسة. يقول: تعطيك بلسانها ما لا تفعله. وإذا عرضت لها بالمودّة والحديث فهي تبذل ولا تبخل به، وإذا أردت غير ذلك. بخلت به.

(٧) خواضع: مطاطة رؤوسها في سيرها. والقطا: طير. والفلاة: القفر. والمجهل: المجهول المعامل.

يُسْقِينَ بِالْأَدْمَى فِرَاحَ تَنْوَفَةٍ
يَا أُمَّ نَاجِيَةَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ
وَإِذَا غَدَوْتَ فَبَاكَرْتِكِ تَحِيَّةً
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ
أَوْ كُنْتُ أَزْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلٍ
أَعْدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا
لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفِرَزْدَقِ مِيسْمِي
أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا
بَيْتًا يُحَمِّمُ قَيْنُكُمْ بِفَنَائِهِ
وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَخْسَ بَيْتٍ يُبْتَنَى
إِنِّي بَنَى لِي فِي الْمَكَارِمِ أَوْلَى
أَعْيُنِكَ مَائِرَةُ الْقِيُونِ مُجَاشِعٍ
وَأَمْدَحُ سَرَاةَ بَنِي فُقَيْمٍ إِنَّهُمْ

زُغْبًا حَوَاجِبُهُنَّ حُمَرَ الْحَوْصَلِ (١)
قَبْلَ الرُّوَّاحِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُزْلِ (٢)
سَبَقَتْ سُورَحَ الشَّاحِجَاتِ الْحُجْلِ (٣)
يَوْمَ الرَّجِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ (٤)
لَقَنْعْتُ أَوْ لَسَّالْتُ مَا لَمْ يَسْأَلِ (٥)
فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بَكَاسِ الْأَوَّلِ (٦)
وَضَعَا الْبَيْعُثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ (٧)
وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ (٨)
دَنَسًا، مَقَاعِدُهُ خَبِيثُ الْمَدْخَلِ (٩)
فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمْ بِمِثْلِي يَذُبِّلُ (١٠)
وَنَفَخْتُ كِيرَكَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (١١)
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَدْعِي مِنْ نَهْشَلِ (١٢)
قَتَلُوا أَبَاكَ وَثَارُهُ لَمْ يُقْتَلِ (١٣)

(١) الأدمى: اسم موضع. والتنوفة: المكان المقفر. والزغب: أول ما يبدو من الريش.

(٢) الرواح: الذهاب عشية.

(٣) الشاحجات: الغربان التي تشجع، أي تصوت. والحجل: أي تقفز على الرجلين معاً.

(٤) عهدكم: لقاءكم. يقول: إنه لما كان ارتضى بما جرى لو علم أنه سيكون آخر عهده بها.

(٥) البين: الفراق.

(٦) ناقعاً: قاتلاً. أي أنه أعد للشعراء قصائد قاتلة.

(٧) ضفا: صوت، وأصلها في الخنزير. وجدع: قطع الأنف. والميسم: المكي، يريد الشعر.

(٨) سمك: رفع. ومجاشع: قوم الفرزدق. والحضيض: أسفل الجبل، يقول: إن الله أرادهم أذلاء.

(٩) يحمم: يشعل فيه، فيسوده بالدخان. والقين: الحداد. وهنا يقصد الفرزدق.

(١٠) يلبل: جبل ينجل يشبه به مجده ورفعته.

(١١) أولي: آبائي. يقول: إن أجداده عظام، وأجداد الفرزدق حدادون.

(١٢) مائرة: مكرومة، أو عمل كريم. وتدعي: تتسبب. مجاشع ونهشل أخوان من تميم.

(١٣) السراة: جمع السري، وهو الشريف. وينوفقيم: من دارم. أي: أنهم لم يأخذوا بثأره.

ودعِ البراجِمَ إِن شَرَبَكَ فِيهِمْ
إِنِّي أَنْصَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
مِنْ بَعْدِ صَكَّتِي الْبَعِيثَ كَأَنَّهُ
وَلَقَدْ وَسَمْتُكَ يَا بَعِيثُ بِمِيسَمِي
حَسْبُ الْفَرَزْدَقِ أَنْ تُسَبَّ مُجَاشِعُ
طَلَبْتُ قُبُونُ بَنِي قُفَيْرَةَ سَابِقاً
قُبُلَ الزُّبَيْرِ وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبُورَةٍ
لَا تَذْكُرُوا حُلَلَ الْمُلُوكِ فَإِنَّكُمْ
أَبْنَى شِعْرَةٍ لَمْ تُسَدَّ طَرِيقُنَا
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ فِي وَجْهِهِ مُجَاشِعُ
وَلَقَدْ تَرَكْتُ مُجَاشِعاً وَكَأَنَّهُمْ
إِنِّي إِلَى جَبَلِي تَمِيمٍ مَعْقِلِي

مُرْ عَوَاقِبُهُ كَطَعْمِ الْحَنْظَلِ (١)
حَتَّى أَخْتَطِفْتِكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلٍ (٢)
خَرَبٌ تَنْفُجُ مِنْ حِذَارِ الْأَجْدَلِ (٣)
وَضَعَا الْفَرَزْدَقُ تَحْتَ حَدِّ الْكَلْكَلِ (٤)
وَيَعُدُّ شِعْرَ مُرْقَشٍ وَمُهْلَهْلِ (٥)
غَمَرِ الْبَدِيهَةِ جَامِحاً فِي الْمَسْحَلِ (٦)
قُبْحاً لِحُبُوتِكَ الَّتِي لَمْ تُحْلَلِ (٧)
بَعْدَ الزُّبَيْرِ كَحَائِضٍ لَمْ تُغْسَلِ (٨)
بِالْأَعْمِيِّينَ وَلَا قُفَيْرَةَ فَأَزْحَلِ (٩)
لُؤْمُ يَثُورٍ ضَبَابُهُ لَا يَنْجَلِي (١٠)
فَقَعَ بِمَدْرَجَةِ الْخَمِيسِ الْجَحْفَلِ (١١)
وَمَحَلَّ بَيْتِي فِي الْيَفَاعِ الْأَطْوَلِ (١٢)

- (١) الشرب: الحظ والنصيب. يقول: لا تقربهم فتتال الأذى. والبراجم: قوم من أولاد حنظلة بن مالك.
(٢) انصببت: انقضضت. من عل: من أعلى.
(٣) الصك: الضرب الشديد. والمغرب: ذكر الجباري، ويوصف بالجبن. وتنفج: أي تنفش ريشه ذعراً.
والأجدل: الصقر.
(٤) الميسم: المكوى، والمقصود الشعر. وضعا: تذلل. والكلكل: الصدر.
(٥) المرقش: من شعراء الجاهلية العشاق. والمهلل: من فرسان العرب، ومن شعراء الرثاء في الجاهلية.
(٦) غمر البديهة: خصب الارتجال. والمسحل: اللجام. وقفيرة: جدة الفرزدق، يتهمها جرير أنها بنت زنا.
(٧) الحبوة: التربع، يقول: إنهم ظلوا قاعدين والزبير جارهم يقتل.
(٨) أي لا تفخروا بصلة الملوك فقد لو أنكم مقتل الزبير.
(٩) أبني شعرة: يقال للرجل ذلك إذا أحتقر وعيب. وبالأعميين: كان غالب أعور وأخوه أعمى. يقول: إنهم عاجزون عن الصمود بوجههم بهولاء.
(١٠) يقول: إن ضباب اللؤم يغشى وجوههم.
(١١) وقع: كمأة بيضاء كبار، يضرب بها المثل في الذل، يقال أذل من وقع يفاع، لأنه يوطأ ويأكله الطير وغيره. والخميس: الجيش. وجحفل: كثير الجلبة. أراد أنهم خلقهم موطوؤون تحت أقدام الجيوش.
(١٢) المعقل: الملجأ. والحرز. واليفاع: المكان المشرف.

أَحْلَامُنَا تَرِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً
فَارْجِعْ إِلَى حَكَمِي قَرِيشَ إِنَّهُمْ
فَاسْأَلْ إِذَا خَرَجَ الْخِدَامُ وَأُحْمِشْتَ
وَالْخَيْلُ تَنْحَطُ بِالْكُمَاةِ وَقَدْ رَأَوْا
أَبْنُو طَهِيَّةَ يَغْدِلُونَ فَوَارِسِي
وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَى وَرَائِي بِالْحَصَى
عَمُرُو وَسَعْدُ يَا فَرَزْدَقُ فِيهِمْ
كَانَ الْفَرَزْدَقُ إِذْ يَعُودُ بِخَالِهِ
وَأَفْخَرُ بَضْبَةً إِنَّ أُمَّكَ مِنْهُمْ
وَقَضْتَ لَنَا مُضَرَّ عَلَيْكَ بِفَضْلِنَا
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
أَبْلَغَ بَنَى وَقَبَانَ أَنْ حُلُومَهُمْ

وَيُفَوِّقُ جَاهِلُنَا فَعَالَ الْجُهْلِ^(١)
أَهْلُ النَّبُوَّةِ وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ^(٢)
حَرْبٌ تَضُرُّمُ كَالْحَرِيقِ الْمُشْعَلِ^(٣)
لَمَعَ الرِّبِيَّةُ فِي النِّيَافِ أَلْعَيْطِلِ^(٤)
وَبَنُو خَضَافٍ وَذَاكَ مَا لَمْ يُعْدَلِ^(٥)
أَبْنَاءُ جَنْدَلَتِي كَخَيْرِ الْجَنْدَلِ^(٦)
زَهْرُ النُّجُومِ وَبَاذِخَاتُ الْأَجْبَلِ^(٧)
مِثْلَ الدَّلِيلِ يَعُودُ تَحْتَ الْقَرْمَلِ^(٨)
لَيْسَ آبَنُ ضَبَّةٍ بِأَلْمَعَمِ الْمَخُولِ^(٩)
وَقَضْتَ رَبِيعَةً بِالْقَضَاءِ الْفَيْصَلِ^(١٠)
بَيْتًا عَلاكَ فَمَالَهُ مِنْ مَنَقَلِ^(١١)
خَفَّتْ فَمَا يَزُونُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ^(١٢)

(١) يقول: إنهم ذوو حلم وجهل ولكل موضع.

(٢) حكما قريش: عبد مناف وهاشم. ويقال: هاشم وأمية.

(٣) إذا خرج الخدام: أي إذا أغير عليكم وخرجت النساء مذعورات، مشمرات للركض، فظهرت خلاخيلهن. أحمشت النار: قويت. والخدام: الفرس المحجل.

(٤) تنحط: تصوت من التعب. والكماة: جمع الكمي، المدجج بالسلاح. والربيعة: طليعة الجيش. والنياف: الطويل من الإبل. والعيطل: الطويل العنق.

(٥) طهية: أم جماعة من تميم، منهم مجاشع ودارم ونهشل. وبنو خضاف: هم بنو مجاشع.

(٦) الجندلة: المعقل ومن يحتمي بهم. والحصى: العدد الكثير. والجندلة: هي جندلة بنت تيم الأدرم بن غالب بن فهر بن مالك، وهي أم يربوع ومازن.

(٧) عمرو: يعني عمرو بن تميم بن مَر. وسعد بن زيد مناة: كانا حليفتين لعشيرة جرير. وزهر النجوم: النابهون. والباذخات: العالية جداً. والأجبل: جمع جبل، يريد عظماء الرجال.

(٨) يعود: يحتمي. والقرملة: شجر ضعيف لا شوك له.

(٩) المعم المخول: كريم العم والخال.

(١٠) الفَيْصَل: القاطع.

(١١) منقل: نقل.

(١٢) بنو قبان: لقب لبني مجاشع. ومعنى الوقبان: الأحق. والحلوم: جمع حلم، وهو العقل والرزانة.

أَبْلَغَ هَدِيَّتِي الْفَرَزْدَقَ إِنَّهَا ثِقْلٌ يُزَادُ عَلَى حَسِيرٍ مُثْقَلٍ^(١)
إِنَّا نُقِيمُ صَغَا الرُّؤُوسِ وَنَخْتَلِي رَأْسَ الْمُتَوَجِّحِ بِالْحُسَامِ الْمَقْصَلِ^(٢)

- شرح ديوان جرير، ص ٥٣٦ - ٥٤٠.

- كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ٢١١/١ - ٢٣١.

١٢ - من قصيدة^(٣) لجرير في هجاء الراعي النميري^(٤) (الدامغة)^(٥)

(من الوافر)

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنَّ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا^(٦)
وَوَجِدْ قَدْ طَوَيْتُ يَكَادُ مِنْهُ ضَمِيرُ الْقَلْبِ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا^(٧)
سَأَلْنَاهَا الشُّفَاءَ فَمَا شَفَّتْنَا وَمَتَّنَّا الْمَوَاعِدَ وَالْخِلَابَا^(٨)

(١) الحسير: الواهي. والهدية: هنا القصيدة.

(٢) نختلي: نجز

(٣) كان للفرزدق صاحب من بني نمير اسمه عرادة النميري، استطاع أن يؤثر على الشاعر عبيدة بن حصين

المعروف براعي الإبل ويقنعه بتفضيل الفرزدق على جرير، فقال الراعي في هذا الصدد:

يا صاحبي دنا الرُّوْحَ فسيروا غلبَ الفرزدق في الهجاء جريرا

ولما التقى جرير بالراعي النميري عاتبه على ذلك، ويبدو أنه لم يرض بهذا اللقاء، وغضب، وذهب بعدئذ إلى المريد، وقال قصيدته هذه أمام جمع غفير من الناس، يهجو فيها بني النمير والراعي والفرزدق والأخطل، بل تجد فيها هجاءاً للشعراء عامة، ولما ختم قصيدته بالبيت الذي أوله: «فغض الطرف إنك من نمير» كبر ثم قال: أخزيته ورب الكعبة. ومنذ ذلك الحين سميت القصيدة بالدامغة، حتى أخذ بنو نمير يغيرون قبيلتهم، وينتسبون إلى قبائل أخرى. انظر: الأغاني ١٤/٨ - ٣١، ٢٣/٣٥٠ - ٣٥٥ (طبعة دار الثقافة). وكتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ٤٢٧/١ - ٤٣٢.

(٤) هو عبيد بن حصين بن معاوية النميري. ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه، لكثرة وصفه الإبل، وجودة نعته إياها وهو شاعر فحل من شعراء الإسلام، وكان مقدماً مفضلاً، حتى اعترض بين جرير والفرزدق، فاستكفه جرير، فأبى أن يكف، فهجاه ففضحه ويقال: إنه مات كمدًا من هجاء جرير. انظر ترجمته: الشعر والشعراء، ص ٢٤٦ - ٢٤٨. والأغاني ٢٣/٣٤٨ - ٣٦٥. (طبعة دار الثقافة).

(٥) كانت هذه القصيدة تسمى الدامغة، لأن جريراً دمع بها الراعي النميري، أي: أصاب دماغه، وسميت قافيتها، كذلك المنصورة. انظر: الديوان، ص ٨٩. وكتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ٤٣٠/١ - ٤٣٢.

(٦) يخاطب عاذلة تلومه ويدعوها إلى أن تقصر عنه وتكف عن معاتبته وأن تقر بصواب ما تقوله إذا ما شاهدته صائباً.

(٧) يتحدث عن الوجد الذي يعانیه لصاحبه ويقول: إنه يذكي في قلبه النار ويؤججها تأجيحاً.

(٨) الخلاب: الكذب من مواعيدهن وقول الباطل.

لَشَتَّانَ الْمُجَاوِرَ دَيْرَ أَرْوَى
أَسِيلَةَ مَعْقِدِ السُّمُطَيْنِ مِنْهَا
وَلَا تَمْشِي اللَّثَامُ لَهَا بِسِرٍ
أَبَاحَتْ أُمَّ حَزْرَةَ مِنْ فُؤَادِي
مَتَى أَذْكَرُ بِخُورِ بَنِي عِقَالٍ
إِذَا لَاقَى بَنُو وَقْبَانَ غَمًّا
أَبَى لِي مَا مَضَى لِي فِي تَمِيمٍ
سَتَعْلَمُ مَنْ يَصِيرُ أَبُوهُ قَيْنًا
فَلَا وَأَبِيكَ مَا لَأَقِيْتُ حَيًّا
وَمَا وَجَدَ الْمُلُوكَ أَعَزُّ مِنَّا
حَمِينًا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ جَمَانًا
لَنَا تَحْتَ الْمَحَامِلِ سَابِغَاتُ

وَمَنْ سَكَنَ السُّلَيْلَةَ وَالْجَنَابَا^(١)
وَرِيَا حَيْثُ تَغْتَقِدُ الْحَقَابَا^(٢)
وَلَا تُهْدِي لَجَارَتِهَا السُّبَابَا^(٣)
شِعَابَ الْحُبِّ إِنْ لَهُ شِعَابَا^(٤)
تَبَيَّنَ فِي وُجُوهِهِمْ أَكْثَابَا^(٥)
شَدَدْتُ عَلَى أَنْوْفِهِمُ الْعِصَابَا^(٦)
وَفِي فَرْعِي خُزَيْمَةَ أَنْ أَعَابَا^(٧)
وَمَنْ عُرِفَتْ قَصَائِلُهُ اجْتِلَابَا^(٨)
كَيْرُبُوعٍ إِذَا رَفَعُوا الْعُقَابَا^(٩)
وَأَسْرَعَ مِنْ فَوَارِسِنَا اسْتِلَابَا^(١٠)
وَأَحْرَزْنَا الصُّنَائِعَ وَالنَّهَابَا^(١١)
كَنْشَجِ الرِّيحِ تَطْرُدُ الْحَبَابَا^(١٢)

(١) يقول: إن صاحبتة التي تقيم في تلك المواضع قد ابتعدت ونأت عنه.

(٢) يقول: إنها طويلة العنق، وندبة الخصر، ومهضومة الحشا.

(٣) أي لا تبوح بالسراً، كما أنها لا تفحش لجارتها الكلام.

(٤) يقول: إن حبيبته، وهي هنا زوجه قد استحلّت سبل قلبه جميعاً، وأن حبها أطبق عليه من كلّ جهة.

(٥) يبدأ بالهجاء، ويقول: إنه إذا ما ذكر إلى بني عقال، فإنهم يكتبون لذكره، ويحزنون لشدة إيقاعه بهم وتلبه لهم.

(٦) العصابة: يعني عصابة الخيامة التي تشدّ على أنف الناقة وذلك إذا أرادوا أن يعطفوها على غير ولدها كيلا تشمه، وإنما تعرف ولدها بالشّم. يقول: إنهم إذا ما أصيبوا بمكرهه، فإنه يشد العصابة على أنوفهم، يريد أنه يود أن يخنق أنفاسهم.

(٧) فرعى خزيمة: كنانة وأسد. وهنا يفخر بقومه بني تميم وبني أسد وكنانة.

(٨) اللقین: الحداد، يريد أحد أجداده. واجتلاباً: انتحالاً، وجمعاً من سائر الشعراء.

(٩) العقاب: هنا الراية التي تحمل في القتال، والناس يقاتلون معها وحولها ما دامت قائمة، فإذا سقطت انهزم أهلها. ويربوع: قومه.

(١٠) استلاباً: أي هم أشد الفرسان استلاباً لأعدائهم وغزواً لهم.

(١١) يوم ذي نجب: كان لبني يربوع خاصة دون بني حنظلة. وهنا يفخر بانتصارهم في هذا اليوم الذي نكلوا فيه ببني حنظلة، واقتادوا منهم الأسرى وحصلوا على غزو كثير.

(١٢) المحامل: مفردها اليمحمل، وهي محامل السيوف. والسابغات: الدروع الطويلة. والحباب: الذي تراه =

وَذِي تَاجٍ لَهُ خَرَزَاتٌ مُلْكٍ
أَلَا قَبِيحَ الْإِلَهِ بَنِي عِقَالٍ
لَقَدْ خَزَى الْفَرَزْدَقُ فِي مَعَدٍّ
وَلَأَقَى الْقَيْنُ وَالنَّخْبَاتُ غَمًّا
فَمَا هَبْتُ الْفَرَزْدَقُ قَدْ عَلِمْتُمْ
أَعَدَّ اللَّهُ لِلشُّعْرَاءِ مِنْ نِي
قَرَنْتُ الْعَبْدَ عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ
أَتَانِي عَنْ عَرَادَةَ قَوْلُ سُوءٍ
أَنَا الْبَازِي الْمُدَلُّ عَلَى نُمَيْرٍ
إِذَا عَلِقْتُ مَخَالِبُهُ بِقَرْنٍ
تَرَى الطَّيْرَ الْعِنَاقِ تَظَلُّ مِنْهُ
سَلَبْنَاهُ السُّرَادِقَ وَالْحَجَابَا^(١)
وَزَادَهُمْ بَغْدَرَهُمْ أَرْتِيَابَا^(٢)
فَأَمْسَى جَهْدَ نُصْرَتِهِ اغْتِيَابَا^(٣)
تَرَى لَوُكُوفٍ عَبْرَتِهِ أَنْصِيَابَا^(٤)
وَمَا حَقَّ ابْنُ بَرُوعَ أَنْ يُهَابَا^(٥)
صَوَاعِقُ يُخَضِّعُونَ لَهَا الرُّقَابَا^(٦)
مَعَ الْقَيْنَيْنِ إِذْ غُلِبَا وَخَابَا^(٧)
فَلَا وَابِي عَرَادَةَ مَا أَصَابَا^(٨)
أُتَحْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصِيَابَا^(٩)
أَصَابَ الْقَلْبَ أَوْهَتَكَ الْحَجَابَا^(١٠)
جَوَانِحُ لِلْكَلاكِيلِ أَنْ تُصَابَا^(١١)

= على الماء مثل الوشم تراه وتبينه إذا حركته الريح . ويشبه تموجها بتموج صفحة الماء إذ تعصف فيه الريح .

(١) الخرزات : جمع خرزة ، وهي قطعة الحلي . والسُرَادِق : الفسطاط أو الخيمة التي تتمد فوق سقف البيت . وهنا العمد التي ترفع فوق هامة الملوك .

(٢) بنو عقال : رهط الفرزدق . يهجوهم بغدرهم ، ويتمنى أن يتفاقم أمره فيهم ويزيدهم ريبة على ريبة .

(٣) يقول : أخزيتهم ، فلم يكن عنده انتصار لنفسه إلا الاغتيال فقط .

(٤) القين : الحداد . والنخبات : جمع النخبة ، الجبناء من الرجال . يقول : إنه أصاب القيسون ، أي : قوم الفرزدق في ذلك اليوم غمٌ عظيمٌ وأنهم بكوا جزعاً منه فوكف دمعهم ، أي : سال بغزارة .

(٥) ما هبت : ما خفت . وابن برُوع : الراعي النميري ، وبرُوع : اسم أمه .

(٦) يبدأ بالفخر المباشر . يقول : إن الله خصه بقدرة في الهجاء تجعل سائر الشعراء يهابونه بها ، ويحنون رقابهم له ، صاغرين أذلاء .

(٧) أي : أنه انتصر على مهاجيه ، وأنه قرنهم بعضاً ببعض ، وأذلهم جميعاً .

(٨) عرادة النميري ، هو راوية الراعي النميري . أي : أن عرادة نم عليه وخبر عنه أخبار السوء ، ثم يقبح به لكذبه .

(٩) البازي : طائر قوي من الطيور الجارحة ، يستخدم في صيد الطيور وغيرها . والمدل على النمير : الذي له عليه دالة وسلطة .

(١٠) القرن : الخصم في القتال . والحجاب : غشاء يحيط بالقلب .

(١١) الكلاكل : الصدور . أراد أنها لاصقة بالأرض من مخافته ، فشبه نفسه بالبازي

فَلَا صَلَّى إِلَهُ عَلَى نَمِيرٍ
وَلَوْ وُزِنَتْ حُلُومُ بَنِي نَمِيرٍ
فَصَبْرًا يَأْتِيُوسَ بَنِي نَمِيرٍ
فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ
فَيَا عَجَبِي أَتَوَعَدُنِي نَمِيرٌ
لَعَلَّكَ يَا عُيَيْدُ حَسِبْتَ حَرْبِي
إِذَا نَهَضَ الْكَرَامُ إِلَى الْمَعَالِي
قُرُومٌ تَحْمِلُ الْأَغْبَاءَ عَنْكُمْ
هُمْ مَلَكَوْا الْمُلُوكَ بِذَاتِ كَهْفٍ
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ

وَلَا سُقِيتَ قُبُورُهُمُ السَّحَابَا^(١)
عَلَى الْمِيزَانِ مَا وَزَنْتَ ذُبَابَا^(٢)
فَإِنَّ الْحَرْبَ مُوقِدَةٌ شِهَابَا^(٣)
فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كَلَابَا^(٤)
يِرَاعِي الْإِبِلَ يَخْتَرِشُ الضُّبَابَا^(٥)
تَقْلُدُكَ الْأَصْرَةَ وَالْغِلَابَا^(٦)
نَهَضْتَ بِعُلْبَةٍ وَأَثَرْتَ نَابَا^(٧)
إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا^(٨)
وَهُمْ مَنَعُوا مِنَ الْيَمَنِ الْكَلَابَا^(٩)
حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا^(١٠)

(١) يريد: ألا تحلّ ببني نمير رحمة الله، وهنا يلعنهم ويستنزل عليهم غضب الله.

(٢) يهجوهم بالجهل والطيش.

(٣) يتوعدهم بالحرب.

(٤) هذا بيت ماثور أدرك فيه غاية الهجاء للراعي النميري، إذ يدعو إلى أن ينكس نظره، ويخفض جبينه ذلاً ومهانة لانتسابه إلى النميريين الأذلاء من دون بني كعب وكلاب. يروى عن الراعي أنه قال: هجوت جماعة من الشعراء، وما قلت فيهم ما تستحي العلراء من إنشاده في خدرها. ولما قال جرير هذا البيت، أطفأ مصباحه ونام، لأنه رأى أنه بلغ حاجته وشفى غيظه من بني نمير، ويقول الراعي: خرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلا وسمعنا البيت قد سبقنا إليه، حتى أتينا حاضر بني نمير، فخرج إلينا النساء والصبيان يقولون: قبحكم الله وقبح ما جثمونا به.

(٥) يحقر من شأن الراعي النميري، وينفي عنه الفروسية، إذ يقصر جُل أمره على صيد الضباب، وهو أمر لا يدأب عليه إلا الخاملون.

(٦) يخاطب الراعي ساخراً: أترك حسبت حربي يسيرة سهلة كالعمل الذي دأبت عليه من فكّ لصرار الناقة وحلب لها في علاها. أي: انه راع قليل الشأن وليس فارساً مقدماً.

(٧) يقول له: إنك تكتفي من الأمر كله أن تحمل العلبة التي تستدر فيها الحليب وأن تستكشف نياب الماشية، فيما ينهض سواك إلى المعالي ويأتون بالعطائم.

(٨) القروم: جمع القرم، وهو الفحل، والسيد العظيم الشريف.

(٩) ذات كهف: موضع كان فيه يوم من أيامهم. والكلاب: يوم لبني سعد على الريباب. وملكوا الملوك بذات كهف: إن بني يربوع أسروا قابوس بن المنذر بن ماء السماء، وحسان أخاه. والكلاب الأخير: هو لسعد والريباب على أهل اليمن ومذحج وغيرهم.

(١٠) يقول: إذا غضب التميميون فإن غضبهم يعادل غضب الناس جميعاً.

أَلْسِنَا أَكْثَرَ الثَّقَلَيْنِ رَجُلًا بَبْطُنٍ مِنِّي وَأَعْظَمَهُ قِيَابَا^(١)
 سَتَعْلَمُ مَنْ أَعَزُّ جَمِيٍّ بِنَجْدٍ وَأَعْظَمُنَا بِغَائِرَةِ هَضَابَا^(٢)
 أَتَيْعَرِيَا أَبْنُ بَرْوَعٍ مِنْ بَعِيدٍ فَقَدْ أَسْمَعْتَ فَاسْتَمِعِ الْجَوَابَا^(٣)
 فَلَا تَجْزَعُ فَإِنَّ بَنِي نُمَيْرٍ كَأَقْوَامٍ نَفَحَتْ لَهُمْ ذُنَابَا^(٤)
 شَيَاطِينُ الْبِلَادِ يَخْفَنَ زَأْرِي وَحَيَّةُ أَرْيَحَاءَ لِي اسْتَجَابَا^(٥)
 تَرَكْتُ مُجَاشِعًا وَبَنِي نُمَيْرٍ كَدَارِ السُّوءِ أَسْرَعَتِ الْخَرَابَا^(٦)
 أَلَمْ تَرْنِي وَسَمْتُ بَنِي نُمَيْرٍ وَزِدْتُ عَلَى أَنْوْفِهِمُ الْعِلَابَا^(٧)
 إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ وَلَمَّا تَقْتَدِحْ مِنِّي شَهَابَا^(٨)

- شرح ديوان جرير، ص ٨٩ - ١٠١.

- كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ٤٣٢/١ - ٤٥١(*).

١٣ - من قصيدة^(٩) لجرير في رثاء زوجته خالدة بنت سعد.

(من الكامل)

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِغْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ^(١٠)

(١) الثقلان: الإنس والجن. يقول: إنهم الأكثر عدداً في جبل منى، وإنهم يضربون فيه القباب التي تدل على مجدهم وسؤدهم. أي: أنه يفخر بقيام بني قومه في بطحاء مكة.

(٢) يفخر بالمواضع التي يقيمون فيها والتي لا يقطنها إلا الأشراف.

(٣) تيعر: تصيح وتصوت. ويروع: يقال إنها أمه. ويقال: ناقة ذكرها الراعي فنسبه إليها جرير. يقول: إنك لا تزال تصيح كالماعر من بعيد، لجنيك، وها إني أجيبك في هذه الأبيات على صياحك.

(٤) نفحت: رمت. والذئاب: النصيب، وأصله الدلو. وهنا يحقر من أمر النميريين الذين يكتفون بما يرمي لهم من متاع هزيل.

(٥) أريحاء: مدينة بالشام، وهي الآن مدينة بالضفة الغربية، والله أعلم. يقول: إن من عرفوا بالشر في كل مكان يخشون بطشي.

(٦) مجاشع: قوم الفرزدق. وهنا يفخر بما أوقعه بقوم الفرزدق والراعي، ويقول: إنه خلفهم إثر هجائه لهم كالأطلال.

(٧) يقول: إنه وسهمهم وسمة اللذ التي لا تمحى. وعلب الشيء: حزه، وسمه وأثر فيه وخدشه.

(٨) ينهي قصيدته بجزر الراعي عنه ويقول: إنه مهما جهد وتألب لم يصبه بأذى ولم يقدح فيه شرارة حقد أو أذى.

(*) انظر رد الفرزدق على جرير في كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ٤٥١/١ - ٤٧٧.

(٩) كان يسمي هذه القصيدة: الجوساء لذهابها في البلاد. وزوجته خالدة هي أم ابنه حَزْرَة. وقد هجا فيها الفرزدق.

(١٠) إن الحياء يحول بينه وبين دمه، ويتمنى أن يزور قبرها، لكنه يعف عن ذلك كي لا يستضعف به.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ وَمَا تَمَتُّعُ نَظْرَةً
فَجَزَاكَ رَبِّكَ فِي عَشِيرِكَ نَظْرَةً
وَلَهْتَ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ
أَرَعَى النُّجُومَ وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةُ
نِعَمَ الْقَرِينُ وَكُنْتُ عِلَقَ مَضْنَةٍ
عَمِرْتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ وَفَارَقْتُ
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِسُرْقَةٍ ضَا حِكِ
هَزَمُ أَجَشُّ إِذَا اسْتَحَارَ بِبِلْدَةٍ
مُتْرَاكِبٌ رَجُلٌ يُضِيءُ وَيَمِضُّهُ

فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْمُخْفَارُ^(١)
وَسَقَى صَدَاكَ مُجَلِّجِلٌ مِذْرَارُ^(٢)
وَذَوُّ التَّمَائِمِ مِنْ بَيْنِكَ صِغَارُ^(٣)
عُصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صِوَارُ^(٤)
وَأَرَى بِنَعْفٍ بُلْيَةَ الْأَحْجَارِ^(٥)
مَا مَسَّهَا صَلَفٌ وَلَا إِقْتَارُ^(٦)
هَزَمُ أَجَشُّ وَدِيمَةُ مِذْرَارُ^(٧)
فَكَأَنَّمَا بِجَوَائِهَا الْأَنْهَارُ^(٨)
كَالْبَلْقِ تَحْتَ بَطُونِهَا الْأَمْهَارُ^(٩)

(١) يقول: إنه نظر إليها في قبرها، فلم تمتعه نظره، وأية جدوى من النظر إليها وقد غشيها تراب الرمس.
(٢) ندع الله أن يؤدي لها ما أعياه أداؤه، ويستسقي لها المطر الذي يقصف الرعد في سحابة فيتدفق تدفقاً في هطوله.

(٣) يقول: إنها أورتته الأحزان بعد أن تقدّم به العمر. وارتحلت عنه مخلقة أولادها الصغار من دونها.
وكبرة: كبر وضعف. والتمايم: جمع التيمة، وهي العوذة تعلق على الصبي خوف الحسد.
(٤) أرعى النجوم: أراقبها. وغورية: غائبة. والعصب: هنا الفرق والجماعات. والصوار: القطيع من بقر الوحش.

(٥) العلق: النفيس. والمضنة: ما يضمن به. ونعف بلية: مكان قبرها. يقول: إنها كانت كالعلق النفيس الذي يضمن به ويحرص عليه، ويتحسر أنها غدت في التراب وقد ردمت عليها الأحجار.
(٦) عمرت: عاشت. المساك: يريد البقاء مع زوجها. والصلف: التكبر. والإقتار: البخل. يقول: إنها أنفقت عمرها وهو يحرص عليها، ويؤثرها، وماتت دون أن يعاني لها سوى المحبة لكرمها وامتناعها عن البخل والتقتير.

(٧) الصدى: هنا روح الميت. والمجدث: القبر. وبرقة ضاحك: موضع. والهزم: السحاب الراعد.
والأجش: الغليظ الصوت. والديمة: المطر يدوم. والمدرار: الغزير. يستسقي لقبرها المطر الشديد الذي لا يكف ولا ينقطع، دائم الانهيار.

(٨) يستكمل وصف المطر، ويقول: إنه شديد، قوي الصدى إذا دام انهماره على بلدة، يفيض عليها بمثل فيض الأنهار.

(٩) زجل: رفع صوته. والبلق: جمع الأبلق، فرس في لونه سواد وبياض. والمتراكب: المتلاحق القصف. والأمهار: جمع المهر. يتابع وصفه ويقول: إن قصف الرعد يتلاحق فيه، مصوتاً، كما أن وميض البرق يتلألأ فيه، فتبدو سحبه كالنياق الرمادية التي تحتضن أمهارها.

كَانَتْ مُكْرَمَةً الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
وَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ
وَالرَّيْحُ طَيِّبٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا
وَإِذَا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نَارَكَ نَوْرَتْ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيِّرُوا
وَعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كُلَّمَا
يَا نَظْرَةً لَكَ يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةٌ
تُخَيِّبِي الرُّوَامِسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ
وَكَأَنَّ مَنْزِلَةً لَهَا بِجُلَاجِلٍ
لَا تُكْثِرُنَّ إِذَا جَعَلْتَ تَلُومِي

يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ^(١)
وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارُ^(٢)
وَالْعِرْضُ لَا دَنْسٌ وَلَا خَوَارُ^(٣)
وَجْهًا أَغْرَى يَزِينُهُ الْإِسْفَارُ^(٤)
وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ^(٥)
نَصَبَ الْحَجِيجُ مُلْبِدِينَ وَغَارُوا^(٦)
مَنْ أُمِّ حَزْرَةَ بِالنُّمَيْرَةِ دَارُ^(٧)
بَعْدَ الْبَلَى وَتُمِيتُهُ الْأَمْطَارُ^(٨)
وَحَيُّ الزُّبُورِ تُجِدُّهُ الْأَحْبَارُ^(٩)
لَا يَذْهَبُنَّ بِحِلْمِكَ الْإِكْثَارُ^(١٠)

- (١) الغوائل: مفرد الغائلة، وهي الشر والفساد. والعشير: الزوج. يقول إنها كانت تكرم زوجها، وتعف عن ثلب جاراتها، فلا يلقين منها إلا خيراً.
- (٢) الوقار: الرزاة. يقول إنها كانت جميلة وقورة، هادئة.
- (٣) خوار: مريب.
- (٤) سريت: سرت ليلاً. وأغر: حسن له غرة. والأسفار: كشف الوجه. يقول: إنها إذا أقبل عليها ليلاً، فإن النار التي توقدها للضيغان، كانت تبعث التالق وتعكسه على وجهها.
- (٥) يقول: إنها لصلاحها تحسر عليها الملائكة وأخيار الناس، فصلوا عليها مترحمين. والأبرار: جمع البار، وهو الصالح.
- (٦) نصب: تعب. وملبدين: محرمين، وقد وضعوا على شعرهم مادة ليتبد، كالصمغ ونحوه. وغاروا: نزلوا الغور. وهنا يرجو أن تنالها الصلاة، ما دام هناك حجاج إلى مكة يصلون فيها.
- (٧) يقول: إنه نظر إلى دارها، فأنارت دمه. والنميرة: موضع.
- (٨) الروامس: الرياح لكشفها التراب عن الآثار. والرمس: الدفن. والريع: الدار. وتجد: تجدد. يقول: إن الرياح كانت تعصف ببربعها فتكشف آثاره، ثم تقبل عليه الأطار، فتطويه وتظمره.
- (٩) جلاجل: موضع. والوحي: المكتوب. والزبور: الكتاب. والأحبار: جمع الحبر، وهو العالم الصالح المتدين. تمثل بقايا الدار التي كانت تقيم فيها بموضع جلاجل بحروف الكتب المقدسة التي يجدد الكهان كتابتها.
- (١٠) الحلم: الصبر والعقل. وهنا يخاطب من يلومه على حزنه ويعذله على البكاء عليها، ويدعو إلى الصبر والحلم.

كَانَ الْخَلِيطُ هُمُ الْخَلِيطُ فَأُضْبَحُوا مُتَبَدِّلِينَ وَيَالِدِيَّارِ دِيَارُ^(١)
لَا يَلْبِثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكْرُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ^(٢)
- شرح ديوان جرير، ص ٢٣٧ - ٢٣٩.

١٤ - قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان^(٣).

(من بحر الوافر)

أَتَصْحُو بَلْ فُؤَاذُكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمِّ صَحْبِكَ بِالرَّوَّاحِ^(٤)
تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ عَلَاكَ شَيْبٌ أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاجِي^(٥)
يُكَلِّفُنِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ ظِعَائِنَ يَجْتَزَعْنَ عَلَى رُمَاحِ^(٦)
ظِعَائِنَ لَمْ يَدِنْ مَعَ النَّصَارَى وَلَا يَذْرِيْنَ مَا بَسَمَكَ الْقِرَاحِ^(٧)
فَبَعْضُ الْمَاءِ مَاءَ رَبَابٍ مُزْنٍ وَبَعْضُ الْمَاءِ مِنْ سَبَخٍ مِلَاحِ^(٨)

(١) الخليط: القوم الذين يخالطونك في السكن. ومتبدلين: متغيرين. وبالديار ديار: رحلوا إلى ديار أخرى. يقول: إنه كان يلزم فيها صحبه، فتولوا عنه وتبدلوا بديارهم دياراً أخرى.

(٢) القرناء: جمع القرين، وهو العشير. ولا يلبث: لا يهمل. وفي هذا البيت يتعظ بعطف الأيام، ويقول: إن التغير يصيب كل شيء في العالم فلا يقيم قوم على عهد دائم، بل إنهم يتفرقون ويمضون كل في سبيل، يدفعهم إلى ذلك كثر الأيام والليالي.

(٣) تعتبر هذه القصيدة من أفضل مدائح جرير، وقد نظمها في عبد الملك الذي كان يحفظه عليه ولاؤه القديم لابن الزبير، ولم يكذب يثلوها أمامه ويستهل بها قائلاً: «أتصحوا أم فؤادك غير صاح؟» حتى شتمه قائلاً: بل فؤادك يا بن الفاعلة. وأقام على غضبه حتى وصل جرير إلى قوله: «ألستم خير من ركب المطايا». فسري عن عبد الملك وقال: من مدحنا منكم، فليمدحنا بمثل هذا أويسكت. وبعد أن انتهى من القصيدة، أمر له بمائة ناقة، وغير ذلك من العطايا. انظر: الديوان، ص ١١٥. والشعر والشعراء، ص ٢٨٧.

(٤) الرواح: الذهاب عشية. يتساءل إذا كان سيصحو أم أنه سيظل مسلوب اللب، إثر النوى الذي أزمع به صحبه على الرواح.

(٥) المراح: الاختيال والتبختر. يقول: إن العاذلات لا يزلن يميزنه بالشيب الذي علا رأسه، فيعجب من ذلك، ويردف بأن الشيب لا يمنع صاحبه من اللهو والمرح.

(٦) الظعائن: جمع الظعينة، وهي المرأة في اليهودج. والاجتزاع: القطع. يقول: إن قلبه المشغوف لا يزال يكلفه تتبع آثار الراحلات على هواججهن، واللواتي يملن إلى موضع رماح.

(٧) القراح: قرية بالبحرين، وربما كانت للنصارى، يريد: أنهم بدويات لسن بحضريات. ولعله يريد: أنهم لسن من النصارى، فهن لا يعرفن ما عمق الماء القراح، لأنهن لم يغطسن بهذا الماء لأجل عمادهن.
الرباب: جمع الربابة، وهي السحابة البيضاء. والمزن: السحاب ذو الماء، أو البرد. والسبعة: أرض=

سَيَكْفِيكَ الْعَوَازِلَ أَرْحَبِي^(١) هَجَانُ اللَّوْنِ كَالْفَرْدِ اللَّيَاحِ^(٢)
يَعُزُّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَنْكَبِيهِ^(٣) كَمَا أَتَرَكَ الْخَلِيعُ عَلَى الْقِدَاحِ^(٤)
تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ^(٥) رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي أَمْتِنَاحِ^(٦)
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهَا^(٧) بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقِرَاحِ^(٨)
سَأُمْتِنَاحُ الْبُحُورُ فَجَنَّبَنِي^(٩) أَذَاةَ اللَّوْمِ وَأَنْتَظِرِي أَمْتِيَا حِي^(١٠)
بُقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ^(١١) وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنُّجَاحِ^(١٢)
أَغْنِنِي يَا فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي^(١٣) بِسِنِّ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَا حِ^(١٤)
فَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا^(١٥) زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَأَمْتِدَاجِي^(١٦)
سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي^(١٧) وَاثْبَتْتُ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي^(١٨)
أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا^(١٩) وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونُ رَاحِ^(٢٠)

= ذات نَزْ وملح. وملاح: الواحد ملح: صفة المالح غير العذب. يقول: إن البدويات يفضلن الحضريات كما يفضل الماء العذب الماء الصالح.

(١) يكفيك: يكف عنك. والأرحبي: فرس ينسب إلى أرحب من همدان. والهجان: الأبيض الكريم. والفرد: الثور المنفرد. واللياح: الأبيض، أي: أنه سيمتطي فرسه، ليتروّج ويتعدّ عن يملئنه، ويصف فرسه، فيقول: إنه أصيل تحلّ من فحل أرحب وأنه أبيض اللون كالثور الوحشي المقيم منفرداً.

(٢) يعز: يغلب. وإترك: حنا للركب. والخليع: المقامر. والقداح: جمع القدح، وهو سهم الميسر. يريد: أنه يغلب الإبل على الطريق، ويسبقها إليه، كما يلجّ المقمور على ماله المبتز منه، ليسترجعه.

(٣) يبدأ حواراً مع زوجته أم حزره. امتناح: عطاء. يقول: إنها تمزّت لرحيله عنها إذ استبان لها بأن زوجها سيعود مزوداً بعطاء كثير من الموضع الذي انتجعه ومن المرء الذي اعتفاه. والواردين: أصحاب الإبل يوردون الماء.

(٤) تعلل: تلهى وتشغل. وساغبة: جائعة. والشيم: البارد من الماء. والقراح: الصافي. يقول: إن أبنائه كانوا مقيمين على جوعهم وإن والدتهم كانت تملّهم بالماء القراح من دون الطعام، لشدة فقرها، وعوزها.

(٥) الامتناح: العطاء. يقول: إنه قوًى من عزمها إذ وعدّها بأنه سينال عطاء كثيراً كمن يفتترف الماء من البحر، ولقد شبه كرم عبد الملك بالبحر.

(٦) يطلب منها أن تثق بالله الواحد الأحد، وبالخليفة الذي لن يسخل عليه بالعطاء.

(٧) السبب: العطاء. وذو ارتياح: أي كريم. يطلب من الخليفة اغائته على ما دأب عليه واطمأن له.

(٨) يقول: إنه من واجبه أن يزور الخليفة وأن يمتدحه.

(٩) القوادم: الريش في مقدمة الجناح. أي إذا ما أزلت فقري، فأني حقيق بشكرك وامتداحك.

(١٠) يبدأ في مدح الخليفة ويقول: انكم خير الناس، وأكثرهم عطاء.

وَقَوْمٍ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ قَدَانُوا
أَبْحَتْ جَمَى تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ
لَكُمْ شُمُ الْجِبَالِ مِنَ الرُّوَاسِي
دَعَوْتَ الْمُلْحِدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ
فَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرِيًّا
فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ
رَأَى النَّاسُ الْبَصِيرَةَ فَاسْتَقَامُوا
يَذْهَبُ فِي مُلْكَمَةٍ رَدَاحٍ (١)
وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحٍ (٢)
وَأَعْظَمُ سَيْلٍ مُعْتَلَجٍ الْبِطَاحِ (٣)
جَمَاحًا هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجَمَاحِ (٤)
أَلَفَّ الْعَيْصَ لَيْسَ مِنَ النُّوَاجِي (٥)
بِعَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاجِي (٦)
وَيَبَّتِ الْمِرَاضُ مِنَ الصُّحَاكِ (٧)
- شرح ديوان جرير، ص ١١٥ - ١١٨.

١٥ - من قصيدة لذي الرمة (٨) في الغزل

(من الطويل)

- (١) سموت لهم: خرجت لهم. ودانوا: خضعوا. والدهم: الخيل السود، واحذها الأدهم. والململمة: المجتمعة. ورداح: كثية عظيمة. وهنا يمتدح الخليفة بشدته في القتال، ويقول له: إنك تتعرض لأعدائك بخيلك اللّهماء، وكتيبتك الثقيلة المجتمعة.
- (٢) يقول: إنك حللت في ذينك الموضعين - وهنا إشارة إلى حروبه في بلاد العرب - وأخضعت أهلها، فيما يعجز أعداؤك عن استباحة حماك.
- (٣) شم الجبال: أعاليها. واعتلجت الأرض: تراكمت الرمال فيها. يقول: لك في المجد والعلو مثل الجبال الشامخة، وفي الكرم مثل السيل المتدفق في البطاح المتراكم الرمل فيها. وقد ذكر اعتلاج الرمل ليضعف من صخب السيل وبالتالي من كرم الممدوح.
- (٤) أبو خبيب: عبد الله بن الزبير. وهنا يشمت بابن الزبير، مع أن هواه كان زبيرياً، ولعل المقام اقتضاه ذلك.
- (٥) الهبرزي: الأسد. والعيص: منبت خيار الشجر، الأصل. وألف: كثيف. يريد: أنه في أصل العز لا من نواحيه.
- (٦) عشات الفروع: لثيمات أصول نبتها. يكرر المعنى السابق، ويقول: إنه من أصل شجرة العز، لا من أصولها الهزيلة العارية.
- (٧) يقول: إن الناس استقادوا لك بعد أن راوك على حق، ويرثوا من الضلال، وتبينوا الحق من الباطل.
- (٨) ذو الرمة: هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عدى بن عبد مناة، ويكنى أبا الحارث، وذو الرمة لقب، يقال لقبته به مية، وذلك حين طلب منها أن تسقيه ماء، فقامت فأنته بماء، وكانت على كفه رمة، وهي قطعة من حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرمة، فلقب =

أَمْنَزِلْتِي مَيِّ سَلَامٍ عَلَيْكَمَا
ولا زَالَ مِنْ نَوَى السَّمَاءِ عَلَيْكَمَا
وإنْ كَتَمَّا قَدْ هَجَمْتَا رَاجِعَ الْهَوَى
أَجَلٌ عِبْرَةٌ كَادَتْ لِعِرْفَانٍ مَنْزِلُ
على حِينٍ رَاهَقْتُ الثَّلَاثِينَ وَارْعَوْتُ
إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكُنْ
فَلا الْقُرْبُ يُدْنِي مِنْ هَوَاهَا مَلَالَةٌ
إِذَا خَطَرْتُ مِنْ ذِكْرِ مَيَّةٍ خَطَرَةٌ
تُصَرِّفُ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ وَلَا أَرَى
وَبَعْضَ الْهَوَى بِالْهَجْرِ يَمْحَى فِيمَحَى
ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرْتُ بِنَا أُمِّ شَادِنِ
على النَّأْيِ وَالنَّائِي يَوَدُّ وَيَنْصَحُ^(١)
وَنَوَى الثَّرِيًّا وَابِلٌ مُتَبَطِّحُ^(٢)
لِذِي الشَّوْقِ حَتَّى ظَلَّتِ الْعَيْنُ تَسْفَحُ
لَمِيَّةً لَوْ لَمْ تُسَهِّلِ الْمَاءَ تَذْبَحُ
لِدَاتِي وَكَادَ الْحَلُمُ بِالْجَهْلِ يَرْجَحُ^(٣)
رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حَبِّ مَيَّةٍ يَسْرَحُ^(٤)
وَلَا حُبُّهَا إِنْ تَنَزَّحَ السَّدَارُ يَنْزَحُ^(٥)
على النَّفْسِ كَادَتْ فِي فَوَازِكٍ تَجْرَحُ
نَصِيبَكَ مِنْ قَلْبِي لِغَيْرِكَ يُمْنَحُ
وَحُبُّكَ عِنْدِي يَسْتَجِدُّ وَيَرْبَحُ
أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ^(٦)

بذلك. وقيل: بل كان يصيبه في صغره فزع، فكتبت له أمه تيممة فتعلقها بحبل، فلقب بذلك. وهو من الطبقة الثانية في العصر الإسلامي، وقيل: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان أكثر شعره في التشبيب وبكاء الأطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، وكان مقيماً بالبادية، ويذهب إلى اليمامة والبصرة كثيراً. توفي سنة ١٧هـ/٧٣٥م. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء، ص ٥٤٩، ٥٥٠. والشعر والشعراء، ص ٣٣٣-٣٤١. والأغاني ١٧/٣٠٦-٣٥١. (طبعة دار الثقافة). والأعلام ١٢٤/٥.

- (١) النَّأْي: البعد. والنَّائِي: البعيد، يريد: نفسه. ومي: صاحبه.
- (٢) النَّوَى: سقوط نجم مع ظهور نجم آخر. وكانت العرب تنسب الأمطار إلى هذه الأنواء، فتسمى المطر نوءاً. والوابِل: المطر الشديد الانهمار.
- (٣) رَاهَقْتُ: بلغت سن المراهقة. وَلِدَاتِي: جمع لدة، ولدة الرجل: من كان في سنه. وارعوت: كُفْتُ، واقلعت عن الجهل.
- (٤) رَسِيسُ الْهَوَى: خفيه، وقيل: أوله. ويروى صاحب الأغاني عن ذي الرمة انه قدم الكوفة، فوقف يُنشد الناس بالكُنَاسَة قصيدته الحاثية هذه، حتى أتى على هذا البيت، فناداه ابن شُبْرُمَة: يَا غَيْلَانُ أَرَاهُ بَرَحَ. فشنى ناقته (أي كفها بزمامها حتى ألصق ذفرها بقادمة الرجل)، وجعل يتأخر بها ويفكر، ثم عاد فأنشد البيت الذي يليه. (الأغاني ١٧/٣٣٤-٣٣٥).
- (٥) يَنْزَحُ: يبعد. أي: أن حبها ثابت لا يتغير في القرب والبعد.
- (٦) أُم شَادِنِ: الظبية. والشادن ولدها. وتشرب: ترفع برأسها. وتسنع: تعرض.

من المؤلفات الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ
تُغَادِرُ بِالْوَعْسَاءِ وَعَسَاءٍ مُشْرِفٍ
رَأْتُنَا كَأَنَّا قَاصِدُونَ لِعَهْدِهَا
هِيَ الشُّبَّةُ أَعْطَافاً وَجِيداً وَمُقَلَّةٌ
شُعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ^(١)
طَلَا طَرَفُ عَيْنِهَا حَوَالِيَهُ يَلْمَحُ^(٢)
بِهِ فَهِيَ تَدْنُو تَارَةً وَتَزْحَزْجُ^(٣)
وَمَيَّةٌ أَبْهَى بَعْدُ مِنْهَا وَأَمْلَحُ^(٤)
- شرح ديوان ذي الرمة، ص ٢٠ - ٢١.

١٦ - من قصيدة للكميت بن زيد الأسدي^(٥) في مدح بني هاشم

(من الطويل)

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ
وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزِلُ
وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ
وَلَا السَّائِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةُ
وَلَا لَعِبَاءُ مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ^(٦)
وَلَمْ يَطْرُبْنِي بَنَانُ مُخَضَّبُ^(٧)
أَصَاحُ غُرَابٍ أَمْ تَعْرِضُ ثَعْلَبُ؟^(٨)
أَمْرُ سَلِيمِ الْقَرْنِ أَمْ مَرُّ أَعْضَبُ^(٩)

(١) المؤلفات الرمل: المقيمة، والمستأنسة به. وأدماء: بيضاء. والمتن: الظهر.

(٢) الوعساء: الرملة اللينة. والطلا: ولد الظبية.

(٣) العهد: المكان الذي تعهد فيه. وتزحزح: تتأخر وتتخلف. أي: خافت على ولدها منا فهي تتقدم وتتأخر.

(٤) الأعطاف: الجوانب. والجيد: العنق. والمقلة: العين ذاتها. أو هي شحمة العين، أو هي السواد والبياض منها.

(٥) الكميت بن زيد من بني أسد، ويكنى أبا المُستَهَلِّ، وكان معلماً، قيل: إنه كان في مسجد بالكوفة يعلم الصبيان. وكان أصم، لا يسمع شيئاً، وكان رافضياً، متعصباً لأهل الكوفة، وكان شديد التكلف في الشعر، كثير السركة، وكان كثير المدح لبني هاشم فعرف بشعر الهاشمين. يقال إنه مرّ بالفرزدق وهو ينشد، والكميت يومئذ صبي، فقال له الفرزدق: يا غلام أيسرك أني أبوك؟ فقال الكميت، أما أبي فلا أريد به بدلاً، ولكنه يسرني أن تكون أُمِّي، فحصر الفرزدق يومئذ، وقال: ما مرّ بي مثلاً قط. توفي سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٢٦٨ - ٢٧١. والأغاني ١٦/٣٢٨ - ٣٦٠.

(٦) الطرب: استخفاف القلب في حزن أو لهو. والبيض: النساء اللواتي لسن بسود، أي: نقيات الألوان.

يقول: لم أطرب شوقاً إلى البيض، ولا طربت لعباً وأنا ذو شيب، ولكن طربي إلى أهل الفضائل.

(٧) يطرِبني: يحمِلني على الطرب. يقول: لم يحمِلني على الطرب بنان مخضب لأنني مجتنب للهو والنساء.

(٨) الزجر: الاستدلال بأصوات الطير وحركاته على الأمور المستقبلية، وكذلك الحيوان. يقول: لست ممن

همه زجر الطير لأنني جريت الأمور. وتعرض الثعلب: أي أخذ يميناً وشمالاً.

(٩) السائح: الذي يجيء من يسارك إلى يمينك، وهذا فال حسن عند العرب، ولكن أهل الحجاز يتشاءمون

وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى
إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ
بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ، فَإِنِّي
خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّي جَنَاحِي مَوَدَّةً
وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ
وَأَرْمَى وَأَرْمِي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا
فَمَا سَاءَ لِي قَوْلُ امْرِئٍ ذِي عَدَاوَةٍ
فَقُلْ لِلَّذِي فِي ظِلِّ عَمِيَاءَ جَوْنَةٍ
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ
وَحَيْرِ بَنِي حَوَاءَ، وَالْخَيْرُ يُطَلَّبُ^(١)
إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرُّبُ^(٢)
يَهُمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ^(٣)
إِلَى كَنْفٍ عِطْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ^(٤)
مَجْنَأٌ عَلَى أَنِّي أَذْمُ وَأُقْصِبُ^(٥)
وَإِنِّي لَأَوْدَى فِيهِمْ وَأُؤْنِبُ^(٦)
بِعَوْرَاءٍ فِيهِمْ يَجْتَدِينِي فَيُجْدَبُ^(٧)
يَرَى الْجَوْرَ عَدْلًا أَيْنَ لَا أَيْنَ تَذْهَبُ^(٨)
تَرَى حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَحْسَبُ؟^(٩)

* * *

يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِلَيَّ وَقَوْلُهُمْ:
فَطَائِفَةٌ قَدْ كَفَرْتَنِي بِحُبِّكُمْ
أَلَا خَابَ هَذَا، وَالْمَشِيرُونَ أَخْيَبُ^(١٠)
وَطَائِفَةٌ قَالُوا: مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ^(١١)

= بالسائح. والبوارح من الظباء والطير وغير ذلك ما تجيء من ميامنك إلى مياسرك، وأهل نجد يتشاءمون
بالبوارح. وسليم القرن: الذي يتيمن به. والأعصب: المكسور أحد قرنيه، وهو الذي يتشاءم به.

(١) النهي: جمع نُهْيَةٍ، العقل. يقول: طريبي إلى أهل الفضائل والنهي وهم بنو هاشم.

(٢) يعني بني هاشم.

(٣) أي: أرضى بهم في أمر ديني وأغضب لهم إذا عابهم عائب.

(٤) الكنف: الجانب، الناحية. وعطفاه: جانباه. أي: لبيت لهم جانبي وجنحت لهم بالمودة.

(٥) لهم: لبني هاشم. والمجن: الترس. وأقصب: أشتم. وهؤلاء: الحرورية. وهؤلاء: المرجئة. فمن

أراد نقيصة بني هاشم كنت مجناً أقيهم وأدب عنهم بلساني.

(٦) أرمى بالعداوة: أي يرموني بها في ميلي إلى بني هاشم وأرمى أهلها أي أهل العداوة. وأؤنب: أويخ.

(٧) العوراء: الكلمة القبيحة. وفيهم: أي في الصنفين. ويجتدني: يجيئني ويسأل الجداء، وهي العطية.

(٨) العمياء: الجهالة. والعمى: الجهل. وجونة: أي سوداء مظلمة لا يهتدى بها إلى الرشيد، ويقال

العمياء: الفتنة. أي: ليس لك مذهب.

(٩) تحسب: تستيقن. يقول: بأي كتاب جاء من الله تعالى (أي القرآن) أم سنة جاءت عن الرسول ﷺ

تحسب حب آل محمد ﷺ عاراً.

(١٠) يقول: الذين يشيرون هم أخيب مني لأنني محبٌ وهم مبغضون. والخسران.

(١١) طائفة: يريد من الحرورية. وطائفة: من المرجئة.

فَمَا سَاءَ نِي تَكْفِيرُ هَاتِيكَ مِنْهُمْ
يَعِيبُونَنِي مِنْ خُبْنِهِمْ وَضَلَالِهِمْ
وَقَالُوا: تُرَابِي هَوَاهُ وَرَأَيْهِ،
عَلَى ذَاكَ إِجْرِيَّاي، فَيَكُم ضَرِيَّتِي
وَأَحْمِلُ أَحْقَادَ الْأَقَارِبِ فَيَكُمُ
بَخَائِكُمْ غَضَباً تَجُوزُ أُمُورُهُمْ

وَلَا عَيْبُ هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعْيَبُ (١)
عَلَى حُجَّتِكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ (٢)
بِذَلِكَ أَدْعَى فِيهِمْ وَالْقَبُ (٣)
وَلَوْ جَمَعُوا طُرّاً عَلَيَّ وَأَجْلَبُوا (٤)
وَيَنْصَبُ لِي فِي الْأَبْعَدِينَ فَأَنْصَبُ (٥)
فَلَمْ أَرْ غَضَباً مِثْلَهُ يَتَغَضَّبُ (٦)

بِحَقِّكُمْ أُمَسْتُ قَرِيشٌ تَقُودُنَا
إِذَا اتَّضَعُونَا كَارِهِينَ لِبَيْعَةٍ
رُدَّافِي عَلَيْنَا لَمْ يُسَيِّمُوا رَعِيَّةً

وَبِالْفَذِّ مِنْهَا وَالرُّدَيْفَيْنِ نُرْكَبُ (٧)
أَنَاخُوا لِأُخْرَى وَالْأَزِمَةُ تُجَذَّبُ (٨)
وَهُمُّهُمْ أَنَّ يَمْتَرُوهَا فَيَحْلُبُوا (٩)

(١) يقول: سرتني تكفيرهم إياي ، لأنني على يقين من الصواب في حبي لهم . وهاتيك : يعني الحرورية .
ولا عيب هاتيك : يعني المرجئة . وأعيب : أي أكثر عيباً .

(٢) الضلال : الكفر في الموضع .

(٣) يريد الحرورية والمرجئة . وترابي : أي النسبة إلى حبّ عليّ كرم الله وجهه لكنيته بأبي تراب ، وذلك
حين نفّض النبي ﷺ التراب عن ظهره ، فقال : «قم يا أبا تراب» . فجعل ذلك بنو أمية من حسدهم ذماً
له .

(٤) اجريائي : خلقي . وطبيعتي : ستي . وضريتي : طبيعتي . [وأجلبوا : جمعوا الجموع . وطراً : جميعاً .
(٥) يقول : من حقد عليّ من أقاربي في الميل إليكم احتملت منه حقه عليّ في حجبكم ، تقرباً إلى الله عز
وجل ، ومن ناصبني من الأبعدين في حبي لكم ، نصبت له العداوة .

(٦) بخاتمكم : أي خاتم النبي ﷺ وهو خاتم الخلافة . يقول : بخاتم بني أمية تجوز أمور بني أمية في الرعية ،
فلم أر مثلاً هذا الغضب حين يغضب على الخلافة وأنتم أحقّ بها .

(٧) الفذ هو معاوية بن أبي سفيان . والرديفان : يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد . يعني بحق
هاشم تقودنا بنو أمية وتسوس أمورنا . أي : غضبكم على حقكم فصاروا إلى الخلافة .

(٨) اتضعونا : ركبونا قهراً ونحن كارهون له . وأصله أن يأخذ برأس البعير فيمد عنقه ويضرب بجرانه الأرض
ثم يركبه على عنقه . يقول : إذا فعلوا هذا بنا على كره منا ، قربوا إلى بيعة أخرى ، وأناخوا لها بغيراً
آخر ، وجذبوا زمامه حتى يذل ، فيضرب للبيعة والقهر علينا مثلاً مثل إناخة البعير وجذبته بالزمام ، وهو
يأبي ذلك ، فكذاك نحن نأباه ونتكرهه .

(٩) أي : يركبها واحد بعد واحد على كره منا يبايعون له ولولده ، فيترافون علينا . ولم يسموا رعية : أي لم
يرعوا ولم يسوسوا أمة غيرنا . وهمهم : أي هم بني أمية أن يستندوا ، أي : يوظفوا على الرعية الخراج
فيحتلبون كما تستلر الناقة ، يطلب منها الدرة .

لِيَنْتَبِجُوهَا فِتْنَةً بَعْدَ فِتْنَةٍ فَيَفْتَعِلُوا أَفْلاَهَا ثُمَّ يَرْكَبُوا^(١)
أَقَارِبُنَا الْأَدْنَوْنَ مِنْهُمْ لِعَلَّةٍ وَسَاسْتُنَا مِنْهُمْ ضِبَاعٌ وَأَذُوبٌ^(٢)
لَنَا قَائِدٌ مِنْهُمْ عَنِيفٌ وَسَائِقٌ يُقَحِّمُنَا تِلْكَ الْجَرَائِمَ مُتَعِبٌ^(٣)
وَقَالُوا: وَرَثْنَاهَا أَبَانَا وَأُمَنَا وَمَا وَرَثْتُهُمْ ذَاكَ أُمٌ وَلَا أَبٌ^(٤)
يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ وَاجِبًا سَفَاهَا وَحَقُّ آلِهَا شِمِيمٌ أَوْجِبُ^(٥)
- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص ٤٣ - ٥٩.

-
- (١) الأفلاء: جمع الفل، المهر الصغير. وافتعل: اختلف. يريد: أنهم يدبرون الفتن ويحيكون الخطط ليحكموا.
- (٢) لعل: لامهات شتى وهم لرجل واحد. وأذوب: جمع ذئب. ومنهم: من بني أمية، هم لنا في العداوة كعداوة بني العلات. يقول: سياستهم لنا كسياسة الذئاب يعيشون فينا، كما تعيش السباع في البهائم.
- (٣) القائد: يريد به الخليفة. ومنهم: من بني أمية. والعنيف: الذي يعنف بهم ويخرق. والسائق: عاملهم. ويقحمنا: يحملنا على القحم، وهي الأمور الصعبة والجرائم: أصول الشجر، الواحدة جرثومة. ومتعب: من أتعبهم السائق إذا جشمهم ما لا طاقة لهم به.
- (٤) ورثناها: يعني الخلافة. وذاك: يريد أمر الخلافة. وهنا يكذبهم ويقول: ما ورثتهم ذاك أمهم ولا أبوهم.
- (٥) السفه: الجهل والباطل.

ثانياً: النشر

١ - خطبة زياد بن أبيه^(١) حين قدم إلى البصرة سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م
(والياً لمعاوية بن أبي سفيان)
(البترء)^(٢)

أما بعدُ فإنَّ الجَهْلَةَ الجَهْلَاءَ^(٣)، والضَّلَالَةَ العمياءَ^(٤)، والغَيَّ المُوَفِّيَ بِأَهْلِهِ
على النارِ، ما فيه سفهاؤُكم ويشتملُ عليه حلماؤُكم، من الأمور العظامِ يَنْبُتُ فيها

(١) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة. من أهل الطائف. اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عُبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدت له أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة الثقفي) في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي (مولى الحارث بن كلدة) وأدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة. ثم ولَّاه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إمرة فارس. ولما توفي علي (رض) امتنع زياد على معاوية، وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ. فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣ م. وكانت ولادته سنة ١ هـ / ٦٢٢ م. قيل فيه: انه ما رأى الناس أحداً أخطب من زياد. انظر: الأعلام ٥٣/٣. وانظر: البيان والتبيين ٦/٢، ٦١-٦٢.

(٢) ما زال خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين باحسان يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: «البترء»، ويسمون التي لم توشع بالقرآن، وتزین بالصلاة على النبي ﷺ: «الشوهاء». وقال عمران بن حطان (خطيب وشاعر توفي سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م) خطبتُ عند زياد خطبة ظننت أنني لم أقصُر فيها عن غاية، ولم أدعُ لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول: هذا الفتى أخطبُ العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن (البيان والتبيين ٦/٢). قيل: خطب زياد خطبة البترء لم يحمد الله فيها، ولم يصل على النبي ﷺ. وقيل: بل قال: الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه. اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً (البيان والتبيين ٦/٢).

(٣) أي: شديدة، مثل ليلة ليلاء.

(٤) الضلالة العمياء: التي لا هدى لها.

الصغير، ولا ينجاش عنها الكبير^(١)، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي^(٢) الذي لا يزول، أ تكونون كمن طرقت عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحديث الذي لم تسبقوا إليه: من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، وهذه المواخير المنصوبة^(٣)، والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر، والعدو غير قليل. ألم تكن منكم نهاية تمنع الغواة عن دلج الليل^(٤) وغارة النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس. ليس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه، صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً. ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون^(٥) من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطفقوا وراءكم كنوساً في مكائس الرب^(٦). حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض، هذماً وإحراقاً. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف. وإني أقسم بالله، لأخذن الولي بالمولى^(٧)، والمقيم بالطاعين، والمقبل بالمذبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد^(٨)، أو

(١) انحاش عن الأمر: نفر منه.

(٢) السرمدي: الدائم، الأبدى.

(٣) المواخير: مجامع أهل الفسق والفساد.

(٤) دلج الليل: السير فيه.

(٥) قيامكم دونهم: دفاعكم عنهم.

(٦) المكائس: جمع مكنس. وهو الموضع الذي يؤوي إليه، ويختبأ فيه، والكنوس: جمع كانس، الظبي يدخل في كانسه، أي: مأواه. وأطفقوا وراءكم: اقتدوا بكم. يروى عن الشعبي أنه قال: لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون. فقال: ما هذا؟ قالوا: إن البلد مفتون، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق. فيقال لها: نادي ثلاثة أصوات، فإن أجابك أحد. وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع. انظر: جمهرة خطب العرب ٢٧١/٢.

(٧) الولي: السيد. والمولى: العبد.

(٨) هذا مثل يضرب في تتابع الشر، وأصله أن أخوين (سعد وسعيد) خرجا في طلب إبل لهما، فوجدها سعد، وقتل سعيد.

تستقيم لي قناتكم^(١). إِنْ كَذَبَ الْمُنْبِرَ بِلِقَاءِ مَشْهُورَةٍ^(٢)، فإذا تعلّقتُم عليّ بكذبٍ فقد حلّت لكم معصيتي، وإذا سمعتموها مِنِّي فاغتمزوها في^(٣) واعلموا أنّ عندي أمثالها. من نُقِبَ منكم عليّ فانا ضامنٌ لما ذهب منه. فإياي ودَلَجَ اللَّيْلِ؛ فإني لا أوتى بمُدْلِجٍ إلا سَفَكَتُ دَمَهُ^(٤). وقد أَجَلْتُكُمْ في ذلك بمقدارٍ ما يأتي الخبرُ الكُوفَةُ ويرجع إليكم. وإياي ودَعْوَةَ الجاهليّة^(٥)؛ فإني لا آخذُ داعياً بها إلا قطعْتُ لسانه. وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكلّ ذنبٍ عقوبةً: فَمَنْ غَرَّقَ قومًا غَرَّقناه، وَمَنْ أَحْرَقَ قومًا أَحْرَقناه، وَمَنْ نَقَبَ بيتاً نقبنا عن قلبه، وَمَنْ نَبَشَ قبراً دفناه فيه حياً. فَكُفُّوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَالسَّتْكُمْ، أَكْفَفْتُ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي. وَلَا تَظْهَرُ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيَّةٌ بخلافٍ ما عليه عَامَّتُكُمْ^(٦)، إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ. وقد كانت بيني وبينَ أقوامٍ إِحْنٌ فجعلتُ ذلك دَبْرَ أذني^(٧) وتحتَ قَدَمِي، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِناً فَلْيَزِدْ إِحْسَاناً، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئاً فَلْيَنْزِعْ عَنِ إِسَاءَتِهِ. إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السُّلَّ مِنْ بَغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعاً، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا، حَتَّى يُبَيِّدَ لَهُ صَفْحَتَهُ^(٨)، فإذا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرُهُ. فَاسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ، وَأَرْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ^(٩)، فَرُبَّ مَسْوءٍ بِقُدُومِنَا سَنَسُرُهُ، وَمَسْرُورٍ بِقُدُومِنَا سَنَسُوؤُهُ.

أيها الناس، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَادَةً، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ^(١٠)، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا^(١١). فلنا عليكم السَّمْعُ والطاعةُ فيما

(١) القناة: عود الرمح، وهنا تشبيهه، أي: حتى تستقيموا.

(٢) البلقاء: الفرس المحجلة، وتكون مشهورة عن غيرها لارتفاع التحجيل.

(٣) اغتمزوها: أي عدوها من عيوي، وأخطائي.

(٤) المدلج: الذي يسير في الليل، والمقصود الفاتك وغيره.

(٥) دعوى الجاهلية: يريد أنهم يدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث الشديد، أي: التناصر بتأثير العصبية.

(٦) أي: تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم.

(٧) دبر أذني: خلفها، والإحْن: الأحقاد.

(٨) صفحة الرجل: عرض وجهه، والمراد: حتى يجهر بالعداوة.

(٩) الإرعاء: الإبقاء والرفق.

(١٠) ذادة: حماة، مدافعون.

(١١) الفيء: مال الخراج أو الغنيمة، وفيه الله: أي بظله.

أَحْبَبْنَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ وَالْإِنصَافُ فِيمَا وَلَّيْنَا. فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفَيْتَنَا بِمَنَاصِحَتِكُمْ لَنَا، وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَّرْتُ عَنْهُ فَلَنْ أَقْصُرَ عَنْ ثَلَاثٍ: لَسْتُ مُحْتَاجاً عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَنَّنِي طَارِقاً بَلِيلٍ، وَلَا حَاسِباً عَطَاءٍ وَلَا رِزْقاً عَنْ إِبَائِهِ ^(١) وَلَا مُجَمَّراً لَكُمْ بَعَثاً ^(٢). فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأَيْمَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمْ الْمُؤَدَّبُونَ لَكُمْ، وَكَهَفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ، وَمَتَى يَصْلُحُوا تَصْلُحُوا، وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بَغْضَهُمْ فَيَسْتَدُّ لَذَلِكَ غِيْظُكُمْ، وَيَطُولُ لَهُ حُزْنُكُمْ، وَلَا تُذَرِّكُوا بِهِ حَاجَتَكُمْ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شِراً لَكُمْ. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كُلَّاً عَلَى كُلِّ. وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفِذْ فَيْكُمْ الْأَمَرَ فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ ^(٣)، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنَّ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَبْرٍ عَائِي.

- البيان والتبيين ٦٢/٢ - ٦٥.
- العقد الفريد ١٩٩/٤ - ٢٠١.
- صبح الأعشى ٢١٦/١ - ٢١٨.
- عيون الأخبار م ١ ج ٢ - ٢٤١/٢ - ٢٤٢.
- ذيل الأمالي، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢ - خطبة معاوية بن أبي سفيان ^(٤)

(لما قدم المدينة عام الجماعة سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م)

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعدُ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا وَلَّيْتُهَا بِمَحَبَّةٍ عَلِمْتُهَا مِنْكُمْ، وَلَا مَسْرَةً بَوْلَايَتِي؛ وَلَكِنِّي

-
- (١) إِيَابُهُ: أَوَانُهُ، وَوَقْتُهُ.
- (٢) جَرَّ الْجَنْدَ: حَبَسَهُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَمْ يَقْلُفْهُمْ.
- (٣) أَيُّ: وَجْهُهُ وَطَرَفُهُ، وَاحِدُهُ ذَلْ بِكَسْرِ الذَّالِ، وَهُوَ مَا مَهَّدَ وَذَلَّلَ مِنَ الطَّرِيقِ وَأَيْمُ اللَّهِ: هَذَا قِسْمٌ، أَيُّ: يَمِينُ اللَّهِ.
- (٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، أبو عبد الرحمن، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ وكان رجلاً طويلاً، أبيض، جميلاً، مهيباً، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب، ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تكرهوا إمرة معاوية، فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر (تسقط) عن كواهلها. وكان يضرب المثل بحلمه. وقد امتلأت الكتب بذكر الخلافات بينه وبين علي بن أبي طالب وأبنائه، واستطاع أن يؤسس الدولة الأموية، توفي سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م. انظر ترجمته في: مروج الذهب ٣٦٦/٢. وما بعدها، ٥/٣ وما بعدها. وتاريخ الخلفاء، ص ١٩٤ - ٢٠٥. وتاريخ مختصر الدول، ص ١٨٧ - ١٩٠. أما هذه الخطبة، فقد قدم المدينة عام الجماعة (بعد أن سلم الحسن الخلافة إلى معاوية) وتلقاه رجال من قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرنا، وأعلى كعبك، وصعد المنبر، وخطب هذه الخطبة.

جالدتكُم^(١) بيسفي هذا مجالدة، ولقد رُضْتُ^(٢) لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحافة^(٣)، وأردتها على عمل عُمَرَ، فنُفِرْتُ من ذلك نِفَاراً شديداً؛ وأردتها مثل ثِيَابِ^(٤) عثمان، فأبَتْ عليّ؛ فسَلَكْتُ بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومُشاركة جميلة؛ فإن لم تجدوني خَيْرَكم فَإِنِّي خَيْرُكم لكم ولاية؛ والله لا أحملُ السيفَ على من لا سيفَ له، وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشْفِي به القاتلُ بلسانِهِ، فقد جعلتُ ذلك له دَبْرٌ^(٥) أذني وتحت قَدَمي؛ وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كُلِّه فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه، فإن السيلَ إذا زاد أثرى، وإذا قلَّ أغنى^(٦)؛ وإياكم والفتنة، فإنها تُفْسِدُ المعيشة، وتكُدِّرُ النعمة. ثم نزل.

- العقد الفريد ٤ / ١٧٠ - ١٧١.

٣ - خطبة لِقَطَرِيّ بن الفُجاءة^(٧)

صعد قَطَرِيّ بن الفُجاءة منبر الأزارقة - وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم - فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَصِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ^(٨)، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ. لَا تَدُومُ

(١) جالدتكم: ضاربتكم.

(٢) رُضْتُ: ذُلْتُ.

(٣) يقصد: أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أول الخلفاء.

(٤) الثياب: جمع ثنية، الطريق العالي في الجبل، يريد حكم عثمان.

(٥) دبر أذني: خلفهما، أي أثره.

(٦) أغنى: كفى. وأثرى: أي جعلهم أثرياء.

(٧) سبقت ترجمته مع شعراء العصر الأموي، ص ١٤٤.

وقد وردت خطبته هذه في كثير من المصادر، لكننا نجد أنها وردت في نهج البلاغة (١/ ٢١٦ - ٢٢٠). وفي نهج البلاغة بشرح ابن الحديد (٢/ ٢٣٨) منسوبة إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويعمل ابن الحديد هذه القضية بقوله: وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره، وقد لقي قطري أكثرهم.

(٨) أي: راقت الأعين بقلة متاعها، وتحببت إليهم باللذة العاجلة.

حَبْرُتُهَا^(١)، وَلَا تُؤْمِنُ فَجَعَتْهَا، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ، خَوَانَةٌ غَدَارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ^(٢) نَافِذَةٌ
بَائِذَةٌ^(٣)، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ . لَا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرُّغْبَةِ فِيهَا وَالرَّضَا
عَنْهَا^(٤) أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ ﴿كَمَاءٌ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ^(٥)﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا^(٦) لَمْ يَكُنْ
أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةٌ^(٧)، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا^(٨) إِلَّا مَنْحَتُهُ
مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا. وَلَمْ تَطْلُعْ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءً^(٩) إِلَّا هَتَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءً^(١٠). وَحَرِيٌّ إِذَا
أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَنَصِّرَةٌ أَنْ تُمَسِيَ لَهُ خَائِلَةٌ مُتَنَكِّرَةٌ، وَإِنْ جَانِبُ مِنْهَا آعْدُوذَبٌ وَأَخْلُوذَلِيٌّ أَمْرٌ
مِنْهَا جَانِبٌ فَالْوَبَى^(١١) لَا يَنَالُ أَمْرٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا^(١٢) إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا^(١٣).

وَلَا يُمَسِّسُ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ^(١٤). غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا
فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا. لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقْلٌ مِنْهَا
أَسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ. وَمَنْ أَسْتَكْثَرَ مِنْهَا أَسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ^(١٥)، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ

(١) الحبرة: السرور والنعمة.

(٢) حائلة: متغيرة.

(٣) نافذة: فانية. وبائلة: هالكة.

(٤) غواله: مهلكة.

(٥) أي: أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانهم، فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله تعالى في قوله:

﴿كَمَاءٌ...﴾

(٦) الهشيم: الثبت اليابس المكسر، وتذروه: تطيره.

(٧) من الآية ٤٥ سورة الكهف.

(٨) الحبرة: السرور والنعمة، والعبرة: الدفعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاء.

(٩) كنى بالبطن والظهر عن الإقبال والإدبار.

(١٠) الطل: المطر الضعيف. وطلت السماء: أمطرت. والديمة: مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق معه.

والرخاء: السعة.

(١١) وهتنت المزن: انصبت.

(١٢) أوبى: صار كثير الوباء. والوباء: هو المعروف بالريح الأصفر.

(١٣) الغضارة: النعمة والسعة، ورغبا: ما ترغب فيه.

(١٤) أرهقته التعب: ألحقته به.

(١٥) القوادم: جمع القادمة، الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر.

(١٦) يوبقه: يهلكه.

مِنْ وَائْتِي بِهَا فَجَعَلْتُهٗ^(١)، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرََعْتُهُ. وَذِي أُبْهَةٍ قَدْ جَعَلْتُهُ حَقِيرًا،
 وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا^(٢). سُلْطَانُهَا دُولٌ^(٣)، وَعَيْشُهَا رِنَقٌ^(٤)، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ^(٥)
 وَحُلُوهَا صَبْرٌ^(٦)، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ^(٧)، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ^(٨). حَيْثُهَا بِعَرَضٍ مَوْتٌ.
 وَصَحِيحُهَا بِعَرَضٍ سُقْمٌ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَمَوْفُورُهَا مَنكُوبٌ^(٩).
 وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ^(١٠). أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى أَثَارًا،
 وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْتَفَ جُنُودًا. تَعَبُّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبْدٍ، وَأَثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ.
 ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ^(١١)، فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ
 نَفْسًا بِفِدْيَةٍ^(١٢)، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ صُحْبَةً، بَلْ أَرْهَقْتَهُم بِالْقَوَادِحِ^(١٣)،
 وَأَوْهَنْتَهُم بِالْقَوَارِعِ، وَضَعُضْتَهُم بِالنَّوَائِبِ^(١٤)، وَعَفَرْتَهُم لِّلْمَنَاجِرِ^(١٥)، وَوَطَّئْتَهُم
 بِالْمَنَاسِمِ^(١٦)، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِم رَيْبُ الْمُنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكَرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا^(١٧)، وَأَثَرَهَا

-
- (١) فجعته: أوجعته بفقد ما يعز عليه.
 (٢) النخوة: الافتخار.
 (٣) دول: جمع دولة، وهي انقلاب الزمان.
 (٤) رنق: كدر.
 (٥) أجاج: مالح شديد الملوحة.
 (٦) الصبر: عصارة شجر مر.
 (٧) سمّام: جمع سم، وهو من المواد، ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه.
 (٨) رمام: جمع رمة، بالضم، وهي القطعة البالية من الحبل، أي: ما يتمسك به منها فهو بال منقطع.
 (٩) موفورها: ما كثر منها مصاب بالنكبة، وهي المصيبة.
 (١٠) محروب: أي مبلوب ماله.
 (١١) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق.
 (١٢) أي سخت نفسها لهم بفداء.
 (١٣) أرهقتهم: غشيتهم. بالقوادح: جمع القادح، وهو أكال يقع في الشجر والأسنان، أي: بها ينهكهم ويمزف أجسادهم.
 (١٤) وضععتهم: ذللتهم.
 (١٥) عفرتهم للمناخر: كبتهم على مناخرهم في العفر، وهو التراب.
 (١٦) المناسم: جمع المنسم، وهو مقدم خف البعير، أو الخف نفسه.
 (١٧) دان لها: خضع.

وَأَخْلَدَ لَهَا^(١)، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْآبِدِ^(٢). وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ^(٣)، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ^(٤)، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعَقَبَتْهُمْ إِلَّا الدُّدَامَةَ. أَفْهَيْهِ تَوَثُّرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟. فَبَشَّتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوها وَظَائِعُونَ عَنْهَا. وَأَتَعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً». حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا^(٥)، وَأَنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ^(٦). فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا. وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانُ^(٧)، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانُ^(٨)، وَمِنَ الرِّفَاتِ جِيرَانُ^(٩)، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا، وَلَا يُبَالُونَ مُنْدَبَةً. إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا^(١٠)، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا. جَمِيعٌ وَهُمْ آخِذٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ^(١١)، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ. حُلُمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ^(١٢)، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ. اسْتَبَدَّلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاءَهَا كَمَا فَارَقُوهَا^(١٣)، حُفَاةٌ عُرَاةٌ، قَدْ ظَعَنُوا^(١٤) عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالْدَّارِ

(١) أخلد لها: ركن إليها.

(٢) أي: فراق مدته لا نهاية لها.

(٣) السغب: الجوع.

(٤) الضنك: الضيق.

(٥) أونورت...: لم يكن لهم مما ظنوه نوراً لها إلا الظلام.

(٦) لا يدعون ركباناً: لا يقال لهم ركبان (جمع راكب) لأن الراكب من يكون مختاراً وله التصرف في مركوبه.

(٧) الأجداث: القبور.

(٨) الصفيح: وجه كل شيء عريض، والمراد وجه الأرض، والأجنان: جمع الجن، وهو الستر، وهنا القبر.

(٩) أي: لأن أكفانهم تبلى، ولا يغشى أبدانهم سوى التراب.

(١٠) الرفات: العظام المندقة المحطومة.

(١١) جيدوا: مطروا.

(١٢) متدانون: متقاربون، لا يزور بعضهم بعضاً.

(١٣) لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر.

(١٤) جاءوا إلى الأرض واتصلوا بها بعدما فارقوها وانفصلوا عنها في بدء خلقهم، فإنهم خلقوا منها كما قال

تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (الآية ٥٥ سورة طه).

(١٥) قد ظعنوا عنها: يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم إما إلى نعيم وإما إلى شقاء، أو الظعن عنها: =

أَبَاقِيَّة، كما قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾^(١)،
فاحذروا ما حذركُمُ اللَّهُ، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله، عَصَمَنا اللَّهُ وإياكم
بطاعته، ورزقنا وإياكم أداءَ حقِّه.

- البيان والتبيين ١٢٦/٢ - ١٢٩.
- العقد الفريد ٢٢٥/٤ - ٢٢٨.
- نهج البلاغة ٢١٦/١ - ٢٢٠.
- صبح الأعشى ٢٢٣/١ - ٢٢٥.

٤ - خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي^(٢)

حين ولي العراق^(٣) سنة ٧٥ هـ / ٦٩٤ م

(صعد الحجاج بن يوسف الثقفي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على

= هو البعث منها يوم القيامة، ومفارقتها إما إلى الجنة، وإما إلى النار كما يرشد إليه الاستشهاد بالآية.
(١) الآية ١٠٤ سورة الأنبياء.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد (سنة
٤٠ هـ / ٦٦٠ م) ونشأ في الطائف بالحجاز، وانتقل إلى الشام فلحق بسلك الشرطة، ثم ما زال يظهر
حتى قلَّده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش
كبير، وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق،
والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة، وبنى مدينة واسط
بين الكوفة والبصرة. توفي فيها سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م. انظر: مروج الذهب ١٣٢/٣ - ١٦٤. والأعلام
١٦٨/٢.

(٣) لما غلبت الخوارج على البصرة بعث إليهم عبد الملك جيشاً فهزموه، ثم بعث إليهم آخر فهزموه، فقال:
من للبصرة والخوارج؟ فقيل له: ليس لهم إلا المهلب بن أبي صفرة، فأخذوا يقولون: ولي عبد الملك
على العراق رجلاً ضعيفاً، فخرج عبد الملك إلى أصحابه فقال: ويلكم! من للعراق؟ فسكت الناس
وقام الحجاج، وقال: أنا لها، قال: اجلس. فردد عبد الملك قوله مرة ثانية، وأجابه الحجاج، وقام
الحجاج الثالثة فقال: والله أنا لها يا أمير المؤمنين، قال: أنت زنبورها فكتب إليه عهده، وسار بجيش
كبير، ولما دخل القادسية، أمر جيشه أن يروحوا، ولبس ثياب السفر، وتعمم بعمامة، حتى دخل الكوفة
وحده، فجعل ينادي: الصلاة جامعة، وما منهم رجل جالس في مجلسه إلا ومعه العشرون والثلاثون
وأكثر من ذلك من أهله، وصعد المنبر متلثماً متكباً قوسه، فجلس واضعاً إبهامه على فيه، فقال بعضهم
لبعض: قوموا حتى نحصبه (أي نرميه بالحجارة)، فقال له البعض: أصلحك الله اكفف عن الرجل
حتى نسمع ما يقول، فمن قاتل يقول: حُصِرَ الرجل فما يقدر على الكلام، ومن قاتل يقول: أعرابي ما
أبصر حجته، فلما غصَّ المسجد بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام، ونحى العمامة عن رأسه.
ونخطب. انظر: مروج الذهب ١٣٢/٣ - ١٣٤.

نبيه^(١)، ثم قال: (من الوافر)

أنا ابنُ جَلَا وطَلَاغُ الشَّنايا متى أضَعُ العمامةَ تعرفوني^(٢)
يا أهل الكوفة:

أما والله إنني لأَحْتَمِلُ الشرَّ بِجَمَلِهِ، وأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ، وأَجْزِيهِ بِمِثْلِهِ، وإنِّي لأَرَى
رؤوساً قد أَيْنَعَتْ وُحَانَ قِطَافُهَا، وإنِّي لَصَاحِبُهَا، وإنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ تَرَفُّقُ بَيْنَ
العمائم واللِّحَى.
ثم قال: (من الرجز)

هذا أَوَانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زَيْمٌ قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٌ^(٣)
ليسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ ولا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٌ^(٤)
وقال أيضاً:

قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بَعْضَلِيٍّ أَرْوَعَ خِرَاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ^(٥)
* مهاجرٍ ليسَ بأعرابي *

إنِّي والله يا أَهْلَ العِراقِ، والشُّقاقِ والنِّفاقِ، ومساوِيءِ الأخلاقِ، ما أَعْمَزُ تَغْمَازَ
التَّيْنِ، ولا يَقْعَقُعُ لي بِالشَّنانِ^(٦)، ولقد فُِرَّتْ عَن ذُكَايَ^(٧)، ولقد فَتَّشْتُ عَن تَجْرِيَةِ،

(١) يقال: أنه ما حمد الله ولا أنى عليه، ولا صلى على نبيه. انظر: مروج الذهب ١٣٤/٣. ويقال: إنه صعد المنبر وهو مثلثم بعمامة خز حمراء، فقال: عليّ بالناس! فحسبوه وأصحابه خوارج، فهموا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه، ثم بدأ في خطبته. انظر: البيان والتبيين ٣٠٨/٢.

(٢) ابن جلا: ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب. والشنايا: جمع الثنية، وهي الطريق في الجبل. يريد: أنه قائد شجاع.

(٣) زيمٌ: اسم فرس أو ناقة.. ولفها: جمعها. والحطم: الذي لا يبقى من السير شيئاً.

(٤) الوضم: ما يُقَطَّعُ عليه اللحم.

(٥) العَصَلِيّ: الشديد الباقي على المشي والعمل. والأروع: الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد، الذكي، وقيل: هو الجميل الذي يروعك حسنه، والدوي: المفازة، الصحراء المتسعة.

(٦) الشنان: جمع شَن، وهو القرية البالية، وكانوا يحركونها إذا استحثوا الإبل للسير لتفزع فتسرع.

(٧) فر الدابة: كشف عن أسنانها ليعرف بذلك عمرها. والذكاء: نهاية الشباب وتمام السن.

وَجَرَيْتُ مِنَ الْغَايَةِ^(١). إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَبَّ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا^(٢)، فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عَوْدًا، وَأَصْلَبَهَا عَمُودًا، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتَنِ^(٣)، وَاضْطَجَعْتُمْ فِي مَرَاقِدِ الضَّلَالِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْغَيِّ. أَمَّا وَاللَّهِ لَأَلْحَرَنْتُكُمْ لَحَوَ الْعَصَا^(٤)، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبُ السَّلْمَةِ^(٥)، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ^(٦)؛ فَإِنَّكُمْ لَكَاهِلٍ قَرْيَةٍ كَانَتْ أَمَنَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رَزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^(٧). إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ، وَلَا أَهْمُ إِلَّا أَمْضَيْتُ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ^(٨)، فَإِنِّي وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتِ، وَقَالَ وَقِيلَ، وَمَا تَقُولُونَ؟ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَذَلِكَ؟ أَمَّا وَاللَّهُ لَتَسْتَقِيمَنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، أَوْ لَأَدْعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي بِإِعْطَائِكُمْ أَعْطَايَكُمْ، وَأَنْ أَوْجِهَكُمْ لِمَحَارَبَةِ عَدُوِّكُمْ مَعَ الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ^(٩). وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ رَجُلًا تَخْلُفُ بَعْدَ أَخِي عَطَائِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَأَنْهَبْتُ مَالَهُ^(١٠)، وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ.

- البيان والتبيين ٢/ ٣٠٨ - ٣١٠.
- العقد الفريد ٤/ ٢٠٨ - ٢٠٩.
- صبح الأعشى ١/ ٢١٨ - ٢٢٠.
- مروج الذهب ٣/ ١٣٤ - ١٣٥.
- عيون الأخبار م ١ ج ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

(١) كأنه عني أنه جاوز الغاية، والغاية: قصبة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق.
(٢) الكنانة: جعبة السهام. وعجم عيدانها: نظر أيها أصلب. والمعنى: أنه اختبر أعوانه وأصحابه، فوجدني أصلبهم، وأصلحهم وأقواهم.

(٣) الإيضاع: السير بين القوم، أي أسرعتهم في الشر.

(٤) لحا العصا: قشرها.

(٥) السلمة: واحدة السلم، وهو شجر ذو شوك يديغ بورقه وقشره. والسلم: يعسر خروط ورقه لكثرة شوكه، فتعصب أغصانه ويشد بعضها بعضاً، ثم يهصرها الخابط إليه ويخطبها بمصاه، فيتناثر ورقها للماشية.

(٦) ذاك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريفة من غيرها، ضربت وطردت حتى تخرج عنها.

(٧) وهنا يقتبس من القرآن الكريم، من سورة النحل، من آية رقم ١١٢.

(٨) خلف الأديم: قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه. والفري: القطع، وفريت: قطعت.

(٩) المهلب بن صفره: أرسله عبد الملك إلى إخماد ثورة الخوارج في العراق، وقد أشرنا إليه،

ص ١٧٤ - ١٧٥. توفي سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م.

(١٠) أي: جعلته نبياً، يغار عليه.

٥ - كتاب عبد الحميد إلى أهله^(١)

كتب عبد الحميد (من رسالة إلى أهله) وهو منهزم مع مروان

أما بعد، فإن الله تعالى، جعل الدنيا محفوفة بالكفر والسور، وجعل فيها أقساماً مختلفة بين أهلها، فمن درت له بحلاوتها، وساعده الحظ فيها، سكن إليها ورضي بها، وأقام عليها، ومن قرصته بأظفارها، وعصته بأنيابها، قلاها نافراً عنها، وذمها ساخطاً عليها، وشكاها مستزيداً لها؛ وقد كانت أذاقتنا أفويق^(٢) استحليناها، ثم جمحت بنا نافرة، ورمحتنا مؤلّة، فملح عذبها، وخشن لينها، فأبعدتنا عن الأوطان، وفرقتنا عن الإخوان، فالدار نازحة^(٣)، والطير بارحة^(٤)؛ وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعداً، وإليكم صبايةً ووجداً، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها، يكن آخر العهد بكم وينا، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع إليكم بذلّ الإسار^(٥)، والذلّ شرّ جارٍ، نسأل الله الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة، في دار آمنّة، تجمع سلامة الأديان والأبدان، فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين.

- في النقد والأدب، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

- جمهرة رسائل العرب ٤٨٦/٢ - ٤٨٧.

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، المعروف بالكاتب، عالم بالأدب، من أئمة الكتاب. يضرب به المثل في البلاغة، أصله من قيسارية، سكن الشام، واختص بمروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي (آخر ملوك بني أمية في الشام، توفي سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م). ويقال: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، له رسائل تقع في نحو ألف، طبع بعضها، وهو أول من أطلال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. ولما قوي أمر العباسيين، وشعر ميروان بزوال ملكه، قال لعبد الحميد: وقد احتجت أن تصير إلى عدوي، وتظهر الغدر بي، وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد مفارقتهم. وبقي معه إلى أن قتل معاً في بوضير بمصر سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م. انظر ترجمته في: مروج الذهب ٢٦٣/٣ - ٢٦٤. ووفيات الأعيان: ٢٢٨/٣ - ٢٣١. والأعلام ٢٨٩/٣ - ٢٩٠.

(٢) الفينة : اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين

(٣) نازحة. بعيدة.

(٤) البارح من الطير والوحش: ما مر من ميمتك إلى ميسرك والعرب تنطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف. والسانح: ما مر من مياسرك إلى ميامتك. والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد.

(٥) الإسار: القيد الذي يشد به.

العصر العباسي

أولاً: الشعر

١ - من قصيدة لبشار بن برد^(١) في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة

(من الطويل)

رُويَدَ تَصَاهُلُ بِالْعِرَاقِ جِيَادُنَا كَأَنَّكَ بِالضُّحَاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهُ^(٢)

(١) بشار بن برد، مولى لبني عُقَيْل، ويكنى أبا مُعَاذ، ويلقب المُرْعَث، والمرعَث: الذي جعل في أذنيه الرعاث، وهي القرطة. أصل أبياته من بلاد فارس من طخارستان، ونسبته إلى امرأة عُقَيْلية، قيل: إنها اعتنقه من الرق. وكان ضريباً، نشأ بالبصرة، وقدم بغداد، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وقد شهر فيهما ومدح وهجاء ويعتبر بشار أحد المطبوعين الذين كانوا لا يتكلفون الشعر، ولا يتعبون فيه، ويقال: محلّه في الشعر، وتقذّمه طبقات المحدثين فيه حينذاك، كان بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف. ويقال: إنه كان ضخماً، عظيم الخلق والوجه، مجدوراً، طويلاً، جاحظ المقلتين وقد تغشاهما لحم أحمر، فكان أفتح الناس عَمًى، وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحج وبصق عن يمينه وشماله، ثم ينشد فيأتي بالعجب. ويقول ابن المعتز: كان شاعراً مجيداً مُفْلِقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك، وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهدي، ويحضر مجلسه، وكان يأنس به، ويجزل له في العطاء، وكان بشار يعدّ من الخطباء البلغاء الفصحاء وله قصائد وأشعار كثيرة، فوشى به بعض من ييغضه إلى المهدي بأنه يدين بدين الخوارج، فقتله المهدي. وقيل: إنه هجا المهدي فنقم عليه وصدفه مرة يؤذن، وهو سكران فأمر به، فجلد ثمانين جلدة حتى مات. ولكن الثابت هو أنه رمي بالزندقة، فضرب بالسياط فمات بالبصرة، وقيل: ضرب عنقه. وكان ذلك في سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٤ م. وكانت ولادته في سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م. ويقال: إن المهدي ندم على قتله.

أما هذه الأبيات فهي من قصيدة مدح بها يزيد بن عمر بن هبيرة، عامل الأمويين على الكوفة، وقد انتصر مع الخليفة مروان بن محمد على الضحّاك زعيم الخوارج وقتله. وذلك في سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م. انظر: الشعر والشعراء، ص ٤٧٦-٤٧٩. والأغاني ٣/ ١٢٩-٢٤٥. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢١-٣١. والأعلام ٥٢/٢. ومطلع القصيدة:

جَنَفًا وَدَّهَ فَاوَزُّ أَوْ مَلُّ صَاحِبَةٍ وَأَزْرَى بِهِ أَلَا يَزَالُ يُعَاتِبُهُ
(كره صحبة صديقه فابتعد عنه، أو أن الصديق ملّه. وعيب هذا الرجل أنه كثير العتاب لصديقه).

(٢) رويد: مصدر أروء، مصغراً تصغير الترخيم: تقول: «رويداً زيداً» أي مهلاً، وهو هنا مصدر، وإذا أردت =

وسامٍ لمروانٍ ومن دونِهِ الشَّجَا
وجيشٍ كجُنَحِ الليلِ يزحفُ بالحصى
وارعنَ يَغشى الشمسَ لونُ حديدِهِ
تَغصُّ به الأرضُ الفضاءَ إذا غدا
رَكِبْنَا له جَهراً بكلِّ مُثَقَفٍ
فلَمَّا تولى الحرَّ واعتَصَرَ الثُّرى
وطارتُ عصافيرُ الشقائقِ واكتسى
وهوْلُ كُلِّجِ البحرِ جاشتْ غوارِبُهُ^(١)
وبالشَّوكِ والخَطِي حُمُرُ ثعالبِهِ^(٢)
وتَحِسُّ أبصارَ الكُماةِ كتابُهُ^(٣)
تُزاجِمُ أركانَ الجبالِ مناكِبُهُ^(٤)
وأبيضُ تَسْتَسْقِي الدماءَ مَضارِبُهُ^(٥)
لظى الصيفِ من نجمٍ توقَدَ لاهِبُهُ^(٦)
من الآلِ - أمثالَ المَجَرَّةِ - ناضِبُهُ^(٧)

= برويدا الوعيد نصبتها بلا تنوين. والضحاك بن قيس الشيباني، قصد أرض الموصل، واجتمعت عليه الصفرية (فرقة الخوارج) حتى صار في أربعة آلاف، فسار إلى العراق، واستولى على الكوفة، وحاصر واسطاً، واحتل الموصل، وكان جيشه حينذاك مائة ألف. وصهيل العراق: أي القتال هناك. ونادبه: أي أنه بكى على موت الضحاك، والمقصود أن الضحاك قضى نحبه، وأن النادبين أقاموا على نذبه. والمعنى: انتظر حتى تسمع صهيل خيلنا بالعراق، حينئذ تقوم النادية على الضحاك، أي يقتل.

(١) وسام لمروان: متطلع إلى حرب مروان بن محمد، أي: من يتطلع إلى مروان يلقى الشجاء، والشجاء: الغصّة في الحلق. ولج البحر: معظم الماء فيه. وجاتس: هاج واضطرب. والغوارب: الأمواج العالية القوية.

(٢) جنح الليل: جزء منه، أي أنه أسود لكثرة ما فيه من الحديد: دروع وسيوف الخ، فهو جيش يكاد يسد الأفاق كالظلام. والحصى: العدد الكثير. والشوك: السلاح. والخطي: الرماح نسبة إلى الحظ بالبحرين، وهو مكان تباع فيه الرماح. وثعالب: جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان. أي: أن رؤوس رماحه حمر لما اصطبغت به من دماء الأعداء.

(٣) أرعن: أحمق، يقصد الجيش، يصفه بالرعونة لأنه ممتلئ حماسة وهو ذاهب إلى الحرب. ويغشى الشمس لون حديد: إن سواد الدروع والسلاح يغطي نور الشمس. والكماة: جمع كمي. الشجاع التام السلاح، ومعنى الشطر الثاني: أن أقسام هذا الجيش كثيرة جداً حتى إنها سدت الأفق، فأصبح الكمي لا يبصر حوله إلا جنوداً، ولا يستطيع أن يبصر شيئاً آخر.

(٤) إن الأرض الواسعة تضيق بهذا الجيش، حتى أن الجبال، على سعة ما بينها تعرقل مسيره، ويصف بشار بهذه الأبيات الثلاثة جيش العدو.

(٥) 'لمثقف: الرمح. والأبيض: السيف القاطع الحاد. يقول: هاجمنا هذا الجيش علنا، غير مستترين، بالرمح وبالسيوف العطشى إلى الدم.

(٦) تولى الحر: صار والياً، اشتد. واعتصر الثوى (مفعول به) للظى الحر: إن شدة الحر قد عصرت التراب فأصبح شديد الجفاف. ومن نجم توقد لاهبه: إشارة إلى نزول الشمس في برج الجوزاء: لأن ذلك يكون في نصف الصيف.

(٧) الشقائق: جمع شقيقة: الأرض الصلبة. والآل: السراب. والمجرة: نظام عظيم من النجوم يعترض في =

عَدَتْ عانةٌ تشكو بأبصارها الصدى
عَدُونًا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِذْرِ أُمِّهَا
بَضْرِبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ،
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بِنَاتِهَا
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لَسُخْطِنَا
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ - فَوْقَ رُؤُوسِنَا -
بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفَجَاءَةِ إِنَّا
فَرَاخُوا: فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ، وَمِثْلُهُ

إِلَى الْجَائِرِ: إِلَّا أَنَهَا لَا تُخَاطَبُ^(١)
تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرَ ذَائِبُهُ^(٢)
وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَى الْفِرَارُ مِثَالِيهِ^(٣)
بَأَسْيَافِنَا، إِنَّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهُ^(٤)
وَرَاقِبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهُ^(٥)
وَأَسْيَافُنَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^(٦)
بَنُو الْمَوْتِ خَفَاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ^(٧)
قَتِيلٌ، وَمِثْلٌ لَأَدَّ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ^(٨)

= الساء. والمعنى: جفت هذه الأرض جفافاً شديداً فطارت عصافيرها، وامتلا سطحها بسراب متسع يرى شديد اللمعان من بعيد كالمجرة.

(١) عانة: قطع من حمر الوحش. والصدى: العطش. والجاب: الذكر من حمر الوحش. والمعنى: اشتد العطش بهذا القطيع فجعل يشكو إلى الجاب (زعيم القطيع) بنظراته، لأن شدة العطش منعت الكلام.
(٢) والشمس في خدر أمها: لم تطلع بعد. والغدوة: أول النهار، والمخدر: الستر أو المنزل. وتطالعنا: أي الشمس، تريد أن تطلع علينا. والطل: الندى. والمعنى: غدونا له، والشمس لم تطلع بعد، وكذلك الندى لا يزال جامداً على الأغصان. وليس ذلك بمستغرب. فمناخ العراق قاري شديد الحرارة في النهار، بارد في الليل وفي الصيف أيضاً. ومع ملاحظة مبالغة بشار أيضاً.
(٣) بضرب: أي غدونا بضرب. والمثالب: جمع المثلبة، العيب، والمعنى: باكروا العدو، وأمعنوا فيه ضرباً حتى بات قسمين: إما من القتلى، وإما من الهاربين حاملين عار الهزيمة والفرار.
(٤) أم المنايا بناتها: أي كأن للمنايا بنات تطلقهن بالدواهي والكوارث والموت. والمعنى: إن الموت قد وضع في سيوفنا آجال الناس، فكل من حاربنا كان حربنا إياه موتاً له.
(٥) دب: جرى وسرى. والمعنى: إذا اقترب عدونا منا خفية، ثم تظاهر بالمودة، فإننا لا نخافه، بل نجاهره العداوة.

(٦) النقع: الغبار. وتهاوى: تتساقط. وهنا يشبه الغبار الأسود الثائر فوق رؤوس المتحاربين بالليل. ويشبه رؤوس السيوف، بحركاتها ولمعانها أي: وهي تتوالى بسرعة، ارتفاعاً وانخفاضاً على العدو - في وسط الغبار - بالرجوم التي تتساقط من السماء في الليلة المظلمة. وهذا إيهام، لا حقيقة له، لأنه ليس هناك ليل تهاوى فيه الكواكب إلا يوم الحشر.

(٧) الفجاءة: المفاجيء، والسبائب: جمع السبيبة، وهي القطعة الرقيقة من الكتان، والمقصود هنا: أعلام الجيش المحارب، وهذا كناية عن النصر والقوة والشجاعة. والمعنى: كان العدو يعتقد أننا لم نظن لما يريد، فلما جاهرناه بالعداوة وهاجمناه، كان ذلك مفاجأة له.

(٨) الإسار: أي الأسر. والهارب: الفار من المعركة.

إذا الملك الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ نَعَاتِبُهُ^(١)

- بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي، للدكتور عمر فروخ، ص ١٣٤ - ١٣٨.

- وأنظر: الأغاني ٣/ ١٩١ - ١٩٢، ٢٣١ - ٢٣٢.

- وأنظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٧ - ٢٨.

٢ - مقطوعة لبشار بن برد في الهجاء.

(من البسيط)

استمنح بشار بن برد العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلم

يمنحه، فقال يهجو:

ظِلُّ الْيَسَارِ عَلَى الْعَبَّاسِ مَمْدُودٌ وَقَلْبُهُ أَبَدًا فِي الْبُخْلِ مَعْقُودٌ^(٢)

إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ^(٣)

وَالْبَخِيلَ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودٌ^(٤)

إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ^(٥)

أُورِقْ بِخَيْرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ فَمَا تُرْجَى الثِّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ^(٦)

بُتَّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعَكَ قِلَّتُهُ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودٌ^(٧)

- الأغاني ٣/ ١٨٩ - ١٩٠.

٣ - قصيدة لصريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري^(٨)

(من الطويل)

(١) صعر خده: أماله عن النظر إلى الناس كبراً وتبهاً، واحتقاراً لهم. ونعاتبه: نقائله. أي: أنهم لا يعاتبون عدوهم بالكلام بل بالسيف أي: بالقتال والقتل.

(٢) اليسار: الغنى، وفي البخل معقود: أي ملازم له، لا يفارقه.

(٣) المجهود: المعسر الذي شق عليه أمره، من قلة المال. والعسرة: الفقر، والضيق.

(٤) العلل: جمع العلة، الحجة، والعدر الذي يمنعه الكرم. يريد: أنها أعدار شائنة كريهة منكرة متنافرة.

(٥) تكرهت: أي فعلته كرهاً. والسعة: العطاء. أي: إذا بذلت القليل كرهاً، ولم تقدر على بذل الكثير، فإن العطاء لا يظهر.

(٦) النوال: العطاء. أورق بخير: أي أظهر الخير والعطاء. يريد: أن يظهر الجود ولو بالشيء اليسير، لأنه إذا لم يعط القليل، فإنه لم يعط الكثير.

(٧) بتَّ النوال: نشره وفرقه بين الناس.

(٨) مسلم بن الوليد، كان أبو الوليد مولى الأنصار، فهو أنصاري بالولاء، لقب بصريع. الغواني، ولد ونشأ بالكوفة. وهو أول من قال الشعر المعروف بالبدیع، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه: أبو تمام الطائي. =

أديري عليّ الرّاح ساقية الخمر
 كأنك بي قد أظهرت مضمر الحشا
 وقد كنت أقلي الرّاح أن يستفزني
 ولكنني أعطيت مقودي الصبا
 إذا شئت غاداني صبح من الهوى
 ذهبت ولم أجد بعيني نظرة
 جعلنا علامات المودة بيننا
 ولا تسأليني وأسألي الكأس عن أمري^(١)
 لك الكأس حتى أطلعتك على سري^(٢)
 فتتلق كأس عن لساني ولا أدري^(٣)
 فقاد بنات اللهو مخلوعة العذر^(٤)
 وإن شئت ماساني غبوق من الخمر^(٥)
 وأيقنت أن العين هائكة سيري^(٦)
 مصايد لحظ هن أخفى من السحر^(٧)

= ومسلم كان شاعراً غزلاً، متفتناً متصرفاً في شعره، نزل بغداد، ومدح الرشيد باللامية السائدة التي مطلعها:

أديرا عليّ الكأس لا تشربا قبلي
 ولا تطلبا من عند قاتلي دخلي
 فلما بلغ قوله:

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا
 وتغدو صريح الكأس والأعين النجل

(ذخلي: ثاري. والنجل: الواسعة). قال له: أنت صريح الغواني، فسمي بذلك حتى صار لا يعرف إلا به. ويقال: إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب. وجل مدائح مسلم في يزيد بن مزيد، ودأود بن مزيد صاحب ديوان الخراج - فقلده مظالم جرجان - وفي البرامكة، وقد مدح الخلفاء، توفي بجرجان سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٥٢٨ - ٥٣٥. والأغاني ١٨ / ٣١٥ - ٣٥٤. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٣٤ - ٢٤٠.

(١) يقول: أديري عليّ الرّاح يا ساقية الخمر، ولا تسأليني عن أمري، وأسألي الكأس تخبرك عن أمري.
 (٢) الحشا هنا: القلب أو الصدر، وهو مكان السر. يقول: كأنك بي إذ سكرت قد أظهرت لك الكأس، مضمر الحشا، حتى أظهرت ما كنت أكتم عنك، وأطلعتك على سري.
 (٣) أقلي: أكره وأبغض. أي: كنت أكره الخمر خوفاً ذهاب عقلي، فينتطق كأس من لساني ولا أدري لأنني سكران.

(٤) العذر: جمع عذار، الحياء. وخلع عذاره: اتبع هواه. أي: قادني مخلوع العذار إلى اللذات. وأوقع الفعل على بنات اللهو، وهو واقع عليه هو، لأنه هو المقود بيد الصبا.

(٥) أي: أصبح إلى الهوى ومراسلة النساء، وإذا شئت اغتبت الخمر، فأنا بين لذات الهوى وشرب الخمر. والصبح: شرب الخمر. والغبوق: شرب العشي.

(٦) يقول: ذهبت خاطراً. بمن أحب، ولم أجد إليها نظرة بعيني مخافة الرعب والوشاة، وأيقنت أن بعيني مظهرة لسري.

(٧) مصايد لحظ: غمزات العين، وهن أخفى من السحر، لأنه لا يفتن لها أحد. وجعلها مصايد، لأنه يصيد بها من يحب. وجعلنا: يعني نفسه والتي يعشق.

فَأَعْرِفُ مِنْهَا الْوَصْلَ فِي لَيْنِ طَرَفِهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا الْهَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّمِ^(١)
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةً مِنْ صُدُودِهَا أَيْبْتُ عَلَى ذَنْبٍ وَأَغْدَوُ عَلَى عُذْرِ^(٢)
وَمُلْتَطِمِ الْأَمْوَاجِ يَرْمِي عُبابُهُ يَجْرُجَرَّةَ الْأَذْيِ لِلْعَبْرِ فَالْعَبْرِ^(٣)
مُطْعَمَةٍ حَيْثَانُهُ مَا يُغْبِهَا مَأْكُلُ زَادٍ مِنْ غَرِيقٍ وَمِنْ كَسْرِ^(٤)
إِذَا اعْتَنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ تَكْفَأَتْ جَوَارِيهِ أَوْ قَامَتْ مَعَ الرِّيحِ لَا تَجْرِي^(٥)
كَأَنَّ مَدَبَ الْمَوْجِ فِي جَنَابَتِهَا مَدَبُ الصَّبَا بَيْنَ الْوَعَاثِ مِنَ الْعُقْرِ^(٦)
كَشَفْتُ أَهْوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ بِجَارِيَةٍ مَحْمُولَةٍ حَامِلٍ بِكْرِ^(٧)
لَطَمْتُ بِخَدِّيهَا الْحَبَابَ فَأَصْبَحَتْ مُوَقِّفَةً الدَّايَاتِ مَرْتُومَةً النُّحْرِ^(٨)

- (١) لين طرفها: أي أن تعين إليّ بعين المودة. والنظر الشر: وهو النظر بجانب العين إعراضاً.
(٢) يقول: في كل يوم بي خشية من صدودها، أبيت على ذنب ترميني به لم أذنبه، واعتذر إليها، ولا أقول لها لم أفعل لئلا أزد عليها وأكذبها في قولها فيعز عليها.
(٣) عباب البحر: موجه، وجرجرة الأذي: صوت الموج، والعبر: حافة النهر، ويتنقل الشاعر- في هذا البيت- إلى وصف نهر الفرات، والسفينة التي تقلّه إلى ممدوحه. يقول: ورب ملتطم الأمواج ركبتة، وكثرة الماء في هذا النهر ترمي بصوت الموج للحافة فالحافة.
(٤) مطعمة حيتانه: أي بدا أن حيتانه مشبعة من الغرقى فيه كلّ يوم. ما يغبها: أخذها من الغب، وهو أن تشرب الإبل يوماً وتدع يوماً. وكسر: أي كسر سفينة، وهنا يصف النهر بالهول، ويقول: إن الحيتان مشبعة، من كثرة ما تجرد من الغرقى والأمتعة.
(٥) اعتنقت: اضطريت. والجنوب: الريح الجنوبية. وتكفأت: انقلبت. والجواري: السفن، وهنا يتابع وصف هول هذا النهر بقوله: إن السفن في هذا النهر تنكفيء من شدة هذه الرياح الجنوبية، أو أنها تقف دون حراك خشية أن تتحطم.
(٦) جنباتها: أي في جنبات السفينة، وقد ارتفع الموج حولها. والصبا: الريح الشرقية، والوعاث: الرمال اللينة، والعفر: جمع الأعفر، وهو الكثيب الأحمر. وهنا يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة، بتحرك الريح بين الرمال التي تنقل جزءاً منها، فتغير مواضعها، وأشكالها.
(٧) عاد الشاعر إلى وصف النهر. محمولة: يحملها الماء. وحامل: تحمل الناس. وبكر: أي أنها سفينة لم تركب قط قبل تلك المرة. يقول: لقد قطعت أهوال ذلك البحر بسفينة ركبتها إلى ممدوحى.
(٨) الحباب: الموج. وموقفة الدايات: أي مخططة الظهر، والدايات: أضلاع الكتف أو غضاريف الصدر، إنما تكون الدايات للمواشي، واحتلتها الداية، فاستعارها للمركب. ومرتومة النحر: أي في نحرها بياض، وذلك أن أصحاب السفن يجعلون في صدر السفينة شيئاً أبيض، إما جيراً وإما محاراً أبيض، وإما ودع أبيض. يقول: إن الماء جعل فيها خطوطاً من الخضرة، وذلك بسبب الموج على جانبي السفينة.

إِذَا أَقْبَلْتُ رَاعَتْ بِقُنَّةٍ قَرْهَبٌ
 تَجَافَى بِهَا التُّوتَى حَتَّى كَانَمَا
 تَجَلَّجُ عَنْ وَجْهِ الْعَبَابِ كَمَا انْتَثَ
 أَطْلُتْ بِمَجْدَافَيْنِ يَعْثُورَانِهَا
 فَحَامَتْ قَلِيلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
 أَنْفَ بِهَادِيهَا وَمَدَّ زِمَامُهَا
 إِذَا مَا عَصَتْ أَرْخَى الْجَرِيرَ لِرَأْسِهَا
 كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ
 يَمْنُنَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ لِأَرْبَعِ

وَإِنْ أَذْبَرْتُ رَاقَتْ بِقَادِمَتِي نَسِيرٌ^(١)
 يَسِيرُ مِنَ الْإِشْفَاقِ فِي جَبَلٍ وَغَرٍ^(٢)
 مُخْبَأَةٌ مِنْ كَسْرِ سِتْرِ إِلَى سِتْرِ^(٣)
 وَقَوْمَهَا كَبَحُ اللَّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ^(٤)
 عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرِ^(٥)
 شَدِيدُ عِلَاجِ الْكَفِّ مُعْتَجِلُ الظُّهْرِ^(٦)
 فَمَلَّكَهَا عَصِيَانَهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي^(٧)
 نَسِيمَ الصَّبَا مَشْيَ الْعُرُوسِ إِلَى الْخَدْرِ^(٨)
 فَجَاءَتْ لَيْسَتْ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشُّهْرِ^(٩)

- (١) راعت: أفزعت. وقفة قرهه: رأس ثور وحشي مسنّ، شبه به السلوفاة التي يقعد عليها الرانس في صدر المركب. وراقت: أعجبت، بقادمتي نسر: بمجدافين كأنهما جناحا نسر.
- (٢) تجافى بها التوتى: أي تنحى عن الحشف، والحشف: حجارة تحت الماء، تقرب من أعلاه، فالماء يتحرك بذلك الموضع. والإشفاق: الحذر والخوف. يقول: إن التوتى تحاشى هذا الموضع الخطر، وكأنه يسير في جبل وعر.
- (٣) تجلج عن وجه العباب: تنحى عن موضع العباب، وهو الموضع الذي يقرب فيه الحشف من أعلى الماء. ومخبأة: يريد، جارية. ومن كسر ستر إلى ستر: ما عن يمين الخباء وشماله، وهما كسران. وهنا يشبه تنقل السفينة بين المواضع بالجارية التي تنتقل في نواحي البيت وأسناره مستترة.
- (٤) يعتورانها: يتداولانها، واللجام: الرجل رجل المركب، وهو الذي يسميه أهل البحر الإشبطة (مجداف يقود السفينة). وبه يقوم المركب كما يقوم الفرس باللجام.
- (٥) حامت: استدارت. والعقاب: طائر من الجوارح: والوكر: العش. ويشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب على وكرة.
- (٦) أناف بهاديه: أشرف بعنق السفينة. والمعتمل: العامل. والهادي: العنق. والجمع الهوادي. ومد زمامها: أي حبلها. والزمام: مقود البعير، فضربه مثلاً لحبل السفينة. يقول: يعالج السفينة رجل قوي نشيط، يستخدم ظهره مع يديه في جذب الحبال.
- (٧) الجري: الحبل، فملكها عصيانها: أي تماديه في الجري، وهي لا تدري: يعني أنها لا تعقل ذلك. والجري: حبل يكون في عنق الجمل يجزّ به، ضربه مثلاً لحبل السفينة.
- (٨) يقول: حين تواجه ربح الصبا، أي ربح الشرق، السفينة، فإنها تبهر برفق، وبذلك تشبه مشي العروس إلى خدرها.
- (٩) يقول: قصدت المملوح ليل التمام لأربع عشرة مضت من الشهر، فوصلت، وقد بقي ست ليال من الشهر.

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى أَطْلَحَ خَفِيرَهَا وَحَتَّى عَلَاها المَوْجُ فِي جَنَابِهَا
وَحَتَّى أَلْكَرَى أَمْوَالَهَا عَنْ عُيُونِهِمْ رَمَتْ بِالْكَرَى أَمْوَالُهَا عَنْ عُيُونِهِمْ
تَوْمٌ مَحَلُّ الرَّاغِبِينَ وَحَيْثُ لَا تَوْمٌ مَحَلُّ الرَّاغِبِينَ وَحَيْثُ لَا
رَكِبْنَا إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مُؤَخَّرَاتِهِ رَكِبْنَا إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مُؤَخَّرَاتِهِ
- شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري، ص ١٠٣ - ١١١.

٤ - قصيدة لأبي العتاهية^(٦)

(من الطويل)

أَلَا طَالَ مَا خَانَ الزَّمَانُ، وَيَدَّلَا، وَقَصَّرَ آمَالَ الْأَنَامِ، وَطَوَّلَا
أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، مُعَافَى وَمُبْتَلَى، وَمَا زَالَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُرْسَلَا

(١) الطلاح: الكال من طول السفر. وخفيرها: حافظها. وحتى أتت: حتى صارت، واللحاء: قشر الشجرة. يقول: صار لون السفينة مثل لون الشجر الذي قشر لحاؤه، أي: أن السفينة تغير لونها بسبب ذهاب بعض قشرها.

(٢) يقول: ما وصلت حتى كساها الموج في جنباتها أودية خضراء من طحلب.

(٣) رمت بالكري: أي بالنوم. أهوالها: يعني أهوال السفينة عن جفونهم، أي: نفت الأهوال النوم عن أعينهم، فباتوا يسيرون والأهوال معهم تسري. والأهويل جمع الأهوال، والأهوال جمع الهول.

(٤) تَوْمٌ: تقصد. وتذاد: تمنع. والسفر: المسافرون. يقول: إن هذه السفينة، تقصد بنا المكان الذي يؤمه الراضون في الحصول على الكرم والعطايا، أي: أنها تقصد منزل الرغيبين، وحيث لا تذاد أواخر أرجل السفر إذا نزلوا به، أي: لا يمنعون من فئائه.

(٥) في مؤخراته: في أواخر ركوبه. والمعنى: بلغنا من بعد قطعنا البحر. أي: نهر الفرات - إلى رجل كالبحر في سخائه وكرمه.

(٦) أبو العتاهية، هو إسماعيل بن القاسم، وكنيته أبو إسحاق. ولد سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م.

بقرية بالقرب من الكوفة، ونشأ فيها، وسكن بغداد، وكان جرّاراً، أي يبيع الجراد، ويقال إنه نظم الشعر وهو صبي، غلب عليه مذهب الزهد، ورمي بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ، وذكر الموت والحشر، والنار والجنة، ويقال: إنه كان ثنوّياً (المذهب القائل: إن الآلهة اثنان: إله الخير وإله الشر) كان أبو العتاهية أحد المطبوعين وممن كاد يكون كلامه شعراً كله. وغزله لين جداً مشاكل لكلام النساء، موافق لطباعهن. وكان لسهولة شعره وجودة طبعه فيه، ربما قال شعراً موزوناً ليس من الأعارض المعروفة، وكان يلعب بالشعر لعباً، ويأخذ كيف شاء. ويقال: إنه هجر الشعر مدة، فبلغ ذلك المهدي الخليفة، فسجنه، ثم هدده بالقتل أو يقول الشعر، فعاد إلى نظمته. فأطلقه. توفي في بغداد سنة ٢١١ هـ / ٨٢٦ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء ص ٤٩٧ - ٥٠١. والأغاني ٣/٤ - ١١٤، ١٥/٢١٨ - ٢٢٣. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٢٧ - ٢٣٤.

مَضَى فِي جَمِيعِ النَّاسِ سَابِقُ عِلْمِهِ،
وَلَسْنَا عَلَى حُلُولِ الْقَضَاءِ وَمُرَرِّهِ،
بَلَا خَلْقَهُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فِتْنَةً،
وَلَمْ يَبْغِ إِلَّا أَنْ يَبُوءَ بِفَضْلِهِ
هُوَ الْأَحَدُ الْقَيُّومُ. مِنْ بَعْدِ خَلْقِهِ،
وَمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِنَافِعِهِ،
كَفَى عِبْرَةً أَنِّي وَأَنْتَ، يَا أَخِي،
كَأَنَّا، وَقَدْ صِرْنَا حَدِيثًا لغيرِنَا،
تَوَهَّمْتُ قَوْمًا قَدْ خَلَوْا، فَكَأَنَّهُمْ
وَلَسْتُ بِأَبْقَى مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ،
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَيِّتٌ وَابْنُ مَيِّتٍ،
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ
هُوَ الْمَوْتُ يَا بَنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثُ بَعْدَهُ،
وَمِنْ بَيْنِ مَسْحُوبٍ عَلَى خُرٍّ وَجْهِهِ،
عَشِقْنَا، مِنَ اللَّذَاتِ، كُلِّ مُحَرَّمٍ،
رَكْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَطَالَ رُكُونُنَا،
لَقَدْ كَانَ أَقْوَامٌ مِنَ النَّاسِ قَبْلَنَا
فَلِلَّهِ دَارٌ مَا أَحْتُ رَحِيلُهَا،
أَبَى الْمَرءُ إِلَّا أَنْ يَطُولَ اغْتِرَارُهُ،
إِذَا أُمِّلَ الْإِنْسَانُ أَمْرًا، فَنَالَهُ،
وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ عَزَّ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةٍ،

وَفَضَّلَهُ، مِنْ حَيْثُ شَاءَ، وَوَصَّلَا
نَرَى حَكَمًا فِينَا، مِنَ اللَّهِ، أَغْدَلَا
رَلِيرَغَبٍ مِمَّا فِي يَدَيْهِ وَيَسْأَلَا^(١)
عَلَيْنَا، وَإِلَّا أَنْ نَتُوبَ، فَيَقْبَلَا
وَمَا زَالَ فِي دَيْمُومَةِ الْمُلْكِ أَوْلَا^(٢)
وَلَمْ يَتْرُكِ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ مُهْمَلَا
نُصْرَفُ تَصْرِيفًا لَطِيفًا، وَنُبْتَلَى
يُخَاضُ كَمَا خُضْنَا الْحَدِيثَ لَمَنْ خَلَا
بِاجْمَعِيهِمْ كَانُوا خِيَالًا تَخَيَّلَا
وَلَكِنَّ لِي فِيهَا كِتَابًا مُؤَجَّلَا
تَأْجَلُ حَيٍّ مِنْهُمْ، أَوْ تَعَجَّلَا
بِمَا كَانَ أَوْصَى الْمُرْسَلِينَ، وَأُرْسَلَا
فَمِنْ بَيْنِ مَبْعُوثٍ مُخَفَّاءَ، وَمُثْقَلَا^(٣)
وَمِنْ بَيْنِ مَنْ يَأْتِي أَغْرَ مُحَجَّلَا
فَأُفَّ عَلَيْنَا مَا أَغْرَ وَأَجْهَلَا
وَلَسْنَا نَرَى الدُّنْيَا، عَلَى ذَاكَ، مَنَزِلَا
يَعَافُونَ مِنْهُمْ الْحَلَالَ الْمُحَلَّلَا
وَمَا أَعْرَضَ الْأَمَالَ فِيهَا وَأَظْهَلَا
وَتَأْبَى بِهِ الْحَالَاتُ إِلَّا تَنْقَلَا
فَمَا يَتَغَيَّرُ فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَمَلَا
وَكَمْ مِنْ رَفِيعٍ صَارَ فِي الْأَرْضِ أَسْفَلَا

(١) بلا: اختبر وجرب.

(٢) القيوم: الذي لا بدء له والقائم بذاته.

(٣) وأراد بالمتقل: الأثام.

وَلَمْ أَرِ إِلَّا مُسْلِمًا فِي وَفَاتِهِ،
وَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ
أَيَا صَاحِبِ الدُّنْيَا وَثِقَتْ بِمَنْزِلِ،
تُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا لَتَبْلُغَ عِزَّهَا،
إِذَا اضْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَذْلُهُمْ
وَمَا الْفَضْلُ فِي أَنْ يُؤَثِّرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ،
وَأَنْ أَكْثَرَ الْبَاكِي عَلَيْهِ، وَأَعْوَلَا
تَلَحَّفَ فِيهَا بِالشَّرَى، وَتَسْرَبَلَا
تَرَى الْمَوْتَ فِيهِ، بِالْعِبَادِ، مُوَكَّلَا
وَلَسْتَ تَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى تُذَلَّلَا
لأَصْحَابِهِ نَفْسًا، أَبْرُ وَأَفْضَلَا
وَلَكِنْ فَضَّلَ الْمَرْءُ أَنْ يَتَفَضَّلَا
- أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص ٣٠٣ - ٣٠٥.

٥ - قصيدة أبي تمام^(١) في مدح المعتصم بالله^(٢)

ويذكر حريق عمورية وفتحها^(٣)

(من البسيط)

(١) هو حبيب بن أوس الطائي نسبة إلى قبيلة طيء، ولد في قرية جاسم من بلاد حوران بالشام، سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م. رحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فقدمه على شعراء عصره، فأقام في العراق، وتوفي فيها سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م. كان أبو تمام أسمر اللون، طويلًا، حلو الكلام، غير أن في لسانه حبسة، وفي كلامه تمتمة يسيرة، وكان فطنًا شديد الفطنة، حاضر البديهة، وكان له مذهب في المطابق والمجانس، اشتهر به، ونسب إليه. وهذا المذهب لم ينسب لأبي تمام لأنه اخترعه، فقد طرقة الشعراء من قبله، ولكنه نسب إليه وعرف به لأنه فضل الشعراء جميعاً فيه، وأكثر منه، وسلك جميع شعبه، حتى ليندر أن يخلو بيت له منه. واتصل أبو تمام برجال الدولة في عصره، ومدح وهجا ورثى، ونظم في كل أغراض الشعر، فمن الخلفاء الذين رافقهم في حياته أمير المؤمنين المعتصم بالله، وقد رثاه بعد موته، ومدح أمير المؤمنين الواثق بالله بن المعتصم، وقد توفي بالموصل. انظر ترجمته في: الأغاني ٣٠٣/١٦ - ٣١٧. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٨٢ - ٢٨٦. والموازنة بين أبي تمام والبحري للامدي (مقدمة المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد). وأبو تمام وقضية التجديد في الشعر للدكتور عبده بلوي. والأعلام ١٦٥/٢.

(٢) هو أبو إسحاق، محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م. بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ. ويقال: إنه كان من أعظم الخلفاء وأهيبهم. وله محاسن وكلمات فصيحة، وشعر لا بأس به، غير أنه إذا غضب لا يبالي من قتل. وهو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان. وكان يتشبه بملوك الأعاجم، ويمشي مشيهم، وبلغت غلمانته الأتراك بضعة عشر ألفاً. توفي سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م. انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٣٣٣، ٣٤٠. وتاريخ مختصر الدول، لابن العسري، ص ٢٤٠ - ٢٤٤. والأعلام ١٢٧/٧.

(٣) في سنة ثلاث وعشرين ومائتين غزا المعتصم بالله الروم، فأنكاهم نكاية عظيمة، لم يسمع بمثلا الخليفة، وشتت جموعهم، وخرّب ديارهم، وفتح عمورية بالسيف، وقتل منها ثلاثين ألفاً وسبى =

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
 بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي
 وَالْعِلْمُ فِي شَهْبِ الْأَرْمَاحِ لَأَمْعَةٌ
 أَيْنَ الرُّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا
 تَحَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً.
 عَجَائِبًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفِلَةً
 فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ^(١)
 مُتُونَهُنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٢)
 بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ^(٣)
 صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ^(٤)
 لَيْسَتْ يَنْبَغُ إِذَا عُذَّتْ وَلَا غَرَبِ^(٥)
 عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ^(٦)

= مثلهم، وكان لما تجهز لغزوها حكم المنجمون أن ذلك طالع نحس، وأنه يكسر، فكان من نصره وظفره ما لم يخف. (تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٦). وقد ورد في شرح ديوان أبي تمام: كان المنجمون قد حكموا أن المعتصم لا يفتح عمورية، وراسلته الروم بأنا نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا في وقت إدراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهر يمنحك من المقام بها البرد والثلج. فأبى أن ينصرف وأكب عليها ففتحتها، فأبطل ما قالوا. (ص ٢٢).

(١) الأنباء: جمع نبا، وهو الخبر، وقد نصبت على التمييز. والحد الأول: للسيف. والحد الثاني: الذي يفصل بين الشيئين. يشير إلى ما كان من أمر المنجمين. ويقول: إن كلام السيف أصدق من الكتب، لأنه يقوم على الفعل وليس على الافتراض والجدل واللعب بالألفاظ. والأفكار.

(٢) الصفائح: جمع الصفيحة، السيف العريض. والصحائف: جمع الصحيفة، القراطس، أو الكتاب الذي يكتب فيه. يقول مكرراً المعنى: إن السلاح هو الذي يؤدي إلى اليقين وليست الكتب المكتوبة. وقد توصل لفظة متن لأنها جارية في الدلالة على نصوص الكتاب.

(٣) شهب الأرماع: أي الرماح التي هي كالشهب. والخميس: الجيش. والسبعة الشهب: الكواكب (الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وعطارد و زهرة). ندل: إن المعرفة اليقينية هي التي تزيدها الرماح عندما تلتصق في القتال، فتبدو كالشهب، وليس في الرماح التي يستنطقها المنجمون.

(٤) الزخرف: الكلام الموشى المائل عن الصدق. وهنا: يهزأ بالمنجمين الذين تنبأوا بالهزيمة، ويقول: إن كلامهم لا يعدو الكذب المنمق.

(٥) التخرص: التكذب وافتراء القول. وملفقة: المجموعة دون لحمية أو منطق، أي: ضم بعضها إلى بعض وليس من شكل واحد. والنبع: شجر صُلْب ينبت في رؤوس الجبال، تتخذ منه القسي والأقواس. والغرب: نبات خائر أي رخو ينمو على الأنهار. يقول: إن كلامهم لا يعدو الأكاذيب المجتمعة على غير لحمية أو منطق، جمعوها كذباً، وهي لا تستقيم ولا تتصف بالقوة ولا حتى بالهزال، فكانها لا قيمة لها كاللاشيء.

(٦) يقول: إنهم تنبأوا بدواهي لم تُعْهَد من قبل، تنزل فتبت الدعر حتى أن الأيام نفسها تجفل منها، فكيف بالناس؟ كما أنهم عينوا زمنها إذ جعلوه في شهر صفر أو رجب، وقد أضاف «صفر» إلى جمعها ليوحى بعظم الهول الذي كان هذا الشهر مزماً أن يتفرد فيه.

وَحَوِّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرِيبُ ذُو الذَّنَبِ^(١)
وَصَيِّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ^(٢)
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا فِي قُطْبٍ^(٣)
لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ^(٤)
فَتَحُ الْفُتُوحُ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ^(٥)
فَتُحْ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ^(٦)
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ انْصَرَفَتْ مِنْكَ الْمُنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلْبِ^(٧)

(١) الدهياء: الداهية والشدة. والمظلمة: هنا، التي لا سبيل إلى الخلاص منها، يقول: إنهم أندروا الناس بكل خطب فادح عندما يظهر الكوكب المذنب، وهو ما يداوب عليه المنجمون، فانكر الطائي ذلك من أحكامهم.

(٢) الوجه أن يروى: «مرتبة» بكسر التاء، ويكون قوله: «ما كان منقلباً» في موضع بدل من مرتبة، أي صيروا التدبير للنجوم، فكانها هي التي تتصرف بمصائر القوم. ويعني بالأبراج: بروج السماء التي أولها الحمل وآخرها الحوت. والمنجمون يزعمون أنها على ثلاثة أقسام، أربعة منقلبة، وهي: الحمل و٦ سرطان والميزان، والجني. وأربعة ثابتة، وهي: الثور والأسد والعقرب والدلو: وأربعة ذوات جسدتين، وهي: الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت. ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع، فإن كان الحادث سيقع في برج ثابت، فعلوه، وإن كان في منقلب لم يفعلوه.

(٣) الفلك: يقال لكل مستدير فلّك، حتى يقال للقطعة المستديرة من الأرض فلّك أيضاً، والمراد هنا: مدار النجوم الذي يضمها. والقطب: كل ما ثبت فدار عليه شيء. وفي السماء قطب الجنوب وقطب الشمال. يقول: إنهم ينطقون باسمها ويحكمون عنها، وهي لا تدري بشيء، كما أن أفلاكها وقطبها لا علم لها بكل ما ينسب إليها.

(٤) يقول: لو كان لها قبْلُ بالمعرفة، لأدرت الهزيمة المنكرة التي كانت مزمنة أن تحل بجماعة الروم، أصحاب الصليب والوثنيين. وفي هذا البيت مدح بالجهاد الديني، وبهذا الفتح الذي لم يكن فتح أجل منه.

(٥) يقول: إنه فتح لا مثيل له يُعرَف من قبل، ولا قبْل للشعر أن يقيِّه حقه من الوصف، فهو أقصى من حدود التصور.

تفتح أبواب السماء له: أي بالغيث والرحمة، وقيل: لأنه من معالم الإسلام وليس كل الفتوح كذلك. وتبرز الأرض: مثل لتعظيم الفتح ومسرة أهل الإسلام. و«القشب» جمع قثيب، وهو الجديد. يقول: إن أبواب السماء طربت، وتفتحت بالغيث والرحمة لهذا النصر، لما انطوى عليه من مجد للإسلام، كما أن أبناء الأرض ينشؤون به أجمل الزين والاحتفالات.

(٧) أصل النداء أن يكون لمن تخاطبه ويراجع القول، ثم اتسعوا فيه حتى خاطبوا الديار وغيرها من الجوامد، =

أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ
 أُمِّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُقْتَدَى جَعَلُوا
 وَبَرَزَ الْوَجْهِ قَدْ أُعِيَتْ رِيَاضَتُهَا
 بِكُرِّ فَمَا اقْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
 مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
 حَتَّى إِذَا مَخْضَ اللَّهُ السَّنِينَ لَهَا
 أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً
 وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبِ^(١)
 فِدَاءِهَا كُلُّ أُمَّ مِنْهُمْ وَأَبِ^(٢)
 كَسْرَى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ^(٣)
 وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النَّوْبِ^(٤)
 شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبِ^(٥)
 مَخْضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقْبِ^(٦)
 مِتَّهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةُ الْكُرْبِ^(٧)

= فكانه خاطب يومَ وقعةِ عمورية لجلاله عنده. وعمورية: اسم أعجمي، واستعمله في هذا البيت بتشديد الميم والياء، وقد روي عنه في قصيدة أخرى بتخفيف الحرفين، والشعراء يجتثرون على تغيير الأسماء الأعجمية أكثر من اجتثاثهم على تغيير الأسماء العربية. والحفل: جمع الحافل. وهي الناقة التي امتلأ ضرعها، وهو ها هنا مستعار للمنى. والمعسولة: التي فيها العسل. والحلب: ما حلب واستلبر من اللبن. وهنا، يتغنّى بذلك النصر، ويقول: إن الأمانى كلها تحققت وملأت الأنفس سعادة.

(١) الجد: الحظ. والصعد: العلى. والصبب: الانحدار، وبنو الإسلام: الذين يدخلون فيه وينسبون إليه. يقول: إن حظ الدين قد ارتفع به، فيما انحدر حظُّ الملحدين وأهينوا.

(٢) الأم: أصل الشيء ومعدنه. يقول: هذه البلدة أمهم (يقصد عمورية التي كانت عزيزة عليهم) تجمعهم وتضمهم، كما تضمُّ الأمُّ ولدها، فلو استطاعوا لاقتدوا خرابها بكلِّ أمِّ لهم ولدتهم وأب.

(٣) امرأة برزة: أي امرأة سافرة، تخاطب الرجال، ولا تستتر عنهم. ورياضتها: أي ترويضها وإذلالها. وأبو كرب: هو أحد الملوك التابعة الذين تعرضوا لها. يقرن تلك القلعة بالمرأة التي لا تستتر عن الرجال، ويقول: إن أعظم الفاتحين حاولوا اقتحامها فأعيتهم وتمصت عليهم. أي: أنها مع بروزها للنظر قد أعيت كسرى إذ كان لا يقدر عليها، وقيل: كان كسرى قد فتحها، بعث إليها الإصْبَهَبْدَ ففتحها ثم استعصى عليه وصار مع ملك الروم.

(٤) افتزع: اقتض. والنوب: جمع النائبة، وهي المصيبة. يقول: إنه لم تلمُّ بها الأهوال والحروب قبلاً، فكانها عذراء لم تمسَّ بكارتها يدُ أي من الفاتحين.

(٥) النواصي: جمع الناصية، وهي مقدمة شعر الرأس. يقول: إن مناعتها عريقة، قديمة، منذ الإسكندر تنعصى على الدهر الذي يهرم ويشيب من دونها.

(٦) مخض اللبن: حركه ليخرج زُبْدَهُ. والحقب: جمع الحقبة، وهي السنة، وقيل الحقبة من الدهر: بُرْهة غير محدودة إلا أنها زمان يطول. يقول: إن هذه المدينة - أي عمورية - لما أغفلتها السنون، وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة، حتى زادت وحسنت، فصارت زبْدَةُ الدهور، فأثاء المعتصم ففتحها، وقد جاء بالبخيلة هنا، لأنها تمخض اللبن، ولا تبقى فيه آياً من الزبد.

(٧) السادرة: من سدرت العين، إذا أظلمت. يقول: إنهم كانوا يعتصمون بها في الملمات لتنجيهم من =

جَرَى لَهَا الْقَالُ بَرَحًا يَوْمَ أَنْقَرَةِ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأُمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارَسٍ بَطَلٍ
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِيٍّ مِنْ دَمِهِ
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
غَادَرْتَ فِيهَا بِهِمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحَى
إِذْ غَوِيرَتْ وَخَشَّةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ^(١)
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ^(٢)
قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ أَنِّي دَمٍ سَرِبَ^(٣)
لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ^(٤)
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ^(٥)
يَسْأَلُهُ وَسْطَهَا صُبْحُ مِنَ اللَّهَبِ^(٦)

= الشدائد، فإذا بها تغدو باعثاً لأعظم شدة وويل نزلاً بهم. وهو إنما يعظم من شأنها ليعظم من انتصار المملوح.

(١) القال: الحظ والخير، ومنها التفاؤل. والبرح: وهو ضد السانح، وهو ما ولاك مياسره، والسانح: ما ولاك ميامنه. ويوم أنقرة: اسم موقعة في بلاد الروم. ووخشة: موحشة. والرحب: جمع الرحبة، وهي الساحة. يقول: إن حسن الحظ الذي لازمها خلال العصور وأبقاها على مناعتها، استحال إلى سوء طالع، إذ خلقت خربة، مفقرة، تشيع الوحشة في أرجائها.

(٢) الهاء في أختها، راجعة إلى عمورية، ويريد بأختها أنقرة. أي: أنها لما خربت وهي أخت عمورية أعدتها بالجرب، والجرب يوصف بالعدوى.

(٣) الذوائب: جمع الذؤابة وهي طرة شعر الرأس. والقاني: الشديد الحمرة. وهنا إشارة إلى اصطباح شعره بالدم. والأنبي: الحار. والسرب: السائل. يقول: إنهم جندلوا (أي: صرعوا) الأبطال العظام، خلفوهم صرعى، يصبغ الدم القاني جباههم، ويسيل على وجوههم.

(٤) الخطي: الريح المنسوب إلى الخط، وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرياح. يفيد الشاعر من سنة جرى عليها أئمة المسلمين في الخضاب. أي: خُضِبَ شعره بسُنَّةِ السيف والرمح، لا بسُنَّةِ الإسلام، لأن الصحابة والتابعين كانوا يَرَوْنَ من السنة أن يخضبوا شعورهم بالحناء وما يجري مجراها من ثبات الأرض، ويكرهون الخضاب بالسواد، ويؤثرون الحمرة. وقد يجوز أن يقال: إن خضاب هذا الكافر بهذا الدم من سنة الدين والإسلام. إذ كان الجهاد مفترضاً على المسلمين. وتلخيص المعنى: إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء، وليس خضابهم بالحناء. وهناك رواية «السيف والحناء» والحناء ليس من جنس السيف، والرواية التي أثبتناها أجود في صحة المقابلة، لأنه يقابل الدين والإسلام بشيئين ليسا في الحقيقة مختلفين، إذ كانا من آلة الحرب.

(٥) نصب «يرما» على أنه مفعول صحيح، ولا يحتمل أن يكون ظرفاً. والمعنى: يوماً ذليلاً صخره وخشبه. والغرض أنها أحرقت، فذلَّ صخرها وخشبه للنار. أي: لقد تركت يا أمير المؤمنين الصخر والخشب ذليلين لما أعملت فيهما من النار.

(٦) غادرت: تركت. والبهيم: الليل الذي لا ضوء فيه. ويشله: يطرده. يقول: إن اشتعال النار، والتماع السلاح بددا ظلام الليل، وجملاء يتألق كالصبح، فكان اللهب طرد الظلام وأقام من دونه. وقد جمع =

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ
ضَوْءَ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
تَصْرَحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
مَا رُبِعَ مِئَةٌ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ
وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أُذْمِنَ مِنْ خَجَلٍ
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا
عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ^(١)
وُظْلَمَتْ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شَجِبْ^(٢)
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ^(٣)
عَنْ يَوْمٍ هِنَجَاءٍ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنِبْ^(٤)
بِأَنْ يَاهِلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى غَرْبِ^(٥)
غِيلَانَ أَبْهَى رَبِي مِنْ رَبْعِهَا الْخَرْبِ^(٦)
أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خُذْهَا التَّرِبِ^(٧)
عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ أَوْ مَنْظَرٍ عَجِبْ^(٨)

= بين الترك والطرود في قوله: «غادرت» و«يشله» وبين ظلمة الليل والصبح، فطابق في موضعين، إلا أن حقيقة المطابقة أن يقول: الليل والنهار والصبح والمساء، والأول أيضاً جائز.

(١) الجلابيب: جمع الجلباب، وهو القميص والرداء. يكمل المعنى، ويقول: إن تألق ذلك الصباح من اللمه في الليل يوهم بأن الليل قد بدّل رداءه المظلم، أو أن الشمس ظلت مشرقة فيه، مخالفة نوايس الطبيعة.

(٢) يقول: ضوء النار يصير الليل نهاراً، وظلمة الدخان تصير الضحى شجياً.

(٣) أفلت: غابت. وجبت الشمس: إذا سقطت في المغرب. و«من ذا الأول»: يعني به لهيب النار. و«ذا» الثاني: يريد به الدخان. يكرر المعنى. ويقول: إن النار جعلت الشمس تطلع في الظلام، كما أن الدخان جعلها تغرب وهي في النهار. وغاية المعنى: تقريب المتناقضات لإثارة الدهشة والغلو.

(٤) تصرح: تفعل من الصريح، وهو الخالص، أي: تكشف الدهر كما يتكشف الغمام عن السماء. وطاهر نجب: أي أن هذا اليوم كان ما فعل فيه حلالاً لأن الغزو مندوب إليه، طاهر من هذا الوجه، وجنب، لأنهم أخذوا السي، فوطئوه فاحتاجوا إلى الغسل. والشاعر يشمت في ذلك بما نالوه من أعراض المشركين دون أن يصيبهم دنس لأن مواجهة السبايا لا تعتبر زنى.

(٥) يقول: إنهم قتلوا كل زوج من الأعداء. فأبادوا الرجال كما أنهم واقعوا نساءهم، فلم يبق من المسلمين عازب لم يقع على امرأة.

(٦) غيلان بن عقبة: هو ذو الرمة الشاعر الأموي المعروف الذي خصّ معظم شعره للتشبيب بمية. يقول: إن منظر الخراب الذي حلّ في تلك المدينة أجمل بالنسبة إليه من ريع الحبيبة العامر.

(٧) يقول: إن خدوها المتعفر بالتراب، أجمل من الخدود المتوردة بالخبجل. وهو هنا يظهر عظم شماته لما حلّ بالمشركين.

(٨) السماجة: القبح، يقول: خراب عمورية سماجة عند أهلها، وقد استغنت عيوننا عن كلّ حسن بها، لأنها تفوق كل حسن في عيون المسلمين الظافرين. فهو يستعذب ما يستقبحه المشركون.

وَحَسَنٌ مُنْقَلَبٌ تَبْقَى عَوَاقِبُهُ
لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُكُمْ مِنْ أَعْصَرٍ كَمَنْتَ
تَذْبِيرُ مُعْتَصِمٍ، بِاللهِ مُنْتَقِمٍ،
وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّةُ
لَمْ يَغْزُ قَوْمًا، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ
لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا، يَوْمَ الرُّغَى، لَغَدَا
رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبَوْهَا وَاثْقَيْنَ بِهَا
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ

جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنْقَلَبٍ (١)
لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ (٢)
اللهُ مُرْتَقِبٌ، فِي اللهِ مُرْتَغِبٌ (٣)
يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ (٤)
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ (٥)
مِنْ نَفْسِهِ، وَحَدَّهَا، فِي جَحْفَلٍ لِحِبٍ (٦)
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ (٧)
وَاللهُ مُفْتَاخُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ (٨)
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبٍ (٩)

(١) يريد: حسن المنقلب كان للمسلمين، وسوء المنقلب، كان للكفار. أي: إنهم ألوا إلى مآل حسن من سوء مآل المنهزمين.

(٢) السمر: الرماح. والقضب: السيوف. يقول: إن ما حلّ بالمشركون كان معداً لهم منذ أقدم العصور لعتوهم.

(٣) المرتقب: الذي يجعل ما يرقبه بين عينيه كأنه ينظر إليه. ومرتغب: أي يرغب فيما يقربه إلى الله تعالى.

(٤) مطعم النصر: أي الموفق في حروبه، يكسب رزقه منها، وأصله في الصيد إذ يقال مطعم الصيد: أي الذي لا يزال يُطعم منه. ولم تكهم: لم تثب ولم تكِل. يقول: إن الممدوح أَلَفَ الحروب، وهو يوفق فيها، لا يزال يكسب منها رزقاً ومجداً، ويردف بأن سلاحه ينال كل حي، ولو تستر واحتجب عليه.

(٥) يكرر المعنى السابق، ويقول: إنه لا يكاد يقصد بلداً لحربه حتى يتولى أهله من دونه حرباً إذ يتولاهم الرعب لما أئز عن الممدوح من بطش وهول، فكأن الرعب يقاتل معه في صفوفه.

(٦) الرغى: الحرب. والجحفل: الجيش الهائل المروع، واللجب: الكثير الصخب. يقول: إن له همّة أو شجاعة توازي همّة جيش عظيم بأكمله.

(٧) يقول: كان قتالك في الله مستنصراً لدينه، ولو كان قتالك لغير دين الله لم تنصّر عليهم ولم تصبهم، وهو إنما يمدحه بالجهاد المقدس الذي ينال به مرضاة الله وموآزرته.

(٨) أشبّوها: حصنوها، وصعبوا أمرها، وحقيقته لففوا حولها الجند، من قولهم تأسبت الغيضة: إذا التفت أغصانها، والغيضة: مجتمع الشجر في مغيض الماء، أو الأجمة، ومغيض الماء: مجتمع الماء ومدخله إلى الأرض. وهنا كناية عن إحاطتهم بالرماح الكثيرة التي توشك أن تشتبك كأغصان الشجر. يقول: إنهم أحاطوها بالسلاح الكثير، مطمئين إلى مناعتها، فإذا هي تنهار دونهم، لأن الله هو الذي فتحها عليهم.

(٩) ذو أمرهم: رئيسهم. ومرتع: المكان الذي ترتع فيه الراعية. والصدد: المكان الداني القريب، =

أَمَانِيَا سَلَبْتُهُمْ نُجَحَ هَاجِسِهَا
 إِنَّ الْجَمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرٍ
 لَبِيتَ صَوْتَا زَبْطَرِيَا هَرَقْتَ لَهُ
 عَدَاكَ حَرَّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
 أَجْبَتَهُ مُغْلِنَاً بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتَاً
 حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشُّرْكِ مُنْعَفِرَاً
 ظَمَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ أَلْقَنَّا السُّلْبِ^(١)
 دَلَّوْا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ^(٢)
 كَأَسَرَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعَرَبِ^(٣)
 بَرَدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ^(٤)
 وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ^(٥)
 وَلَمْ تُعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطَّنْبِ^(٦)

= والسارحون: الذين يسرحون دوابهم للمرعى. والكثب: القرب. يقول: إن رئيسهم سَكَنَ روعهم بالقول: لا تخافوا، فإنهم لن يجدوا مرعى ولا مسرحاً لدوابهم، ولا ماء قريباً يردونه، ولن يطول أمرهم، حتى يتولوا، إذ ستضيق عليهم سبل البقاء والصمود.

(١) الهاجس: هنا الفكر والمؤمل. وظمى: جمع ظبة، وهو حدّ السيف. والسلب: الطويل من الرماح، أو جمع سلوب: وهو الذي يسلب الناس أرواحهم وأموالهم. يقول: إن فالهم ذاك خاب إذ أخدمته في نفوسهم الرماح والسيوف التي سلبتهم أموالهم وأرواحهم، وبذنتهم كلّ تبديد.

(٢) الحمام: الموت، والبيض: السيوف. والسمر: القنا، أي الرماح. يقول: إن القرم لا يهناون فيما يرتعون من ماء يحمونه أو عُشْبٍ يرعونه إلا إذا بدلوا من دونهما الأرواح قتلاً بالسيوف والرماح. أي: أن الراحة والدعة لا يقيمان إلا بالكفاح والتعب.

(٣) هَرَقَ: لغة في أَرَقَ. والرضاب: الريق. والخُرد: جمع الخريدة، وهي المرأة الحبيّة. والعرب: جمع العروب، وهي المتحبة إلى زوجها. وزبطري: منسوب إلى زبطرة، وهي بلد فتحه الروم. فبلغ المعتصم فيما قيل: إن امرأة قالت ذلك اليوم وهي مَسْبِيّة: وامتنعوا! فنقل إليه ذلك الحديث، وفي يده قدح يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه وأمر بأن يحفظ، فلما رجع من فتح عمورية شرب، يقول: إنه لبي نداء تلك المرأة، مانعاً نفسه من الدعة والنعيم والتلهي بمعاتبة النساء الناعمات.

(٤) الثغور الأولى: جمع الثغر، وهو الموضع الذي يخاف أن يأتي منه العدو. والثغور الثانية: من نغر الإنسان. والسلسال: الماء الصافي السهل الدخول في الحلق. والحصب: الذي فيه الحصباء، وهو صغار الحصى. وإنما أراد بالسلسال، الريق، وجعله حصباً، لأن فيه السنان. وعداك: أي صرفك عن برد هذا الريق في ثغور الحسان ما في قلبك من أمر الثغور التي أبيضحت وتمكّن العدو منها. وفي البيت مطابقة ومجانسة، فالمطابقة بالحر والبرد. والمجانسة بالثغور والثغور.

(٥) المنصلت: المتجرد. يقول: إنك أجبت المرأة الزبطرية التي استنجدت بك بالسيف مجرداً للقتال، ولو لم تهرع إليها لظنّت استغاثتها دون منجد. وتحرير المعنى: أن كلّ جواب دون قتال لا طائل منه.

(٦) عمود: هنا عمود الخيمة. والمتعفر: المتمرغ في التراب. والأوتاد: جمع الوتد، الخشبة التي تغرز في الأرض وتُرْبَطُ بها حبال الخيمة. والطنب: جمع الطنب، وهو الحبل الذي توثق به الخيمة في الأوتاد. يقول: إنك لم ترض بأن تغشى من المشركين قراهم وملاجئهم الضعيفة، بل نهلت إلى معاقلهم الحصينة، فدمرتها وهبمت عمود قوتهم، ولم تكتفِ بما دونه.

لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ تُوفِّلِسُ وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ (١)
عَدَا يُصَرِّفُ بِالأَمْوَالِ جَرِيَّتَهَا فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْحَدَبِ (٢)
هَيْهَاتَ! زُعَزَعَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبٍ (٣)
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرْبِي بِكَثْرَتِهِ عَلَى الْحَصَى وَيِهِ فَقَرَّ إِلَى الذَّهَبِ (٤)
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغِيلِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ (٥)
وَلَى، وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئُ مَنْطِقَهُ بِسَكْنَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ (٦)
أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ (٧)
مُوكَّلًا يَفِاقِ الْأَرْضَ يُشْرِفُهُ مِنْ خِيفَةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِيفَةِ الطَّرَبِ (٨)

(١) الحرب: ذهاب المال والهلاك. وتوفلس: من قواد الروم. يقول: إن قائد الروم إذ شاهد بطش الممدوح بأمر عينيه وتحقق من الهلاك المحتم... (تكملة المعنى في البيت التالي).

(٢) الجرية: من جري الماء، وقد قرن به زحف الجيش الكبير. وعزّه: غلبه. والتيار: الموج الذي يأتي تارة بعد أخرى. والحدب: ارتفاع الماء مرة بعد أخرى، يقول مكملاً المعنى السابق: إن قائد الروم إذ شاهد الجيش زاحقاً عليه كالسيل حاول أن يدفعه ببذل المال، إلا أن المعتصم أبى أن يرتشي به عن الثار والقتال في سبيل الله.

(٣) هيهات: اسم فعل للدلالة على البعد والنأي. وزعزعت: حركت، وهنا بمعنى زلزلت. والوقور: بمعنى الصلابة والثبات. والمحتسب: من يعمل ليوم الحساب. يقول: إنه زلزل الأرض زلزالاً في غزوه الذي ابغى منه مرضاة الله من دون أية غاية أخرى فهو يقاتل لاكتساب الأجر لا المال.

(٤) المرابي: الزائد الكثير. يخاطب توفلس، ويقول: لم ينفق الذهب الكثير الذي هو أكثر من الحصى رغبة فيما تبدله من الذهب، بل ليبتقم منك، ويقابلك بسوء صنيعك أو تسلم.

(٥) الكريهة: الحرب الشديدة. والغيل: الغاية الكثيفة التي يلجأ إليها الأسد. يقول: إن جند الممدوح لا يحفلون لما يكسبون من سبي بل بأصحابه، أي: أنهم يقتلون المشركين، ويعفون عن أملكهم وأموالهم، أو أنهم لا يأبهون لها.

(٦) ولَى: يعني توفلس. والخطي: الرمح منسوب إلى الخط، وهو سيف عُمان. والجمه: أي كان له كاللجام. والصخب: أصله كثرة الكلام في الغضب، وهنا، وجيب القلب من الفزع. والمعنى: أنه أخرسه بالسيف.

(٧) أحذى: أعطى. والقرايين: جلساء الملك، وهي جمع القربان، وأصلها من فعل قَرَبَ لدنو هؤلاء من صاحب السلطة. ويحث: يدفع ويحض. والأنجي: هنا الأسرع في النجاة. يقول: إنه بعد أن صرغ أتباعه تولى هارباً، يحث مطاياه الأسرع عدواً، ناجياً بنفسه هارباً.

(٨) الموكَّل: هنا الدائم التنبه. واليفاق من الأرض: المرتفع. ويشرفه: أي يعلوه ويرتفع عليه. يقول: إنه لا يزال يستشرف ما دونه من أراضٍ، وهو مقيم على مرتفع ليستطلع السبل إذا كان فيها من يقتني أثره. =

إِنَّ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدَوَ الظِّلِمِ، فَقَدْ
 تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
 يَا رَبُّ حَوْبَاءَ لَمَّا أَجْتُتْ دَابِرُهُمْ
 وَمُغْضِبِ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
 وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَجِجِ
 كَمْ نَيْلَ تَحْتَ سَنَاها مِنْ سَنَا قَمَرِ

أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ^(١)
 جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ^(٢)
 طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبْ^(٣)
 حَيَّ الرُّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ^(٤)
 تَجَشُّو الْقِيَامُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ^(٥)
 وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَيْبِ^(٦)

= ويردف بأنه بدا سريعا خفيفا في عدوه واستطلاعه لشدة ذعره، لا من شدة حماسه وطربه.

(١) يعدو: يركض. والظليم: ذكر النعام، وهو شديد الذعر، كثير الهرب. وأوسعت: أغنت. والحاجم: الذي يضرم النار العظيمة، يقول: إنه يهرب مذعورا كالظليم النافر المستطار للبد، ولكنه خلف أثره من القتلى ما اضطرم به جحيم القتال أي اضطرام.

(٢) يقول: إن جيش الروم كان تسعين ألفا جاء أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب. وقد تهكم بقول المنجمين. فقد قيل: إنما يفتح مدينتنا أولاد الزنا، فإن أقام (أي ألق) هؤلاء إلى زمان التين والعنب، لم يفلت منهم أحد، فبلغ المعتصم قولهم، فقال: أرجو أن يكفيني الله أمرهم قبل نضج التين والعنب. ويقال: إن الصولي قال: فأما روايتهم أنه لا يفتح مدينتهم إلا أولاد الزنا فما أريد أكثر ممن معي منهم، يعني الأتراك الذين كانوا في جيشه. وقد بين هذا في قوله: «السيف أصدق أنباء من الكتب». ويقال: إن بعض من كان بعمورية من الرهبان، قال: إنا نجد في كتبنا أنه لا يفتح هذه البلدة إلا ملكٌ يَغْرِسُ في ظاهرها شجر التين والكرم، ويقيم حتى يثمر، فأمر المعتصم بأن يَغْرِسَ التين والكرم، فكان الفتح قبل ذلك. فاستعار النضج للإعمار، لما قابله بنضج التين والعنب.

(٣) الحوباء: النفس. واجتت دابريهم: قطع أصلهم. ضمخ: طلس بالطيب. وطابت: اطمأنت. يقول: إن نفوس الرعية قد اطمأنت وطابت عند استئصالهم والإجهاز عليهم، وكانت قبل ذلك لا تطيب ولا تطمئن، وإن نُفِخَتْ بالطيب لشدة الهم والغىظ.

(٤) يقول: لكم كان بين المسلمين من امرئ، غاضب ساخط من أهل عمورية حتى إذا اجتثوا وأبدوا عاد مطمئنا راضيا، قد سكن موتهم غضبه.

(٥) المازق: الضيق. ولج: ضيق. وصغرا: أذلاء، ويروى: «تجشؤ الكمأة» والكمأة: الأبطال. يصف شدة الحرب ويقول: إنما اشتدت حتى لج المتحاربون وتضايقوا، وحتى أنهم لم يعودوا يطبقون القيام على أرجلهم، فمتجشؤ إرهاقا، مكرهين.

(٦) سناها: هنا كناية عن نارها المتأجج وهو ضروها، وسنا القمر: هنا المرأة المتألقة الجمال كالقمر. العارض الأول: السحاب، أو المطر الشديد الانهماك، أي: عارض الحرب التي تمطر المنايا، والعارض الثاني: ما يعرض من الأسنان، يقال للثأب والضرس الذي يليه عارض. والثب: برؤ الأسنان، ويقال: حدة أطرافها. يظهر الشاعر فرجه بما سى المسلمون من نساء المشركين المتألمات الجمال كالقمر، البارادات الثغور.

كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرَّقَابِ بِهَا
 كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً
 بِيضٌ، إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِهَا، رَجَعَتْ
 خَلِيفَةُ اللَّهِ جَارِي سَعْيِكَ عَنْ
 بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
 إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَجْمٍ
 فَبَيْنَ أَيَّامِكَ السَّلَاطِي نُصِرَتْ بِهَا
 أَبْقَيْتَ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَرَضِ كَاسِمِهِمْ

إلى الْمُخَدَّرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبٍ^(١)
 تَهْتَزُّ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبٍ^(٢)
 أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَتْرَاباً مِنَ الْحُجْبِ^(٣)
 جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسْبِ^(٤)
 تُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مِنَ التَّعَبِ^(٥)
 مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ^(٦)
 وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَدَرَ أَقْرَبُ النَّسَبِ^(٧)
 صَفَرَ الْوُجُوهَ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ^(٨)

- شرح ديوان أبي تمام، للتبريزي ٤٠/١ - ٧٤.

- شرح ديوان أبي تمام، لايليا حاوي، ص ٢٢ - ٣٣.

(١) السبب: الحبل، وهنا عِرْق الرقبة، والمخدرة: المرأة، أو ذات الخدر، ولا يمتنع أن يعني بها عمورية، لأنه قد شبهها بالبكر في أول القصيدة، والأجود ها هنا أن يعني بها المرأة العذراء المقيمة في خدرها، والعذراء: البكر. يكرر المعنى السابق، ويقول: إن قتلهم للمشركين أدى بهم إلى إدراك بناتهم الجميلات المحصنات.

(٢) قضب الهندي: السيف من صناعة الهند. وقضب الثانية: الغصون أو القدود التي تشبه بالقضب. ومصلته: مشهورة. وكثب: جمع الكثيب من الرمل. يقول: إن سيوف المحاربين أحرزت لهم من السبايا من يشبه خصرها القضيبي وردفها الكثيب.

(٣) البيض الأولى: السيوف، وانتضيت: سلّت. والحجب: الأعقاد. والبيض الثانية: النساء. والأتراب: جمع التّرب، وهو الرفيق والصاحب الذي نشأ معه، وله مثل عمره. ويروى أبدأناً، وهي من صفات نساء الروم. والحجب الثانية: مخادع النساء. يقول: إن لنساء الروم مثل فتك السيوف المجردة القاتلة، وفي البيت تجنيس وتصدير، فالتجنيس: يبيض ويبيض، والتصدير ردّ العجز على الصدر، قال في النصف الأول حجبها ثم قفى بالحجب. وهذا قليل من كثير عند أبي تمام لأنه مولع ومغرم باستخدام الأساليب البلاغية، ويمكن تفسير البيت على الوجه التالي: إن هذه السيوف أحقّ أن تغمد في صدور الأعداء البيض، أبدأناً، من أن تغمد في أعقادها.

(٤) الجرثومة: الأصل، يكرر مدحه إيّاه بالجهاد.

(٥) يقول: لقد أدركت أن الطمانينة لا تنال إلا بالكفاح والضنى.

(٦) الذمام: الحرمة. ومنقضب: منقطع. وصرُوف الدهر: أحداثه.

(٧) بدر: هو اسم الموقعة التي انتصر بها النبي ﷺ على المشركين. يقول: إن كانت أحداث الدهر التي تنزل الهلاك في الخصوم تتولد وتتناسل عبر الزمن، فإن نصرك في عمورية هو حفيد نصر النبي ﷺ في بدر على كفار قريش.

(٨) الممرض: الكثير المرض، وبنو الأصفر: الروم. وهم فيما يزعم أهل الكتاب من ولد العيص بن =

٦ - قصيدة دُعبل الخزاعي^(١) في مدح آل البيت^(٢)

(من بحر الطويل)

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحْيٍ مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ^(٣)
لِإِلِّهِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى وَبِالرُّكْنِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ^(٤)
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّنَاتِ^(٥)

= إسحاق بن إبراهيم . وبعض الناس يقول : الروم جيل قديم كان قبل إبراهيم . وقال : الممرض ليدل على أن صفرته كانت من مرض لا من خلقه . وقال : «كاسمهم» وهو يريد اسم أبيهم على المجاز ، لأنهم إذا ذكروا قيل بنو الأصفر فعمروا بذلك فصار كالاسم لهم . وقد يجوز أن يسمى نمت الرجل وكنيته ولقبه اسماً له .

(١) هو دُعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، ويكنى أبا علي ، ولد سنة ١٤٨ هـ / ٢٤٦ م . وهو شاعر مطبوع مُفْلِقٌ ، يقال : إن أصله من الكوفة ، وكان أكثر مقامه ببغداد ، وسافر إلى غيرها من البلاد ، فدخل دمشق ومصر ، وكان هجاءً خبيث اللسان ، لم يَسْلَمْ منه أحد من الخلفاء ولا من الولاة أو الوزراء ، ولا من أولادهم ، ولا ذو نباهة أحسن إليه أولم يحسن ، فمن الخلفاء : الرشيد والمامون والمعتصم والوائق ، وكان من مشاهير الشيعة ، وقصيدته الثائية - أي هذه - في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح . توفي ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان ، سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ، ص ٥٣٩ - ٥٤١ . والأغاني ٢٠ / ٦٨ - ١٤٥ . وطبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ٢٦٤ - ٢٦٨ . ومعجم الأدباء ٩٩ / ١١ - ١١٢ . ومقدمة ديوان دُعبل ، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي ، ص ١٣ - ٨٩ . والأعلام ٣٣٩ / ٢ .

(٢) يقول صاحب معجم الأدباء ١١ / ١٠٣ : وقصيدته الثائية قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان . فأعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه ، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبيعها ، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها ، فقال لهم : إنها تُرَادُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وهي محرمة عليكم ، فدفعوا له ثلاثين ألف درهم فحلف ألا يبيعها أو يُعْطَوْه بعضها ليكون في كنفه ، فأعطوه كُفّاً واحداً ، فكان في أكفانه ، ويقال : إنه كتب القصيدة في ثوب ، وأحرم فيه ، وأوصى بأن يكون في أكفانه ، ونسخ هذه القصيدة مختلفة ، في بعضها زيادات يُظَنُّ أنها مصنوعة الحقها بها أناس من الشيعة ، وأنا موردون هنا ما صح منها . ويقول محقق الديوان (ص ١٢٤) قال دُعبل هذه القصيدة الثائية الخالدة يذكر فيها ما أصاب آل البيت من كوارث وآلم بهم من رزايا وحوادث . وقد قمت بتدوين الأبيات التي أشار إليها ياقوت .

(٣) المقفر : الخالي . والعرصات : جمع العرصة ، وهي ساحة الدار . يقول : خلت ديار آل البيت بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن الكريم ، ومهبط وحي الرسول ﷺ .

(٤) الخيف : خيف منى الذي ينسب إليه مسجد الخيف . والتعريف والجمرات : مواضع في منى ترمى فيها الجمرات .

(٥) لعله يريد الإمام علي بن أبي طالب وابنه الإمام الحسين الشهيد سنة ٦١ هـ . وجعفر الطيار أخا الإمام =

دِيَارَ عَفَاها كُلُّ جَوْنٍ مُبَاكِيرٍ
 قَفَا نَسَّالِ الدَّارِ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
 وَأَيَّنَ الْأَوَّلَى شَطَطَ بِهِمْ غُرْبَةَ النَّوَى
 هُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا أَعْتَزَوْا
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمُكَذِّبٌ
 إِذَا ذَكَرُوا قَتْلَى بَدْرٍ وَخَيْبَرٍ
 قُبُورٌ بِكُوفَانٍ وَأُخْرَى بِطَيْبَةِ

وَلَمْ تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ^(١)
 مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ؟^(٢)
 أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ^(٣)
 وَهُمْ خَيْرُ قَادَاتٍ وَخَيْرُ حُمَاةٍ^(٤)
 وَمُضْطَغِنُ ذُو إِحْنَةٍ وَتَرَاتِ^(٥)
 وَيَوْمَ حُنَيْنٍ أَسْبَلُوا الْعَبَرَاتِ
 وَأُخْرَى بِفَخٍّ نَالَهَا صَلَوَاتِي^(٦)

= علي وابن عم الرسول ﷺ، وكان من عظماء المجاهدين، استشهد بمؤتة من أرض الشام مجاهداً للروم في حياة النبي ﷺ سنة ٨ هـ بعد أن قطعت يداه فعوضه الله عنهما بجناحين يطير بهما في الجنة. وحزمة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، أبو عمارة أسد الله وأسد رسوله، هاجر مع الرسول عليه الصلاة والسلام وشهد بدرًا وأبلى في ذلك واستشهد في وقعة أحد سنة ٣ هـ. فبقرت هند أم معاوية بطنه ولاكت كبده تشقياً. والسجاد ذو الثقبان: هو الإمام زين العابدين أبو محمد علي بن الحسين بن علي، كانت بين عينيه ثقبان البعير من كثرة السجود، طيف به بعد قتل أبيه إلى الشام والغل في يديه وعنقه. توفي مسموماً سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ.

- (١) الجون: سحاب أسود ممطر. وعفاها: محاها.
- (٢) خف القوم: ارتحلوا مسرعين.
- (٣) شطط: بعثت، وأفانين: أنواع وأحوال. والنوى: البعد. يريد أن النوى ذهب بهم مذاهب شتى.
- (٤) إحنة: حقد وعداوة. والتراث جمع الترة: الثار، أي للموتور الذي قتل له قتيل، وذو ترات: ذودماء.
- (٥) بدر وخيبر وحنين: أمكنة دارت فيها معارك بين المسلمين، والمشركين، كانت وقعة بدر في السنة الثانية للهجرة، وكان النصر فيها حليف المسلمين. وكانت وقعة خيبر في السنة السابعة. وكانت وقعة حنين في السنة الثامنة، بعد فتح مكة، بين الرسول ﷺ وبين هوازن وثقيف، وانهزم الناس مع كثرتهم، غير أنه ثبت مع النبي الإمام علي والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب حتى انتصر المسلمون وهزم المشركون. وأسبلوا العبرات: أذرفوا الدموع.
- (٦) كوفان أو الكوفة مصرت سنة ١٧ أو ١٩ هـ، استوطنتها قبائل عربية متعددة، ولها تاريخ حافل طويل، وفي الكوفة في مسجدها اغتيل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سنة ٤٠ هـ. وفيها طعن الحسن بن علي. ومن الكوفة زحفت الجيوش الجراة لحرب الحسين بن علي في كربلاء سنة ٦١ هـ. وفي طيبة - المدينة المنورة - قبور الحسن بن علي (ت ٥٠ هـ). وعلي بن الحسين (ت ٩٥ هـ). والباقر أبي جعفر محمد بن علي (ت ١١٤ هـ) والصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد (ت ١٤٨ هـ). رضي الله عنهم. وفي فخ (واد بمكة) قبر الحسين بن علي بن الحسن، وقبور آخرين، استشهدوا في أيام بني العباس سنة ١٦٩ هـ.

وَقَبِيرٌ بِبَغْدَادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ
فَأَمَّا الْمُصِصَّاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالِغَا
إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَتَعَثَّ اللَّهُ قَائِمًا
نُفُوسٌ لَذَى النَّهْرَيْنِ مِنْ أَرْضٍ كَرِيمًا
تَقْسَمُهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ كَمَا تَرَى
سِوَى أَنْ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ عُصْبَةٌ
قَلِيلَةٌ زُؤَارٍ سِوَى بَعْضِ زُؤِرٍ
لَهُمْ كُلُّ جَيْنٍ نَوْمَةٌ بِمَضَاجِعٍ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِيهَا
تَنْكِبُ لِأَوَاءِ السَّيْنِ جَوَارَهُمْ
إِذَا وَرَدُوا خَيْلًا تَشْمُسُ بِالْقَنَا
وَإِنْ فَخَرُوا يَوْمًا أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ
مَلَامَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ

تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ (١)
مَبَالِغَهَا مِنِّي بِكُنْهِ صِفَاتِ (٢)
يُفَرِّجُ مِنْهَا إِلَهُمُ وَالْكُرْبَاتِ
مُعَرَّسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ (٣)
لَهُمْ عُمَرَةٌ مَغْشِيَّةُ الْحُجَرَاتِ (٤)
مَدَى الدَّهْرِ أَنْضَاءٌ مِنَ الْأَزْمَاتِ (٥)
مِنَ الضُّبَعِ وَالْعِقْبَانِ وَالرَّخْمَاتِ (٦)
لَهُمْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفَاتِ
مَغَاوِيرُ يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ (٧)
فَلَا تَصْطَلِيهِمْ جَمْرَةُ الْجَمَرَاتِ (٨)
مَسَاعِرُ جَمْرِ الْمَوْتِ وَالْعَمَرَاتِ (٩)
وَجَبْرِيلَ وَالْفُرْقَانِ ذِي السُّورَاتِ
أَجْبَايَ مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي (١٠)

(١) وفي بغداد، قبر: موسى الكاظم (ت ١٨٣ هـ) ومحمد الجواد علي بن موسى (ت ٢٢٠ هـ) رحمهما

الله (٢) المصمات: يريد السادة من قتلى كربلاء. والكنه: جوهر الشيء وحقيقته، أي: لا أستطيع أن أصف حقيقة صفاتهم.

(٣) نفوس: خبر المصمات. والمعرس: من التعريس، النزول في المكان. أما النفوس فهي: الحسين بن علي وأصحابه الذين استشهدوا سنة ٦١ هـ.

(٤) العمرة: الزيارة.

(٥) أنضاء: صفة عصبية.

(٦) الرخمات: مفردا الرخمة، طائر من الخبائث لا يؤكل لحمه.

(٧) المغاوير: جمع مغوار، المقاتل كثير الغارات. والسروات: جمع سراة، اسم الجمع لسري، وهو الشريف ذو المروءة يريد أنهم معدودون في السروات.

(٨) اللأواء: الشدة وضيق العيش. وتكيب: تعدل عنهم.

(٩) تَشْمُسُ الفرس: منع ظهره، وأبى الركوب. والمساعر: جمع المشعر، فاعل تشمس، وهو موقد النار. يقال: هو مشعر الحرب. أي: موقد نار الحرب كأنه آلة لإيقاد نارها، يريد: أنهم إذا وردوا حرباً، كان بهم ما بالخيال من تشمس، فيسعون جمرات الموت بالقنا، ولن يرددهم عنها راد.

ملامك: أي دع لومك إياي.

تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ
فَيَارَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ
بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كُهُولٍ وَفَتَيَةٍ
أُحِبُّ قِصِي الرُّحِمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ
وَأَكْتُمُ حُبِّيَكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ
لَقَدْ خَفْتُ الْأَيَّامَ حَوْلِي بِشَرِّهَا
أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ جَعَةً
أَرَى فَيْئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
فَالَ رَسُولُ اللَّهِ نُخَفْتُ جُسُومَهُمْ
بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدَ
خُرُوجُ إِمَامٍ - لَا مَحَالَةَ - خَارِجٍ
يُمَيِّزُ بَيْنَنَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِدًا عَنْ جِدَالِهِمْ
فَيَسَانَفُسُ طَيْبِي ثُمَّ يَا نَفْسُ أَبْشِرِي

عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُهُ الْخَيْرَاتِ
وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
لِفِكَ عُنَاةٍ أَوْ لِحِمْلٍ دِيَاتٍ^(١)
وَأَهْجُرُ فِيكُمْ أَسْرَتِي وَبَنَاتِي^(٢)
عَيْنِدِ لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُوَاتٍ^(٣)
وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ^(٤)
وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فَيْئِهِمْ صَفِيرَاتٍ^(٥)
وَالَ زِيَادِ حِفْلُ الْقَصَرَاتِ^(٦)
وَالَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ^(٧)
أَكْفَأُ عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقِضَاتٍ^(٨)
لَقَطَعَ قَلْبِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتٍ
يَقُومُ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ^(٩)
وَيَجْزِي عَلَى النِّعْمَاءِ وَالنَّقِمَاتِ
كَفَائِي مَا أَلْقَى مِنَ الْعِبَرَاتِ
فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ

(١) العناة: جمع العاني، الأسير. والديات: جمع الدية، التعويض الذي يعطى للدوي القتل، والمعنى: انهم يفكرون الأسرى ويحملون الديات عنم تلزمه.

(٢) قصي الرحم: بعيد القرابة.

(٣) الكاشح: الكاره، المبغض، العدو. والمواتي: المناصر.

(٤) الحجة: السنة.

(٥) النفي: الخراج، أو الغنمة. وصفرات: خاليات. يريد: أن أيديهم صفر من حقهم المتقسم ظلماً.

(٦) حفل القصرات: ضخام الأعناق، كناية عن سمنهم.

(٧) الفلوات: جمع الفلاة، وهي الصحراء.

(٨) وتروا: ظلموا، والوتر: الظلم والانتقام. والأتار: جمع الوتر، الذي يشد به على عود اللهب. يريد: أنهم لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم.

(٩) خارج: صفة لإمام، وخير لا محذوف تقديره واقع.

فَإِنْ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ مِنْ تِلْكَ مُدَّتِي وَأَخَّرَ مِنْ عُمْرِي لِطُولِ حَيَاتِي
شُفِيتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِزْيَةً وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مُنْصَلِي وَقَنَاتِي^(١)
أَحَاوِلُ نَقْلَ الشَّمْسِ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا وَأُسْمِعُ أَحْجَاراً مِنَ الصَّلْدَاتِ
فَمِنْ عَارِفٍ لَمْ يَنْتَفِعْ وَمَعَانِدٍ يَجْمِلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ
قُصَارَايَ مِنْهُمْ أَنْ أَمُوتَ بِغُصَّةٍ تَرَدَّدُ بَيْنَ الصُّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ^(٢)
كَأَنَّكَ بِالْأَضْلَاعِ قَدْ ضَاقَ رَجَبُهَا لِمَا ضُمْنَتْ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

- معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١٠٣/١١ - ١١٠.

- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، ص ١٣١ - ١٤٥.

٧ - قصيدة ابن الرومي^(٣) في وحيد

(من الخفيف)

يَا خَلِيلِي تَيْمَمْتَنِي وَحِيدٌ فَفُؤَادِي بِهَا مُعْنَى عَمِيدُ^(٤)

(١) الرزية: المصيبة، والمنصل: السيف، والجمع المناصل، سمي بذلك لبروزه وصفائه وجلاته. والقناة: الرمح، والجمع القَنَا.

(٢) قصاراي: يقال: قصارك أن تفعل كذا: أي جهدك وآخر أمرك، أي: جهدي وغايتي منهم أن أموت... واللهوات واللها: جمع اللها، اللحمة المشرفة على الحلق.

(٣) هو علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن، ولد سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م. رومي الأصل، ولد ونشأ ببغداد من أب رومي وأم فارسية، أثر تراثه اليوناني الفارسي في عبقرته فجاء بشعر غريب الأسلوب والفن عن أهل زمانه. كان ضيق الأخلاق، متشائماً متطيراً، ملحاً في السؤال، خبيث اللسان، فلم يقربه إليه أحد. تغنى بجمال الطبيعة، ويقال: إنه ما مدح أحداً من رئيس أو مرووس، إلا وعاد إليه فجهجاه، ولذلك تحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته، حيث دس له القاسم بن عبيد الله دزير المعتضد سماً، فمات مسموماً سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م. وكان ابن الرومي قد هجاه. ويقال: إنه كان من أكبر كتاب الدواوين، فغلب عليه الشعر، لأنه غلاب. انظر ترجمته وأخباره في: العملة ٧٧/١، ١٦١، ١٦٥، ٢١٢، ٢١٤. وغيرها من المواضع. ووفيات الأعيان ٣٥٠/١. ومعاهد التنصيب ١٠٨/١. والمنجد في اللغة والأعلام. والأعلام ٢٩٧/٤. وابن الرومي شاعر الغربة النفسية، للدكتور فوزي عطوي. وابن الرومي، حياته وشعره، لإبراهيم عبد القادر المازني. وانظر: ثقافة الناقد الأدبي للدكتور محمد النويهي. وابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، لإيليا حاوي. وابن الرومي، حياته من شعره، عباس محمود العقاد. وابن الرومي، حياته وشعره، روفون جست، ترجمة د. حسين نصار. وانظر بشأن تحليل هذه القصيدة دراسات في الأدب العربي لكازم حطيط، ص ٨٠ - ٨٩. وابن الرومي، لإيليا حاوي، ص ١٧٩ - ١٩٩.

(٤) تيممتني: استعبدتني بحبها. ومُعنَى: متعب. وعميد: مريض. ووحيد: مغنية.

غَادَةً زَانَهَا مِنَ الْغُصْنِ قَدْ
 وَزَّهَاهَا مِنْ فَرْعِهَا وَمِنْ الْخَدِّ
 أَوْقَدَ الْحَسَنُ نَارَهُ مِنْ وَحِيدٍ
 فَهِيَ بَرْدٌ بِخَدِّهَا وَسَلَامٌ
 لَمْ تَضُرْ قَطُّ وَجْهَهَا وَهُوَ مَاءٌ
 مَا لِمَا تَصْطَلِيهِ مِنْ وَجَنَّتِيهَا
 مِثْلُ ذَاكَ الرِّضَابِ أَطْفَأَ ذَاكَ الْ
 وَغَرِيرَ بِحُسْنِهَا قَالَ: صِفْهَا
 يَسْهُلُ الْقَوْلُ إِنَّهَا أَحْسَنُ الْأَشْ
 شَمْسُ دُجْنٍ، كِلَا الْمُنِيرَيْنِ مِنْ شَمْسٍ
 تَتَجَلَّى لِلنَّاضِرِينَ إِلَيْهَا
 ظَبِيَّةٌ تَسْكُنُ الْقُلُوبَ وَتُرْعَا

وَمِنْ الظُّبْيِ مُقْلَتَانِ وَجِيدٌ^(١)
 دَيْنِ ذَاكَ السَّوَادُ وَالتَّوْرِيدُ^(٢)
 فَوْقَ خَدٍّ مَا شَانَهُ تَخْدِيدُ^(٣)
 وَهِيَ لِلْعَاشِقِينَ جُهْدٌ جَهِيدٌ^(٤)
 وَتُذِيبُ الْقُلُوبَ وَهِيَ حَدِيدٌ^(٥)
 غَيْرُ تَرَشَافٍ رِيْقَهَا تَبْرِيدُ^(٦)
 وَجَدَ لَوْلَا الْإِبَاءُ وَالتَّضْرِيدُ^(٧)
 قُلْتُ: أَمْرَانِ: هَيْئٌ وَشَدِيدُ^(٨)
 يَاءٌ طُرّاً، وَيَعْسُرُ التَّحْدِيدُ^(٩)
 سٍ وَيَذِرُ مِنْ نُورِهَا يَسْتَفِيدُ^(١٠)
 فَشَقِيٌّ بِحُسْنِهَا وَسَعِيدُ^(١١)
 هَا، وَقُمْرِيَّةٌ لَهَا تَغْرِيدُ^(١٢)

- (١) غادة: فتاة جميلة. وزان: ضد شان، وزانه الشيء: حسنه وزخرفة. والقدر: القامة. والظبي: الغزال. والمقلّة: جمعها المقل، شحمة العين، أو هي السواد والبياض منها، أو العين ذاتها. والجيد: العنق.
- (٢) زهاها: جعلها زاهية، أي: جميلة. وفرعها: شعرها المنجدل. السواد: يريد، سواد الشعر. والتوريد: يريد توريد الخد.
- (٣) أوقد أشعل. وشانه: ضد زانه، أي: عابه. والتخديد: التجمعيد.
- (٤) برد وسلام: أي هناءة وطمأنينة. وجهد: تعب. يشير إلى الآية القرآنية التي تصول النار التي ألقى فيها سيدنا إبراهيم ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. سورة الانبياء، آية ٦٩.
- (٥) لم تضر: لم تؤذ. أي: أن وجهها على لينة لا يتأثر بالغناء.
- (٦) اصطلى اصطلاء بالنار: استدفأ. والوجنة: الخد.
- (٧) الرضاب: الريق المرشوف، أو هو لعاب العسل ورغوته. والوجد: الحب الشديد. والتضريد: القوة على احتمال الشيء.
- (٨) الغرير: المغرور، والشاب الذي لا تحجرة له، الساذج.
- (٩) طرّاً: جميعاً.
- (١٠) الدجن: الظلام.
- (١١) تتجلى: تظهر. والشقي: البائس.
- (١٢) قمرية: حمامة حسنة الصوت.

تَتَغَنَّى كَأَنَّهَا لَا تُغَنِّي	مِنْ سَكُونِ الْأَوْصَالِ وَهِيَ تُجِيدُ (١)
لَا تَرَاهَا هُنَاكَ تَجَحَّظُ عَيْنُ	لَكَ مِنْهَا وَلَا يَدِيرُ وَرِيدُ (٢)
مَنْ هُدُوٌ وَلَيْسَ فِيهِ انْقِطَاعُ	وَشُجُوٌ وَمَا بِهِ تَبْلِيدُ (٣)
مَدٌّ فِي شَأْوِ صَوْتِهَا نَفْسُ كَا	فِي كَأَنفَاسِ عَاشِقِيهَا مَدِيدُ (٤)
وَأَرْقُ الدَّلَالُ وَالْغُنْجُ مِنْهُ	وَيَرَاهُ الشُّجَا فَكَادَ يَبِيدُ (٥)
فَتَرَاهُ يَمُوتُ طَوْرًا وَيَحْيَا	مُسْتَلَذًا بِسَيْطُهُ وَالنَّشِيدُ (٦)
فِيهِ وَشْيٌ، وَفِيهِ حَلْيٌ مِنَ النُّغْ	مِ مَصُوعٌ يَخْتَالُ فِيهِ الْقَصِيدُ (٧)
طَابَ فُوهَا وَمَا تُرْجِعُ فِيهِ	كُلُّ شَيْءٍ لَهَا بِذَاكَ شَهِيدُ (٨)
تُغَبِّ يَنْقَعُ الصُّدَى، وَغِنَاءُ	عِنْدَهُ يَوْجُدُ السُّرُورُ الْفَقِيدُ (٩)
فَلَهَا الدَّهْرُ لَا يَمُوتُ مُسْتَزِيدُ	وَلَهَا الدَّهْرُ سَامِعٌ مُسْتَعِيدُ
فِي هَوَى مِثْلِهَا يَخْفُ حَلِيمٌ	رَاجِحٌ حُلْمُهُ، وَيَغْوِي رَشِيدُ (١٠)
مَا تُعَاطِي الْقُلُوبَ إِلَّا أَصَابَتْ	بِهَوَاهَا مِنْهُمْ حَيْثُ تُرِيدُ (١١)
وَتَرُ الْعَرْفَ فِي يَدَيِّهَا مُضَاهٍ	وَتَرُ السُّزْحَفَ فِيهِ سَهْمٌ شَدِيدُ (١٢)

- (١) الأوصال: الأعضاء. أي: إنها تجيد الغناء، وهي ساكنة لا تتحرك أوصالها شأن غيرها من المغنين.
- (٢) تَجَحَّظُ: تتسع. ويدُرُ: يتوتر. والوريد: عرق في العنق.
- (٣) الهدو: ترخيم الهدوء. والسجو: مد الصوت بالحنين. والتبليد: التردد والتحير.
- (٤) الشأو: الغاية، المدى.
- (٥) أَرْقُ الشيء: جعله رقيقاً. وبراه: أضعفه. والشجا: الغصة أو البحة الجميلة في الصوت، يريد: ما اعترض الصوت من الغصة أو البحة عند الغناء. ويبيد: يختفي.
- (٦) البسيط: ما يمتد به الصوت ويرق. والنشيد: رفع الصوت والترنيم.
- (٧) الوشي والحلي: الزخرف والزينة. ويختال: يتمايل.
- (٨) فوها: فمها. وترجع: تعيد وتكرر وتغنم.
- (٩) التغب: الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه. والصدى: ما يردّه الجبل أو غيره إلى المصوت مثل صوته. وينقع: يرفع.
- (١٠) يخف حليم: يفقد العاقل رزاقته. وحلمه: عقله. ويغوي رشيد: يفضل مهتد ذو عقل.
- (١١) تُعَاطِي: تعالج.
- (١٢) مُضَاهٍ: مشابه.

وَإِذَا أَنْبَضَتْهُ لِلشُّرْبِ يَوْمَا
مَعْبَدٌ فِي الْغِنَاءِ وَابْنُ سُرَيْجٍ
عَيْبُهَا أَنَّهَا إِذَا غَنَّتِ الْأَخْرُ
وَأَسْتَزَادَتْ قُلُوبَهُمْ مِنْ هَوَاهَا
وَحَسَانِ عَرْضَنْ لِي قَلْتُ: مَهْلًا
حُسْنُهَا فِي الْعَيُونِ حُسْنٌ وَحِيدٌ
وَنَصِيحٌ يَلُومُنِي فِي هَوَاهَا
لَوْ رَأَى مَنْ يَلُومُ فِيهِ لِأَضْحَى
ضِلَّةً لِلْفُؤَادِ يَحْنُو عَلَيْهَا
سَحَرَتْهُ بِمَقْلَتَيْهَا فَأَضْحَتْ
خُلِفَتْ فِتْنَةً: غِنَاءٌ وَحُسْنًا
فَهِيَ تُغْمَى بِمِيدُ مِنْهَا كَبِيرُ
لِي حَيْثُ أَنْصَرَفْتُ مِنْهَا رَفِيقُ
عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَقَدْ

أَيَقُنَ الْقَوْمُ أَنَّهَا سَتَصِيدُ^(١)
وَمَيَّ فِي الضَّرْبِ زَلْزَلٌ وَعَقِيدُ^(٢)
رَارَ ظَلُّوا وَهُمْ لَدَيْهَا عَيْدُ
بِرْقَاهَا، وَمَا لَدَيْهِمْ مَزِيدُ^(٣)
عَنْ وَحِيدٍ، فَحَقُّهَا التَّوْجِيدُ^(٤)
فَلَهَا فِي الْقُلُوبِ حُبٌ وَحِيدُ^(٥)
ضَلَّ عَنْهُ التَّوْفِيقُ وَالتَّسْدِيدُ^(٦)
وَهُوَ الْمُسْتَرِثُ وَالْمُسْتَزِيدُ^(٧)
وَهِيَ تَزْهُو حَيَاتِهِ وَتَكِيدُ^(٨)
عِنْدَهُ وَالذَّمِيمُ مِنْهَا حَمِيدُ
مَا لَهَا فِيهِمَا جَمِيعًا نَدِيدُ^(٩)
وَمَيَّ بَلَوَى يَشِيبُ مِنْهَا وَلِيدُ^(١٠)
مِنْ هَوَاهَا، وَحَيْثُ حَلَّتْ قَعِيدُ^(١١)
مَيَّ وَخَلْفِي، فَأَيْنَ عَنْهُ أَحِيدُ؟

(١) الشرب: جمع الشارب.

(٢) معبد المغني (ت ٧٤٣): عاش في العصر الأموي، نشأ في المدينة ثم رحل إلى الشام، فاتصل بأمرائها، وأصبح مشهوراً. وعبيد الله ابن سريج (ت ٧٢٤م تقريباً) ولد في مكة: مغن وملحن. ويقال: إنه أول من أدخل العود الفارسي إلى مكة. اشتهر بصياغة الألحان. وزلزل وعقيد: لعله يريد انهما كانا يضربان على آلات موسيقية.

(٣) رقاها: سحرها.

(٤) التوحيد: يريد أن حقها أن تختص بالحب، فلا يشرك أحد فيه.

(٥) أي أن حسننها متجدد في العيون، وحبها متجدد في القلوب.

(٦) التسديد: الصواب.

(٧) المسترث: المستطلى. والمستزيد: طالب المزيد.

(٨) ضلة: فتنة. تزهو وتكيد: تعذب.

(٩) النديد: الشبيه، المثل.

(١٠) يميد: يتحرك ويضطرب ويزيغ.

(١١) القعيد: الجليس.

سَدُّ شَيْطَانٍ حُبُّهَا كُلُّ فَجٍّ
لَيْتَ شَعْرِي إِذَا أَدَامَ إِلَيْهَا
أَهْيَ شَيْءٌ لَا تَسَامُ الْعَيْنُ مِنْهُ
بَلْ هِيَ الْعَيْشُ لَا يَزَالُ مَتَى آسَتَعْدَ
مَنْظَرٌ، مَسْمُوعٌ، مَعَانٍ مِنَ اللَّهِ
لَا يَدِبُ الْمَلَالُ فِيهَا وَلَا يَنْدُ
حُسْنُهَا فِي الْعَيُونِ حُسْنٌ جَدِيدٌ
أَخَذَ اللَّهُ يَا وَحِيدٌ لِقَلْبِي
حَظٌّ غَيْرِي مِنْ وَصْلِكُمْ قُرَّةُ الْعَيْنِ
غَيْرَ أَنِّي مُعَلَّلٌ مِنْكَ نَفْسِي
مَا تَزَالِينَ نَظْرَةً مِنْكَ مَوْتُ
نَتَلَقَى فَلْحَظَةً مِنْكَ وَغَدٌ
قَدْ تَرَكْتِ الصُّحَاخَ مَرْضَى يَمِيدُو
وَالْهَوَى لَا يَزَالُ فِيهِ ضَعِيفٌ
ضَافَتِي حُبِّكَ الْغَرِيبُ فَأَلَوِي

- (١) الفج: السبيل. والمريد: المتجاوز الحد.
(٢) ليت شعري: أي ليتني شعرت أي: علمت بما صنع. وشعري اسم ليت. والخبر مضمرة تقديره واقع.
(٣) تسام: تمل.
(٤) العناد: ما أعد لأمر. والعنيد: الحاضر المهيأ.
(٥) توكيد: توثيق وإحكام.
(٦) المدبيل: من أداله منه جعل له الدولة عليه. والمعيد: من أعاد الشيء، كرره وجعله عادة. يسأل الدهر أن يدبيل قلبه من وحيد، أي: يجعله له الدولة عليها. ويكرر ذلك حتى يجعله عادة لا انفكاك عنها.
(٧) التسهيد: الأرق وعدم النوم.
(٨) عدات: جمع عدة، الوعد. والوعيد: التهديد.
(٩) الخوط: الغصن الناعم الرقيق. يميذون: يتميلون. ونحولا: ضعفاً.
(١٠) الحاظه: نظراته. والجليد: القوي الشديد، الصبور.
(١١) ألوي: ذهب به. والرقاد: النوم. والنسيب: القريب. أي: ان حبك الغريب إذا ضافني، طرد النوم القريب مني، فأصبحت عاشقاً لك لا أنام.

عجباً لي إنَّ الغريبَ مُقيمٌ بينَ جَنبَيَّ والنسيبِ شريداً
قَد مَلَلْنَا مِنْ سَثْرِ شَيْءٍ مَليحٍ نَشْتَهيه، فهلْ له تجريدٌ؟^(١)
هُوَ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ نَجْدِ سمِ الثُّرَيَّا، فهو القريبُ البعيدُ
- ديوان ابن الرومي ٧٦٢/٢ - ٧٦٥.

٨ - قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط محمد.

(من الطويل)

بُكَاءُكُمَا يَشْفِي، وَإِنْ كَانَ لَا يُجِدِي، فَجُوداً، فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي^(٢)
بُنَيَّ الَّذِي أَهْدَتْهُ كَفَّايَ لِلثَّرَى فَيَا عِزَّةَ الْمُهْدَى، وَيَا حَسْرَةَ الْمُهْدِي
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْمَنَايَا وَرَمَيْهَا مِنَ الْقَوْمِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدٍ^(٣)
تَوَخَّى جِمَامَ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيَّتِي فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعَقْدِ^(٤)
عَلَى حِينٍ شَمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ وَأَنْسْتُ مِنْ أَعْمَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ^(٥)
طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي، فَأُضْحِي مَزَارَهُ بَعِيداً عَلَى قُرْبٍ، قَرِيباً عَلَى بُعْدٍ^(٦)
لَقَدْ أَنْجَزْتُ فِيهِ الْمَنَايَا وَعَيْدَهَا، وَأَخْلَفْتُ الْأَمَالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدٍ
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ آلِ الْمُهْدِ وَاللَّحْدِ لُبُّهُ فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمُهْدِ، إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ^(٧)
أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى أَحَالَهُ إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِيٍّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ^(٨)
وَوَضَّلَ عَلَى الْأَيْدِي تَسَاقُطَ نَفْسِهِ وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي الْقَضِيبُ مِنَ الرُّنْدِ^(٩)
فِيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقُطُ أَنْفُساً تَسَاقُطُ ثَرٌّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عَقْدٍ^(١٠)

(١) تجريد: إبراز وإظهار.

(٢) في هذا البيت يخاطب عيني. وأودى: هلك.

(٣) المنايا: جمع المنيّة، وهي الموت. وحبات القلوب: صميمها ومهجتها.

(٤) توخى: تحرى، وقصد. وجمام الموت: قدره.

(٥) شمت: توقعت. وأنست: أبصرت. والآية: العلامة.

(٦) أي أنه قريب المكان، ولكن اللقاء بعيد. وطواه الردى: أخفاه الهلاك.

(٧) أي كان صغيراً، عند موته.

(٨) الجادي: الزعفران، لونه ضارب إلى الصفرة. وألح: استمر.

(٩) الرند: الغار. أو الأس، نوع من الرياحان. والقضيب: الغصن. وذوى: ذبل.

(١٠) النظام: كل خيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره. وبلا عقد: بلا ربط.

عجبتُ لقلبي كيفَ لم يَنْفَطِرْ لَهُ
 بِوَدِّي أَنِّي كُنْتُ قَدْ مِتُّ قَبْلَهُ
 ولكنَّ رَبِّي شاءَ غيرَ مشيئتي،
 وما سَرَّنِي أَن بَعَثَهُ بِشَوَابِهِ،
 ولا بَعَثَهُ طَوْعاً، وَلَكِنْ غَضِبَتْهُ،
 وإِنِّي، وَإِنْ مُتُّعْتُ بِأَبْنِي بَعْدَهُ،
 وأولادنا مثلُ الجوارح، أَيُّهَا
 لكلِّ مكانٍ، لا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ
 هل العينُ، بَعْدَ السَّمْعِ، تكفي مكانَهُ
 لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِي الحالُ بَعْدَهُ،
 نَكَلْتُ سُرُورِي كُلَّهُ إِذْ نَكَلْتُهُ،
 أَرِيحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا
 سَاسِقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ
 أَعْيُنِي جُوداً لِي، فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى،
 أَقْرَةً عَيْنِي، قَدْ أَطْلَتِ بُكَاءُهَا
 أَقْرَةً عَيْنِي، لَوْ فَدَى الْحَيُّ مَيِّتاً

ولو أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ (١)
 وَأَنَّ الْمَنَايَا، دُونَهُ، صَمَدَتْ صَمْدِي (٢)
 وَلِلرَّبِّ إِمضاءُ المَشِيئَةِ، لا الْعَبْدِ
 وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
 وَلَيْسَ عَلَى ظَلَمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعَدٍ (٣)
 لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدٍ (٤)
 فَقَدْنَاهُ، كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيْنَ الْفَقْدِ (٥)
 مَكَانُ أَخِيهِ فِي جَزُوعٍ وَلَا جَلْدٍ (٦)
 أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ، يَهْدِي كَمَا تَهْدِي؟
 فَيَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي (٧)
 وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ (٨)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
 وَإِنْ كَانَتْ السُّقْيَا مِنَ الْعَيْنِ لَا تُجْدِي (٩)
 بِأَنْفَسَ مِمَّا تُسَالِّانِ مِنَ الرُّفْدِ (١٠)
 وَغَادَرَتْهَا أَقْدَى مِنَ الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
 فَدَيْتُكَ بِالْحَوْبَاءِ أَوَّلَ مَنْ يَفْدِي (١١)

(١) لم ينفطر: لم ينشق. والصلد: الصلب.

(٢) صمدت: ثبتت واستمرت.

(٣) معدي: أعداه عليه، أي نصره وأعاناه. والمعنى: ليس هناك من معين على ظلم الحوادث.

(٤) النيب: جمع الناب، وهي الناقة المسنة. وحنين الناقة: أن ترفع صوتها شوقاً وحنيناً إلى ولدها.

(٥) الجوارح: الأعضاء. والفاجع: الموجع.

(٦) الاختلال: النقص. والجزوع: الذي لا يصبر. والجلد: الصبور، القوي.

(٧) ليت شعري: أي ليتني أشعر وأعرف.

(٨) نكل: فقد.

(٩) ماء العين: الدموع. وما أسعدت: ما أعانت.

(١٠) الرفد: العطاء.

(١١) الحوباء: النفس والجمع الحوباوات. قيل هي مأخوذة من الحوبة بمعنى الحاجة تكون النفس موطناً للحاجات.

كَأَنِّي مَا اسْتَمَعْتُ مِنْكَ بَضْمَةً
الْأَمُّ لِمَا أَبْدَى عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى
مَحْمُودٌ، مَا شَيْءٌ تُؤْهِمُ سَلْوَةً
أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ، كِلَيْهِمَا
إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذْعَا
فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ، بَلْ حَزَاةٌ
وَأَنْتَ، وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَحْشَةً
أَوْدُ إِذَا مَا الْمَوْتُ أَوْفَدَ مَعْشَرًا،
وَمَنْ كَانَ يَسْتَهْدِي حَبِيبًا هَدِيَّةً
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ تَحِيَّةٍ،
وَلَا شُمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدٍ
وَإِنِّي لِأَخْفِي مِنْهُ أَضْعَافَ مَا أَبْدَى
لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الرَّنْدِ^(١)
فَوَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصِدِ
يَهْجَانِي دُونِي، وَأَشَقَى بِهَا وَحْدِي
فَإِنِّي بَدَارِ الْأَنْسِ فِي وَحْشَةِ الْفَرْدِ
إِلَى عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ، أَنِّي مِنَ الْوَفْدِ
فَطِيفَ خِيَالٍ مِنْكَ فِي النَّوْمِ أَسْتَهْدِي
وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ
- ديوان ابن الرومي ٦٢٤/٢ - ٦٢٧.

٩ - من قصيدة للبُخْتَرِيِّ^(٢) في وصف الربيع^(٣)

(من الطويل)

(١) أورى الزند: أخرج ناره.

(٢) هو أبو عُبَادَةَ الْوَلِيد بن عبيد بن يحيى، البُخْتَرِيُّ الطائِي، أحد بني بَحْر بن عَتود، من طيء. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦ هـ/٨٢١ م، نشأ في البادية بين قومه بني طيء، وروى عن كثير من العلماء كابي العباس المبرد، ثم اتصل بأبي تمام ولزمه، وترسم خطاه وحذا حذوه، فطار في الآفاق ذكره. كان على فضله وعلمه، ورقة كلامه، وبديع أسلوبه، من أبطل الناس، وأوسعهم ثوباً، وأبغضهم إنشاداً، وأكثرهم افتخاراً بشعره يقال: إنه كان شاعراً فاضلاً، نقي الكلام مطبوع، وكان المشايخ يهتمون به الشعراء وله تصرف حسن في ضروب الشعر، سوى الهجاء، فإن نظمه فيه قليل، وجيده منه أقل. اتصل البُخْتَرِيُّ بكثير من رجالات الدولة، ومدح الكثيرين، وأكثر مدائحه في أمير المؤمنين المتوكل على الله، ووزيره الفتح بن خاقان. سئل أبو العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ أبو تمام أم البُخْتَرِيُّ أم المتنبي؟ فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان. والشاعر البُخْتَرِيُّ. وتوفي في منبج سنة ٢٨٤ هـ/٨٩٨ م. انظر ترجمته في: الأغاني ٣٩/٢١ - ٥٧. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٣٩٣ - ٣٩٤. والموازنة بين أبي تمام والبُخْتَرِيِّ. ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٤٨/١٩ - ٢٥٨. والاعلام ١٢١/٨.

(٣) هذه الأبيات من قصيدة مدح فيها الهيثم بن عثمان الغنوي، الذي كان قائداً، واشترك في حرب بابك الخرمي، ومطلع القصيدة:

أَكَانَ الصُّبَا إِلَّا خَيْالًا مُسَلَّمًا أَقَامَ كَرَجَجِ الطُّرْفِ ثُمَّ تَصَرَّمَا =

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا مَنِ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(١)
وَقَدْ نَبَهَ النَّوْرُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا^(٢)
يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبُثُّ حَدِيثًا كَانَ قَبْلَ مُكْتَمًا^(٣)
وَمِنْ شَجَرِ رَدِّ الرَّبِيعِ لِبَاسُهُ عَلَيْهِ، كَمَا نَشَرْتُ وَشِيَاءَ مُنَمَّمًا^(٤)
أَحْلُ، فَأُبْدِي لِلْعُيُونِ بِشَاشَةً، وَكَانَ قَلْدِي لِلْعَيْنِ، إِذْ كَانَ مُحْرَمًا^(٥)
وَرَقُّ نَسِيمِ الرِّيحِ، حَتَّى حَسِبْتُهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَجْبَةِ، نُعْمًا
- ديوان البحرى ٢٠٩٠/٤ - ٢٠٩١.

١٠ - قصيدة البحرى في وصف إيوان كسرى بالمدائن^(٦)

سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م

(من الخفيف)

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنُسُ نَفْسِي، وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ^(٧)

= (الطرف: العين. ورجع الطرف: ارتداده. وتصرم: تقطع وانقضى). انظر ديوان البحرى ٢٠٨٧، ٢٠٨٠/٤.

(١) الطلق: المشرق.

(٢) النوروز: أو النيروز: أكبر أعياد الفرس، ومعناه بالفارسية: اليوم الجديد، هو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق اليوم ٢١ من شهر مارس، أي مطلع الربيع. والغلس: ظلمة آخر الليل. ويروي «عسق». أي: إن الربيع قادم يصحبه تفتح الورد.

(٣) يفتقها: يفتحها. ويبث الحديث: يذيعه وينشره. وهنا يشبه انتشار رائحة الورد بعد تفتحها، بالسر الذي كان مكتوما، فأذيع ونشر.

(٤) الوشي: نقش الثوب. ومنمم: منمق، مزخرف منقوش مزين.

(٥) أحل: لبس ثياب الحل. وأحل المحرم: دخل في أشهر الحل أو خرج إلى الحل وخرج من ميثاق كان عليه. والمحرم: الذي تجرد من ثيابه ولبس ثياب الإحرام في الحج. والقلى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

(٦) يقال: إن قصر الأكاسرة بالمدائن، كان من عجائب الدنيا، وكان لا يزال قائماً إلى أيام المكتفى في حدود سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ويقال: إنه تعاون على بنائه عدة ملوك. وتعتبر هذه القصيدة من أروع ما في الشعر العربي.

(٧) الجدا: العطاء. والجبس: الجبان واللتيم والفاسق والثقليل الروح.

وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعَزَعَنِي الدَّهْدُ
بُلُغٌ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي،
وَبَعِيدٌ مَا بَيْنَ وَارِدِ رَفِيهِ،
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا
وَاشْتَرَايَ الْعِرَاقَ خُطَّةً غَبْنٍ
لَا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لِاخْتِبَارِي
وَقَدِيمًا عَهْدَتَنِي ذَا هَنَاتٍ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ نُبُوَ ابْنِ عَمِّي
وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنْتُ جَدِيرًا
حَضَرْتُ رَحْلِي أَلْهُمُومٌ فَوَجَّهْ

(١) رَأَيْتُ أَلْتَمَاسًا مِنْهُ لِيَتَعَسَى، وَنَكْسِي
طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ
عَلَّلَ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خِمْسٍ
لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ
بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةَ وَكْسٍ
بَعْدَ هَذَا الْبَلَوِّ، فَتَنَكَّرَ مَسِي
آيَاتٍ، عَلَى الدُّنْيَا، شُمُسٍ
بَعْدَ لَيْلٍ مِنْ جَانِبَيْهِ، وَأَنْسِ
أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أَمْسِي
تُ إِلَى أَيْبُضِ الْمَدَائِنِ عَنَسِي

- (١) تَمَاسَكْتُ: ثَبَّتْ. زَعَزَعَنِي: حَرَكَنِي وَهَزَنِي بَعَثَ. وَالتَّمَاسَا مِنْهُ: طَلَبًا مِنْهُ. وَالتَّعَسَى: الشَّرُّ وَالْهَلَاكُ. وَالنَّكْسُ: الْإِذْلَالُ. انْقِلَابَ الرَّجُلِ عَلَى رَأْسِهِ، أَوْ سَقُوطَهُ كُلَّمَا نَهَضَ.
- (٢) الْبُلُغُ: جَمْعُ بَلُغَةٍ وَهِيَ مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ فِي الْعَيْشِ وَلَا يَفْضُلُ مِنْهُ شَيْءٌ. وَالصُّبَابَةُ: الْبَقِيَّةُ. وَطَفَفَتْهَا: أَنْقَصَتْهَا. وَالتَّطْفِيفُ: التَّنْقِيسُ فِي الْوِزْنِ وَالتَّقْدِيرِ. وَالبَخْسُ: الْغَبْنُ وَالظُّلْمُ.
- (٣) الرَّفْهُ: طَيْبُ الْعَيْشِ وَلِينُهُ. وَارْدَفُهُ: أَيِ يَرِدُ الْمَاءُ كُلَّ يَوْمٍ مَتَى شَاءَ. وَالْعَلَلُ: وَرُودُ الْمَاءِ ثَانِيَةً بَعْدَ الْوُرُودِ الْأَوَّلِ الَّذِي يُسَمَّى النَّهْلِ. وَالْخِمْسُ: مِنْ أَطْعَمَاءِ الْإِبِلِ وَهِيَ تَرَعَى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَتَرُدُّ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ.
- (٤) مَحْمُومًا هَوَاهُ: أَيِ يَمِيلُ إِلَى الْأَخْسَاءِ. وَالْمَعْنَى: كَانَ الزَّمَانُ يَنْصِفُ الْأَخْسَاءَ وَيَجُورُ عَلَى الشُّرَفَاءِ.
- (٥) اشْتَرَايَ الْعِرَاقَ: أَيِ أَقَامَتِي بِهِ. وَبَيْعِي الشَّامَ: أَيِ رَحْلَتِي عَنْهَا. وَالْخُطَّةُ: الْأَرْضُ الَّتِي يَخْطُطُهَا الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ لِيَنْزِلَ بِهَا. وَالْغَبْنُ: الْخُدَاعُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ. وَالْوَكْسُ: التَّقْصَانُ وَالْخُسَارَةُ.
- (٦) تَرُزْنِي: مِنْ رَاوَاهُ، أَيِ: جَرَبَهُ وَقَدَرَهُ لِيَعْرِفَ ثِقْلَهُ. وَمُزَاوِلًا: مُحَاوِلًا. فَتَنَكَّرَ مَسِي: تَجَدَّنِي قَوِيًّا أَبْيَا.
- (٧) الْهَنَاتُ: خُصَالُ شَرٍّ. وَالشَّمْسُ: الْعَنِيدَةُ الَّتِي لَا تَذُلُّ، الْوَاحِدُ شَمُوسٌ. وَآيَاتُ عَلَى الدُّنْيَا: أَيِ لَا تَرْضَى الْخَسِيسَ.
- (٨) رَأَيْتُ: أَوْفَعَنِي فِي الرِّيبِ، وَالرِّيبُ: الشُّكُّ. وَانْتَبَهَ: الْجَفَاءُ وَالْبَعْدُ وَالْخَشُونَةُ. وَابْنُ عَمِّهِ: قِيلَ: الرَّاهِبُ عَبْدُودُ بْنُ مَخْلَدٍ، وَهُوَ مِنْ أَصْلِ يَمَنِيٍّ وَالشَّاعِرُ طَائِيٌّ، أَيِ: يَمْنَى مِثْلَهُ. وَقِيلَ: قَصْدُ الْخَلِيفَةِ الْمُنْتَصِرِ، وَهُوَ عَدْنَانِي، وَقَحْطَانُ وَعَدْنَانُ أَخُوَانُ.
- (٩) يَقُولُ: إِذَا جُفِيتُ تَنَقَّلْتُ، فَلَا أَصْبِحُ فِي مَكَانٍ حَتَّى أَمْسِيَ فِي سَوَاءٍ. وَهَذَا يَهْدِي لَذِكْرِ رَحِيلِهِ إِلَى الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ.
- (١٠) حَضَرَتْهُ: نَزَلَتْ وَطَرَأَتْ. وَأَبْيُضُ الْمَدَائِنِ: الْقَصْرُ الْأَبْيَضُ، قَصْرُ الْكَاسِرَةِ. وَعَنَسِي: مِمَّنْ الْعَنَسَ، النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ.

- أَتَسَلَّى عَنِ الْخُطُوطِ، وَأَسَى
أَذَكَّرْتِيَهُمْ الْخُطُوبُ التَّوَالِي
وَهُمْ خَافُضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ
مُغْلَقٌ بَابُهُ عَلَى جَبَلِ الْقَبْ
جَلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدَى
وَمَسَاعٍ، لَوْلا الْمُحَابَاةُ مِنِّي
نَقَلَ الذَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِّ
فَكَانَ الْجِرْمَازُ مِنْ عَدَمِ الْأَنْزِ
- لَمَحَلٌّ مِنْ آلِ سَاسَانَ، دَرَسَ^(١)
وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي^(٢)
مُشْرِفٌ يُحَسِّرُ الْعُيُونَ وَيُخَيِّي^(٣)
قِي إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمُكْسٍ^(٤)
فِي قَفَارٍ مِنَ الْبَسَابِسِ، مُلْسٍ^(٥)
لَمْ تُطْفِئْهَا مَسْعَاةُ عَنَسٍ وَعَبَسٍ^(٦)
وَ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسٍ^(٧)
سِرٍّ وَإِخْلَالٍ، بَنِيَّةُ رَمْسٍ^(٨)

(١) درس: أي مندرس، وهو ما عفا أثره. وآل ساسان: ملوك الفرس من نسل أردشير حفيد ساسان مؤسس السلالة الساسانية. وآسى: أحزن.

(٢) التوالي: المتتالية. يريد الخطوب التي حلت بالدولة العباسية، من تحكم العناصر الأجنبية بها.

(٣) هم: أي آل ساسان. خافضون: ناعمو العيش. ويحسر: يرد البصر قليلاً. ويخسى: (مخففة الهمز بمعنى يكل ويحسر، ويؤلم. ويريد الشاعر هنا المقابلة بين هذه العبارة (خافضون) وعبارة (في ظل عال). يشير بذلك إلى بلاد فارس بحدودها، وما يكتنفها من شواقي الجبال، كما يشير إلى باب من الأبواب الذي كان في أقصى شمالي بلاد شروان، وكانت أجمل موانئ بحر قزوين. وقيل: إن أنوشروان في سنة ٦٠٠ م بنى سوراً يمتد من دريند حتى الغرب بالصخر والرصاص، وجعل عرضه ثلثمائة ذراع، وعلاه حتى ألحقه برؤوس الجبال، ثم قاده في البحر وجعل عليه باباً، ووكّل به الحراس، ولذلك يشير إلى السور في البيت التالي بـ: «مغلق بابه».

(٤) الدارة: كل أرض واسعة بين جبال. والقبق: أي جبل القوقاز، ويقال له أيضاً القبيج، فيه أمم مختلفة ولغات متعددة. وخلاط ومكس: من مدن أرمينية الوسطى.

(٥) الحلل: جمع الحلة، وهي المنازل والبسابس: القفار. والملس: التي لا نبت فيها. وهنا يقارن الشاعر بين حياة الفرس الناعمة وحياة العرب المتشقة.

(٦) المساعي: المكرمات، واحدتها المسعاة. وعنس: قبيلة قحطانية من اليمن. وعبس: قبيلة عدنانية من نجد. يريد: أنه لو لم يكن عربياً لقال إن مساعي الفرس لم تتركها قبائل العرب. وهنا يذكر فضل الفرس على العرب.

(٧) أنضاء: الواحد نضو، المهزول. اللبس: التي تلبس حقيقتها على الناظر، فلا يكاد يعرفها. وجدة الشيء: حدائته.

(٨) الإيوان بالفارسية كرمازي، فعربه، فقال جرماز، وهو بناء كان عند القصر الأبيض ثم عفا أثره. والرمس: القبر. والبنية: الشيء المبني. والإخلال: الترك والغياب، من أخل بالمكان. أي غاب عنه وتركه.

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي
وَهُوَ يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ
وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا
وَالْمَنَايَا مَوَائِلُ، وَأَنْتُوشَرُ
فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصَدٍ
وَعِرَاكَ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنْ مُشِيحٍ يَهْوِي بِعَامِلِ رُمَحٍ
تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا
يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى
قَدْ سَقَانِي وَلَمْ يُصَرِّدْ أَبُو الْغَوِ
مِنْ مُدَامٍ تَظُنُّهَا وَهِيَ نَجْمٌ

جَعَلَتْ فِيهِ مَائِئَمًا، بَعْدَ عُرْسٍ
لَا يُشَابُ الْبَيَانُ فِيهِمْ بَلْبَسٍ (١)
كَيْفَ ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ (٢)
وَأَنْ يُزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفْسِ (٣)
فَرَّ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسٍ (٤)
فِي خُفُوفٍ مِنْهُمْ وَلِغَمَاضٍ جَرَسٍ (٥)
وَمُلِيحٍ مِنَ السَّنَانِ بِتُرْسٍ (٦)
لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِمَارَةُ خُرْسٍ (٧)
تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بَلْمَسٍ (٨)
ثَ عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ شَرْبَةً خُلْسٍ (٩)
ضَوْأَ اللَّيْلِ أَوْ مُجَاجَةً شَمْسٍ (١٠)

(١) البيان: المنطق الفصيح. واللبس: الالتباس.

(٢) ارتعت: فزعت. وأنطاكية: مدينة في شمال سوريا، في الحوض الأدنى لنهر العاصي، على مقربة من مصبه وهي الآن من مدن تركيا. ويقال إن معركة وقعت بين الفرس والروم في هذه المدينة، وقد صورت هذه المعركة في الإيوان على الجدران. وقعت هذه المعركة سنة ٥٤٠ م.

(٣) يزجي: يسوق. والدرفس: العلم الكبير. وموائل: قائمات تنتظر العمل وقت الحرب.

(٤) الورس: نبات ذو صبغة حمراء. والشاعر هنا يصف الفرس الذي يمتطيه أنوشروان. ويختال: يتبختر تكبراً.

(٥) الخفوت: السكوت. والجرس: الصوت الخفي.

(٦) المشيح: المقبل إليك والمانع لما وراء ظهره، أي الحذر. والمليح: المحاذر خوفاً. وعامل الرمح: صدره، وهو مايلي السنان. والسنان: نصل الرمح. والترس: صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

(٧) تصف العين: تتخيل من دقة الصورة.

(٨) يغتلي: من الغلو أي يتجاوز الحد ويزيد. أي: يزيد شكّي في حياتهم. تتقراهم: تتبعهم، أي: أنه يلمسهم ليرى أصور مرسومة هم أم أشخاص أحياء يتحاربون.

(٩) لم يصرد: لم يقلل. وأبو الغوث: ابن الشاعر. وأراد بالخلس: شربة سريعة مختلطة. (والشربة بالفتح المرة من الشرب بالضم).

(١٠) تظنها: تحسبها. والمجاجة: الريق، عصارة كل شيء. ومجاجة الشمس: شعاعها.

وَتَرَاهَا إِذَا أَجَدْتُ سُرُوراً
أَفِرَعْتُ فِي الزُّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ
وَتَوَهَّمْتُ أَنْ كَسَرَى أَبْرُوزَ
حُلْمٍ مُطَبَّقٍ عَلَى الشُّكِّ عَيْنِي
وَكَانَ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصُّنْدِ
يُتَظَنَّى مِنَ الْكَاتِبَةِ أَنْ يَبْدُ
مُزْعِجاً بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْإِلْفِ
عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي وَيَاتِ الْ
فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّداً وَعَلَيْهِ
لَمْ يَعْبَهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيدِ
مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرُفَاتُ
لَابَسَاتٍ مِنَ الْبَيَاضِ فَمَا تُبْ

وَأَزْتِيحاً لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّي (١)
فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ
رَ مُعَاطِيٍّ وَالْبَلْهَبْدُ أَنْسِي (٢)
أَمْ أَمَانٍ غَيْرَنَ ظَنِّي وَحَدْسِي؟ (٣)
عَةِ جَوِّبٍ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جِلْسٍ (٤)
يَدُو لِعَيْنَيَّ مُصَبِّحٍ، أَوْ مُمَسِّي (٥)
عَزَّ أَوْ مُرَهَقاً بِتَطْلِيْقِ عَرَسٍ (٦)
مُشْتَرِي فِيهِ، وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسٍ (٧)
كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي (٨)
بَاجٍ وَاسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ (٩)
رُفِعْتُ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسٍ (١٠)
صَبْرٌ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بُرْسٍ (١١)

- (١) أجدت: أحدثت. والمتحسي: الذي يشرب شيئاً بعد شيء.
- (٢) البلهبد: مغني كسرى أبرويز. ومعاطي: يعاطيني الشراب، يشاريني. يُقال: كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لملك قبله ولا بعده مثلها: فرسه شبيذ، وجاريته شيرين، ومغنيه وعواده بلهبد.
- (٣) الحدس: التوهم.
- (٤) الجوب: قيل الترس. وقيل الخرق. والأرعن: الجبل ذوالرعن وهو أنف يتقدم الجبل. والجلس: الجبل العالي. فالشاعر هنا يشبه القصر بأنه لضخامته كأنه خرق أو نحت في الجبل.
- (٥) يتظنى: أي يعمل الظن فيه.
- (٦) مزعجاً: حال من فاعل يبدو في البيت السابق، أي: أن كاتبه تجعله يبدو للعين كأنه منزعج بفرقة أليفاً أو عروساً.
- (٧) المشتري: كوكب سعد. ولكن الشاعر يقول: إنه انقلب كوكب نحس بما أصاب القصر من مصائب.
- (٨) الكلكل: الصدر. والمرسي: الثابت. والتجلد: الصبر.
- (٩) بز: سلب. واستل: انتزع وأخرج كما ينتزع السيف من الغمد. والدياج: الثوب الذي مداه ولحمته حرير. والدمقس: الحرير الأبيض.
- (١٠) المشمخر: ما أشرف من بنائه. ورضوى: د. ا. و. قدس: جبل كبير بنجد. يشبه القصر في ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين.
- (١١) الغلائل: جمع الغلالة، وهي شعار يلبس تحت الثوب. والبرس: القطن.

لَيْسَ يُذَرَى: أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحِنْ
غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ
فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوِ
وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِجِينَ حَسَرَى
وَكَأَنَّ الْقِيَانَ وَسَطَ الْمَقَا
وَكَأَنَّ اللَّقَاءَ أَوَّلُ مِنْ أَمْرٍ
وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعاً
عُمِّرَتْ لِلسُّرُورِ ذَهْراً فَصَارَتْ
فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعٍ
ذَاكَ عِنْدِي وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي
غَيْرَ نَعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي
أَيَّدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قَوَاهُ
وَأَعَانُوا عَلَى كَتَائِبِ أَرْيَا

سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جَنِّ لِإِنْسٍ
يَكُ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ يَنْكَسِرُ^(١)
مَ إِذَا مَا بَلَغْتُ آخِرَ جَسِّي
مِنْ وَقُوفٍ خَلَفَ الزُّحَامِ وَخُنْسٍ^(٢)
صِيرٍ، يُرَجِّعَنَّ بَيْنَ حُورٍ وَلُعْسٍ^(٣)
سِ، وَوَشَكَ الْفِرَاقِ أَوَّلُ أَمْسٍ
طَامِعُ فِي لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خُمْسٍ^(٤)
لِلتَّعْزِي رِبَاعُهُمْ وَالتَّاسِي^(٥)
مُوقِفَاتٍ عَلَى الصُّبَابَةِ حُسٍ
بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا وَلَا الْجِنْسُ جُنْسِي
غَرَسُوا مِنْ زَكَايَهَا خَيْرَ غَرْسٍ^(٦)
بِكُمَاةٍ تَحْتَ السُّنُورِ حُمْسٍ^(٧)
طَ بَطْعِنِ عَلَى النُّحُورِ وَدَعْسٍ^(٨)

(١) النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم.

(٢) ضاحين: بارزين للشمس. وحسرى: متلهفين، وهي جمع حسير، أي: المعبي. والخُنس: المتأخرون.

(٣) القيان: الإماء المغنيات، واحدتهن قينة. والمقاصير: جمع المقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة.

والحور: ذوات الحوة وهي سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد، وهي صفة للشفاة. واللُعس: وهو سواد مستحسن في الشفاة.

(٤) يريد: أن الذي يطمع في إدراكهم لن يستطيع ذلك إلا بعد أن يقطع خمس ليال.

(٥) رباعهم: دورهم، محلاتهم، منازلهم. التعزي والتاسي: البكاء عليهم.

(٦) الزكاء: النمو.

(٧) الكمأة: جمع الكمي، وهو الشجاع، أو لابس السلاح لأنه يكمي نفسه، أي: يسترها بالدرع.

والحمس: الشجعان. والسنور: كل سلاح من حديد، ويقال: هو الدرع. يشير الشاعر هنا وفي البيت

السابق والبيت التالي إلى العون الذي قدمه الفرس في عهد أنوشروان إلى اليمنيين الذين يرجع إليهم

نسب الشاعر، فهو قحطاني، وذلك حين ساعد الفرس سيف بن ذي يزن أمام غزو الأحباش لليمن

بقيادة القائد الحبشي أرياط المذكور في البيت التالي.

(٨) الدعس: الدوس والطنن. وأرياط: القائد الحبشي الذي غزا اليمن، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب

الفيل وأبناؤه.

وَأَرَانِي، مَنْ بَعْدُ أَكْلَفُ بِالْأَشْدِّ رَافٍ طُرّاً مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَأُسِّ^(١)
- ديوان البحري ١١٥٢/٢ - ١١٦٢.

١١ - قصيدة لأبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي^(٢)
في الطرد (يصف كلباً أو كلبة)

(من السريع)
لَمَّا تَعَرَّى أَفْقُ الضِّيَاءِ مِثْلَ ابْتِسَامِ الشُّفَةِ اللَّمِيَاءِ^(٣)
وَشَمِطَتْ ذَوَائِبُ الظُّلَمَاءِ وَهَمَّ نَجْمُ اللَّيْلِ بِاخْتِفَاءِ^(٤)
قُدْنَا لِعَيْنِ الْوَحْشِ وَالظُّبَاءِ دَاهِيَةً مَحْذُورَةَ اللَّقَاءِ^(٥)
شَائِلَةً كَالْعَقَرِ السُّمَرَاءِ مُرْهَفَةً مُطْلَقَةَ الْأَخْشَاءِ^(٦)
كَمَلَّةٍ مِنْ قَلَمٍ سَوْدَاءِ أَوْ هُدْبَةٍ مِنْ طَرَفِ الرَّدَاءِ^(٧)
تَحْمِلُهَا أَجْنِحَةُ الْهَوَاءِ تَسْتَلِبُ الْخُطُوبَ بِلَا إِيْطَاءِ
تَمْشِي فَلَا تَعْتَرِفُ فِي الرَّمْضَاءِ أَسْرَعُ مِنْ جَفْنٍ إِلَى إِغْضَاءِ^(٨)

- (١) السِنْخُ: الأصل والمنبت. والاس: أصل البناء. وأكلف بالأشراف: أطلع بهم. وطراً: جميعاً.
(٢) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، ولد سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، ويوبع بالخلافة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م. بعد خلع المعتز، ولكن جند المعتز - وهم من الأتراك - قبضوا على ابن المعتز وقتلوه، وقد مكث في الخلافة يوماً وليلة. برع في الشعر، فأجاد وأحسن، وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً، وتصرفاً في سائر الأداب. يقال: إنه كان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، صنف كتباً عديدة، أهمها طبقات الشعراء، وله ديوان شعر. انظر ترجمته في: الأغاني ١٠/٢٨٦-٢٩٧. ومقدمة ديوان أشعار الأمير أبي العباس، ص ٤١-٢٠٩. ومقدمة طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٨-١٤. والأعلام ٤/١١٨.
(٣) تعرّى: تكشف، أي تلالاً، وتشقق بالضياء. واللمياء: المشربة سواداً مستحسناً.
(٤) شمطت: اختلطت سوادها ببياضها.
(٥) العين: جمع الأعين، وهو ثور يقر الوحش. والداهية: كلبة. أي ان الحيوانات تخشى لقاءه.
(٦) شائلة: مرتفعة الذنب. ومرهفة: دقيقة.
(٧) الملة: الخط الممتد. والهبة: طرف الثوب.
(٨) الرمضاء: شدة الحر. والأرض الحامية من شدة حرّ الشمس، ولعله قصد المعنى الثاني. وأغضى عينه: طبق جفنيه كي لا يرى شيئاً.

وَمُخْطَفًا مُوْتَقَّ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بِيَضَاءِ^(١)
كَأَثْرِ الشُّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجَرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بِأَذْنِ سَاقِطَةٍ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السَّوْسَنِ الشَّهْلَاءِ^(٢)
يَبْسُطُهَا فِي سَاعَةِ التَّغْدَاءِ ذَا بُرْثَنِ كَمِثْقَبِ الْحَذَاءِ^(٣)
وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةٍ الْأَقْدَاءِ صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ^(٤)
يَنْسَابُ بَيْنَ أَكْمِ الصَّخْرَاءِ مِثْلَ أَنْسِيَابِ حَيَّةِ الْأَنْقَاءِ^(٥)
آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ سِرْبَ ظَبَاءٍ رُتِعَ الْأَطْلَاءِ^(٦)
فِي عَازِبٍ مُنَوَّرٍ خَلَاءِ ضَاعَ مِنَ الرُّوَادِ وَالْجُبَاءِ^(٧)
أَحْوَى كَبْطَنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ مُسَوِّكُ الْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ^(٨)
كَأَنَّهَا ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ فَصَارَ قَبْلَ الْآيِنِ وَالْعَنَاءِ^(٩)
خَمْسِينَ لَمْ يَنْقُصَنَّ فِي الْإِحْصَاءِ وَبَاعَنَا اللَّحُومَ بِالْدُّمَاءِ^(١٠)

- ديوان أشعار الأمير أبي العباس ١٠٩/٢ - ١١٠.

(١) المخطف: الضامر. أراد كلباً، ونجده هنا قد انتقل إلى وصف كلب، يقول: إنه موثق الأعضاء، أي شديدها محكمها، لكنه يخالف الكلبة بما تجده من يقع بيضاء على جلده، وهي كآثر الشهاب في السماء.

(٢) الأرجاء: الأنحاء. والسوسن: الزنبق. والشهلاء: التي يخالط سوادها زرقة، كالعين مثلاً.

(٣) البرثن: جمعه برائن، والبرثن من السباع والطير: بمنزلة الإصبع من الإنسان. والمثقب: المخرز.

(٤) المقلة: العين.

(٥) الأكم: جمع الأكمة، التل أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً مما حوله. والأنقاء: جمع النقا، القطعة من الرمل المختلطة.

(٦) السفح: عرض الجبل. وآنس: أبصر. أي أن هذا الكلب أبصر سرب ظباء. والأطلاء: أولادها.

(٧) العازب: المرعى البعيد المزهر.

(٨) أحوى: شديد الخضرة في سواد، وهذا وصف للمرعى. والشمطاء: التي خالط بياض رأسها سواد.

(٩) الآين: التعب.

(١٠) يقول: إن هذا الكلب يصيد خمسين طريدة، قبل أن يدركه التعب.

١٢ - قصيدة أبي الطيب المتنبي^(١) في مدح
سيف الدولة الحمداني^(٢)، وتهنئته بعيد الأضحى
سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م

(من الطويل)

لَكُلِّ أَمْرِيٍّ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطُّهْنُ فِي الْعِدَا^(٣)
وَأَنْ يُكْذِبَ الْإِرْجَافُ عَنْهُ بِضْدِهِ وَيُؤْمِسِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا^(٤)

(١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، صاحب الأمثال السائرة، والحكم البالغة، والمعاني المبتكرة. وهناك من العلماء من يعدة أشهر شعراء العربية على الإطلاق. ولد بالكوفة في محلة تدعى «كندة» وإلهانسته. نشأ بالشام، ثم تنقل في البادية، ليتأدب بفصاحة أهل البدو وقال الشعر صبيّاً، وقيل: إنه اتهم وهو مقيم بينهم - في بادية السماوة، بين الكوفة والشام - فقتله كثيرون، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص، ونائب الإخشيد، فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه ثم خرج من السجن، وأخذ يمدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام، وخاصة سيف الدولة الحمداني، صاحب حلب، وكان اتصاله به سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م، ثم فارقه وذهب إلى مصر، فمدح كافوراً الإخشيدي، وطلب منه أن يوليّه فلم يفعل، فغضب منه، وانصرف عنه، وهجاه بقصيدة لاذعة - سنذكرها بعد هذه القصيدة - ثم توجه إلى العراق والتقى بالمهلي الوزير، ولم يمدحه وحاول الاتصال بمعز الدولة في بغداد، ولكنه لم يوفق في مدحه ثم توجه إلى شيراز ماراً بأرجان، فمدح ابن العميد، ثم مدح عضد الدولة بن بويه الديلمي، الذي خرج لاستقباله على حدود إمارته. وبعدئذ عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فائق بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، طمعاً في الأموال العظيمة التي يحملها، وقيل، انتقاماً منه لأنه هجا قريباً له فاقتل الفريقان وقتل المتنبي وابنه ومن كان معه، بالنعمانية، بالقرب من بغداد، سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م. وكانت ولادته سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١/١١١ - ٢٢٤. والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني. ومقدمة شرح ديوان المتنبي ٣/١ - ١٢٦. ووفيات الأعيان ١/٣٦ وما بعدها. ومعاهد التنصيص ١/٢٧ وما بعدها. والأعلام ١/١١٥. (وقد أنشد المتنبي هذه القصيدة في ميدان سيف الدولة بحلب سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م، وهما على فريستها) ..

(٢) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن، (٣٠٣-٣٥٦هـ/٩١٥-٩٦٧م)، اجتمع ببابه من شيوخ العلم ونجوم الدهر ما لم يجتمع على باب أحد من الملوك. ملك حلب سنة ٣٣٣هـ، وتوفي فيها. أخباره ووقائعه مع الروم كثيرة، وكان شاعراً محباً للعلم، مقرباً لأهل الأدب، وكان المتنبي يعجب بشخصيته وقوته وشجاعته وحروبه مع الروم انظر: يتيمة الدهر ١/١٥٠-٣٤. والأعلام ٤/٣٠٣.

(٣) يقول: كل امرئ يعمل بعبادته، وما تعودته وترى عليه، ولا يتكلفه، وعادة هذا الممدوح أن يغزو أعداءه ويقتلهم ويضعهم برمح. جعله سيفاً، ووصفه بالطعن، فكانه جعله سيفاً ورمحاً.

(٤) الأرجاف: توليد الأخبار الكاذبة، التي يكون معها اضطراب الناس. يقول: وعادته أن يكذب إرجاف=

وَرُبُّ مُرِيدٍ ضَرُّهُ ضَرُّ نَفْسِهِ وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشُ أَهْدَى وَمَا هَدَى^(١)
وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا^(٢)
هُوَ الْبَحْرُ غُصٌّ فِيهِ إِذَا كَانَ رَاكِدًا عَلَى الدَّرِّ وَاحْذَرُهُ إِذَا كَانَ مُزِيدًا^(٣)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَغْتَرُّ بِالْفَتَى وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدًا^(٤)
تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تُفَارِقُهُ هَلَكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدًا^(٥)
وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصُّوَارِمَ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُحْيِي التَّبَسُّمَ وَالْجَدَا^(٦)
ذَكِّي تَظْنِيهِ طَلِيعَةَ عَيْنِهِ يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا^(٧)
وَصُورُ إِلَى الْمُسْتَضْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا^(٨)
لِذَلِكَ سَمَى ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ مَمَاتًا وَسَمَاهُ الدُّمُسْتَقُ مَوْلِدَا^(٩)

- = عداته عنه بضد إرجافهم، فهم يرجفون بقصوره وفشله، وهو يكذبهم بوفوره. وهم ينورون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك سبب ظفره بهم، إذ يمتلك رقابهم، وأموالهم، فيصير أسعد مما كان.
- (١) يقول: ورب عدو أراد أن يضربه فضر نفسه بتحرشه به، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به، فكان الجيش غنيمة له، فكانه أهدى إليه هدية، وفضل بذلك عن القصد. فقله أهدى: من الهدية. وما هدى: من الهداية.
- (٢) يقول: ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده، فأمن وأتى بكلمة الشهادة: إما خوفاً منه، وإما ظناً بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه وكمال وصفه.
- (٣) يقول: إنه نفاع ضرار، فمن جاءه مسالماً ظفر بإحسانه، ومن جاءه مغاضباً عرض نفسه للتهلكة، مثله في ذلك مثل البحر: إذا سكن البحر أمكن ركوبه، والغوص على ما فيه من الجواهر، وإن جاش وقلف بالزبد وجب الحذر منه. أي: لا تأته وهو غضبان.
- (٤) يعثر بالفتى: يهلكه من غير قصد. يقول: إن البحر يهلك راكبه عن غير قصد وعمد، أما الممدوح فإنه يهلك أعداءه متعمداً.
- (٥) يقول: من تمرد عليه وفارقه من الملوك هلك، ومن سالمه منهم خضع له وسجد لأنه سيدهم. أي: من فارقه وخالفه هلك، ومن اتاه خضع وسجد، لأنه سيدهم جميعاً.
- (٦) الصوارم: السيوف. والقنا: الرماح. والجدا: العطاء. يقول: إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء، ثم يفنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة.
- (٧) التظني: هو التظن، قلبت النون الثانية ياء، ومعناه الظن. وطليعة الجيش: الربيعة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو. يقول: إنه من الذكاء والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه، كالطليعة تتقدم أمام الجيش، ثم أوضح فقال: يرى قلبه في يومه بظنه ما تراه عينه غداً.
- (٨) يقول: إنه يصل بخيله إلى الغايات البعيدة التي يعتذر الوصول إليها حتى لو كان قرن الشمس - وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها - ماء لبلغه وأورده خيله، شجاعة وإقداماً. وهذا مبالغة.
- (٩) لذلك: أي لأجل ما قلته في البيت السابق. ويومه: أي اليوم الذي أمر فيه. والضمير في سماه: يعود =

سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ أَمِدٍ
فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَهُ
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرَفِهِ
وَمَا طَلَبْتَ زُرُقَ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكَرَّ وَجْهَهُ
ثَلَاثاً لَقَدْ أَذْنَاكَ رَكْضَ وَأَبْعَدَا (١)
جَمِيعاً وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا (٢)
وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ مِنْكَ مُجَرِّدَا (٣)
وَلَكِنْ قُسْطَنْطِينُ كَانَ لَهُ الْفِدَا (٤)
وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدَّلَاصَ الْمُسَرِّدَا (٥)
وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرٍ أَجْرَدَا (٦)
جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا (٧)

= إلى اليوم. يقول: لكون سيف الدولة على ما وصفت من الشجاعة والإقدام وما إنيهما، لم يثن حتى أدرك الدمستق وابنه، ففر الدمستق جريحاً، وأخذ ابنه أسيراً، ومن ثم سمي الابن ذلك اليوم مماتاً، لأنه وقد أسرى فيه من الحياة، وسمى أبوه هذا اليوم مولداً لأنه نجاه فيه من أظفار المنية، فصار كيوم ولدته أمه. فكان ذلك اليوم مماتاً للابن، وحياة للأب.

- (١) جيحان: نهر ببلاد الروم. وأمد: بلد بالثغور. يقول: بلغت جيحان من أمد في ثلاث ليال - وهي مسافة بعيدة لا تقطع في مثل هذه المدة، وبذلك أدناك، أي: قربك، الركض من جيحان، وأبعدك عن أمد. أي: أنك وصلت إلى هذا النهر من أمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد.
- (٢) يقول: فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك، ولم يك ذلك إعطاء منه، يبتغي أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهراً وعجزاً، لا اختياراً.
- (٣) عرضت: ظهرت واعترضت. والطرف: العين. يقول: لما رأيك، كنت قيد عينه لعظمتك في نفسه فشغلته بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك. وحلت بذلك بينه وبين الحياة، فصار في حكم الميت في تخاذل الحواس، لأنه أيقن هلاكه، ورأى منك سيف الله مشهوراً مجرداً عليه.
- (٤) الأسنة: نصال الرماح، وقسطنطين: هو ابن الدمستق. يقول: إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق، ولكن ابنه كان قداه له، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه، فانهزم الدمستق ذلك ونجا بنفسه.
- (٥) المسوح: ثياب تنسج من الشعر. وينجابها: يقطعها ويدخل فيها. والدلاص: الدرع البراقة الصافية. والمسرود: المنظوم المنسوج بعضه في بعض. يقول: إنه ترك الحرب خوفاً منك، وترهب، ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع.
- (٦) العكاز: عصا في طرفها زج. يقول: وصار يمشي في دير الرهبان على العكاز تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الخيل السريع - لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الخيل - بعد أن يش ونال منه الهم. والأجرد: الفرس القصير الشعر.
- (٧) النقع: غبار الحوافر. وغادر: ترك. والكر: عطف القرن (أي الخصم) على قرنه في الحرب. يقول: إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كَرَّ الفرسان - في الطعن والضرب - ووجهه جريحاً، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش، يعني: أنه اضطر إلى ذلك لكثرة ما أصابه من الجراح...

فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلَيَّ تَرْهَبُ تَرْهَبَتِ الْأَمْلاَكُ مَتْنِي وَمَوْحَدًا^(١)
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَهَا يَعِدُ لَهُ ثَوْبًا مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَدًا^(٢)
هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدُ لِمَنْ سَمَى وَضَحَى وَعِيدًا^(٣)
وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِبَسِّكَ بَعْدَهُ تُسَلِّمُ مَخْرُوقًا وَتُعْطِي مُجَدِّدًا^(٤)
فَإِذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا^(٥)
هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا^(٦)
فِيَا عَجَبًا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفَرَتِي مَا تَقْلُدَا^(٧)

- (١) الأملاك: الملوك. يقول: إن ترهبه هذا، لا ينجيه من سيف الدولة، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت الملوك اثنين اثنين وواحدًا واحدًا.
- (٢) بعدها: أي بعد فعلة المستق. يقول: لو كان ينجي من علي ترهب لكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه.
- (٣) سمي: أي ذكر اسم الله، يعني عند ذبح الضحايا. يقول: العيد فرح يعود على الناس، يفرحون به، وأنت عيد لكل الناس يفرحون بسلامتك، وكذلك العيد يفرح بوصوله إليك، فانت عيده، أي: تحل فيه محل العيد، وأنت عيد: أي فرح لكل من سمي الله، يريد ذكر الله في الإحرام، وذبح أضحيته.
- (٤) اللبس: ما يلبس، استعاره للأعياد، فأجراها مجرى الملابس. وقد سمي العيد عيداً، لأنه يعود كل سنة بفرح مجدّد، والعيد: ما اعتادك من هم أو شوق أو فرح. يقول: لا زلت تلبس الأعياد المتكررة عليك في الأعوام، فإذا مضى عيد جاءك بعده عيد جديد، فصار الماضي خلقاً، والقادم جديداً. ولما ذكر اللبس: استعار له الخلق والجديد.
- (٥) لقد خصّ العيد وحده - دون الأيام - بما ذكر من الشرف، وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها كذلك؛ لأن جميعها مشتمل عليه، ثم قيل: إن العيد قد اجتمع فيه أمران: أحدهما اشتتاله على سيف الدولة - وهو الأظهر - والآخر كونه عيداً، فصار له مزية على غيره مما ليس بعيد. وقيل: ويجوز أن يقال: إنها جعله في الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام.
- (٦) هو: ضمير الشأن. والجد: الحظ والبخت. يقول: إن الجد له فعله حتى في المتساوين، مثل العين والعين، واليوم واليوم: فترى العينين تتفاضلان، فتصبح إحداهما، وتسقم الأخرى، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة، وترى اليوم يسود اليوم، وكلاهما ضوء الشمس. يعني: أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة، ولكن الجد مازة من سائر الأيام فجعله يوم فرح وسرور.
- (٧) الدائل: صاحب الدولة، يريد الخليفة. وشفرتا السيف: حده. يقول: أما يخشى الخليفة - وقد تقلدك سيفاً له - أن تكون سيفاً عليه، فلا يأمن جانبك؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذي خفي سببه.

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ بَازًا لَصَيْدِهِ
رَأَيْتُكَ مَخْضَ الْحِلْمِ فِي مَخْضِ قُدْرَةٍ
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعُلَا
وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ
أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَادِ عَنِّي بِكَيْبَتِهِمْ
تَصَيَّدَهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا^(١)
وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنْدَا^(٢)
وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا^(٣)
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا^(٤)
مُضِرُّ كَوْضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^(٥)
كَمَا فُقَّتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتَدَا^(٦)
فَيَتْرُكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخِذُ مَا بَدَا^(٧)
فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا^(٨)

(١) الضرغام: الأسد. يقول: من اتخذ الأسد بازاً يصيد به أتى عليه الأسد فصاده، وقد ضرب هذا مثلاً للمعنى السابق، يعني: أنك فوق من تضاف إليه.

(٢) المهند: السيف. يقول: رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز ولا تقصير، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم.

(٣) الحر: الكريم، ضد اللئيم. ومن لك بالحر: أي من يتكفل لك به نحوه. واليد: النعمة. ويحفظ: أي يقدر العفو عنه، يقول: إن العفو عن الكرام قتل لهم. فمن صفح عن حرٍ استرقه بهذا الصفح، فيذل له وينقاد. ثم قال: ومن يتكفل لك بالكريم الذي يحفظ النعمة ويراعي حقها؟

(٤) هذا البيت تأكيد لما سبقه، يقول: إن الكريم يعرف قدر الإكرام، فيصير كالمملوك لك إذا أكرمته، واللئيم إذا أكرمته يزيد عتواً وجراءة عليك.

(٥) يقول: ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق، فمن استحق العطاء، لم يستعمل معه السيف. ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء، ومن فعل هذا أضر بعلاءه وهدم أركان دولته.

(٦) المحتد: الأصل. والمنصويات في البيت: تمييز. يقول: أنت أعرف بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان، لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة، كما أنك فوقهم بالحال: إذا كنت أميراً، وبالنفس: إذا كنت أعلاهم همة، وبالأصل: إذا كنت من أصل شريف.

(٧) بدا: ظهر. يقول: إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه، فهي تتناول ما ظهر لها منه، فتجول فيه وتترك ما خفي منه لرأيك، لأنه لا تصل إليه، وتقف دونه - يشير إلى تصرفاته مع الخليفة، وهذا المعنى هو الأظهر والأنسب بما تقدم هذا البيت من الأبيات. وقد فسره البعض: إن ما تبتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها، ويتركون ما خفي. وقال البعض الآخر: إن المقتدين بسيف الدولة في المكارم، يأخذون ويتركون ما خفي.

(٨) الكبت: الإذلال. يقول: أنت الذي غمرتني بنعمك حتى صرت محسوداً، ونجم لي حساداً يحسدونني ويقصدونني بالسوء، فاكفني شرهم بإذلالهم ورد كيدهم في نحورهم، وإعراضك عنهم.

إذا شَدَّ زِنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتُ بِنَصْلِ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغَمَّداً (١)
وَمَا أَنَا إِلَّا سَمَهْرِي حَمَلْتُهُ فَزَيْنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدِّداً (٢)
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوءَاةٍ فَلَا يَدِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً (٣)
فَسَارَ بِهِ مِنْ لَا يَسِيرُ مُشَمَّراً وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُغَرِّداً (٤)
أَجْزَنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْراً فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدِّداً (٥)
وَدَغَ كُلُّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَأَنْتِي أُنَا الصَّائِحُ الْمُحْكِي وَالْآخِرُ الصَّدَى (٦)
تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسَجَداً (٧)
وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا (٨)

(١) الهام: الرؤوس . يقول: إذا قَوَّى ساعدي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي، بَانَ أَنْتَ مِنْكَ إِعْرَاضاً عَنْهُمْ، كَانَ ذَلِكَ خِذْلَاناً لَهُمْ، فَلَوْ ضَرَبْتَهُمْ إِذْ ذَاكَ بِسِيفِي وَهُوَ فِي غَمْلِهِ لَقَطَعَ وَأَصَمَى. هذا على رواية «رَأْيِكَ فِيهِمْ». أما على الرواية التي أثبتناها، فالمعنى: أَنْتَ إِذَا كُنْتَ حَسَنَ الرَّأْيِ فِي. فما أَبَالِي بِالْحَسَادِ، وَالْقَلِيلِ مِنْ إِنْكَارِكَ عَلَيْهِمْ يَكْفِينِي، وَيُرَوِّى: «بِسِيفٍ» بدلاً من: «بِنَصْلِ».

(٢) السمهري: الرمح. ومعروضا: أي محمولا بالعرض، وذلك يكون حين لا يقصد به الطعن. ومسددا: مرجها إلى المطعون. يقول: أنا زين لك في السلم. أمدحك وأشيد بذكرك، وشجى لا ينتزع في حلوق أعدائك، أذود عنك وأنافع بلساني، وأكيد أعداءك بقوارع لساني، فأنا لك كالرمح: إن حملته بالعرض كان زينا لك، أي زانك. وإن حملته مسدداً راع أعداءك.

(٣) جعل شعره في حسنه كالقلائد التي يتقلد بها. يقول: إن الدهر من روعة شعري، لأن الناس جميعاً يروونه ويتناشدونه في كل وقت، فكان الدهر كله إنسان يشد شعري.

(٤) التغريد: رفع الصوت للتطريب. يقول: إن شعري ينشط الكسلان إذا سمعه، فيصير على سماع شعري مُجَدِّداً مُشَمَّراً، وإذا سمعه من لا يغني استراح إليه وطرب، وغني به مغرداً. والمراد: أن شعره سار في الأفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من روعة الشعر.

(٥) يقول: إذا أنشدك شاعر شعراً، فأجعل جائزته لي؛ لأن الذي أنشدت إنما هو شعري، أذاك به المادحون يرددونه عليك. يعني: أنهم يسلبون معاني أشعاري فيك، ويأخذون ألفاظي فيأتون بها اليك.

(٦) الصدى: الصوت الذي يعجبك من الجبل وغيره، كأنه يحكي قولك وصياحك، وهذا مثل. يقول: لا تحفل بشعر غير شعري، فإن شعري هو الأصل، وغيري كالصدى له. وفي رواية: «أنا الطائر».

(٧) السرى: سير الليل. والمسجد: الذهب. يقول: لقد أثريت بما توالي علي من نعمائك، حتى لو شئت لاتخذت لخيلي نعال الذهب، ومن ثم تركت السير إليك لغيري من المعوزين المقترين، ليسيروا إليك كما سرت، ويحفظوا كما حظيت.

(٨) في ذراك: في كفك. يقول: إنما أقمت عندك حباً لك. لأنك قيدتني بإحسانك.

إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغِنَى . وَكَنتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْتِكَ مَوْعِدًا^(١)

- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري ٢٨١/١ - ٢٩٢ .

- شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي ٣/٢ - ١٥ .

١٣ - قصيدة المتنبي^(٢) في هجاء كافور الإخشيدي^(٣)

سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م

(من البسيط)

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ^(٤)

(١) يقول: إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه، وكنت بعيداً عنه، وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك. أي: الدهر يحيل عليك، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه باتيانك.

(٢) قلنا إن المتنبي قدم مصر سنة ٣٤٦ هـ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة، حتى بارحها في ذي الحجة سنة ٣٥٠ هـ، وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته: (من الطويل) (شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي ٤٠٧/٤).

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنيا أن يكن أمانياً
وختم مدائحه بقصيدة أنشدها سنة ٣٤٩ هـ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلاث سنين، مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين، فيها كلها سبعون وثلاثمائة بيت، وهو ربع ما مدح به سيف الدولة. وكانت بغية أبي الطيب المتنبي من ذهابه إلى أبي المسك كافور، أن يقطعه ضيعة أو إمارة، ولكن أمله تبخر، ورجاءه خاب، عزم على الرحيل، وقد صرح بشعره عن هذا، لكن كافور منعه من ذلك طمعاً في مدحه، وخوفاً من هجائه، إلا أن المتنبي، صمم على الرحيل، وفي ليلة عيد الأضحى - يوم عرفة - قبل مسيره من مصر بيوم واحد، نظم الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة - التي نحن بصدد مدحها - وقد هجا فيها كافوراً هجاءً مرّاً، وعرض بإمساكه إياه عن الرحيل. وقد انتهز أبو الطيب غفلة كافور، وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن، وهم بأخذ طريقه التي يبت سلوكها، ولا ريب في أن كافوراً ثار لما بلغت القصيدة، وما كان منه إلا أن تبع الشاعر بالخيال والفرسان، وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطريق. وقد استطاع المتنبي الوصول إلى الكوفة. (انظر شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٤٦/١ - ٥٧).

(٣) كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك (٢٩٢ - ٣٥٧ هـ / ٩٠٥ - ٩٦٨ م): الأمير المشهور، كان عبداً حبشياً، اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فنسب إليه واعتقه، فترقى عنده، وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ هـ، وكان فطناً ذكياً حسن السياسة، وكانت مدة إمارته على مصر ٢٢ سنة، تولاها مستقلاً سنتين وأربعة أشهر، وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام إلى أن توفي بالقاهرة وحمل تابوته إلى القدس، فدفن فيها. انظر: وفيات الأعيان ٤٣١/١. والنجوم الزاهرة ١/٤ وما بعدها. وتاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩، ٢٩٢. والأعلام ٥/٢١٦.

(٤) عيد: خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا عيد. يقول: هذا اليوم الذي أنا فيه عيد، ثم أقبل يخاطب العيد، =

أَمَّا الْأَجْبَةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ
لَوْلَا الْعُلَى لَمْ تَجُبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةً
لَمْ يَتْرُكْ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي
يَا سَاقِيَّ: أَخْمَرُ فِي كُثُوسِكُمَا؟
أَصْحَرَةُ أَنَا؟ مَالِي لَا تُغَيِّرُنِي
إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ الْخَمْرِ صَافِيَةً
فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدًا^(١)
وَجَنَاءَ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءَ قَيْدُودَ^(٢)
أَشْبَاهَ رَوْنَقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ^(٣)
شَيْئًا تُتِيْمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ^(٤)
أَمْ فِي كُثُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ؟^(٥)
هَٰذِي الْمُدَامَ وَلَا هَٰذِي الْأَغَارِيدُ^(٦)
وَجَدْتُهَا وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ^(٧)

= فقال: يا عيد بأية حال عدت؟ أي مع أية حال عدت؟ ثم فسر الحال فقال: بما مضى أمر بأمر مجدداً؟ أي: هل تجلد لي حالة سوى ما مضى، أم بالحال التي أعهد؟

(١) البيداء: الفلاة، جمعها: بيد، لأنها تبيد من يسلكها. يتأسف الشاعر على بعد أحبته عنه، فيقول: أما الأجنة فبعيديون عني، فليتك أيها العيد كنت بعيداً عني، وكان ما بيني وبينك من البعد ضعف ما بيني وبين الأجنة، يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأجنة.

(٢) نجوب: تقطع. وأجوب: أقطع، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (الآية رقم ٩ سورة الفجر) والوجناء: الناقة العظيمة الوجنات. وقيل: الغليظة الخلق، مأخوذة من الوجين، وهو الغليظ، وهي أيضاً الأرض الصلبة أو الحجارة. والضمير في بها: للوجناء. والحرف: الضامرة. والجرعاء: الفرس القصير الشعر. والقيدود: الطويلة، يقول: لولا طلب المعالي لم أفارق أحبتي. ولم تقطع بي الفلاة ناقة ولا فرس. وجعلها تجوب به لأنها تسير به، وهو أيضاً يجوب بها الفلاة.

(٣) الغيد: جمع الغيداء، وهي المثنية ليناً. والأماليد: الناعمات المستويات القامات، والغلام: الأملود، والجارية: الأملودة. والأملود في الأصل: الغصن الناعم. يقول: لولا طلب العلا لما اخترت مضاجعة السيف، وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف في بياض بشرتهن ونقاها. وقوله مضاجعة، يروى معانقة، وهو تمييز.

(٤) تيمه الحب: عبده وذلك. والجيد: العنق. يقول: إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل، وتجرد للجد والتشمير.

(٥) يقول لساقيه: أخمر ما سقيتماني أم همّ وسهاد؟ (والسهاد: الأرق)، فلا يزيدني ما أشر به إلا الهمّ، ولا يُسَلِّئُ همي، ذلك لبعده عن الأجنة، فهو لا يطرب على الشراب، أو لأن الخمر لا تؤثر فيه لوفور عقله.

(٦) المدام والمدامة: الخمر. والأغاريد: صوت الغناء، والغرد: التطريب بالصوت والغناء. يتعجب من حاله، ويقول: إن الخمر والغناء لا يطرباني ولا يؤثران في، حتى كأنني صخرة يابسة، لا يؤثر فيها السماع والشراب.

(٧) صافية: حال من الكمية. والكميت من أسماء الخمر، لما فيها من سواد وحمرة. وأصل الكمية: الأحمر فيه سواد، يوصف به المذكر والمؤنث. يريد خمرأ كميته اللون. يقول: الخمر لا تطيب إلا مع=

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مَحْسُودٌ؟^(١)
أَمْسَيْتُ أَرْوَاحَ مُثَرِّ خَازِنَا وَيداً أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ^(٢)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَعِيفُهُمْ عَنِ الْقَرْيِ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ^(٣)
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْيَدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ، فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ^(٤)
مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْساً مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ^(٥)
أَكْلُمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ^(٦)

= الحبيب، وحبيبي بعيد عني، فليس يسوغ لي الخمر. يريد: إذا طلبت الخمر وجدتها، وإذا طلبت حبيبي لم أجده، يتشوق إلى أهله وأحبته. وقال أبو الفتح بن جني: حبيب القلب عنده المجد، وإذا تشاغل بشرب الخمر، فقد المعالي، ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس أهله، لبعده عنهم.

(١) أعجبها: الضمير عائد على الدنيا. يشكو الشاعر ما لقيه من تصاريق الدهر، ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أنني محسود بما أشكوه - يعني انتجاعه كافوراً وانقطاعه إليه - يريد أن الشعراء يحسدونه على كافور، وهو علة شكاته وبكائه، أي: هو بك بما يلقي من كافور وبخله. وهذا مأخوذ من قول الحكيم: استبصار العقلاء ضد لثماني الجهلاء. فالجاهل يحسد العاقل على ما يبكيه، فالحال التي يبكي العاقل منها يحسده الجاهل عليها.

(٢) نصب خازناً ويداً على التمييز. وأروح: من الراحة. والمثري: الغني. والثراء: المال. يقول: إنني من الأغنياء ذوي الثراء. ولكن خازني ويدي في راحة من تعب حفظ المال، لأن أموالني إنما هي مواعيد كافور، وهي أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدي وخازني. وهذا من قول الحكيم: لا غنى لمن ملكه الطمع، واستولت عليه الأمانى.

(٣) القرى: قرى الضيف، وهو الإحسان إليه. ومحدود: ممنوع، تقول: حددت فلاناً عن الشر: أي منعته. يريد: أنهم كذابون فيما يعدون، ولا يحسنون إلى ضيفهم، ولا يمكنونه من الرحيل عنهم.

(٤) يقول: إن هؤلاء الكذابين إنما يجوهون بالمواعيد، ولا يجوهون بالمال على خلاف المعهود، فإن الأجواد إنما جودهم بالمعطاء، ثم دعا عليهم فقال: لا كانوا ولا كان جودهم.

(٥) يقول: الموت يستقلر نفوسهم، أي: أن أرواحهم من التثن والقذارة حسة ولؤماً، بحيث إذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة.

(٦) اغتاله: قتله غيلة، واخذه على غفلة. يشير إلى ما فعله كافور بالإخشيد وقتله إياه واستقلاله بملك مصر=

صَارَ الْخَصِيَّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدُ مَغْبُودٌ^(١)
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِيهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفَنَّى الْعِنَاقِيدُ^(٢)
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودٌ^(٣)
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبْدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ^(٤)
 مَا كُنْتُ أَحْسِبُنِي أَبْقَى إِلَى زَمَنِ يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودٌ^(٥)
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ قُتِلُوا وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودٌ^(٦)

= بعد. يقول: أكلنا أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر، وملكه أهلوها عليهم، وانقادوا له وأطاعوه. وهذا استفهام إنكار: أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا.

(١) الأبق: الهارب من سيده. ومستعبد: مذل. ومعبود: مطاع. يقول: إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافر عندنا وأحسن إليه لأنه مثله في الخيانة والتمرد علي سيده، فهو إمام الآبقين.

(٢) النواطير: جمع الناطر، وهو الذي يحفظ الكرم والنخل. ويروى: النواطير بالطاء المهملة، جمع الناطور. ويقال: النواطير بالطاء المهملة غير عربية، إنما هي نبطية، والطاء المعجمة عربية. والمراد بنواطير مصر: ساداتها وأشرافها. والمراد بثعالبيها: عبيدها وأرذالها. وبالعناقيد: الأموال. وبشم فلان: أخذته تخمة ونقل من كثرة الأكل. يقول: لقد غفلت سادات مصر عن أرذالها حتى عاثوا في أموال الناس، وأكلوا فوق الشبع. ثم قال: وما تفنى العناقيد: يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال، وأنهم كلما نهبوا شيئاً جدد لهم غيره، فلا ينفكون يطلبون المزيد.

(٣) المعنى: الحر: لا يؤاخي العبد، لبعد ما بينهما من الأخلاق. يريد: أن كافوراً وإن أظهر له الرد فليس له مصاف مخلص.

(٤) المناكيد: جمع المنكود، وهو قليل الخير. يقول: العبد لا يعمل معه الإحسان، ولا يصلح لك إلا بالضرب لسوء خلفه، فلا يجيء إلا على الهوان، لا على الإحسان. وهذا من قول بشار: «الحرُّ يلحى والعصا للعبد». أي أن الحر يلام ويعاب. وقال الحكم بن عبدل من أبيات الحماسة:

وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يَرْضِيكَ شَيْئاً إِلَّا إِذَا زَهَبَا
 مِثْلُ الْجَمَارِ الْمَوْقِعِ الظُّهْرِ لَا يُحْسِنُ مَشْيَاً إِلَّا إِذَا ضُرِبَا
 الموقع الظهر: الذي به آثار الدبر، وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة.

(٥) أحسبني: أي أحسب نفسي. ويقال: أساء به وأساء إليه. ويجوز أن يكون يسيء بي على معنى يهزأ بي ويسخر مني، فعندها بالباء على المعنى، لا على اللفظ. يقول: ما كنت أظن أجلى يمتد بي إلى زمن يسيء إليّ فيه شرّ الخليقة، وأراني مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى.

(٦) كناه بأبي البيضاء سخرية منه. يقول: ولم أتوهم أن الكرام قتلوا حتى خلت البلاد لمن شاءها، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيته على عرش مصر.

وَأَنْ ذَا الْأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ
 جَوْعَانٌ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي
 إِنَّ آمَرًا أَمَةً حُبْلَى تُدْبِرُهُ
 وَيَلْمُهَا خُطَّةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا
 وَعِنْدَهَا لَسَدٌ طَعَمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ
 مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً
 أَمْ أَذْنُهُ فِي يَدِ النَّحَّاسِ دَائِمَةً
 تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ^(١)
 لِكَيْ يُقَالَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ^(٢)
 لِمُسْتَضَامٍ سَخِينُ الْعَيْنِ مَقْوُودُ^(٣)
 لِمِثْلِهَا خَلَقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقَوْدُ^(٤)
 إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قَنَدِيدُ^(٥)
 أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ؟^(٦)
 أَمْ قَدَرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِينِ مَرْدُودُ^(٧)

(١) العضاريط: جمع العضروط، وهو الذي يخدم الناس بطعام بطنه. والرعيد: الجبان، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له في عظم مشافره بالبعير الذي يثقب للزمام، والمشفر - في الأصل - شفة البعير. يقول: ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر يستغوي هؤلاء اللثام الأنذال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه. يريد: بوصفهم بالعضاريط الرعايد تقيعهم على طاعتهم إياه، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك.

(٢) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه لا تسخو نفسه بشيء. وقوله يأكل من زادي: له وجهان: أحدهما: أن المتنبئ أتاه بهدايا وألطف ولم يكافئه عنها. والآخر: أن المتنبئ كان يأكل من خالص ماله عنده، وينفق على نفسه مما حملة، وهو يمنعه من الارتحال، فكانه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئاً، ومنعه من الطلب. وقيل في معنى البيت: كان الأسود، أي: كافور قد جمع له شيئاً من غلبانه وخدمته ثم أخذه لنفسه، ولم يعطه شيئاً. يقول: هو يمسكني عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس: إنه عظيم القدر يقصده المتنبئ مادحاً.

(٣) المقوود: الذي لا فؤاد له، وهو أيضاً الذي أصابه داء في فؤاده. والمستضام: الذي قد ناله الضيم، وهو اللذل والظلم. وسخين العين: محزون. جعل الأسود أمة لفقدانه صفات الرجال، لأنه خصي، وجعله حبلى لعظم بطنه، وهذا تعريض.

(٤) ويلمها: كلمة تقال عند التعجب، وأصلها: وي لأمرها، ثم حذفت الهمزة، واللام تكسر على الأصل، وتضم على حذف حركتها، وينصب ما بعدها على التمييز. والخطبة: الأمر والشأن. والمهرية: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، بطن من قضاة تنسب إليه الإبل. والقود: الطوال الظهور والأعناق. يقول: ما أعجب هذه الحال، وما أعجب من يقبلها، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها.

(٥) القنديد: عصارة قصب السكر إذا جمد، والخمر، يقول: عند هذه الحال - طاعة الأسود والنزول على حكمه - يستلذ طعم الموت؛ لأن الموت أيسر من ذلك الذلل. ولذ الشيء: وجده لذياً.

(٦) البيض هنا: الكرام. أي: بيض الأعراض. والصيد: الملوك ذوو الكبرياء، والمفرد الأصيل. يقول: من أين لهذا الأسود مكرمة؟ أمن قومه الكرام، أم من آبائه الملوك العظماء؟ ليست له عراقة في الملك، إنما هو دخيل فيه.

(٧) النحاس: بياع الرقيق. والفلس: قطعة مضرورية من النحاس يتعامل بها. ودامية: حال. وبالفلسين: =

أُولَى اللُّثَامِ كُؤَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ الْعَذْرِ تَفْنِيدٌ^(١)
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ السِّبْضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ^(٢)

- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري ٣٩/٢ - ٤٦ .

- شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي ١٣٩/٢ - ١٤٨ .

١٤ - قصيدة لأبي فراس الحمداني^(٣) يخاطب

فيها حمامة باكية نائحة^(٤)

(من الطويل)

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ: أَيَا جَارَتَا، هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟

= متعلق بمردود. وأذنه - بسكون الذال، وضمها - لفتان. يقول: إنه مملوك اشترى بثمان، إن زيد عليه قدر فلسين لم يُشتر لخسته، وسوء خلقه. وقبح منظره. وهذا غاية في التحقير لشأنه.

(١) التفتيد: اللوم وتضعيف الرأي. وكؤيفير: تصغير كافور، والمراد: التحقير. يقول: هو أولى اللثام بأن يعذر على لؤمه لخبت أصله وخسة قدره وعجزه عن المكارم. وهذا العذر لوم له وهجاء، وتوبيخ على الحقيقة. وقد صرح بعذره في البيت التالي.

(٢) يقول: إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل، فكيف يقدر عليه اللثام؟ يقال: إنه عَرَضَ في المصراع الأول بغيره من الملوك. ويقصد سيف الدولة.

(٣) أبو فراس: هو الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، ابن عم ناصر الدولة - صاحب الموصل - وسيف الدولة - صاحب حلب - ابني حمدان، وكان أبو فراس فرد دهره، وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً، وبلاغاً وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور، سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعلوية والفخامة والحلاوة، وكان الصاحب بن عباد يقول: بديء الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس، وأبا فراس. . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامي جانبه، فلا يتبري لمباراته، وإنما لم يمدحه، ومدح من دونه من آل حمدان تهيئاً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً. وكان سيف الدولة يعجب بمحاسنه، ويميزه بالإكرام على سائر قومه، ويستصحبه في غزواته، ويستخلفه في أعماله. قلده منبجاً (بين حلب والفرات) وحران وأعمالها، فكان يسكن منبجاً، ويتنقل في بلاد الشام. وقع أسيراً في أيدي الروم، في بعض الوقائع، وهو جريح قد أصابه سهم، بقي نصله في فخذ، ونقلته إلى خرشنة، ثم منها إلى قسطنطينية، وذلك في سنة ٣٤٨ هـ/ ٩٥٩ م، وفداه سيف الدولة في سنة ٣٥٥ هـ/ ٩٦٥ م. وله في الأسر أشعار كثيرة عرفت بالروميات. ولد سنة ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م، ومات قتيلاً سنة ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ٣٥/١ - ٨٨. ووفيات الأعيان ٥٨/٢ - ٦٤. والعمدة ١٩٥/١، ٢١٤، ٥٦٠. والأعلام ١٥٥/٢.

(٤) يقال إن الشاعر سمع حمامة، وهو في الأسر، تنوح على شجرة فقال يخاطبها، وكما تلاحظ فإن هذه القصيدة تعبر عن الشعور بالغربة، والحنين إلى الوطن والأهل والأحبة، إلى جانب الشعور بالضعف. لكنه لم يستسلم ولم ييأس رغم كل هذه الظروف.

مَعَاذَ الْهَوَىٰ! مَا دُقْتَ طَارِقَةَ النَّوَى
أَتَحْمِلُ مَحْزُونََ الْفُؤَادِ قَرَادِمَ
أَيَّا جَارَتَا، مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا!
تَعَالَى تَرَى رُوحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً،
أَيْضَحُكَ مَأْسُورٌ، وَتَبْكِي طَلِيقَةً،
لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَى مِنْكَ بِالدَّمْعِ مُقَلَّةً،
وَلَا خَطَرْتُ مِنْكَ الْهُمُومُ يَبَالِ! ^(١)
عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالٍ؟ ^(٢)
تَعَالَى أَقَاسِمُكَ الْهُمُومُ، تَعَالَى! ^(٣)
تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذِّبُ بَالِ! ^(٤)
وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ، وَيَنْدُبُ سَالٍ؟ ^(٥)
وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالٍ! ^(٦)

- ديوان أبي فراس الحمداني، ص ٢٣٨.

١٥ - قصيدة لأبي فراس نظمها في الأسر ^(٧)

وهي من روميته

(من الطويل)

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيَمَتَكَ الصَّبْرُ، أَمَّا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ؟
بَلَى، أَنَا مُشْتَاقٌ، وَعِنْدِي لَوَعَةٌ، وَلَكِنَّ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرٌّ!
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطَتْ يَدَ الْهَوَى وَأَذَلَّتْ دَمْعاً مِنْ خِلَاتِقِهِ الْكِبْرُ ^(٨)
تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي إِذَا هِيَ أَذَكَّتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ ^(٩)

(١) المعاذ: الملجأ. وقوله: معاذ الهوى: أي أعصم الهوى منك وأحفظه.

(٢) القوادم: جمع القادة، وهي كبار الريش في جناح الطائر. قيل إنها عشر ريشات. والنأي: البعد.

(٣) جعل الحمامة تشاركه الهموم وتقاسمه إياها.

(٤) تردد: أصلها تتردد، حذف التاء للتخفيف، وإقامة الوزن.

(٥) في البيت طباق بين: الضحك والبكاء. والسكوت والندب. وبين المأسور والطلق. والمحزون والسالي.

(٦) أولى: أحق. والمقلة: العين.

(٧) نظم الشاعر هذه القصيدة وهو في الأسر. وهي إحدى روميته، ولا نجد لأي منها باعثاً أو مناسبة، وعلى كل حال فإنها تمثل واقعه النفسي، وتعبر عن قوته وشجاعته، تعبر عن صبره في مصيبتيه، ونستشف منها أمله في الحرية. . . ويبدأ قصيدته بذكر إنيائه وعزته، وعذابه ولوعته. .

(٨) أضواني: أضعفني. ومن خلاتقه: من صفاته.

(٩) الجوانح: أوائل الضلوع تحت الترائب. وأذكتها: أشعلتها. والصبابة: الشوق. وهنا يدل على عظم الشوق.

مُعَلِّلَتِي بِالْوَصْلِ، وَالْمَوْتُ حُوتُهُ،
حَفِظْتُ وَضِيعَتِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفُ
بَنَفْسِي مِنَ الْعَادِينَ فِي الْحَيِّ غَاذَةً
تَرُوعُ إِلَى الْوَاشِينَ فِي، وَإِنْ لِي
بِدَوْتُ، وَأَهْلِي حَاضِرُونَ، لِأَنِّي
وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ، وَإِنَّهُمْ
فَإِنْ يَكُ مَا قَالَ الْوُشَاءُ وَلَمْ يَكُنْ
وَفَيْتُ، وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ،
وَقُورٌ، وَرِيْعَانُ الصَّبَا يَسْتَفْرِزُهَا؛
تُسَائِلُنِي: مَنْ أَنْتَ؟ وَهِيَ عَلِيْمَةٌ،
فَقُلْتُ كَمَا شَاءْتُ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى:
فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ شِئْتَ لَمْ تَتَّعَنْتِي،
فَقَالَتْ: لَقَدْ أَرَزَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا،
وَمَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ، لَوْلَاكِ، مَسْلَكَ

إِذَا مِتَّ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ! ^(١)
وَأَحْسَنَ، مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لَكَ، الْعَذْرُ
لْأَحْرُفِهَا، مِنْ كَفَّ كَاتِبِهَا، بَشْرُ ^(٢)
هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ، وَبَهَجْتُهَا عَذْرُ
لَاذْنًا بِهَا، عَنْ كُلِّ وَاشِيَةٍ، وَقُرُ ^(٣)
أَرَى أَنْ دَارًا، لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا، قَفْرُ ^(٤)
وَإِيَّايَ، لَوْلَا حُبُّكَ، الْمَاءُ وَالْخَمْرُ
فَقَدْ يَهْدِمُ الْإِيمَانَ مَا شَيْدَ الْكُفْرِ
لِإِنْسَانَةٍ فِي الْحَيِّ شِيَمَتُهَا الْعَذْرُ ^(٥)
فَتَارُنُ، أحيانًا، كَمَا أَرِنَ الْمُهْرُ ^(٦)
وَهَلْ بَفَتَى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ؟
قَتِيلُكِ! قَالَتْ: أَبَهُمْ؟ فَهُمْ كَثُرُ
وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكَ بِي خُبْرُ ^(٧)
فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ
إِلَى الْقَلْبِ؛ لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلَى جَسْرُ

* * *

أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى الْوَعَى، وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ، وَلَا رَبُّهُ غَمْرُ ^(٨)

(١) معلّتي: مطمعتي. والوصل: اللقاء. وهنا يدلل على حرمانه.

(٢) الصحائف: جمع الصحيفة، وهي الكتاب أو القوطاس. وأراد بالبشر: المحور.

(٣) تروغ: تميل سرًا، أي تكذب. والواشين: الحاسدين. وقرت أذنه: ثقلت أو ذهب سمعه كله وضئت.

(٤) القفر: الخالية.

(٥) يبدأ بوصف حبيته.

(٦) وقور: أي هي وقور. وريعان الصبا: أوله. ويستفزاها: يستخفها. وتارن: تمرح ويقال: مهر أرن: أي مرح نشيط.

(٧) لم تتعتي: لم تطلبي أمراً فيه المشقة والعذاب.

(٨) العزل: الواحد أعزل: من لا سلاح معه. ولا فرسي مهر: أي فرسه مجرب. وأراد بربه غمر: أي أنه ليس حديث العهد بخوض المعارك. وهنا يدلل على خبرته وحنكته في القتال.

وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ
وَقَالَ أَصْحَابِي: الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى؟
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِينُنِي،
يَقُولُونَ لِي: بَعْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى؛
وَهَلْ يَتَجَاوَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً
هُوَ الْمَوْتُ؛ فَاخْتَرْ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ،

* * *

يَمْنُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي؛ وَإِنَّمَا
وَقَائِمٌ سَيْفٌ فِيهِمْ أُنْذَقَ نَصْلُهُ،
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ،
فَإِنْ عِشْتُ فَالطَّعْنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ
وَإِنْ مِتُّ فَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ مَيِّتٍ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ. اكْتَفَوْا بِهِ،
وَنَحْنُ أَنْاسٌ، لَا تَوْسُطَ عِنْدَنَا،
تَهْوُنُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا؛

عَلَيَّ ثِيَابٌ، مِنْ دِمَائِهِمْ، حُمْرُ^(٣)
وَأَعْقَابُ رُمَحٍ فِيهِمْ حُطَمَ الصَّدْرُ
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءُ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ^(٤)
وَتِلْكَ الْقَنَا وَالْبَيْضُ وَالضُّمَرُ الشُّقْرُ^(٥)
وَلِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ، وَأَنْفَسَحَ الْعَمْرُ
وَمَا كَانَ يَغْلُو التَّبَرُّ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ^(٦)
لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ^(٧)
وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِلْهَا الْمَهْرُ^(٨)

- ديوان أبي فراس الحمداني، ص ١٥٧ - ١٦١.

(١) حم القضاء: أي قضي ونزل.

(٢) يتجافى: يتباعد. والضر: الأذى.

(٣) يقال: إن الروم ادعت أنها لم تأسر أحداً، في حين كان أبو فراس قد وقع في الأسر، وقد منوا عليه بإبقاء ثيابه عليه، وفرسه وسلاحه، فيجيهم بأن الدماء التي خضبت ثيابه هي دماؤهم، وهو هنا يفخر، لأنه لم يقع في الأسر إلا بعد أن أصيب. وهنا كناية عن الشجاعة والقوة في القتال.

(٤) يقول: إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب عليهم، ويطلبونه فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك لأن البدر يفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام. ففي البيت تشبيه ضمني.

(٥) القنا: الرماح. والبيض: السيوف الحادة. والضمر الشقر: الخيول الشقراء السريعة.

(٦) التبر: الذهب. والصفرة: النحاس الأصفر. وهنا كناية عن سمو قيمة بعض الناس على بعض.

(٧) وهنا يدل على إثارة العلا أو الموت دونه.

(٨) هذا مثل.

١٦ - قصيدة للشريف الرضي^(١) في الغزل^(٢)

(من البسيط)

يا طَيِّبَةَ الْبَانِ تَرَعَى فِي خَمَائِلِهِ، لِيَهْنَكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكِ^(٣)
الْمَاءَ عِنْدَكَ مَبْذُولٌ لَشَارِبِهِ، وَلَيْسَ يَرْوِيكَ إِلَّا مَدْمَعِي الْبَاكِ
هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَّاحِ الْغُورِ رَائِحَةٌ بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرِيَاكِ^(٤)
ثُمَّ انْتَيْنَا، إِذَا مَا هَزْنَا طَرْبُ عَلَى الرَّحَالِ، تَعَلَّلْنَا بِذِكْرَاكِ
سَهْمُ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَنْ بِالْعِرَاقِ، لَقَدْ أَبْعَدْتَ مَرَمَاكِ^(٥)
وَعُدَّ لَعِينِيكَ عِنْدِي مَا وَفَيْتَ بِهِ، يَا قُرْبَ مَا كَذَبْتَ عَيْنِي عَيْنَاكِ
حَكَتْ لِحَاطُكِ مَا فِي الرِّيمِ مِنْ مُلَحٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ فَكَانَ الْفَضْلُ لِلْحَاكِ^(٦)
كَأَنَّ طَرْفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخْبِرُنَا بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءٍ قَتْلَاكِ^(٧)
أَنْتِ النَّعِيمُ لِقَلْبِي وَالْعَذَابُ لَهُ، فَمَا أَمْرُكَ فِي قَلْبِي وَأَحْلَاكِ
عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقِي لَسْتُ أَذْكُرُهَا، لَوْلَا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَالِكَ
سَقَى مِنِّي وَلِيَالِي الْخَيْفِ مَا شَرِبْتُ مِنَ الْغَمَامِ وَحَيَّاهَا وَحَيَّاكِ^(٨)

(١) هو محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي، ولد سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م ببغداد. ابتداء يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وكان أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع أصله الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبين. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد، وجلد له التقليد سنة ٤٠٣ هـ. قربه الخلفاء منهم، فمدحهم. صور شعره كثيراً من صور الحياة في القرن الرابع الهجري. له ديوان شعر مطبوع في مجلدين. وله عدة كتب منها: الحسن من شعر الحسين بن الحجاج. والمجازات النبوية. ومجاز القرآن. توفي سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ببغداد.

(٢) انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١٣١/٣ - ١٥١. ووفيات الأعيان ٤١٤/٤ - ٤٢٠. والأعلام ٩٩/٦. (٣) نظم الشاعر هذه القصيدة في المحرم سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م، وهي من لواحق الحجازيات.

(٤) البان: شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه النساء. والخمائل: جمع الخميعة، وهي الأشجار الملتفة الأغصان، الناعمة الأوراق.

(٥) الغور: البلاد المنخفضة عن نجد ورجال الحجاز، وتعرف بنهامة على ساحل البحر الأحمر. ورائحة: ريح المساء. والريا: الرائحة الطيبة.

(٦) بذى سلم: موضع بالحجاز، قرب مكة.

(٧) الريم: الغطي الخالص البياض.

(٨) الجزع: موضع بالحجاز قرب الطائف.

(٩) منى: بلدة قريبة من مكة وعرفات. فيها رمى الجمار، وقربها غار حراء. والخيف: موضع بالحجاز.

إِذْ يَلْتَقِي كُلُّ ذِي دَيْنٍ وَمَاطِلُهُ،
لَمَّا عَدَا السُّرْبُ يَعْطُو بَيْنَ أَرْحُلِنَا،
هَامَتْ بِكَ الْعَيْنُ لَمْ تَتَّبِعْ سِوَاكَ هَوًى،
حَتَّى دَنَا السُّرْبُ، مَا أَحْيَيْتَ مِنْ كَمَدٍ
يَا حَبْدًا نَفْحَةً مَرَّتْ بِفِيكَ لَنَا،
وَحَبْدًا وَقَفَةً، وَالرَّكْبُ مُغْتَفِلٌ
لَوْ كَانَتْ اللَّمَّةُ السَّوْدَاءُ مِنْ عُدْدِي
مِنَا، وَيَجْتَمِعُ الْمَشْكُورُ وَالشَّاكِي
مَا كَانَ فِيهِ غَرِيمُ الْقَلْبِ إِلَّاكَ^(١)
مَنْ عَلَّمَ الْبَيْنَ أَنَّ الْقَلْبَ يَهْوَاكَ^(٢)
قَتَلَى هَوَاكَ، وَلَا فَادَيْتَ أَسْرَاكَ^(٣)
وَنُطْفَةً غُمِسَتْ فِيهَا ثَنَائِيكَ^(٤)
عَلَى ثَرَى وَخَدَتْ فِيهِ مَطَايَاكَ^(٥)
يَوْمَ الْغَمِيمِ، لَمَّا أَفْلَتْ أَشْرَاكِي^(٦)
- ديوان الشريف الرضي ١٠٧/٢ - ١٠٨.

١٧ - قصيدة لأبي العلاء المعري^(٧) تتضمن بعض آرائه^(٨)

(من الطويل)

- (١) السرب: الجماعة. ويعطو: يسير. وإلاك: أي إلا أنت.
- (٢) هامت: من الهيام من شدة الوجد والشوق. والبين: الفراق.
- (٣) فاديت: من الفداء. والكمد: الغم والحزن والمرض.
- (٤) النفحة: أي النسمة والريح والرائحة. تقول: نفح الطيب: انتشرت رائحته. ونفحت الريح: هبت أو نسمت. والنطفة: القليل من الماء. والمقصود: ريقها أو رضابها. والثنايا: وهي أسنان مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.
- (٥) ثرى: أي التراب الندي اللين، ووخدت: أسرعت وصارت ترمي بقوائمها.
- (٦) اللمة: الجمع للمم واللمام، وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن. والعدد: جمع العُدَّة، الاستعداد، أي: ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحو ذلك. وأفل: تخلص. والأشراك: جمع الشراك، وهي حبال الصيد.
- (٧) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر فيلسوف، ولد سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجذري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. درس على أبيه وأهله، ثم على علماء حلب والشام. حتى أصبح مشهوراً، فرحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ، والتقى هناك بعلمائها ورؤسائها، ومكث بها سنة وسبعة أشهر، وكما يبدو أن الحياة لم ترق له، فهجرها ورجع إلى منزله ولم يخرج منه. وقد سُمِّي نفسه بهين المحسِنين يعني: حبس نفسه في المنزل، وحبس بصره عن الرؤية. وقد امتنع عن أكل كل ذي روح، وما يخرج منه. ألف خلال حياته كتباً كثيرة، رواها له ياقوت في معجمه، وتدل على ثقافته الواسعة، فهو يعرف الديانات والمعتقدات، وله معرفة باليونانية والفارسية والهندية، ويكاد يكون عالماً قائماً بذاته. توفي في معرة النعمان سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١١٣/١ - ١١٦. ومعجم الأدباء ١٠٧/٣ - ٢١٨. والفكر والفن في شعر أبي العلاء المعري للدكتور صالح حسن اليطبي. والأعلام ١٠٧/١.
- (٨) عنوان هذه القصيدة كما ورد في اللزوميات: «تحرير أكل الحيوان».

غَدَوْتَ مَرِيضَ الْعَقْلِ وَالَّذِينَ فَالَقَنِي
فَلَا تَأْكُلْنَ مَا أَخْرَجَ الْمَاءُ، ظَالِمًا،
وَأَبْيَضُ أُمَاتٍ، أَرَادَتْ صَرِيحَهُ
وَلَا تَفْجَعَنَّ الطَّيْرَ، وَهِيَ غَوَافِلُ،
وَدَغُ ضَرْبِ النَّحْلِ، الَّذِي بَكَرَتْ لَهُ،
فَمَا أَحْرَزْتَهُ كَيْ يَكُونَ لغيرِهَا،
مَسَحْتُ يَدَيَّ مِنْ كُلِّ هَذَا، فَلَيْتَنِي
بَنِي زَمَنِي، هَلْ تَعْلَمُونَ سَرَائِرًا،
سَرِيَّتُمْ عَلَيَّ غَيًّا، فَهَلَّا اهْتَدَيْتُمْ
وَصَاحَ بِكُمْ دَاعِي الضَّلَالِ، فَمَا لَكُمْ
فَإِنْ تَرُشِدُوا لَا تَخْضِبُوا السَّيْفَ مِنْ دَمٍ،
وَيُعْجِبُنِي دَأْبُ الَّذِينَ تَرْهَبُوا،
وَأَطِيبُ مِنْهُمْ مَطْعَمًا، فِي حَيَاتِهِ،
فَمَا حَبَسَ النَّفْسَ الْمَسِيحُ تَعْبُدًا،
يُغَيِّبُنِي، فِي التُّرْبِ، مِنْ هُوَكَارِهِ،
وَمَنْ يَتَوَقَّى أَنْ يَجَاوِرَ أَعْظَمًا،

لَتَسْمَعَ أَنْبَاءَ الْأُمُورِ الصَّحَائِحِ
وَلَا تَبْغِ قُوْتًا مِنْ غَرِيضِ الذَّبَائِحِ (١)
لَأَطْفَالِهَا، دُونَ الْغَوَانِي الصَّرَائِحِ (٢)
بِمَا وَضَعْتُ، فَالظَّلْمُ شَرُّ الْقَبَائِحِ
كَوَأَسَبَ مَنْ أَزْهَرَ نَبْتَ فَوَائِحِ (٣)
وَلَا جَمَعْتُهُ لِلْنَدَى وَالْمَنَائِحِ (٤)
أَبْهْتُ لَشَأْنِي، قَبْلَ شَيْبِ الْمَسَائِحِ (٥)
عَلِمْتُ، وَلَكِنِّي بِهَا غَيْرُ بَائِحٍ؟
بِمَا خَيْرْتَكُمْ صَافِيَاتِ الْقَرَائِحِ
أَجَبْتُمْ، عَلَى مَا خَيَّلْتُ، كُلُّ صَائِحٍ؟ (٦)
وَلَا تُلْزِمُوا الْأُمْيَالَ سَبْرَ الْجَرَائِحِ (٧)
سِوَى أَكْلِهِمْ كَدُّ النَّفُوسِ الشَّحَائِحِ
سُعَاةٌ حَلَالٍ، بَيْنَ غَادٍ وَرَائِحِ
وَلَكِنْ مَشَى، فِي الْأَرْضِ، مِشْيَةً سَائِحِ
إِذَا لَمْ يَغَيِّبُنِي كَرِيهُهُ الرَّوَائِحِ (٨)
كَأَعْظَمِ تِلْكَ الْهَالِكَاتِ الطَّرَائِحِ

(١) الغريضة: الطير من اللحم وغيره كالسمك.

(٢) الأبيض: اللين. والصرائح: واحدها الصريحة، وهي الخالصة الحسن. والأُمَات: لغة في الأمهات.

(٣) الضرب: العسل.

(٤) الندى: الكرم. والمنائح: جمع المنيحة، وهي ما تعطي تكريمًا.

(٥) المسائح: جمع المسيحة، وهي الذوائب.

(٦) خيلت السماء: رعدت وبرقت وتهيات للمطر. والمراد: تتبعون ظواهر الأشياء.

(٧) الأميال: واحدها الميل، وهو الذي يسير، أي: يقاس به الجرح. والجرائح: المواضع، أو النفوس الجريحة. وهنا ينهى عن الحرب وكل ما ينتج عنه الجراح.

(٨) أي: أنني ساموت سواء أصبت برائحة كريهة أو لم أصب، وحيث يدفني من هو كاره ذلك.

ومن شرّ أخلاق الأنيس، وفعلهم،
وأصفح عن ذنب الصديق وغيره،
وأزهد في مدح الفتى، عند صدقه،
وما زالت النفس اللجوج مطيئة،
وما ينفع الإنسان أن غمائماً
ولو كان، في قرب من الماء، رغبة،

خوار النواعي والتدائم النوائح
لسكناي بيت الحق بين الصفائح^(٢)
فكيف قبولي كاذبات المدائح!
إلى أن غدت إحدى الرذايا الطلائح^(٣)
تسح عليه، تحت إحدى الضرائح^(٤)
لنفس ناس في قبور البطائح^(٥)
- اللزوميات، لزوم ما يلزم ٢٩٥/١ - ٢٩٧.

١٨ - من قصيدة لأبي العلاء في رثاء فقيه حنفي

(من الخفيف)

نوح بالك ولا ترنم شاد^(٦)
س بصوت البشير في كل ناد^(٧)
ت على فرع غصنها المياد
ب فأين القبور من عهد عاد^(٨)
رض إلا من هذه الأجساد^(٩)
د هوان الآباء والأجداد^(١٠)

غير مجدي في ملتي واعتقادي
وشبيه صوت النعي إذا قيد
أبكت تلكم الحمامة أم غند
صاح، هذي قبورنا تملأ الرح
خفف الوطء ما أظن أديم الأ
وقبيح بنا وإن قدم العهد

(١) خوار: صياح، مأخوذة من خوار الثور، استعملها الشاعر للزدرء. والتدائم النوائح: ضربهن صدورهن في نواحيهن.

(٢) بيت الحق: القبر.

(٣) الرذايا: واحدتها الرذية، وهي الناقة المهزولة المعية من السير. والطلائح: واحدتها طليحة: وهي المعية.

(٤) يستغرب بل ينكر على الناس أن يدعوا لموتاهم السقيا، وهي من العادات المعروفة عند العرب، وخاصة الشعراء، ويعتقدون أن السقيا تنزل بمثابة الرحمة.

(٥) البطائح: جمع البطيحة، وهي المسيل الواسع.

(٦) الشادي: الصائح من الطيور.

(٧) النعي: المخبر بالموت.

(٨) صاح: يا صاحبي.

(٩) أديم الأرض: وجه الأرض. وخفف الوطء: سر على الأرض بتواضع.

(١٠) قبيح بنا: عيب علينا. والهوان: الإهانة والذل.

سُرَّ إِنِ اسْطَغَتْ فِي الْهَوَاءِ رُوَيْدًا لَا آخِثِيالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ^(١)
رُبُّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاحِمِ الْأَضْدَادِ^(٢)
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ^(٣)
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدِينَ عَمَّنْ أَحْسَا مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ^(٤)
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا لِمَدْلَجٍ فِي سَوَادِ^(٥)
نَعَبَ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مَنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
إِنْ حُزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فَ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
- شرح ديوان سقط الزند، ص ١١١ - ١١٥.

١٩ - قصيدة أبي المظفر الأبيوردي^(٦) في سقوط

بيت المقدس بأيدي الفرنج سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م^(٧).

مَرْجْنَا دِمَاءً بِالذُّمُوعِ السُّوَاجِمِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاحِمِ^(٨)
(من الطويل)

(١) اسطغت: حذفت التاء قبل الطاء المهملة من هذا الفعل للتخفيف. ورويداً: مهلاً. واختيالاً: تكبراً.

(٢) اللحد: القبر. والأضداد: المتعاكسة.

(٣) الآباد: جمع أباد، وهو الدهر.

(٤) الفرقدان: كوكبان في بنات نعل الصغرى، قريباً من القطب، يُهتدى بهما في السير. والقبيل: البشر، أو الجماعة من الناس. وأنسا: أبصرا، وشاهدنا.

(٥) المدلج: الساري في الليل.

(٦) هو محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي، أبو المظفر: كان من الأدباء المشاهير، راوية نسبة شاعراً، يقال: كان من أخير الناس بعلم الأنساب. وللشاعر ديوان مطبوع قسمه إلى أقسام: منها العراقيات، ومنها النجديات، ومنها الوجديات. وله كتب عديدة، منها: «تاريخ أبيورد» و«المختلف والمؤتلف» في الأنساب، و«طبقات العلماء في كل فن» و«أنساب العرب» يقال: ولد في أبيورد بخراسان، ومات مسموماً في أصبهان سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م. انظر ترجمته: وفيات الأعيان ٤/ ٤٤٤ - ٤٤٩. والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٦ - ٢٠٧. والأعلام ٥/ ٣١٦. والديوان ١/ ٧ - ٢١.

(٧) أخذت الفرنج في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً، منهم جماعة من العلماء، والعُباد، والزُّهاد، وهدموا المشاهد، وجمعوا اليهود في الكنيسة، وأحرقوها عليهم، وورد المستفرون إلى بغداد، فأوردوا كلاماً أبكى العيون، واختلقت السلاطين السلجوقية، فتمكنت الفرنج من الشام. انظر: تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٧.

(٨) العين السجوم: التي تصب وتسيل الدمع. والمراحم: جمع المرحمة: الرحمة. والعرضة: الشيء الذي يعرض. يريد: أنه لم يبق شيء يعرض للرحمة.

- وَشَرُّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِضُهُ
فَإِيهَا بَنَى الْإِسْلَامُ إِنَّ وَرَاءَكُمْ
أَتَهْوِيْمَةً فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغَبِيْطَةٍ
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مِلءَ جُفُوفِهَا
وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يَضْجِي مَقِيلُهُمْ
تَسُوْمُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانُ وَأَنْتُمْ
وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ قَدْ أُبِيْحَتْ وَمِنْ دُمَى
بَحِيْثِ السَّيْفِ الْبَيْضُ مُحْمَرَّةُ الظُّبَا
وَبَيْنَ اخْتِلَاسِ الطُّغْنِ وَالضَّرْبِ وَقْفَةٌ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِيبُ عَنْ غِمَارِهَا
- (١) إِذَا الْحَرْبُ شُبَّتْ نَارُهَا بِالصُّوَارِمِ.
(٢) وَقَائِعٌ يُلْجَفْنَ الذَّرَا بِالْمَنَاسِمِ.
(٣) وَعَيْشٌ كَنُوَارِ الْخَمِيْلَةِ نَاعِمٌ؟
(٤) عَلَى هَفَوَاتٍ أُيْقِظَتْ كُلُّ نَائِمٍ؟
(٥) ظُهُورَ الْمَذَاكِي أَوْ يُطَوْنَ الْقَشَاعِمِ.
(٦) تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفْضِ فِعْلَ الْمُسَالِمِ.
(٧) تُوَارِي حَيَاءَ حُسْنِهَا بِالْمَعَاصِمِ؟
(٨) وَسُمِرَ الْعَوَالِي دَامِيَاتُ اللَّهَازِمِ.
(٩) تَنْظُلُ لَهَا الْوِلْدَانُ شَيْبَ الْقَوَادِمِ.
(١٠) لَيْسَلَمْ يَقْرَعَ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ.

- (١) الصوارم: جمع الصارم، السيف القاطع.
(٢) إيهًا: بكسر الهمزة وتثنية الهاء، اسم فعل أمر بمعنى: زيدا .
والوقائع: المحن والمصائب. والذرا: الأعالي. والمناسم: جمع المنسم للإبل: هو كالظفر للإنسان أو هو خف البعير. يريد: إن الوقائع تجعل أعاليكم أسافلكم، أي: تقلبكم رأساً على عقب.
(٣) التهوية: جولة الطائر أو النحلة أو ما شابه ذلك في الهواء. والنوار: الزهر، والغبطة: حسن الحال والمسرة. والخميلة واحدة الخائل: الشجر الكثير الملتف، أو الموضع الكثير الشجر.
(٤) الهفوات: جمع الهفوة، السقطة والغلطة والزلة. ولعلها: «هنوات» جمع الهناة، أي: الداهية، بمعنى الشرور والفساد.
(٥) المقييل: موضع القيلولة. النوم أو الاستراحة في الظهيرة. والمذاكي من الخيل جمع المذكي: ما تمت سنه وكملت قوته. والقشاعم: جمع القشعم: المسن من الرجال أو النساء أو النصور. والقشعم: الأسد. وأم قشعم: الحرب.
(٦) تسومهم: تغير عليهم، وتلحق بهم الهوان. والخفض: سهولة العيش وليته.
(٧) الدمي: النساء الجميلات يشبههن بالتمائيل.
(٨) الظبا: حد السيف. وسمر العوالي: الرماح. واللهاذم، الحاذ القاطع من الأسنة والسيوف.
(٩) الولدان جمع الوليد: المولود، والصبي. القوادم: جمع القادمة، الريشات التي في مقدم الجناح وهي كبار الريش، والخوافي صفاره، وهي تحت القوادم، يريد هنا: مقدمات الرؤوس.
(١٠) غمرة الحرب: مكارها وشدائدها.

سَلَّلْنَ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَوَاضِبًا
يَكَادُ لَهُنَّ الْمُسْتَجِنُّ بِطَيْبَةِ
أَرَى أُمَّتِي لَا يُشْرِعُونَ إِلَى الْعِدَا
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى
أَتَرْضَى صِنَادِيدُ الْأَعَارِبِ بِالْأَذَى
فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَذُودُوا حَمِيَّةً
وَأِنْ زَهْدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمَسَ الْوَغَى
لَيْتُنْ أَذَعَنْتُ تِلْكَ الْخِيَاشِيمَ لِلْبَرَى
دَعَوْنَاكُمْ وَالْحَرْبُ تَرْنُو مِلْحَةً
تُرَاقِبُ فِينَا غَارَةً عَرَبِيَّةً
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ

سَتَغْمَدُ مِنْهُمْ فِي الطَّلَا وَالْجَمَاجِمِ ^(١)
يُنَادِي بِأَعْلَى الصُّوتِ: يَا آلَ هَاشِمٍ ^(٢)
رِمَاحَهُمْ، وَالْدِّينُ وَاهِي الدُّعَائِمِ ^(٣)
وَلَا يَحْسِبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةً لِأَزْمٍ
وَيَغْضِي عَلَى ذُلِّ كُفَاةِ الْأَعَاجِمِ ^(٤)
عَنِ الدِّينِ ضُنُّوا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمِ
فَهَلَّا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْغَنَائِمِ ^(٥)
فَلَا عَطَسُوا إِلَّا بِأَجْدَعٍ رَاغِمٍ ^(٦)
إِلَيْنَا بِأَلْحَاطِ النَّسُورِ الْقَشَاعِمِ
تُطِيلُ عَلَيْهَا الرُّومُ عَضَّ الْأَبَاهِمِ ^(٧)
رَمَيْنَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالْحَرَائِمِ ^(٨)

- ديوان الأبيوردي ١٥٦/٢ - ١٥٧.

- البداية والنهاية ١٥٦/١٢ - ١٥٧.

- نهاية الأرب ٢٢٦/٥ - ٢٢٧.

- تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

- الكامل في التاريخ ٢٨٤/١٠ - ٢٨٦.

(١) القواضب: جمع قاضب: شديد القطع، يريد السيف. والطلا: الأعناق.

(٢) المستجن: المستر وراء الترس، وهو المجن. وطية: المدينة المنورة.

(٣) الواهي: الضعيف.

(٤) الصناديد: جمع الصنديد: السيد الشجاع. والأعاريب: العرب. ويغضي: يصبر ويمسك عنه عفواً.

(٥) حمس الوغى: اشتد.

(٦) البرى: جمع البرة، وهي حلقة تجعل في أنف البعير أو الأسير. الأجْدَع واحد الجُدْع: الذي قطع

أنفه. وراغم الأنف: الدليل، والجمع الرُّغْم الأنوف. تقول: أرغمه: أذله وحمله على فعل ما يكرهه.

(٧) الأباهم والأباهيم: جمع الإبهام: أكبر أصابع اليد أو الرجل.

(٨) الحرائم: النساء.

٢٠ - من قصيدة لابن سناء الملك^(١) في تهنئة صلاح الدين الأيوبي^(٢)
بنصر حطين^(٣).

(من الخفيف)

لَسْتُ أَذْرِي بِأَيِّ فَتْحٍ تُهْنَا يَا مُنِيلَ الْإِسْلَامِ مَا قَدْ تَمْنَى
أَنْهَنِّيكَ إِذْ تَمَلَّكَتْ شَامَاً أَمْ نُهَنِّيكَ إِذْ تَمَلَّكَتْ عَدْنَا
قَدْ مَلَّكَتِ الْجِنَانَ قُطْرًا فَقُطْرًا إِذْ فَتَحْتَ الشَّامَ حِصْنًا فَحِصْنًا
إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ مَنْ عَلَى الْخَلْدِ وَأَنْتَ الَّذِي عَلَى الدِّينِ مَنْ
لَكَ مَدْحٌ فَوْقَ السَّمَوَاتِ يُنْشَا وَمَحَلٌّ فَوْقَ الْأَسْنَةِ يُبْنَى
كَمْ تَأْتِي النُّصْرُ الْعَزِيزُ عَلَى الشَّا وَلَمَّا نَهَضْتَ لَمْ يَتَأْنَا^(٤)
قُمْتَ فِي ظِلْمَةِ الْكُرْبَةِ كَالْبَدْرِ رِ سَنَاءَ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ وَهَنَا^(٥)

(١) هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد، شاعر مشهور، عاصر صلاح الدين ودمه. ولد بمصر سنة ٥٤٥ هـ/١١٥٠ م. كان من الرؤساء النبلاء، جيد الشعر، بديع الإنشاء. وهو أول من استكثر من الموشحات في المشرق، وقد ترك لنا عملاً عظيماً سماه: «دار الطراز في عمل الموشحات» واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، باسم «روح الحيوان»، وله العديد من المؤلفات. توفي في مصر سنة ٦٠٨ هـ/١٢١٢ م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٦١/٦. ومعجم الأدباء ٢٦٥/١٩. والأعلام ٧١/٨. وابن سناء الملك، حياته وشعره، تحقيق محمد إبراهيم نصر، ومراجعة د. حسين نصار. وتاريخ الأدب العربي. عصر الدول والإمارات (مصر والشام)، د. شوقي ضيف، ص ٢٠٣.

(٢) هو يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، ولد سنة ٥٣٢ هـ/١١٣٧ م بتكريت، وهو من قبيلة كردية. كسر الإفرنج وفتح القدس. توفي سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م. انظر: الأعلام ٢٢٠/٨.

(٣) معركة حطين: وقعت في ربيع الثاني ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م. انتصر فيها صلاح الدين على الإفرنجية. وأسر ملك بيت المقدس، وأرناط موقد شرارة هذه الحرب. وقد ورد في هامش الديوان: قال ابن سناء هذه القصيدة سنة ٥٨٣ هـ قبل فتح المقدس وقد أشار فيها إلى الانتصارات العظيمة التي أحرزها صلاح الدين كانتصاره العظيم في حطين، واستيلائه على كثير من المعاقل والحصون كفتح طبريا، ونابلس وغيرها من مدن الشام وقلاعها. علماً أن صلاح الدين دخل بيت المقدس في رجب ٥٨٣ هـ/أكتوبر ١١٨٧ م. وقد صادف دخوله إليها يوم ذكرى معراج الرسول ﷺ.

(٤) لم يتأنا: الألف لضرورة الشعر، والفعل مجزوم بلم.

(٥) وهنا: بعد ساعة من الليل.

لَمْ تَقِفْ قَطُّ فِي الْمَعَارِكِ إِلَّا
تَجْتَنِي النُّصْرَ مِنْ ظُبَاكَ كَأَنَّكَ
قَصَدْتَ مَحْوِكَ الْأَعَادِي فَرَدُّ الدِّ
حَمَلُوا كَالْجِبَالِ عِظْمًا وَلَكِنْ
جَمَعُوا كَيْدَهُمْ وَجَاوَوْكَ أَرْكَا
لَمْ تُلَاقِ الْجِيُوشَ مِنْهُمْ وَلَكِنَّ
كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ الْحَدِيدَ لَهُ ثَوْرًا
خَائِنُهُ ذَلِكَ السَّلَاحُ فَلَا الرَّمَّ
وَتَوَلَّيْتَ تِلْكَ الْخِيُولَ وَلَمْ يُثِدَّ
وَتَصَيَّدْتَهُمْ بِحُلُقَةِ صَيْدٍ
وَجَرَتْ مِنْهُمْ الدَّمَاءُ بِحَارًا
صَنَعْتَ فِيهِمْ وَلِيْمَةً عُرْسٍ
ظَلُّ مَعْبُودُهُمْ لَدَيْكَ أَسِيرًا
صَلَبُوا رَبَّهُمْ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ
وَحَوَى الْأَسْرُ كُلَّ مَلِكٍ يَظُنُّ الدَّ
ظَنَّ ظَنًّا وَكَنتَ أَصْدَقُ فِي الدِّ
كَمْ تَمْنَى الْإِلْقَاءَ حَتَّى رَأَاهُ
رَقٌّ مِنْ رَحْمَةٍ لَهُ الْقَيْدُ وَالْغُلُّ

كَنتَ يَا يَوْسُفُ كَيُوسُفَ حُسْنًا
عَضِبَ قَدْ صَحَّفُوهُ فَصَارَ عُصْنًا
هُ مَا أَمْلُوهُ عَنْكَ وَعَبْنَا
جَعَلْتَهَا حَمَلَاتُ خَيْلِكَ عَلَيْهَا (١)
نَا فَمَنْ هَذَا فَارِسًا هَذَا رُكْنًا
لَكَ لَا قِيَتَهُمْ جِبَالًا وَمُذْنَا
بَا وَتَاجَا وَطِيلَسَانَا وَرُذْنَا (٢)
حُ يَغْنِي وَلَا الْمَهْنَدُ طَنَّا
نَ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا لَيْسَ تُثَشِّي
تَجَمَّعَ اللَّيْثُ وَالْغَزَالُ الْأَغْنَا (٣)
فَحَرَّتْ فَوْقَهَا الْجَزَائِرُ سُفْنَا (٤)
رَقَصَ الْمَشْرِفِيُّ فِيهَا وَغْنِي
مُسْتَضَامًا فَاجْعَلْ لَهُ النَّارَ سِجْنَا (٥)
مَنْ يُرَى بَعْدَ صَلْبِهِ قَطُّ أَغْنَى (٦)
هَرَيْفَنِي وَمُلْكُهُ لَيْسَ يَفْنِي
يُ يَقِينَا وَكَانَ أَكْذَبَ ظَنَّا
فَتَمْنَى لَوْ أَنَّهُ مَا تَمْنَى
عَلَيْهِ فَكَلَّمَا أَنَّ أَنَا

(١) العظم: العظيم، الكبير. والعهن: الصوف.

(٢) الرذن بالضم: أصل الكم والجمع أردان. والمعنى: إن هؤلاء المحاربين ارتدوا الحديد فاختلفوا فيه تمامًا.

(٣) الغزال الأغن: الذي يخرج صوته من خياشيمه.

(٤) الجزائر: جمع جزور، وهو الشاة المذبوحة أو الناقة. وفي البيت تورية.

(٥) المعبود: صليب الصليبوت.

(٦) ربهيم: المسيح. وقد أشار إلى صليب الصليبوت الذي سلب بعد كسرة حطين، وأسر الملك والإبرنس صاحب الكرك وغيرهما من أعظم الفرنج.

واللعينُ الإبرنسُ أصبحَ مذبو
أنتَ ذكَّيتَه فوفيتَ نذراً
وثهادتَ عرائسَ المُذن تُجلى
لا تَخُصَّ الشَّامَ منكَ التهاني
قد ملكتَ البلادَ شرقاً وغرباً
واغتدى الوصفُ في عُلاكِ حسيراً
حَ يمينٍ لم تُعَلِّمِ الدينَ يُمناً^(١)
كنتَ قَدَمَتَه فجوزيتَ حُسناً
وثمارُ الآمالِ فيهنَّ تُجنى
كلُّ صُقْعٍ وكلُّ قُطْرِ يَهْناً
وحويتَ الأفاقَ سهلاً وحَزناً
أيُّ لفظٍ يقالُ أو أيُّ معنى
- ديوان ابن سناء الملك ٢/ ٣٤٠ - ٣٤٣.

٢١ - من قصيدة بهاء الدين زهير^(٢) في مدح السلطان الملك الكامل ناصر الدين بن أيوب حين انتزع ثغر دمياط من الإفرنج^(٣)

(من الطويل)

بِكَ اهْتَزَّ عِطْفُ الدِّينِ فِي حُلِّ النَّصْرِ
تَمِيسُ بِهِ الْأَيَّامُ فِي حُلِّ الصَّبَا
وَرَدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا مِلَّةُ الْكُفْرِ
وَتَرَفَّلُ مِنْهُ فِي مَطَارِفِهِ الْخُضْرُ^(٤)

(١) الإبرنس: أرناط: كان من ملوك الفرنج الذين غدروا بالمعاهدة، وقتل بعض المسلمين في الهدنة، وسبَّ الدين الإسلامي، فنذر صلاح الدين إن ظفر به ليقطعن عنقه، وقد ظفر به وقتله. انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة ٨١/٢.

(٢) أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن المنصور بن عاصم الأزدي المكي، القوصي المنشأ المصري الدار، ولد سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٦ م بوادي نخلة بقرب مكة. ورث بصعيد مصر بقوص، وقرأ الأدب وسمع الحديث وبرع في النظم والنثر، وله الشعر الرائع الفائق. وكان كاتباً وشاعراً مشهوراً معروفاً، ورئيساً فاضلاً حسن الأخلاق. اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب في حياة أبيه الملك الكامل، ودام في خدمته إلى أن توفي سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م. انظر ترجمته: وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢-٣٣٨. والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٢-٦٣. والأعلام ٣/ ٥٢. وتاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (مصر والشام) د. شوقي ضيف، ص ٢٧٨-٢٨٦. ومقدمة الديوان.

(٣) دمياط: مدينة في مصر على نهر النيل، حاصرها الصليبيون وفتحوها سنة ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م، وانتزعها الملك الكامل سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م، من لويز التاسع.

(٤) العطف: عطف كل شيء جانبه، ومن الإنسان من لدن رأسه إلى وركه. وترفل: من رفل: جرّ ذيله وتبختر في سيره. والمطارف: جمع المطرف: رداء من خز مربع ذو أعلام.

ومنْ أَجْلِهِ أَضْحَى الْمُقْطَطُّ شَامِخاً
 فِيَا مَلِكاً سَامَى الْمَلَائِكِ رَفْعَةً
 وَمَا فَرِحَتْ مِصْرٌ بِذَا الْفَتْحِ وَخَذَهَا
 فَلَوْ لَمْ يَقُمْ بِاللَّهِ حَقُّ قِيَامِهِ
 وَأُقْسِمُ لَوْلَا هِمَّةٌ كَامِلِيَّةٌ
 فَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ إِنَّ سَمِيَّةَ
 بِهِ أَرْتُجِعَتْ دِمِيطُ قَهْرًا مِنَ الْعِدَى
 ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ أَقَمْتُ وَأَشْهُرًا
 وَلَيْلَةَ غَزْوٍ لِلْعَدُوِّ كَأَنَّهَا
 فِيَا لَيْلَةٌ قَدْ شَرَفَ اللَّهُ قَدْرَهَا
 سَدَدَتْ سَبِيلَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَنْهُمْ
 وَجَيْشٍ كَمَثَلِ اللَّيْلِ هَوْلًا وَهَيْبَةً
 فَمَا زِلْتُ حَتَّى آيَدَ اللَّهُ جِزْبَهُ
 فَرَوَيْتُ مِنْهُمْ ظَامِيَّةَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا
 وَجَاءَ مَلُوكُ الرُّومِ نَحْوَكُمْ خُضْعًا
 أَتَوْا مَلِكًا فَوْقَ السَّمَاكِ مَحَلَّةً

يَنَافِسُ حَتَّى طَوَّرَ سِينَاءَ فِي الْقَدْرِ
 فِيَا الْمَلَأَ الْأَعْلَى لَهُ أَطْيَبُ الذِّكْرِ
 لَقَدْ فَرِحَتْ بَغْدَادُ أَكْثَرَ مِنْ مِصْرٍ
 لَمَّا سَلِمَتْ دَارَ السَّلَامِ مِنَ الدُّعْرِ
 لَخَافَتْ رِجَالٌ بِالْمَقَامِ وَبِالْحِجْرِ^(١)
 حَمَى بَيْضَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ نُوبِ الذَّهْرِ
 وَطَهَّرَهَا بِالسَّيْفِ وَالْمِلَّةِ الطُّهْرِ
 تُجَاهِدُ فِيهِمْ لَا بِزَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو
 لَكثْرَةٍ مَنْ أَرْدَيْتَهُ - لَيْلَةُ النَّحْرِ
 وَلَا غَرَوُ إِنَّ سَمِيَّتَهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
 بِسَابِحَةٍ دُهِمٍ وَسَابِحَةٍ غُرٍّ^(٢)
 وَإِنْ زَانَهُ مَا فِيهِ مِنْ أَنْجَمٍ زُهْرٍ^(٣)
 وَأَشْرَقَ وَجْهُ الْأَرْضِ جَدْلَانِ بِالنَّصْرِ^(٤)
 وَأَشْبَعَتْ مِنْهُمْ طَاوِيَّ الذَّنْبِ وَالنَّسْرِ^(٥)
 تُجَرَّرُ أَذْيَالُ الْمَهَانَةِ وَالصُّغْرِ
 فَمِنْ جُودِهِ ذَاكَ السَّحَابُ الَّذِي يَسْرِي^(٦)

(١) همة كاملية: أي همة الملك الكامل. والمقام: مقام إبراهيم بمكة. والحجر: ما حواه الحطيم المحاط بالكعبة من جانب الشمال.

(٢) الجياد السابحة: السريعة العدو. والدهم: جمع الأدهم، وهو الفرس الأسود. ولعله أراد: «سباحة دهم وسابحة غر»، أو «سباحة دهم وسابحة غر» ليجانس ويطلق، وذلك في: «سباحة» و«سباحة»، و«دهم» و«غر». تقول سنح الطائر أو الظبي: مرّ عن مياسرك إلى ميامنك، فولاك ميامنه، والعرب يتيمينون به فهو سائح. والغر: البيض.

(٣) الأنجم الزهر: يقصد قواد الجيش وجنوده.

(٤) الجدل: الفرج.

(٥) الطاوي: الجوعان. والبيض: السيوف. والقنا: الرماح.

(٦) السماك: السماكان: نجمان نيران أحدهما في الشمال، وهو السماك الرامح والثاني في الجنوب وهو=

فَمَنْ عَلَيْهِم بِالْأَمَانِ تَكْرُماً
فَلِلَّهِ يَوْمَ الْفَتْحِ يَوْمَ دُخُولِهَا
وَيَا سَعْدَ قَوْمٍ أَذْرَكُوا فِيهِ حَظَّهُمْ
لَكَ اللَّهُ! مَنْ أَتْنَى عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
يُقْصَرُ عَنْكَ الْمَدْحُ مِنْ كُلِّ مَادِحٍ

على الرغم من بيض الصوارم والسُّمُرِ
وقد طارت الأعلام منها على وَكُرٍ
لقد جَمَعُوا بَيْنَ الْغَنِيمَةِ وَالْأَجْرِ
مِنَ الْقَتْلِ قَدْ أَنْجَيْتَهُ أَوْ مِنْ الْأَسْرِ
ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر
- ديوان بهاء الدين زهير، ص ١٢١ - ١٢٤.

== السماء الأعزل. ويقال: إنه سمي الرامح: لأن أمامه كوكبا صغيراً يقال له: راية السماء ورمحه.
وللآخر: السماء الأعزل: لأن ليس أمامه شيء، وهناك رواية: «فوق السحاب».

ثانياً: النشر

١ - عبد الله بن المقفع^(١) (من الأدب الصغير)

لَا يُؤْمِنُكَ شَرُّ الْجَاهِلِ قَرَابَةً وَلَا جَوَارَ وَلَا إِلْفٌ^(٢). فَإِنْ أَخَوْفَ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ
لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ إِنْ جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ^(٣)، وَإِنْ نَاسَبَكَ
جَنَى عَلَيْكَ، وَإِنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ، وَإِنْ عَاشَرَكَ أَذَاكَ وَأَخَافَكَ، مَعَ أَنَّهُ
عِنْدَ الْجَوْعِ سَبْعُ ضَارٍ^(٤)، وَعِنْدَ الشَّبَعِ مَلِكٌ فَظٌ، وَعِنْدَ الْمَوَافَقَةِ فِي الدُّيْنِ قَائِدٌ إِلَى
جَهَنَّمَ. فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ: سُمِّ الْأَسَاوِدِ^(٥)، وَالْحَرِيقِ الْمَخُوفِ،

(١) عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة، صاحب الرسائل البديعة، وهو من أهل فارس، كان
مجوسياً، فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخلفيتين من خلفاء بني العباس، ثم
كتب له واختص به، وكان يتهم بالزندقة. وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول: ما وجدت كتاب
زندقة إلّا وأصله ابن المقفع. وقد اجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد الفراهيدي، فلما افترقا قيل
للخليل: كيف رأيته؟ قال: علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيته الخليل؟ قال: عقله
أكثر من علمه. وقيل: إنه هو الذي وضع كتاب كلیلة ودمنة. وله من الرسائل: الأدب الكبير. والأدب
الصغير. والصحابة. مات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م. وكانت ولادته سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤ م بالعراق.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١٥١/٢ - ١٥٥. والأدب المقارن للدكتور طه ندا، ص ١٤١ - ١٤٨.
وكلیلة ودمنة وتاريخها لمحمد حسن ناقل المرصفي. والأعلام ١٤٠/٤.

(٢) الإلف: الصداقة.

(٣) أي: أن الإنسان يشتد خوفه كلما قرب من النار، وكذلك الجاهل يخافه الإنسان كلما كان ذا صلة قوية به.
وأنصبه: أتعبه.

(٤) الضاري من الحيوانات: المقترس.

(٥) الأساود: جمع الأسود، وهي الثعابين الكبيرة السوداء.

والسِّدِّينِ الفُصَّاحِ^(١)، والدَّاءِ الْعِيَاءِ^(٢).

- الأدب الكبير والأدب الصغير، ص ١٧٦ - ١٧٧.

٢ - عبد الله بن المقفع (من كلیلة ودمنة)^(٣)

الحمامةُ والثعلبُ ومالكُ الحزين^(٤)

قَالَ دَبْشَلِيمُ^(٥) أَلَمَلِكُ لِيَدْبَا أَلْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هَذَا أَلْمَثْلَ فَأَضْرِبْ لِي مَثَلًا

(١) الفصاح: الموهق.

(٢) الداء العياء: المرض الذي لا يُبرأ منه.

(٣) يقال: إن ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كلیلة ودمنة. وقيل: إنه لم يضعه، وإنما كان باللغة الفارسية، فعربه ونقله إلى العربية، وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه. ويقال: إن هذا الكتاب هندي فارسي عربي، هندي باعتبار أصله، فارسي لأنه انتقل إلى أيدي الفرس فترجموه إلى لغتهم وزادوا فيه أبواباً، عربي لأن الترجمة العربية التي أخذت عن الفارسية صارت هي الأصل والمصدر، بعد أن ضاعت الترجمة الفارسية.

أما عن سبب تأليف الهنود له ففي مقدمة الكتاب بيانه، ذلك أن دبشليم الملك نظر فرأى الملوك من قبله وضعوا الكتب التي يذكرون فيها أيامهم وسيرتهم تخليداً لذكرهم من بعدهم، وأحب أن يكون له كتاب على هذا النسق يذكر به، فدعا إليه الحكيم يدبا وعرض عليه الأمر، وطلب منه أن يضع له كتاباً بليغاً يستفرغ فيه عقله يكون ظاهره سياسة العامة وتربيتها على طاعة الملك، وباطنه أخلاق الملوك ومياستها للرعية. وطلب منه أن يكون مشتملاً على الجد والهزل واللهم والحكمة والفلسفة. وأقام يدبا حولاً كاملاً يؤلف الكتاب، جعل فيه الكلام على السنة البهائم والسباع والطير، وصار الحيوان لهواً وما ينطق به حكماً وأدباً. وصمته ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته، وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وآخرته، وما يحضه على حسن طاعته للملوك. وحمل هذا الكتاب إلى دبشليم الملك وأخبره. عن رمز كل باب من أبوابه. فأعجب به لأنه حقق ما أراد، فأمر بتدوينه وحفظه في خزانته، وكان يخاف عليه من أهل فارس. إلا أن الكتاب وصل إليهم، فاطلعوا عليه، ونقلوه إلى لغتهم. (انظر: الأدب المقارن للدكتور طه ندا، ص ١٤٣ - ١٤٥ للاطلاع على الطريقة التي نقل بها الكتاب إلى اللغة الفارسية). ومن ثم نقله ابن المقفع إلى العربية، وقدم له بمقدمة أو تمهيد طويل، شرح فيها أغراض الكتاب. ويقال: إن المنصور أمر والي البصرة بقتل ابن المقفع لأسباب سياسية، وكان والي يكرهه، فإغتناله، وأماته شراً ميتة، ويقال: إن الكتاب كان سبباً في قتله. انظر: ابن خلكان ١٥١/٢ - ١٥٥. والأدب المقارن، ص ١٤١ - ١٥٥. ومقدمة كتاب كلیلة ودمنة، طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥ م، ص ٦ - ٥٨.

مالك الحزين: يقال له: البلشون، طائر من طيور الماء، زعموا أنه دعي بذلك لأنه لا يزال يقعد بقرب المياه ومواضع نبعها من الأنهار، فإذا جفت يحزن على جفافها، ويبقى حزناً، كثيراً، وربما ترك الشرب حتى يموت عطشاً، خوفاً من زيادة نقصها إذا شرب منها. انظر: في النقد والأدب، لايلى حاوي، ص ٢٩٩.

(٥) قيل: إنه ملك هندي من سلالة من قهرهم الإسكندر الأكبر حين زحف إلى الهند سنة ٣٢٦ ق. م.

في شأن الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه. قال الفيلسوف: إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين. قال مالك: وما مثلهن؟

قال الفيلسوف: زعموا أن حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء. فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة، فلا يمكنها ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة تعب ومشقة لطول النخلة وسحقها^(١). وكانت إذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها، فإذا انقاص^(٢) وأدرك^(٣) فراخها جاءها ثعلب قد تعهد^(٤) ذلك منها لوقت قد علمه ريثما ينهض فراخها، فوقف بأصل النخلة فصاح بها وتوعدّها أن يرقى إليها أو تلقى إليه فراخها فتلقاها إليه. فبينما هي ذات يوم، وقد أدرك لها فراخان، إذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة. فلما رأى الحمامة كثية حزينة شديدة الألم قال لها: يا حمامة! مالي أراك كاسفة^(٥) ألبال سيئة الحال؟ فقالت له: يا مالك الحزين، إن ثعلبا ذهبت^(٦) به كلما كان لي فراخان، جاءني يتهددني ويصيح في أصل النخلة فأفرق^(٧) منه، فأطرح إليه فرخي.

قال لها مالك الحزين: إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولِي له لا ألقى إليك فرخي فأفرق إليّ وغرر^(٨) بنفسك، فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي طرأت عنك ونجوت بنفسي.

فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطيء نهر، وأقبل

(١) السحق: العلو.

(٢) انقاض البيض: انكسر وخرجت منه الأفراخ.

(٣) أدرك: بلغ.

(٤) تعهد: تفقد وعرف.

(٥) كاسفة: متغيرة، عابسة.

(٦) ذهبت: بليت وأصبحت منه بشر.

(٧) أفرق: أخاف.

(٨) غرر بنفسك: أي عرضها للهلاك.

الْتَعْلَبُ فِي الرُّقْبِ الَّذِي عَرَفَ فَوَقَفَتْ تَحْتَ النُّخْلَةِ ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ. فَأَجَابَتْهُ
الْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكُ الْحَزِينِ. فَقَالَ لَهَا: أَخْبِرِينِي مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا: قَالَتْ:
عَلَّمَنِي مَالِكُ الْحَزِينِ.

فَتَوَجَّهَ التَّلْعَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكَا الْحَزِينِ عَلَى شَاطِئِيءِ النَّهْرِ فَوَجَدَهُ وَاقِفًا، فَقَالَ لَهُ
التَّلْعَبُ: يَا مَالِكُ الْحَزِينِ، إِذَا أَتَيْتَكَ الرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قَالَ: عَنْ
شِمَالِي. قَالَ: فَإِذَا أَتَيْتَكَ عَنْ شِمَالِكَ أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قَالَ: أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ
خَلْفِي. قَالَ: فَإِذَا أَتَيْتَكَ الرِّيحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ نَاحِيَةٍ، أَيْنَ تَجْعَلُهُ؟ قَالَ: أَجْعَلُهُ
تَحْتَ جَنَاحِي، قَالِي وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحِيكَ؟ مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ^(١).
قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ، فَلَعَمْرِي، يَا مَعْشَرَ الطُّيَرِ، لَقَدْ فَضَّلَكُمُ اللَّهُ عَلَيْنَا
إِنْ كُنَّا تَذَرِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَا نَذَرِي فِي سَنَةٍ. وَتَبْلُغْنَ مَا لَا نَبْلُغُ وَتُدْجِلْنَ
رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ، فَهَيِّئَا لَكُنَّ، فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ؟ فَأَدْخَلَ
الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ فَوَقَّبَ عَلَيْهِ التَّلْعَبُ مَكَانَهُ^(٢). فَأَخَذَهُ، فَهَمَزَهُ^(٣) هَمَزَةً دَقَّ
عُنْقَهُ^(٤)، ثُمَّ قَالَ: يَا عَدُوَّ نَفْسِي، تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ وَتَعْلَمُهَا الْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا، وَتَعْجِزُ
عَنْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَتِمَّكَ مِنْكَ عَدُوُّكَ، ثُمَّ قَتَلَهُ وَأَكَلَهُ.

- كَلِيلَةُ وَدَمَةِ ص ٤٠٣ - ٤٠٥.

(مَشُورَات دَار مَكْتَبَةِ الْحَيَاة - بَيْرُوت ١٩٨٣).

٣ - الْجَا حَظُّ^(٥)

(اِحْتِيَالُ الْحَيَاتِ لِلصِّيدِ)

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَكْفُوفُ النُّحُويُّ الْعَنْبَرِيُّ، وَأَخُوهُ رَوْحُ الْكَاتِبِ وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي

(١) مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ: مَا أَظُنُّهُ يَمَكِّنُكَ ذَلِكَ.

(٢) مَكَانُهُ: أَيُّ فِي مَكَانِهِ.

(٣) هَمَزَهُ: عَضَّهُ.

(٤) دَقَّ عُنْقَهُ: كَسَرَهَا.

(٥) هُوَ عَمْرُو بْنُ بَحْرَيْنَ مَحْبُوبُ الْكَتَاتِيِّ، أَبُو عِثْمَانَ، وَلِدَ سَنَةَ ١٦٣ هـ/ ٧٨٠ م بِالْبَصْرَةِ، وَدَرَسَ فِيهَا وَفِي
بَغْدَادَ، أَخَذَ النُّحُوَّ عَنْ الْأَخْفَشِ، وَأَخَذَ الْكَلَامَ عَنِ النَّظَّامِ، وَتَلَقَّفَ الْفَصَاحَةَ مِنَ الْعَرَبِ شَافَاهَا بِالْبَرْزَنْدِ، =

العنبر، أن عندهم في رمال بلعبر حية تصيد العصافير، وصغار الطير بأعجب صيد. زعموا أنها إذا انتصف النهار واشتد الحر في رمال بلعبر، وامتنعت الأرض على الحافي والمنتعل. ورُمض الجُنْدَب^(١)، غَمَسَتْ هذه الحية ذنبها في الرمل، ثم انتصبت كأنها رمح مركوز، أو عود ثابت، فيجيء الطائر الصغير أو الجرادة، فإذا رأى عوداً قائماً، وكرة الوقوع على الرمل لشدة حره، وقَعَ على رأس الحية، على أنها عود. فإذا وقَعَ على رأسها قبضت عليه، فإن كان جرادة أو جَعَلًا^(٢) أو بعض ما لا يُشبهها مثله، ابتلعتة، وبقيت على انتصابها. وإن كان الواقع على رأسها طائراً يُشبهها مثله أكلته وانصرفت. وأن ذلك دأبها منع الرمل جانبها في الصيف والقيظ، في انتصاب النهار والهاجرة. وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود، وأنه سيقوم له مقام الجذل للحرياء^(٣)، إلى أن يسكن الحر ووهج الرمل.

(وفي هذا الحديث من العَجَب أن تكون هذه الحية تهدي لمثل هذه الحيلة. وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود. وفيه قلة اكتراث الحية بالرمل الذي عاد^(٤) كالجمر، ووصلح أن يكون ملة^(٥) وموضعاً للخيزة، ثم أن يشتمل ذلك الرمل على ثلث

= يقال: إنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً من كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر. . وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا. ويقال: إنه كان عالم زمانه، وكبير أئمة الأدب. نسبت إليه فرقة الجاحظية، وهي إحدى فرق المعتزلة. كان دقيق التعليل، حر التفكير، ذا ملاحظة دقيقة، وروح مرحة. صور أحوال عصره أجمل تصوير. فليج في آخر عمره، كان مشوه الخلقة. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، فمات والكتاب على صدره، سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م. من مؤلفاته: البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء. انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٦/ ٧٤ - ١١٤. ووفيات الأعيان ٣/ ٤٧٠ - ٤٧٥. والأعلام ٥/ ٧٤.

(١) الجندب: ضرب من الجراد صغير. ورُمض: آلمه الرُمض وأحرقه، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه.

(٢) الجعل: ضرب من الخنافس.

(٣) الجذل: بالكسر والفتح: ما عظم من أصول الشجر، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان. والحرياء: دويبة بطيئة الحركة تتلون ألواناً، لتحفظ نفسها بذلك.

(٤) عاد: بمعنى صار.

(٥) الملة: بالفتح: الرماد الحار. والخيزة، بالضم: عجين يوضع في الملة حتى ينضج.

الحية ساعاتٍ من النهار، والرمْلُ على هذه الصفة. فهذه أعجوبة من أعاجيب ما في الحيات).

- كتاب الحيوان ٤/ ١٠٧ - ١٠٨.

٤ - الجاحظ

(قصة أهل البصرة من المسجدين)^(١)

قال أصحابنا من المسجدين: اجتمع ناسٌ في المسجدِ ممن يَتَّحِلُ^(٢) الاقتصادَ في النفقة، والتَّئِمَّةَ للمال، من أصحابِ الجَمْعِ والمنع^(٣). وقد كان هذا المذهبُ صار عندهم كالنَّسَبِ الذي يَجْمَعُ على التَّحَابِّ، وكالحَلِفِ^(٤) الذي يَجْمَعُ على التَّنَاصُرِ. وكانوا إذا التقوا في حَلَقِهِمْ^(٥) تذاكروا هذا البابَ^(٦)، وتطارحوه^(٧) وتدارسوه.

فقال شيخُهم: ماءٌ بثرنا - كما قد علمتم - مِلْحٌ أَجَاجٌ^(٨) لا يَقرُّبه الجِمارُ، ولا تُسَيِّغه^(٩) الإبلُ، وتموتُ عليه النخلُ. والنَّهْرُ منا بعيدٌ. وفي تكْلِيفِ العَذْبِ علينا

(١) يظهر أنهم كانوا طائفة خاصة من البخلاء يجتمعون في المساجد، كما يجتمع أهل الصناعة الواحدة، أو الرأي الواحد في أنديةهم لعهدنا هذا. وهذه القصة من كتاب: «البخلاء» الذي يعرفه الجاحظ بقوله: «إنه كتاب في نوادر البخلاء، واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز في باب الجد». أما عن سبب وضعه الكتاب، فقد كان العصر العباسي، عصر تنازع بين العرب والموالي، يظهر كل منهم مثالب الآخر، ولعل الجاحظ قصد في كتابه إظهار بخل الفرس... إلى جانب إظهار الأساليب القصصية.

(٢) يتحل الاقتصاد: يدعيه ويتخذ مذهباً.

(٣) جمع المال ومنعه من أن يتفلت من أيديهم ويذهب.

(٤) الحلف: العهد.

(٥) جمع حلقة، بفتح اللام، وهناك لغة أخرى بتسكين اللام في المفرد.

(٦) هذا الباب: أي البخل.

(٧) تطارحوه: طرح كل منهم ما عنده من الآراء فيه على أصحابه.

(٨) ملح أجاج: أي ملح مر.

(٩) ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق.

مُؤْنَةٌ^(١) . فكنّا نَمْزُجُ^(٢) منه للحمارِ ، فاعتلَّ عنه^(٣) ، وانتَقَضَ علينا^(٤) من أجله . فصرنا بعد ذلك نُسْقِيهِ العَذْبَ صِرفاً^(٥) . وكنتُ أنا والنعجةُ^(٦) كثيراً ما نَغْتَسِلُ بالعَذْبِ ، مخافةً أن يعترِيَ جُلُودَنَا منه مثلُ ما اعترى جَوْفَ الحِمَارِ . فكان ذلك الماءُ العَذْبُ الصافي يَذْهَبُ باطلاً .

ثم انفتح لي فيه بابٌ من الإصلاحِ ، فَعَمَدْتُ إلى ذلك المتوضِّئِ^(٧) ، فجعلتُ في ناحيةٍ منه حُفْرَةً ، وصَهَرَجْتُهَا^(٨) وملَّسْتُهَا ، حتَّى صارتُ كأنَّها صخرةٌ مَنْقُورَةٌ . وصُوبْتُ إليها المَسِيلَ^(٩) . فنحنُ الآن إذا اغتسلنا صار^(١٠) الماءُ إليها صافياً ، لم يُخَالِطْهُ شيءٌ . والحمارُ أيضاً لا تَقْزُرُ له^(١١) منه . وليس علينا حَرَجٌ^(١٢) في سَقْيِهِ منه . وما عَلِمْنَا أن كتاباً حرَّمَهُ^(١٣) ، ولا سُنَّةً نهَتْ عنه . فربحنا هذه منذ أيامٍ ، وأسقطنا مُؤْنَةً عن النفسِ والمالِ ، مَالِ القومِ^(١٤) . وهذا بتوفيقِ الله ومَنِّهِ^(١٥) .



-
- (١) أي تكلف جلب الماء العذب . ومؤنة : مشقة وكلفة .
(٢) نمزج منه : نضيف إليه شيئاً من ماء عذب .
(٣) اعتل عنه : أضرب عنه وأحجم . وقد جاءت «اعتل» متعدية بعن ، وهي ليست كذلك ، وإنما جاء في اللسان : واعتله : تجنى عليه ، فقد ضمن اعتل معنى أحجم أو أضرب ، فعاده بعن .
(٤) وانتقض علينا : عصانا وخرج علينا .
(٥) أي : غير ممزوج بماء البشر .
(٦) يريد بالنعجة : امرأته . وفي اللسان : تكنى بالنعجة والشاة عن المرأة .
(٧) اسم مكان من توضأ .
(٨) صهرجتها : عملتها بالصاروج ، وهو القطران .
(٩) أي : وجهته إليها . والمسيل : اسم مكان من سال .
صار : بمعنى اتجه وذهب .
(١١) تقزز من الشيء : نفر منه لدنسه .
(١٢) حرج : إثم .
(١٣) حرَّمَهُ : أي حرَّم سقي الحمار من ماء الاغتسال .
(١٤) فربحنا الخ : الإشارة إلى المسألة المستفادة من الكلام السابق ، وهي المحافظة على الماء العذب بإسائته إلى تلك الحفرة المصهجة . وقوله : مال القوم : يريد بالقوم : أسرته وأهله .
(١٥) منه : فضله ونعمته .

فأقبل عليهم شيخٌ فقال: هل شَعَرْتُم بموتِ مريمَ الصَّنَاعِ^(١)؟ فإنَّها كانت من ذَوَاتِ الاقْتِصَادِ، وصاحِبَةِ إِصْلَاحٍ، قالوا: فحدِّثْنَا عنها. قال: نَوَادِرُهَا كَثِيرَةٌ، وحديثُها طَوِيلٌ. ولكنِّي أُخِيرُكُمْ عن واحدةٍ فيها كِفَايَةٌ. قالوا: وما هي؟ قال: زَوَّجَتْ ابْنَتَهَا، وهي بنتُ اثْنَيْ عَشْرَةَ، فحَلَّتْهَا^(٢) الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وكسَتْها المَرْوِيَّ، والوُشْيَ والقَزَّ والخَزَّ^(٣)، وعَلَقَتْ المَعْصِفَ^(٤)، ودَقَّتِ الطَّيْبَ^(٥)، وعَظَّمَتْ أَمْرَهَا في عَيْنِ الخَتَنِ^(٦). ورفعت من قَدْرُهَا عِنْدَ الأَحْمَاءِ^(٧).

فقال لها زوجها: أُنَى هذا يا مريمَ^(٨)؟ قالت: هو من عند الله. قال: دَعِي عَنْكَ الجُمْلَةَ^(٩)، وهَاتِي التفسير. والله ما كُنْتُ ذَاتَ مالٍ قَدِيمًا، ولا وَرِثَةٍ حَدِيثًا. وما أَنْتِ بخَائِنَةٍ في نَفْسِكَ^(١٠)، ولا في مالٍ بَعْلِكَ. إِلَّا أَنْ تَكُونِي قد وَقَعْتَ على كَنْزٍ^(١١)! وكيف دَارَ الأمرُ^(١٢)؟ فقد أَسْقَطْتَ عَنِّي مُؤْنَةً، وَكَفَّيْتَنِي هذه النَّائِبَةَ^(١٣).

(١) امرأة صناع: ماهرة بعمل اليدين. وامرأتان صناعان. ونسوة صنع بضم الصاد والنون. ويظهر أن مريم هذه كانت مشهورة بهذا اللقب.

(٢) حلَّتْهَا: ألبستها الذهب وغيره.

(٣) المروي: نسبة إلى مرو. أي المروي من الثياب. والوشي: الثياب المنقوشة المنمنمة بالألوان الحسنة. والقز: الحرير. والخز: وبر ولد الأرنب، وهو الخُزَز بضم ففتح. والظاهر أنه نوع خاص من الأرناب كانوا يتخذون منه الثياب الغالية.

(٤) المعصفر: نبات تصبغ به الثياب، وعصفر الثوب: صبغه به. أي اتخذت لها الستائر من الثياب المعصفرة.

(٥) ودقت الطيب: أي سحقته وخلطته وجهزته للاستعمال.

(٦) الختن: من كان من قبل المرأة كالأب والأخ والعم والخال. والمعنى: إن والدتها بما جهزتها به رفعت شأنها عند الأختان.

(٧) الأحماء: جمع حم، وهو من كان من قبل الزوج، كإبيه وأخيه وعمه.

(٨) أنى: اسم استفهام بمعنى: من أين.

(٩) دعى الخ: أي لا تجعلني إيجابتك جملة، أي غير مفصلة.

(١٠) وما أنت الخ: أي لست ممن يكتسب المال بعرضهن.

(١١) وقعت على كنز: أصيبت كنزاً.

(١٢) وكيف إلخ: أي وعلى أي حال حدثت هذه الثروة فقد إلخ.

(١٣) النائبة: هنا، الأمر العظيم. وانمؤنة: المشقة والكلفة.

قالت: اعلم أنني منذ يوم ولدتها^(١) إلى أن زوجتها، كنت أرفع من دقيق كل عَجَنَةٍ حَفَنَةً^(٢). وكنا - كما قد علمت - نَحْزِرُ في كل يوم مرة. فإذا اجتمع من ذلك مَكُوكُ^(٣) بَعْتُهُ.

قال زوجها: ثَبَّتَ اللَّهُ رَأْيَكَ وَأَرْشَدَكَ! ولقد أسعد الله مَنْ كُنْتُ لَهُ سَكَنًا^(٤). وباركَ لِمَنْ جُعِلَتْ لَهُ الْإِلْفَا^(٥)! ولهذا وشبهه^(٦) قال رسول الله ﷺ: «مِنَ الذُّودِ إِلَى الذُّودِ إِبِلٌ»^(٧). وإني لأرجو أن يَخْرُجَ وَلَدُكَ عَلَى عِرْقِكَ الصَّالِحِ^(٨)، وعلى مَذْهَبِكَ المَحْمُودِ.

وما فَرَحِي بهذا مِنْكَ بِأَشَدِّ مِنْ فَرَحِي بما يُثَبِّتُ اللَّهُ بِكَ فِي عَقِي مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَرْصُوبَةِ. فَهَضَّ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى جَنَازَتِهَا، وَصَلُّوا عَلَيْهَا. ثُمَّ انْكَفَتُوا^(٩) إِلَى زَوْجِهَا، فَعَزَّوْهُ عَلَى مَصِيبَتِهِ، وَشَارَكُوهُ فِي حُزْنِهِ.



ثم اندفع شيخ منهم فقال: يَا قَوْمُ، لَا تَحْقِرُوا صِغَارَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ أَوَّلَ كُلِّ كَبِيرٍ صَغِيرٌ. وَمَتَى شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعْظَمَ صَغِيرًا عَظَمَهُ، وَأَنْ يُكَثَّرَ قَلِيلًا كَثُرَهُ، وَهَلْ يُبُوتُ الْأَمْوَالُ.

(١) منذ: حرف جرب معني من. ويوم: مبني على الفتح مضاف إلى جملة ولدتها.

(٢) الحفنة: ملء الكفين من طعام وغيره جمعه حَفَنٌ، بضم ففتح.

(٣) المكوك: مكيال يختلف في مقداره.

(٤) السكن: ما يسكن إليه من أهل ومال وغير ذلك.

(٥) الإلف: من تألفه، والجمع آلاف.

(٦) ولهذا وشبهه: ويعملك هذا، وما أشبهه من أعمال الاقتصاد في المال.

(٧) هذا ليس بحديث شريف، وإنما هو مثل، ومعناه: إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيراً. وإلى: بمعنى مع. وفي النهاية لابن الأثير: قوله ﷺ: ليس فيما دون خمس ذود صدقة. واختلف في الذود على أقوال كثيرة. والذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها. والكثير: أذواد.

(٨) الولد: يكون مفرداً وجمعاً. والمراد هنا الجمع. وعرق كل شيء: أصله. والجمع أعراق وعروق. فهو يطلب من الله أن ينبت أولادها على أصلها وسيرتها الصالحة من الحرص على المال والاقتصاد فيه.

(٩) انكفثوا: رجعوا.

إِلَّا دِرْهَمٌ إِلَى دِرْهَمٍ^(١)؟ وَهَلِ الذَّهَبُ إِلَّا قَيْرَاطٌ إِلَى جَنْبِ قَيْرَاطٍ؟ وَلَيْسَ^(٢) كَذَلِكَ رَمْلٌ عَالِجٌ^(٣) وَمَاءُ الْبَحْرِ؟ وَهَلِ اجْتَمَعَتْ أَمْوَالُ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِدِرْهَمٍ مِنْ هَا هُنَا وَدِرْهَمٍ مِنْ هَا هُنَا؟

فَقَدْ رَأَيْتُ صَاحِبَ سَفَطٍ قَدْ اعْتَقَدَ مِائَةَ جَرِيرٍ^(٤) فِي أَرْضِ الْعَرَبِ. وَلَرُبَّمَا رَأَيْتَهُ يَبِيعُ الْفُلْفُلَ بِقَيْرَاطٍ، وَالْحِمَصَ بِقَيْرَاطٍ، فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَرِجْ فِي ذَلِكَ الْفُلْفُلِ إِلَّا الْحَبَّةَ وَالْحَبَّتَيْنِ مِنْ خَشَبِ الْفُلْفُلِ^(٥). فَلَمْ يَزَلْ يَجْمَعُ مِنَ الصِّغَارِ الْكِبَارِ^(٦)، حَتَّى اجْتَمَعَ مَا اشْتَرَى بِهِ مِائَةَ جَرِيرٍ!

ثُمَّ قَالَ: اشْتَكَيْتُ أَيَّاماً صَدْرِي مِنْ سُعالٍ كَانَ أَصَابَنِي، فَأَمَرَنِي قَوْمٌ بِالْفَانِيذِ^(٧) السُّكْرِيِّ. وَأَشَارَ عَلَيَّ آخَرُونَ بِالْحَرِيرَةِ تُتَخَذُ مِنَ النَّشَاسْتِجِ وَالسُّكَّرِ وَدُهْنِ اللَّوزِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، فَاسْتَقَلْتُ الْمَوْتَةَ، وَكَرِهْتُ الْكُلْفَةَ، وَرَجَوْتُ الْعَافِيَةَ. فَبَيْنَمَا أَنَا أَدْفَعُ الْأَيَّامَ، إِذْ قَالَ لِي بَعْضُ الْمُؤَفِّقِينَ: عَلَيْكَ بِمَاءِ النَّخَالَةِ^(٨) فَاحْسُهُ^(٩) حَارًّا. فَحَسَوْتُ، فَإِذَا هُوَ طَيِّبٌ جِدًّا، وَإِذَا هُوَ يَعْصِمُ^(١٠): فَمَا جُعْتُ وَلَا اشْتَهَيْتُ الْغَدَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الظَّهْرِ. ثُمَّ مَا فَرَعْتُ مِنْ غَدَائِي وَغَسَلْتُ يَدَيَّ حَتَّى قَارَبْتُ الْعَصْرَ. فَلَمَّا قَرَّبَ وَقْتُ

(١) وهل بيوت الأموال الخ: أي ما تحويه هذه البيوت، فقد أطلق المحل وأراد الحال. وقوله إلى درهم، إلى: إما أن تكون بمعنى مع، أي: درهم مصحوب بدرهم، وإما أن تكون إلى على معناها الحقيقي.
(٢) وليس كذلك الخ: استفهام تقرير محذوف الأداة، أي: أو ليس الخ.
(٣) عالج: موضع ببداية العرب مشهور بكثرة رملته.
(٤) فقد رأيت الخ: الظاهر أنه يريد بائعاً من هؤلاء الجوالين الذين يحملون بضاعتهم في أسفاط. واعتقد ضيعة ومالاً: اقتناهما. والجريب: القطعة المتميزة من الأرض، ويختلف مقدارها بحسب اصطلاح أهل الإقليم.

(٥) الحبة: جزء صغير من الدرهم.
(٦) من الصغار الكبار: من الأشياء الصغار، أي: الحقيمة، الأرياح الكبار.
(٧) الفانيذ: ضرب من الحلواء، معرب.
(٨) النخالة: هي غير اللباب مما نخل.
(٩) حسا المرق: شربه شيئاً بعد شيء.
(١٠) يقال: هذا طعام يعصم: أي يمنع من الجوع.

غداثي مِنْ وَقْتِ عَشَائِي طَوَيْتُ الْعِشَاءَ، وَعَرَفْتُ قَصْدِي^(١).

فَقُلْتُ لِلْعَجُوزِ^(٢): لِمَ لَا تَطْبُخِينَ لِعِيَالِنَا فِي كُلِّ غَدَاةٍ نُخَالَةً؟ فَإِنَّ مَاءَهَا جِلَاءٌ لِلصُّدْرِ، وَقُوَّتُهَا غِذَاءٌ وَعِصْمَةٌ؛ ثُمَّ تُجَفِّفِينَ بَعْدَ^(٣) النُّخَالَةِ، فَتَعُودُ كَمَا كَانَتْ. فَتُبَيِّعِينَ إِذَا الْجَمِيعَ^(٤)، بِمِثْلِ الثَّمَنِ الْأَوَّلِ، وَتَكُونُ قَدْ رِبِحْنَا فَضْلَ مَا بَيْنَ الْحَالَيْنِ^(٥)! قَالَتْ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ جَمَعَ بِهَذَا السُّعَالِ مَصَالِحَ كَثِيرَةٍ، لِمَا فَتَحَ اللَّهُ لَكَ بِهَذِهِ النُّخَالَةِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحٌ بِدَنِكَ، وَصَلَاحٌ مَعَاشِكَ! وَمَا أَشْكُ أَنْ تِلْكَ الْمَشُورَةُ كَانَتْ مِنَ التَّرْفِيقِ!^(٦)

قَالَ الْقَوْمُ صَدَقْتَ، مِثْلُ هَذَا لَا يُكْتَسَبُ بِالرَّأْيِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا سَمَاقًا.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ شَيْخٌ فَقَالَ: كُنَّا نَلْقَى مِنَ الْحُرَاقِ وَالْقَدَاحَةِ جَهْدًا^(٧)، لِأَنَّ الْجِبَارَةَ كَانَتْ إِذَا انْكَسَرَتْ حُرُوفُهَا وَاسْتَدَارَتْ^(٨)، كُلَّتْ وَلَمْ تَقْدَحْ قَدَحَ خَيْرٍ، وَأَصْلَدَتْ فَلَمْ تُورِ^(٩). وَرُبَّمَا أَعْجَلْنَا الْمَطَرَ وَالْوُكُفَ^(١٠). وَقَدْ كَانَ الْحَجَرُ^(١١) أَيْضًا يَأْخُذُ

(١) طَوَيْتُ الْعِشَاءَ : لَمْ أَعِشَ . وَالْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ . يَعْنِي : أَنِّي عَرَفْتُ طَرِيقِي الْمُسْتَقِيمَةَ فِي طَعَامِي عَلَى هَذَا النُّحُو.

(٢) يَرِيدُ امْرَأَتَهُ .

(٣) بَعْدُ : أَيُّ بَعْدِ الطَّبْخِ ، وَبَعْدُ أَنْ أَنْقَوْتُ أَنَا وَأَنْتِ وَالْعِيَالُ بِمَاءِ النُّخَالَةِ .

(٤) الْجَمِيعَ : أَيُّ دَقِيقِ الْقَمَحِ وَنُخَالَتِهِ . أَمَّا الدَّقِيقُ : فَلَانَهُ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ . وَأَمَّا النُّخَالَةُ : فَلَأنَّهَا عَادَتْ بِالْجَفَافِ كَمَا كَانَتْ .

(٥) فَضْلَ مَا بَيْنَ الْحَالَيْنِ : مَا تَحْلُبُ مِنَ النُّخَالَةِ فِي الْمَاءِ .

(٦) وَمَا أَشْكُ الْخَ : هَذَا مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ لَا مِنْ كَلَامِ امْرَأَتِهِ .

(٧) الْحُرَاقُ : مَا تَقَعُ فِيهِ النَّارُ عِنْدَ الْقَدْحِ ، كَعُودٍ أَوْ قِطْعَةٍ مِنْ خَشَبٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَالْقَدَاحَةُ وَالْقَدَاحُ : الْحَجَرُ الَّذِي تَقْدَحُ بِهِ النَّارَ . وَالْقَدْحُ : ضَرْبُكَ . بِالْقَدَاحِ لِتَخْرِجَ النَّارَ . وَجَهْدًا : عَنَاءً وَمُشَقَّةً .

(٨) اسْتَدَارَتْ : صَارَتْ غَيْرَ حَادَةِ الْحُرُوفِ .

(٩) وَأَصْلَدَتْ وَلَمْ تُورِ : صَوْتٌ ، وَلَمْ تَخْرِجْ نَارًا . يُقَالُ : أَوْرَى الزُّنْدَ يَوْرِي إِيرَاءَ .

(١٠) أَعْجَلْنَا : حَمَلْنَا عَلَى الْعَجَلَةِ . وَالْوُكُفُ : نَزُولُ الْمَطَرِ . أَيُّ : وَقَدْ يَعِجَلُنَا نَزُولُ الْمَطَرِ وَنَحْنُ نَقْدَحُ النَّارَ ، بِمَا يَتَسَاقَطُ مِنْ مَائِهِ فَيَبِيلُ الْحُرَاقَ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ الْإِيرَاءِ .

(١١) الْمُرَادُ بِالْحَجَرِ : ذَلِكَ الَّذِي تَضْرِبُ بِهِ الْقَدَاحَةَ .

من حُرُوفِ الْقَدَاحَةِ، حَتَّى يَدْعَهَا كَالْقَوْسِ . فَكَنتَ أَشْتَرِي الْمَرْقَشِينَ^(١) بِالْعَلَاءِ،
وَالْقَدَاحَةَ الْغَلِيظَةَ بِالشَّمَنِ الْمَوْجِعِ .

وكان علينا أيضاً في صَنْعَةِ الْحَرَاقِ وفي مُعَالَجَةِ الْقُطْنَةِ مُؤَنَةً، وله رِيحٌ كَرِيهَةٌ .
وَالْحَرَاقُ لَا يَجِيءُ مِنَ الْخِرْقِ الْمَصْبُوغَةِ، وَلَا مِنَ الْخِرْقِ الْوَسِخَةِ، وَلَا مِنَ الْكُتَّانِ،
وَلَا مِنَ الْخُلُقَانِ^(٢) . فَكَتْنَا نَشْتَرِيهِ بِأَعْلَى الثَّمَنِ . فَتَذَاكِرُنَا مِنْذُ أَيَّامِ، أَهْلِ الْبَدْوِ
وَالْأَعْرَابِ، وَقَدَحَهُمُ النَّارَ بِالْمَرْخِ وَالْعَقَارِ^(٣) . فَرَعِمَ لَنَا صَدِيقُنَا الثُّورِيُّ^(٤) . وَهُوَ - مَا
عَلِمْتُ - أَحَدُ الْمُرْشِدِينَ، أَنَّ عَرَاجِينَ الْأَعْدَاقِ^(٥) تَنْتَوِبُ عَنْ ذَلِكَ أَجْمَعِ . وَعَلَّمَنِي
كَيْفَ تُعَالَجُ . وَنَحْنُ نُؤْتَى بِهَا مِنْ أَرْضِنَا بِلا كُلْفَةٍ . فَالْخَادِمُ الْيَوْمَ لَا تَقْدَحُ وَلَا تُورِي إِلَّا
بِالْعُرْجُونِ .

قال القوم: قد مرّت بنا اليومَ فوائدٌ كثيرة . ولهذا قال الأولُ^(٦) : مُذَاكِرَةُ الرِّجَالِ
تُلْقِحُ الْأَلْيَابَ^(٧) .

ثم أندفع شيخ منهم فقال: لم أر في وَضْعِ الْأُمُورِ مَوَاضِعَهَا، وفي تَوْفِيقِهَا غَايَةً
حُقُوقَهَا، كَمُعَاذَةِ الْعَنْبَرِيَّةِ: قالوا: وما شَأْنُ مُعَاذَةِ هَذِهِ؟ قال: أَهْدَى إِلَيْهَا الْعَامَ ابْنُ عَمِّ
لَهَا أَضْحِيَّةً^(٨) . فَرَأَيْتُهَا كَثِيْبَةً حَزِيْنَةً، مُفَكِّرَةً مُطْرَقَةً . فَقُلْتُ لَهَا: مَا لِكَ يَا مُعَاذَةَ؟

(١) المرقشينا: نوع من الحديد المبهر، الذي تحولت أجزاؤه إلى ما يشبه البلور. وتقول المعجمات
الانجليزية: إن الكلمة ذات أصل عربي، لكنها غير موجودة في المعاجم العربية. والمعنى: أن هذه
القطعة من الحديد كانت تقدح عليها النار، فلا تأكل، ولا تنفث.

(٢) الخلقان: جمع خلق، وهو البالي من الشيا.

(٣) المرخ: شجر سريع الوري، أي: إخراج النار. والعقار: شجر يتخذ منه الزناد، جمع زُند، وهو ما تقدح
به النار.

(٤) زعم: بمعنى قال. والثوري: هو أبو عبد الرحمن الثوري.

(٥) العرجون: الغدق إذا يبس وأعوج. والأعداق: جمع عُدْق، وهو الكباسة، أو عنقود النخلة. ويريد
بالعرجون هنا: الفرع من فروع الغدق اليابس.

الأول: سابق من الحكماء.

(٧) مذاكرة الرجال: مطارحتهم الحديث. وتلقح الألياب: تجعلها مثمرة منتجة.

(٨) الأضحية: الشاة التي تذبح ضحوة، جمعها أضاحي، ثم جعلت الكلمة للشاة التي تذبح يوم
الأضحى، وتسمى أيضاً ضحية والجمع ضحايا.

قالت: أنا امرأة أَرْمَلَةٌ، وليس لي (١) قِيمٌ. ولا عَهْدٌ لي بتدبير لحم الأَصَاجِي (٢). وقد ذهب الذين كانوا يُدَبِّرُونَهُ وَيَقُومُونَ بِحَقِّهِ (٣). وقد خِفْتُ أَنْ يَضِيعَ بَعْضُ هَذِهِ الشَّاةِ. ولَسْتُ أَعْرِفُ وَضَعَ جَمِيعِ أَجْزَائِهَا فِي أَمَاكِئِهَا. وقد عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ فِيهَا وَلَا فِي غَيْرِهَا شَيْئًا لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ. وَلَكِنَّ الْمَرْءَ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ (٤). وَلَسْتُ أَخَافُ مِنْ تَضْيِيعِ الْقَلِيلِ، إِلَّا أَنَّهُ (٥) يَجْرُ تَضْيِيعُ الْكَثِيرِ.

أَمَّا الْقَرْنُ فَالْوَجْهُ فِيهِ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ كَالْخُطَافِ (٦)، وَيُسَمَّرَ فِي جَذْعٍ مِنْ جُذُوعِ السَّقْفِ، فَيَعْلَقَ عَلَيْهِ الزُّبُلُ (٧) وَالْكِيرَانُ (٨)، وَكُلُّ مَا خِيفَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَارِ وَالنَّمْلِ وَالسَّنَانِيرِ، وَبَنَاتِ وَرْدَانَ (٩) وَالْحَيَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُصْرَانُ (١٠) فَإِنَّهُ لَأَوْتَارُ الْمِنْدَقَةِ (١١) وَبِنَا إِلَى ذَلِكَ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ (١٢)، وَأَمَّا قِحْفُ الرَّأْسِ وَاللُّحْيَانِ (١٣) وَسَائِرُ الْعِظَامِ (١٤)، فَسَبِيلُهُ (١٥) أَنْ يُكْسَرَ بَعْدَ أَنْ يُعْرَقَ (١٦)، ثُمَّ يُطْبَخَ. فَمَا ارْتَفَعَ مِنْ

(١) القيم: الذي يقوم بأمره ويتمهد شؤني.

(٢) تريد بتدبير لحمها: استعمال كل جزء منه الاستعمال اللائق.

(٣) أي: مات الذين كانوا يعرفون هذا الفن من أهلي.

(٤) ولكن المرء يعجز لا محالة: هذا مثل، أي: لا تضييق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز. والمحالة: الحيلة.

(٥) إلا أنه: أي: إلا لأنه.

(٦) الخطاف: حديدة معطوفة، أي: ملوية.

(٧) الزبل: جمع الزبيل، وهو القفة أو الجراب أو الوعاء.

(٨) الكيران: جمع الكور، وهو الرجل. والرحل: كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وغير ذلك، وجمعه أرحل ورحال.

(٩) بنات وردان: الصراصير.

(١٠) المصير: المعى، جمعه أمصرة ومصران، وجمع الجمع مصارين.

(١١) المندقة: آلة الندف. وهي ما يضرب به القطن ليرق.

(١٢) وبنا. . . الخ: أي أهل هذا المنزل.

(١٣) القحف: أعلى الدماغ من العظم، والجمع الأقحاف.

(١٤) اللحيان: تشبة لحي (يفتح وسكون)، وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

(١٥) سائر العظام: باقي العظام.

(١٦) فسيله: سبيل الانتفاع به. وكان مقتضى الظاهر أن يقول: فسيلها. ولكنه ذكر الضمير باعتبار هذا الذي ذكرت.

(١٧) عرق العظمة: أكل ما عليها من اللحم.

الدِّسَمِ كَانَ لِلْمِصْبَاحِ وَاللِّدَامِ وَلِلْعَصِيدَةِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ ^(١). ثُمَّ تَوَخَّذَ تِلْكَ الْعِظَامُ قِيَوْقَدُ بِهَا. فَلَمْ يَرَ النَّاسُ وَقُودًا قَطُّ أَصْفَى وَلَا أَحْسَنَ لَهَبًا مِنْهَا. وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَهِيَ أَسْرَعُ فِي الْقَدْرِ ^(٢)، لِقِلَّةِ مَا يُخَالِطُهَا مِنَ الدُّخَانِ. وَأَمَّا الْإِهَابُ ^(٣) فَالْجِلْدُ نَفْسَهُ جِرَابٌ. وَلِلصُّوفِ وَجُوهٌ لَا تُدْفَعُ ^(٤). وَأَمَّا الْفَرْتُ ^(٥) وَالْبَعْرُ فَحَطَبٌ إِذَا جُفِفَ عَجِيبٌ.

ثُمَّ قَالَتْ: بَقِيَ الْآنَ عَلَيْنَا الْإِنْتِفَاعُ بِالدَّمِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحَرِّمْ مِنَ الدَّمِ الْمَسْفُوحَ ^(٦) إِلَّا أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ، وَأَنَّ لَهُ ^(٧) مَوَاضِعَ يَجُوزُ فِيهَا وَلَا يُنْمَعُ مِنْهَا. وَإِنَّا أَنَا لَمْ أَقَعْ عَلَى عِلْمِ ذَلِكَ، حَتَّى يُوضَعَ مَوْضِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ ^(٨)، صَارَ كَيْفُهُ ^(٩) فِي قَلْبِي، وَقَدْ ذُيِّ ^(١٠) فِي عَيْنِي، وَهَمًّا لَا يَزَالُ يُعَاوِدُنِي ^(١١).

فَلَمْ أَكْبُتْ أَنَّ رَأَيْتُهَا قَدْ تَطَلَّقَتْ وَتَبَسَّمت ^(١٢). فَقُلْتُ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ انْفَتَحَ لَكَ بَابُ الرَّأْيِ فِي الدَّمِ ^(١٣). قَالَتْ: أَجَلٌ ^(١٤)، ذَكَرْتُ أَنَّ عِنْدِي قُلُورًا شَامِيَّةً جُدًّا. وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْبَغَ ^(١٥) وَلَا أَزِيدَ فِي قُوَّتِهَا، مِنَ التَّلَطُّيخِ بِالدَّمِ الْحَارِّ

(١) فما ارتفع .. إلخ: أي على وجه المرق في القدر. والإدام: ما يؤتمم به، وجمعه أدم. والعصيدة: طعام كان يتخذ من البندق والسمن والسكر.

(٢) أسرع في القدر: أسرع في إخماتها وإنضاجها فيها.

(٣) الإهاب: الجلد قبل الدبغ، أو هو الجلد مطلقاً.

(٤) وجوه لا تدفع: طرق من النفع لا تنكر.

(٥) الفرت: ما في الكرش من الزبل.

(٦) سفح الدم: أساله. والدم المسفوح: مما حرمه الله تعالى في القرآن.

(٧) أن له مواضع: أي وعلمت أن له.

(٨) حتى يوضع الخ: أي في حالة وقوعي على علمه.

(٩) كيف: اسم مرة من كواه يكويه كيا.

(١٠) القذى: ما يقع في العين من تراب ونحوه.

(١١) يعاودني: يأتي إلي مرة بعد أخرى.

(١٢) فلم ألبث الخ: أي فلم أبطئ في رؤيتي إياها قد الخ. وتطلعت: انشرفت وانبسطت.

(١٣) في الدم: في كيفية الانتفاع به.

(١٤) أجل: كنعم وزناً ومعنى.

(١٥) أدبغ: أي لها.

الدَّيْسِم . وقد استرحتُ الآن ، إذ وقعَ كُلُّ شيءٍ مَوْقَعَهُ !
 قال^(١) : ثم لقيتها بعدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فقلتُ لها : كيف كان قَدِيدُ^(٢) تلكِ الشَّاةِ ؟
 قالت : بأبي أنت^(٣) ! لم يَجيءْ وقتُ القَدِيدِ بَعْدُ ! لنا في الشُّحْمِ والأَلْيَةِ والجُنُوبِ
 والعَظْمِ المَعْرُوقِ وغيرِ ذلكِ مَعَاشٌ ! ولكلِّ شيءٍ إِيَّانُ !
 فقبَضَ صاحبُ الحمارِ والماءِ العَذْبِ قَبْضَةً من حَصَى ، ثم ضربَ بها
 الأرضَ^(٤) . ثم قال : لا تعلمُ أنكَ من المُسْرِفينَ ، حتَّى تسمعَ بأخبارِ الصالحين^(٥) ! .
 - كتابُ البخلَاءِ ١/ ٦٢ - ٧٠ .

٥ - ابن العميد أبو الفضل^(٦) من رسالة له في التهديد والولم^(٧) [فصل من أولها]

كتابي وأنا مترجِّحُ بينَ طَمَعٍ فيكَ ، ويأسٍ مِنكَ ، وإقبالٍ عليكِ ، وإعراضٍ

- (١) قال : أي الشيخ .
 (٢) القديد : اللحم المملوح المجفف في الشمس .
 (٣) بأبي أنت : مبتدأ وخبر ، أي أنت مفدى بأبي . وهي جملة تقال غالباً مقلّعة للكلام يأتي بعدها . وهي هنا للتعجب .
 (٤) فقبض الخ : ضرب من التعبير عن فرط إعجابه بحكمتها واقتصادها . وصاحب الحمار مضت قصته في بداية قصتنا هذه .
 (٥) لا تعلم الخ : يعني أن الإنسان يعلم حال نفسه من طريق الموازنة . فهذا الشيخ لم يكن يعرف أنه مسرف ، في زعمه ، حتَّى استمع إلى خبر معاذة .
 (٦) هو محمد بن الحسين العميد ، عين المشرق ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر في الكتابة ، وجميع أدوات الرياسة ، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة ، والأخذ من العلوم - كالفلسفة والنجوم وغيرها - بالأطراف القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ ، والرئيس يضرب به المثل في البلاغة ، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسُّل وجزالة الألفاظ وسلاستها ، إلى براعة المعاني ونفاستها . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد ، وقد ورث الكتابة عن أبيه أبي عبد الله الحسين . ولم يزل أبو الفضل في حياة أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس ، يتدرج إلى المعالي ويزداد على الأيام فضلاً وبراعة حتَّى بلغ ما بلغ ، واستقر في الذروة العليا من وزارة ركن الدولة ، ورياسة الجبل ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدي ، فمدحه بغرر من قصائده ، فوهبه ثلاثة آلاف دينار . كان كريماً ، قصده جماعة من الشعراء فأجازهم . كانت وزارته أربعاً وعشرين سنة وعاش نيفاً وستين ، توفي سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/ ٥٧ . وبيمة الدهر ٣/ ١٥٤ - ١٨١ . والأعلام ٦/ ٩٨ .
 (٧) يقول صاحب بيمة الدهر : لقد أجمع أهل البصيرة في الترسُّل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا =

عَنْكَ، فَإِنَّكَ تَدِلُّ^(١) بِسَابِقِ حُرْمَةٍ، وَتَمُتُ^(٢) بِسَالِفِ خِدْمَةٍ، أَيْسَرُهُمَا يَوْجِبُ رِعَايَةً، وَيَقْتَضِي مُحَافَظَةً وَعِنَايَةً، ثُمَّ تَشْفَعُهُمَا بِحَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ^(٣)، وَتُتْبِعُهُمَا بِآيَةِ^(٤) خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ. وَأَدْنَى ذَلِكَ يُحْبِطُ أَعْمَالَكَ^(٥)، وَيَمَحُقُ كُلَّ مَا يُرْعَى لَكَ^(٦)، لَا جَرَمَ أَنِّي وَقَفْتُ بَيْنَ مِيلٍ إِلَيْكَ، وَمِيلٍ عَلَيْكَ: أَوَّلُهُ رَجُلًا لِيَصْدِمَكَ. وَأَوَّلُهُ أُخْرَى عَنْ قَصْدِكَ، وَأَبْسُطُ يَدًا لِاصْطِلَامِكَ وَاجْتِيَاكَ^(٧)، وَأَتْنِي ثَانِيَةً لِاسْتِيقَاكَ وَاسْتَطْلَاكَ، وَأَتَوَقَّفُ عَنْ امْتِثَالِ^(٨) بَعْضِ الْمَأْمُورِ فِيكَ، ضَمًّا بِالنِّعْمَةِ عِنْدَكَ، وَمَنَافَسَةً فِي الصَّنِيعَةِ^(٩) لَدَيْكَ، وَتَأْمِيلًا لِفَيْئِكَ^(١٠) وَانْصِرَافًا، وَرَجَاءً لِمَرَاغِبِكَ وَانْعِطَافًا، فَقَدْ يَغْرُبُ الْعَقْلُ ثُمَّ يَأُوبُ^(١١)، وَيَعْزُبُ اللَّبُّ ثُمَّ يَثُوبُ^(١٢)، وَيَذْهَبُ الْحَزْمُ ثُمَّ يَعُودُ، وَيَقْسُدُ الْعَزْمُ ثُمَّ يَصْلَحُ، وَيُصَاغُ الرَّأْيُ ثُمَّ يُسْتَدْرَكُ، وَيَسْكُرُ الْمَرْءُ ثُمَّ يَصْحُو، وَيَكْذُرُ الْمَاءُ ثُمَّ يَصْفُو، وَكُلُّ ضَيْقَةٍ إِلَى رَخَاءٍ، وَكُلُّ غَمْرَةٍ^(١٣) إِلَى أَنْجِلَاءٍ. وَكَمَا أَنَّكَ أَتَيْتَ مِنْ إِسَاءَتِكَ بِمَا لَمْ تَحْتَسِبْهُ أَوْلِيَاؤُكَ، فَلَا يَدْعُ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ إِحْسَانِكَ. بِمَا لَا تَرْتَقِبُهُ

= ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه، وواسطة عقده، وما ظنك بأجود كلام، لأبلغ إمام... ثم قال: بلغني عن بلكا أنه كان يقول: والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس، ولقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك أدبي واستصلاحي، وردّي إلى طاعة صاحبه. (١٦٥، ١٦٢/٣).

- (١) الإدلال: الانسباط وفرط الثقة بالمدل عليه.
- (٢) تمت: تتوسل وتتصل.
- (٣) الغلول: الحقد والغش والخيانة.
- (٤) آنف: أي جديد.
- (٥) يحبط: يبطل ويلغي.
- (٦) يمحوق: يسحق ويزيل.
- (٧) الاصطلام: الاقتطاع من الأصل، والاجتياح مثله.
- (٨) الامتثال: أي الطاعة.
- (٩) الصنعة: الإحسان.
- (١٠) لفئتك: لرجوعك إلى الطاعة.
- (١١) يغرب: يذهب ويغيب. ويؤوب: يرجع ويعود.
- (١٢) يعزب: يذهب ويغيب. ويثوب: يرجع ويعود.
- (١٣) الغمرة: هنا، حدوث الشدائد والمحن والمصائب، وأصل الغمرة: التغطية بالماء، كموجة البحر تغمر الشيء ثم تنكشف عنه.

أعداؤك، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبته ما ركبته، واخترت ما اخترت. فلا عجب ان تتبته انتباهه تبصر فيها فبح ما صنعت، وسوء ما أثرت. وسأقيم على رسمي^(١) في الإبقاء والمطالعة ما صلح، وعلى الاستيناء^(٢) والمطاولة ما أمكن، طمعاً في إنابتك^(٣)، وتحكيمياً لحسن الظن بك، فلست أعدم فيما أظاير من أعذار^(٤)، وأرادفه من إنذار، احتجاجاً عليك واستدراجاً لك، فإن يشأ الله يرشدك، ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير^(٥).

- يتيمة الدهر ١٦٣/٣ - ١٦٤.

٦ - بديع الزمان الهمداني^(٦)

المقامة^(٧) المصيرية

حدّثنا عيسى بن هشام قال:

كنت بالبصرة، ومعي أبو الفتح الإسكندري رجل ألفصاحة يدعوها فتحيه،

(١) الرسم: يريد ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته.

(٢) الاستيناء: التمهّل والانتظار.

(٣) إنابتك: عودتك إلى ما كنت عليه، أو الرجوع عما أنت عليه.

(٤) أي: من عمل ينفي عذرك في المعصية ويكفل الرضا عنك.

(٥) يرجع إلى يتيمة الدهر للوقوف على نص آخر من الرسالة (١٦٥/٣ - ١٦٦).

(٦) هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني، أبو الفضل، صاحب الرسائل الرائقة الرائعة، والمقامات الفائقة، وكان ذكي القريحة، سريع الخاطر، صافي الذهن، قوي النفس، مطبوعاً، ولم يبلغ أحد مبلغه من لب الأدب وسره، ولم يأت بمثل إعجازه وسحره، فقد كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب. ولد في همدان سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٩ م، ثم ورد نيسابور سنة ٣٨٢ هـ، فلقى أبا بكر الخوارزمي، فشجر بينهما ما دعاهما إلى المساجلة، فطار ذكر الهمداني في الأفاق، ولم يترك ملكاً أو أميراً أو وزيراً إلا فاز بجوائزه. يقال: إنه كان يترجل مقاماته ارتجالاً، وكان - أيضاً - يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطر من سطوره، ويسير من آخر هذا الكتاب، حتى يصل إلى السطر الأول، فيخرجه دون عيب فيه، ويقال: إنه مات من السكته، وعجل دفنه، فأفاق في قبره، وسمع صوته بالليل، فنبش عنه، فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر سنة ٣٩٨ هـ/١٠٠٨ م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ٢٥٦/٤ - ٣٠١. ووفيات الأعيان ١٢٧/١ - ١٢٩. ومعجم الأدباء ١٦١/٢ - ٢٠٢. والأعلام ١١٥/١. ومجتمع الهمداني من خلال مقاماته، د. مازن المبارك، ص ٩ - ٢٥.

(٧) المقامة لغة: المجلس، والسادة، ويقال للجماعة من الناس يجتمعون في مجلس «مقامة» أيضاً. =

وَالْبَلَاغَةُ يَأْمُرُهَا قُطِيعُهُ^(١)، وَخَصَرْنَا مَعَهُ دَعْرَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ، فَقَدِّمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةً^(٢)،
تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَةِ^(٣)، وَتَتَرَجَّرُ فِي الْغَضَارَةِ^(٤)، وَتُوْذِنُ بِالسَّلَامَةِ^(٥)، وَتَشْهَدُ
لِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالإِمَامَةِ^(٦)، فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ، وَيَمُوجُ فِيهَا الطَّرْفُ^(٧)،

= ومقامات الناس مجالسهم. والمقامة: حديث أدبي بليغ وضع في صورة قصصية، أقرب إلى الحيلة منه إلى القصة. ويقال: إنها عبارة عن قصة قصيرة مسجوعة تتضمن عظة أو ملحمة أو نادرة، كان الأدباء يتبارون في كتابتها إظهاراً لما يمتازون به من براعة لغوية (أي أوايد اللغة) وأدبية. ويتوضح أكثر: هي عبارة عن حكاية قصيرة، قد تكون في صفتين أو أكثر، تعتمد على المغامرة، وتنتهي عادة بمفاجأة غير متوقعة يقوم بها شخص ذكي أديب، أو شاعر لبيب، يحسن التخفي ونصب الشراك والتقليد والمخادعة والتلون، فيمرق عبر المآزق، وهدفه النهائي أن ينال إعجاب الناس، ويفوز بدراهمهم وطعامهم. فالحكاية هي القلب العام لفن المقامة، الذي سمي بهذا الاسم، لأنها تروى في مجلس واحد، من رواية يقوم بين يدي الجالسين حاكياً لهم. ولكنها تختلف عن الحكاية في أنها تشتمل على الحوار، وربما الجدل والمناظرة، وتقتبس الشعر أو يضعه المؤلف نفسه، ولغتها مسجوعة دائماً أو غالباً، وفيها محسنات لفظية كثيرة. والمقامة تصور أهل الكدية والبائسين الضائعين، وما يعانون من شقاء في كسب العيش. وأشهر كتابها بديع الزمان الهمذاني، ورواية مقاماته عيسى بن هشام، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته (ت ٥١٦ هـ) واحتذى حذوه، واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضل، وأنه هو الذي أرشده إلى سلوك هذا النهج. نعود ونقول: إن رواية مقامات الهمذاني هو عيسى بن هشام، وهو الحارث بن همام عند الحريري. وبطل كل حكاية عند الهمذاني هو أبو الفتح الاسكندراني، وعند الحريري هو أبو زيد السروجي. انظر: لسان العرب (مادة قوم). ومجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، د. مازن المبارك. ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٠٧. والفن ومذاهبه في الشعر العربي، للدكتور شوقي ضيف، ص ٢٤٦-٢٥٤. وفنون الأدب، للدكتور محمد حسن عبد الله، ص ٢٤-٢٥. والأدب العربي في الأندلس، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ٤٧٦-٤٧٩.

(١) أي: أنه الوحيد المالك لزمام البلاغة، والمصرف لأعتتها، والقدير على رياضتها، وهي لا تعصي لا أمراً، ولا تخالف له رغبة، ما شاء تشاء، وما كره تكره.

(٢) المضيرة: نوع من الطعام يتخذ من اللحم واللبن والحامض، وربما أضيف إليه الحليب، ثم يوضع على ذلك التوابل والأبزار.

(٣) أي: تدل على أن أهل الحضر أقدر في صنعها من البدو فتشهد لهم بطول الباع في صنع ألوان الطعام.

(٤) تترجرج: تموج وتتحرك. والغضارة: القصعة.

(٥) أي: أن من يأكلها لا يتشكى ولا يتألم، وذلك من أسباب الإقبال عليها ودواعي التسارع إليها.

(٦) كان جلساء معاوية يقولون: إن طعامه دسم، ولم يشايعه في إمامته حال حياة علي كرم الله وجهه غير من يريدون ذلك، فلو كانت هذه المضيرة عنده لكانت من دواعي التفاهم حوله.

(٧) يزل: ينبو ويبعد ويزلق. والطرف: العين. والطرف: يريد، الحسن والجمال. وأصل الطرف: ذلاقة =

فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الْخِوَانِ مَكَانَهَا^(١)، وَمِنَ الْقُلُوبِ أَوْطَانَهَا^(٢)، قَامَ أَبُو الْفَتْحِ
 الإسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا، وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا، وَيَثْلِبُهَا وَطَاطِبُهَا^(٣)، وَظَنَّنَاهُ يَمْزُحُ فَإِذَا
 الْأَمْرُ بِالضُّدِّ، وَإِذَا الْمِرَاحُ عَيْنُ الْجِدِّ^(٤)، وَتَنَحَّى عَنِ الْخِوَانِ^(٥)، وَتَرَكَ مُسَاعَدَةَ
 الْإِخْوَانِ، وَرَفَعْنَاهَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا الْعُيُونُ^(٦)، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا
 الْأَفْوَاهُ^(٧)، وَتَلَمَّظَتْ لَهَا الشُّفَاهُ^(٨)، وَانْقَدَتْ لَهَا الْأَكْبَادُ، وَمَضَى فِي إِثْرِهَا
 الْفُؤَادُ^(٩)، وَلَكِنَّا سَاعَدْنَاهُ عَلَى هَجْرِهَا، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا^(١٠)، فَقَالَ: قِصِّي مَعَهَا
 أَطْوَلَ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا، وَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَمَنِ الْمَقْتُ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ^(١١)، قُلْنَا:
 هَاتِ، قَالَ: دَعَانِي بَعْضُ التُّجَّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَزِمَنِي مُلَازِمَةٌ الْغَرِيمِ^(١٢)،

= اللسان وحسن البيان . . والمعنى : إن هذه القصعة كانت بَرَاقة كثيرة التائق، شديدة اللمعان، بهيجة
 الرواء، حتى إن البصر لا يستطيع إدامة رؤيتها.

- (١) الخوان: بكسر وضم الحاء المعجمة، معرب، وهو ما يوضع عليه الطعام.
 (٢) الوطن: هو المحل الذي يلزمه الإنسان في أغلب حياته، وذلك كناية عن أن جمال المضيرة قد شغف
 قلوبهم، وحلَّ منها محل الحبيب من قلب المحب.
 (٣) يمقتها: يبغضها ويكرهها. ويثلبها: يعيبها. والمعنى : إنه ما فتىء يسب ويشتم ويلعن ويلعن كل من
 كانت له يد في تقديم هذه المضيرة.
 (٤) المعنى : إننا ما كنا نوهم أن يكون جاداً في كلامه لما كانت عليه المضيرة من البهاء والرونق، ولكنه
 كان جاداً حقيقة.

- (٥) تنحى: ابتعد.
 (٦) يعني : أننا كنا نتمنى لو دامت أماننا، فلما رفعناها كراهية منا توجهت إليها قلوبنا وانصرفنا نحوها أعيننا.
 (٧) أي : سال لعابها وجرى ريقها.
 (٨) أصل التلمظ ، إخراج اللسان ليأخذ ما على الشفتين من آثار الطعام، وقد أسنده إلى الشفتين لأنه لا بد
 من حركتهما حينذاك، وكانهم تخيلوا أنهم طعموا منها فتلمظوا.
 (٩) انقادت: احترقت . وإنما يحترق كبد المرء إذا فقد عزيزاً عليه، وذلك كناية عن شدة تألمهم لتفويته
 عليهم لذة التمتع بأكلها. ومضى الفؤاد: أي أنه قد ذهل كل منا وأخذته الدهشة فكانه قد ضاع صوابه
 وفقد رُشدَه.

- (١٠) المعنى : أننا وافقناه على ما فعل، وأظهرنا له الرضا عنه والقبول لتركها، غير أننا سألناه عن الذي دعاه
 إلى ذلك، إذ لم يكن تركها مما يعد أمراً مرضياً، فنسكت عنه.
 (١١) أي أن الحادثة يطول بي شرحها، فلو أني حدثتكم بها لخفت منكم كراهيتي، ولم آمن أن يضيع في
 سردها وقت نكون في حاجة إليه.
 (١٢) الغريم: صاحب الدين، وهو لا يفارق مدينته ولا يخفف عليه الطلب، والجمع غرماء وغرام.

وَالْكَلْبِ لِأَصْحَابِ الرِّقِيمِ^(١)، إِلَى أَنْ أُجِبْتُ إِلَيْهَا، وَقُمْنَا فَجَعَلَ طُولَ الطَّرِيقِ يُثْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ، وَيُقَدِّمُهَا بِمُهَجَّتِهِ، وَيَصِفُ حَذَقَهَا فِي صَنْعَتِهَا، وَتَأَنَّقَهَا فِي طَبْخِهَا^(٢) وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ لَوَرَأَيْتَهَا، وَالْخِرْقَةَ فِي وَسْطِهَا^(٣)، وَهِيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ، مِنَ التَّنُورِ إِلَى الْقُدُورِ وَمِنَ الْقُدُورِ إِلَى التَّنُورِ^(٤)، تَنْفُثُ بِفِيهَا النَّارَ^(٥)، وَتَذُقُ يَدَيْهَا الْأَبْزَارَ^(٦)، وَلَوَرَأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ عَبَّرَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ، وَأَثَرُ فِي ذَلِكَ الْخَدَّ الصَّقِيلِ^(٧)، لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُّ فِيهِ الْعُيُونُ، وَأَنَا أَعْشَقُهَا لِأَنَّهَا تَعْشِقُنِي، وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَرْزُقَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ، وَأَنْ يَسْعَدَ بِطَعْمِئَتِهِ^(٨)، وَلَا سِيَمَا إِذَا كَانَتْ مِنْ طِينَتِهِ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي لَحَا^(٩)، طَبْخُهَا طَبْخِي، وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتِي، وَعُمُومَتُهَا عُمُومَتِي، وَأَرْوَمَتُهَا أَرْوَمَتِي^(١٠)، لَكِنَّهَا أَوْسَعُ مِنِّي خُلُقًا، وَأَحْسَنُ خُلُقًا^(١١)، وَصَدَّعَنِي بِصِفَاتِ زَوْجَتِهِ،

(١) أصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف، الذين جرى ذكرهم في الكتاب العزيز في قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الآية ٩ سورة الكهف)، وكان لهم كلب لم يفارقهم.

(٢) يثنى على زوجته : يمدحها ويذكر محاسنها. ويقدمها بمهجته : يجعل نفسه فداء لها، وذلك كناية عن عزتها عليه ومحبة لها. والخلق : بالكسر والفتح، المهارة. وتأثق في عمله : صنعه بالإتقان والحكمة. أي : أنها إذا كانت ماهرة في جميع أعمالها فهي لا شك حاذقة في صنع المضيرة.

(٣) الخرقه : لباس يجعله الطباخ فوق صدره، ويرسله إلى آخر ثيابه، وهنا كناية عن نظافتها واهتمامها بالتأنق والإجادة.

(٤) التنور : ما يخبز فيه أنواع الخبز. والقدر : جمع قدر، وهو الإناء الذي يطبخ فيه.

(٥) تنفث : تنفخ.

(٦) الأبزار والأبازير : ما يوضع على الطعام لتمليح طعمه وإعطائه نكهة طيبة كالفلفل والقرنفل ونحوهما.

(٧) الخد الصقيل : المجلو النظيف، . ويروى : «الأسيل»، وهو اللين المستطيل.

(٨) أصل الطعينة : المرأة في الهودج، وأراد هنا المرأة فقط. أي : من تمام رفاة الإنسان واطمئنان عيشه، واستتباب راحته أن تكون زوجته مساعدة لا مخالفة ولا مشاكسة، بحيث تطيعه إذا أمر، وتسره إذا نظر، وتحفظه إذا غاب.

(٩) لحا : أي قرابة متصلة.

(١٠) الارومة : الأصل، والجمع الأروم. وأراد من الطينة : المنبت. والمعنى : إنني وإياها نشترك في المنبت «المنام والعمومة والأصل، فهي أشبه الناس بي، وأنا أشبه الناس بها، ولم تكن تليق إلا لي، ولم أكن أصلح إلا لها.

(١١) أي : أنها أجمل مني وأحسن أخلاقاً. والخلق - بضم تين - واحد الأخلاق. والخلق - بفتح فسكون - الخلقة.

حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَحَلَّتِهِ ^(١)، ثُمَّ قَالَ: يَا مَوْلَايَ تَرَى هَذِهِ الْمَحَلَّةَ؟ هِيَ أَشْرَفُ مَحَالٍّ
بَغْدَادَ، يَتَنَافَسُ الْأَخْيَارُ فِي نُزُولِهَا، وَيَتَغَايَرُ الْكِبَارُ فِي حُلُولِهَا ^(٢)، ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ
التُّجَّارِ، وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِالْجَارِ ^(٣) وَدَارِي فِي السُّطَّةِ مِنْ قِلَادَتِهَا ^(٤)، وَالنُّقْطَةُ مِنْ
دَائِرَتِهَا، كَمْ تُقَدَّرُ يَا مَوْلَايَ أَنْفَقَ عَلَى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا؟ قُلْتُ تَخْمِينًا، إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا ^(٥)،
قُلْتُ: الْكَثِيرُ، فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَكْبَرَ هَذَا الْغَلَطَ! تَقُولُ الْكَثِيرَ فَقَطُّ؟ وَتَنْفَسُ
الصُّعْدَاءَ ^(٦)، وَقَالَ: سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ، وَأَنْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ، فَقَالَ: هَذِهِ
دَارِي، كَمْ تُقَدَّرُ يَا مَوْلَايَ أَنْفَقْتُ عَلَى هَذِهِ الطَّاقَةِ ^(٧)؟ أَنْفَقْتُ وَاللَّهِ عَلَيْهَا فَوْقَ
الطَّاقَةِ ^(٨)، وَوَرَاءَ الْفَاقَةِ ^(٩)، كَيْفَ تَرَى صُنْعَتَهَا وَشَكْلَهَا؟ أَرَأَيْتَ بِاللَّهِ مِثْلَهَا؟ أَنْظُرْ إِلَى
دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ فِيهَا، وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجِهَا، فَكَأَنَّمَا خُطَّ بِالْبُرْكَارِ ^(١٠)، وَأَنْظُرْ إِلَى حِدْقِ
النُّجَّارِ فِي صُنْعَةِ هَذَا الْبَابِ، اتَّخَذَهُ مِنْ ^(١١) كَمْ؟ قُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ، هُوَ سَاجٌّ مِنْ

(١) صدعني : جلب إليّ الصداق. أي أنه ظل يكثر من الكلام في شأن زوجته والحديث عنها حتى أوردني

الصداق وجلب إليّ وجع الرأس، ومحلته : الجهة التي يسكنها من بغداد، والحي الذي يقيم به.

(٢) يتغايرون : يتعارضون ويتبادلون. والمعنى : أن هذه المحلة أفضل محال بغداد وأحسنها، لذلك ترى
الكبار والعلية يتبارزون في سكنها، ويتسابقون للحلول بها، ويتعارضون في دورها ومنازلها، أو يتبادلون
ذلك فيها.

(٣) وهذا التاجر يقول : إن جميع جيرانه تجار، فهو يريد : أن يتمدح جيرانه ليلزم من ذلك امتداح نفسه
ومنزله.

(٤) السُّطَّة : الوسط ، وأنفس ما يكون في العقود والقلائد من حبات اللؤلؤ هي الواسطة، فكأنه يقول : إنه
يقطن في أشرف نقطة في هذه المحلة.

(٥) أي : إن كنت لا تستطيع أن تقدر على وجه اليقين نفقاتي على هذه الدار فلا بأس من أن تقول كم تنوهم
أنني أنفقت.

(٦) أي : أظهر حزنه وأسفه بنفسه من أعماق صدره تنفساً عالياً على عدم مبالغتي له في النفقات.

(٧) الطاقة : النافذة (الشباك).

(٨) فوق الطاقة : أي فوق القدرة والإمكان.

(٩) الفاقة : الفقر والإملاق. والمعنى : إنه أنفق عليها مقداراً يسوق إليه الفاقة، ويجلب له الفقر، ويجزّ عليه
الإملاق.

(١٠) البركار - ويسمونه أيضاً الفرجار - آلة لتحديد الدوائر وتنظيمها.

(١١) يريد : من كم قطعة صنع النجار هذا الباب؟

قُطْعَةً وَاحِدَةً لَا مَأْرُوضٌ وَلَا عَفْنٌ^(١)، إِذَا حُرِّكَ أَنْ^(٢)، وَإِذَا نُقِرَ طُنٌّ^(٣)، مَنِ اتَّخَذَهُ يَا سَيِّدِي؟ اتَّخَذَهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ، وَهُوَ وَاللَّهُ رَجُلٌ نَظِيفُ الْأَثْوَابِ، بَصِيرٌ بِصُنْعَةِ الْأَبْوَابِ^(٤)، خَفِيفُ الْيَدِ فِي الْعَمَلِ، اللَّهُ دَرُّ ذَلِكَ الرَّجُلِ! بِحَيَاتِي لَا اسْتَعْنَتْ إِلَّا بِهِ عَلَى مِثْلِهِ^(٥)، وَهَذِهِ الْحَلَقَةُ تَرَاهَا اشْتَرَيْتُهَا فِي سُوقِ الطَّرَائِفِ مِنْ عِمْرَانَ الطَّرَائِفِيِّ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ مُعْزِيَّةٍ^(٦)، وَكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنَ الشَّبهِ؟^(٧) فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ، وَهِيَ تَدَوُّرٌ يَلْوُلُ فِي الْبَابِ، بِاللَّهِ دَوَّرَهَا، ثُمَّ أَنْقَرَهَا وَأَبْصَرَهَا، وَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ لَا اشْتَرَيْتَ الْحَلْقَ إِلَّا مِنْهُ؛ فَلَيْسَ يَبِيعُ إِلَّا الْأَعْلَاقَ^(٨)، ثُمَّ فَرَعَ أَلْبَابَ وَدَخَلْنَا الدَّهْلِيَّزَ، وَقَالَ: عَمْرُكَ اللَّهُ يَا دَ، وَلَا خَرَبَكَ يَا جِدَارُ، فَمَا أَمَتَنَ حِيطَانُكَ، وَأَوْثَقَ بُنْيَانُكَ، وَأَقْوَى أَسَاسِكَ، تَأْمَلُ بِاللَّهِ مَعَارِجَهَا^(٩)، وَتَبَيَّنَ دَوَائِلُهَا وَخَوَارِجُهَا، وَسَلَّنِي: كَيْفَ حَصَلَتْهَا؟ وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ أَحْتَلَّتْهَا، حَتَّى عَقَدْتَهَا^(١٠)؟ كَانَ لِي جَارٌ يُكْنَى أَبَا سُلَيْمَانَ يَسْكُنُ هَذِهِ الْمَحَلَّةَ، وَلَهُ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يَسَعُهُ الْخَزْنُ، وَمِنَ الصَّامِتِ مَا لَا يَحْصُرُهُ الْوَزْنُ^(١١)، مَاتَ رَجِمَهُ اللَّهُ وَخَلَّفَ خَلْفًا أَتْلَفَهُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالزَّمْرِ^(١٢)، وَمَرْقَهُ بَيْنَ النَّرْدِ وَالْقَمْرِ^(١٣)،

(١) الساج: شجر يطول ويرتفع جداً ويوجد بالهند. والمأروض: الذي أكلته الأرضة. والعفن: الذي أصابته الرطوبة.

(٢) أي: إذا فتح أو أغلق سمع صوت يشبه الأنين.

(٣) أي: وإذا دق عليه كان له طنين، وذلك دليل سلامته وجودة خشبه وصنعتة.

(٤) أراد من وصف الصانع بأنه نظيف الأثواب أن يصف مصنوعاته بالنظافة والبهجة، وأراد من كونه بصيراً بالصناعة أنها بالغة حد الإتقان، متناهية في الجودة والمتانة.

(٥) أي: إذا شئت أن تعمل مثل هذا الباب فلا تطلب غير ذلك الرجل الماهر الذي دلت صنعتة في هذا الباب على جِدِّهِ. والله دره: أي الله ما خرج منه من خير. ويقال: لا دَرُه: أي لا كثر خيره.

(٦) الحلقة: هي التي يندق بها عند الاستفتاح، ويجذب منها عند الإغلاق. وسوق الطرائف: كان ببغداد لبيع النفائس والذخائر. والدنانير المعزية: المنسوبة إلى المعز لدين الله الفاطمي.

(٧) الشبه: النحاس الأصفر.

(٨) الأعلاق: النفائس، جمع علق.

(٩) المعارج: جمع معراج، وهو الدُّرَج تصعد به إلى سطح الدار ونحو ذلك، وهو السلم أيضاً.

(١٠) عقدتها: ملكتها، وأجريت بيني وبين بائعها عقد الشراء.

(١١) الصامت: الذهب والفضة ونحوهما.

(١٢) خلف: ترك. ويقال للولد الصالح خَلَفَ بفتحتين، وللفساد الطالح خَلَفَ بفتح فسكون.

(١٣) المراد أنه بدد أموال أبيه في الملاهي والمفاسد.

وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَسُوقَهُ قَائِدُ الْأَضْطِرَارِ، إِلَى بَيْعِ الدَّارِ، فَيَبِيعَهَا فِي أَثْنَاءِ الضُّجْرِ، أَوْ يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلخَطَرِ، ثُمَّ أَرَاهَا، وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا، فَأَتَقَطَّعُ عَلَيْهَا حَسَرَاتِي، إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ^(١)، فَعِمِدْتُ إِلَى أَثْوَابٍ لَا تَبْضُ تِجَارَتُهَا فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ، وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ^(٢)، وَسَاوَمْتُهُ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيهَا نَسِيئَةً^(٣)، وَالْمُدَبِّرُ يَحْسِبُ النَّسِيئَةَ عَطِيَّةً^(٤)، وَالْمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُهَا هَدِيَّةً، وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ الْمَالِ، فَفَعَلَ وَعَقَدَهَا لِي^(٥)، ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنْ اقْتِضَائِهِ^(٦)، حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرُقُّ، فَأَتَيْتُهُ فَاقْتَضَيْتُهُ، وَاسْتَمَهَلَنِي فَأَنْظَرْتُهُ^(٧)، وَالتَّمَسَّ غَيْرَهَا مِنَ الثِّيَابِ فَأَحْضَرْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ^(٨)، وَوَثِيقَةً فِي يَدَيَّ، فَفَعَلَ، ثُمَّ دَرَجَتْهُ بِالْمَعَامَلَاتِ إِلَى بَيْعِهَا حَتَّى حَصَلَتْ لِي بِجَدِّ صَاعِدٍ^(٩)، وَبَخْتٍ مُسَاعِدٍ، وَقُوَّةٍ سَاعِدٍ، وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ^(١٠)، وَأَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ مَجْدُودٌ^(١١)، وَفِي

-
- (١) أي أنني خفت أن تتحكم فيه دواعي السرف وشهوة الإنفاق - وقد أضاع ما كان تحت يده من أموال أبيه - فتسوقه الضرورة لبيع هذه الدار، ثم يشتريها منه سواي، فأظل أسفاً عليها إلى أن أفارق الحياة الدنيا. والضجر: التبرم والتألم مع الملل والسامة.
- (٢) نُضِّتِ التجارة: كسدت ولم تُرَجَّ، أو تحولت نقداً بعد أن كانت متاعاً (ضدان) والثاني هو المراد هنا. والمعنى: أنني أخذت بعض أثواب لا يتصور أن يتجر فيها لعدم رَوَاجِ سوقها وحملتها إليه.
- (٣) النسيئة: تأخير الثمن، وأصله نسيئة - بالهمز - فقلب الهمزة ياء ثم أذغم.
- (٤) المدبر: الذي يسير إلى الخلف، وأراد منه المفلس، لأنه كان بعد العز والغنى يسير في طريق عكس الذي كان يسلكه.
- (٥) الوثيقة: الصك الذي يكتب فيه الدين. وعقدها: أي حررها والتزم بما فيها.
- (٦) اقتضاه: مطالبته بالدين الذي عليه.
- (٧) أي: انتظرت حتى علمت أنه موشك على الإفلاس، فجئته أطلب منه الأداء، فطلب مني أن أمهله فأمهله: أي أعطيته مهلة.
- (٨) الرهن: عين توضع في يد الدائن لتكون تأمينا له على ماله، حتى إذا أفلس المدين استوفى الدائن منها.
- درجته: واستدرجته، معناهما: أدنيته مما أريد على التدريج، فتدرج، أي: ذنا. وجد صاعد: حظ موفور، وبخت مرتفع.
- (٩) رب ساع لقاعد: أي أن بعض الناس يكذ نفسه ويجهدها ويحملها العناء والمشقة، ثم لا ينال من سعيه ودأبه فائدة، ولا يصيب من جده شيئاً، بل يكون عليه الغرم ولغيره الغنم، وتكون مهمته العمل ولسواه الربح والجزاء.
- (١١) مجدود: محظوظ.

مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مَحْمُودٌ، وَحَسْبُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي كُنْتُ مِنْذُ لَيَالٍ نَائِماً فِي الْبَيْتِ مَعَ مَنْ فِيهِ إِذْ قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ، فَقُلْتُ: مَنْ الطَّارِقُ الْمُتَنَابُ^(١)، فَإِذَا أَمْرَأَةٌ مَعَهَا عَقْدُ لَالٍ، فِي جِلْدَةٍ مَاءٍ، وَرَقَةٍ آلٍ^(٢)، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ، فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا إِخْذَةً خَلْسٍ، وَاشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ^(٣)، وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ، وَرَبْحٌ وَافِرٌ، بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَوَلْتِكَ، وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي فِي التَّجَارَةِ، وَالسَّعَادَةَ تُنْبِطُ أَلْمَاءُ مِنَ الْحِجَارَةِ^(٤)، اللَّهُ أَكْبَرُ! لَا يَنْبُتُكَ أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا أَقْرَبُ مِنْ أُمْسِكَ^(٥)، أَشْتَرَيْتُ هَذَا الْحَصِيرَ فِي الْمُنَادَاتِ، وَقَدْ أُخْرِجَ مِنْ دُورِ آلِ الْفَرَاتِ، وَقَتَ الْمُصَادَرَاتِ، وَزَمَنَ الْغَارَاتِ^(٦)، وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ مِنْذُ الزَّمَنِ الْأَطْوَلِ فَلَا أُجِدُّ، وَالْدَّهْرُ حَبْلِي لَيْسَ يُدْرَى مَا يَلِدُ^(٧)، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ، وَهَذَا يُعْرَضُ فِي الْأَسْوَاقِ، فَوَرَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِينَاراً، تَأْمَلُ بِاللَّهِ دِقَّتَهُ وَلَيِّنَهُ، وَصَنَعَتُهُ وَلَوْنَهُ، فَهُوَ عَظِيمُ الْقَدْرِ، لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي النَّدْرِ^(٨)، وَإِن كُنْتُ سَمِعْتُ بِأَيِّ عِمْرَانَ الْحَصِيرِيِّ فَهُوَ عَمَلُهُ، وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُقُهُ الْآنَ فِي

المتاب : الذي أتى دارك في وقت لا يأتي فيه الناس، وأصله الطارق مرة بعد مرة.

لال : أصله لآلي، وهو جمع لؤلؤة، ثم سهلت الهمزة. والال : السراب. يقول : إن هذا العقد في الصفاء واللمعان يشبه الماء، وفي الرقة يشبه الال.

(٣) ثمن بخس : قليل. والخلس : يشبه السرقة، فكأنه حين أخذه بالقليل من الثمن قد سرقه.

تنبُط : تُخرج، يقول : إن من رُزق السعادة ويؤمن الطالع وحسن الحظ، وَجَدَ الرِّيحَ فِي الَّذِي لَا يَتَوَهَّمُ فِيهِ، وَأَتَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَنْتَظَرُهُ.

(٥) الله أكبر : كلمة أجراها مجرى التعجب كسبحان الله. وينبتك : أي يخبرك. والمعنى : أنه لا يخبرك عن أحوالك ولا يحدثك بشؤونك أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ، لأنها هي التي تعلم مقدار الحقيقة، كما لا يكون أَقْرَبُ لِلصِّدْقِ وَلَا أَدْعَى إِلَيْهِ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ أَقْرَبِ أَيْامِكَ الْمَاضِيَةِ، وَهُوَ الْأَمْسَ، لَأنه أَعْلَقَهَا بِالذَّهْنِ وَأَقْرَبَهَا لِلتَّذَكُّرِ وَالْحِفْظِ.

(٦) المنادات : يشبه ما يسمى الآن بالمزاد. ودور الفرات : منازل أسرة كان لها هذا اللقب، وكان منهم علي ابن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزيراً للمقتدر بالله العباسي. فهو يشير بذلك إلى أنه نفيس عالي القدر، عظيم القيمة مما اقتناه الرؤساء واختزنه الأمراء ورغبه كبار الدولة.

(٧) شبه الدهر في مجيئه بما لا يفكر فيه وإتيانه على خلاف الظنون بالمرأة الجبلي، فإنك تعلم أنها تلد، ولكن لا تتحقق من نوع المولود. وكذلك الزمان تعلم أن فيه حوادث ولا تدري ما هي.

(٨) الندر والندر : القليل. والمعنى : إنه لا يتفق مثل هذا الحصر في كل حين، بل إنه يغلب عدم وجوده، وذلك - بعد وصفه بالنفاسة ودقة الصنعة وجودتها - شبه تأكيد.

حَانُوَيْهِ لَا يَوْجَدُ أَعْلَاقُ الْحُصْرِ إِلَّا عِنْدَهُ؛ فَبِحَيَاتِي لَا أَشْتَرِيْتُ الْحُصْرَ إِلَّا مِنْ دُكَّانِهِ،
فَالْمَوْمِنُ نَاصِحٌ لِإِخْوَانِهِ، لَا سِيَّمَا مَنْ تَحَرَّمَ بِخَوَانِهِ^(١)، وَنَعُوذُ إِلَى حَدِيثِ الْمِضِيرَةِ،
فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ، يَا غَلَامُ الطُّسْتِ وَالْمَاءِ^(٢)، فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، رُبَّمَا قَرَّبَ
الْفَرْجَ، وَسَهَّلَ الْمَخْرَجَ، وَتَقَدَّمَ الْغَلَامُ، فَقَالَ: تَرَى هَذَا الْغَلَامَ؟ إِنَّهُ رُومِيٌّ الْأَصْلُ،
عِرَاقِيُّ النَّشْءِ^(٣). تَقَدَّمَ يَا غَلَامُ، وَاحْسِرْ عَنْ رَأْسِكَ^(٤)، وَشَمِّرْ عَنْ سَاقِكَ، وَأَنْضِ عَنْ
ذِرَاعِكَ^(٥)، وَافْتَرِ عَنْ أَسْنَانِكَ^(٦)، وَأَقْبِلْ وَأَذْبِرْ، فَفَعَلَ الْغَلَامُ ذَلِكَ، وَقَالَ التَّاجِرُ: بِاللهِ
مَنْ أَشْتَرَاهُ؟ اشْتَرَاهُ وَاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ، مِنْ النُّخَاسِ^(٧)، ضَعِ الطُّسْتَ، وَهَاتِ
الْإِبْرِيْقَ، فَوَضَعَهُ الْغَلَامُ، وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ وَقَلْبَهُ وَأَذَارَ فِيهِ النَّظَرَ ثُمَّ نَقَرَهُ، فَقَالَ: أَنْظُرْ إِلَى
هَذَا الشَّيْءِ كَمَا أَنَّهُ جَذْوَةُ اللَّهَبِ، أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ^(٨)، شَبَّهَ الشَّامَ، وَصَنَعَهُ
الْعِرَاقِيُّ^(٩)، لَيْسَ مِنْ خُلُقَانِ الْأَعْلَاقِ^(١٠)، قَدْ عَرَفَ دُورَ الْمُلُوكِ وَذَارَهَا^(١١)، تَأَمَّلْ حُسْنَ
وَسَلْبِي مَتَى أَشْتَرَيْتُهُ؟ أَشْتَرَيْتُهُ وَاللَّهِ عَامَ الْمَجَاعَةِ، وَأَذْخَرْتُهُ لِهَذِهِ السَّاعَةِ، يَا غَلَامُ
الْإِبْرِيْقَ، فَقَدَّمَهُ، وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ فَقَلْبَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَأَنْبُوَيْتُهُ مِنْهُ^(١٢)، لَا يَصْلُحُ هَذَا الْإِبْرِيْقُ

(١) حَرَّمَ الْإِنْسَانُ وَحَرِيْمُهُ: مَا يَحْمِيهِ وَيَقَاتِلُ عَنْهُ وَيَمْنَعُ دُونَهُ. وَأَبُو الْفَتْحِ سَيَتَاوَلُ مَعَ ذَلِكَ التَّاجِرِ الْمِضِيرَةِ عَلَى خِرَانٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ لَاذٍ بِجَوَارِهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ تَجِبَ عَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ وَتَوْضِيحُ الْأَمْرِ لَهُ.

(٢) الطُّسْتُ وَالْمَاءُ: مَفْعُولَانِ لِفِعْلِ مَضْمَرٍ، أَيُّ: أَحْضَرَهُمَا.

(٣) النَّشْءُ: الْمُنْشَأُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ رُومِيٌّ، تَرَبَّى بِالْعِرَاقِ، وَتَعَلَّمَ الْخِلْعَةَ فِيهَا، وَنَشَأَ عِنْدَ أَهْلِهَا.

(٤) احْسِرْ: اكْشِفْ، لِيُظْهَرَ شَعْرُكَ وَسَلَامَةُ رَأْسِكَ.

(٥) أَنْضِ: انْزِعْ، مِنْ نَضَا ثَوْبَهُ يَنْضُوهُ، إِذَا خَلَعَهُ.

(٦) وَافْتَرِ: أَيُّ اضْحَكْ حَتَّى تَكْشِفَ عَنْ أَسْنَانِكَ.

النُّخَاسُ: الَّذِي يَبِيعُ الْعَبِيدَ، وَيَطْلُقُ الْعَبْدَ عَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ بِالسَّوَاءِ.

(٨) أَيُّ: أَنَّ نَحَاسَ هَذَا الْإِبْرِيْقِ فِي صِفَاتِهِ وَلَمَعَانِهِ يَشَبُّهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّارِ، لِأَنَّهَا تَبْرِقُ وَتَلْمَعُ، أَوْ الْقِطْعَةُ مِنَ الذَّهَبِ لِأَنَّهَا صَافِيَةٌ بِرَاقَةٌ.

(٩) أَيُّ: أَنَّهُ مِنْ نَحَاسِ الشَّامِ، وَكَانَتْ مَشْهُورَةً بِجُودَةِ نَحَاسِهَا. وَقَدْ صَنَعَ فِي الْعِرَاقِ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مُهَيَّطُ الْحَدِّقِ.

(١٠) خُلُقَانُ: جَمْعُ خَلَقَ، وَهُوَ الْبَالِي. وَالْأَعْلَاقُ: جَمْعُ عَلَقَ وَهُوَ النَّفِيسُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّهُ نَفِيسٌ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْطَرُقَ إِلَيْهِ الْبَلَى مَعَ طَوْلِ الْعَهْدِ بِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا يُوَكِّدُ جُودَةَ أَصْلِهِ.

(١١) أَيُّ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ الْمُلُوكِ.

(١٢) الْأَنْبُوْبُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ الْمَاءُ.

إِلَّا لِهَذَا الطُّسْتِ، وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الطُّسْتُ إِلَّا مَعَ هَذَا الدُّسْتِ^(١)، وَلَا يَحْسُنُ هَذَا الدُّسْتُ إِلَّا فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَلَا يَجْمَلُ هَذَا الْبَيْتُ إِلَّا مَعَ هَذَا الضَّيْفِ، أُرْسِلَ الْمَاءُ يَا غُلَامُ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الطَّعَامِ، بِاللَّهِ تَرَى هَذَا الْمَاءَ مَا أَصْفَاهُ، أَزْرَقُ كَعَيْنِ السِّنُورِ^(٢)، وَصَافٍ كَقَضِيبِ الْبُلُورِ^(٣)، اسْتَقِيَ مِنَ الْفَرَاتِ^(٤)، وَاسْتَعْمِلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ^(٥)، فَجَاءَ كِلْسَانِ الشُّمْعَةِ، فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ، وَلَيْسَ الشَّانُ فِي السَّقَاءِ، الشَّانُ فِي الْإِنَاءِ، لَا يَذُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ، أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ^(٦)، وَهَذَا الْمُنْدِيلُ سَلَنِي عَنْ قِصْبِهِ، فَهُوَ نَسَجَ جُرْجَانَ^(٧)، وَعَمَلُ أَرْجَانٍ، وَقَعَ إِلَيَّ فَاشْتَرَيْتُهُ، فَاتَّخَذْتُ أَمْرَاتِي بَعْضُهُ سَرَاوِيلًا^(٨)، وَاتَّخَذْتُ بَعْضُهُ مِنْدِيلًا، دَخَلَ فِي سَرَاوِيلِهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَانْتَزَعْتُ مِنْ يَدِهَا هَذَا الْقَدَرِ انْتِزَاعًا^(٩)، وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى الْمَطْرُزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ وَطَرَزَهُ^(١٠)، ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ، وَخَزَنْتُهُ فِي الصُّنْدُوقِ، وَأَدْخَرْتُهُ لِلْظَّرَافِ، مِنَ الْأَضْيَافِ^(١١)، لَمْ تَذَلَّهُ عَرَبُ الْعَامَةِ بِأَيْدِيهَا، وَلَا النِّسَاءُ لِمَاقِيهَا^(١٢)، فَلِكُلِّ عِلْقٍ يَوْمٌ، وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ^(١٣)، يَا غُلَامُ! الْخَوَانُ، فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ، وَالْقِصَاصُ، فَقَدْ طَالَ

(١) الدُّسْتُ: المكان المهيأ لمقابلة الضيفان، وهو أشرف ما يكون في البيت وصدر الدار.

(٢) السِّنُور: القط.

(٣) البلور؛ نوع من الزجاج، وقيل: إنه جوهر، يريد هذا، ويضرب به المثل في النقاء والصفاء.

(٤) استقى: أخذ.

(٥) أي: ولم نستعمله إلا بعد أن ظل ليلته في إناء ليبرد ويتم صفاؤه.

(٦) أي: أن الإناء الذي بات فيه هو سبب صفائه ونظافته.

(٧) المنديل: خرقة تستعمل في تجفيف الأيدي من الماء. وأرجان: إحدى بلاد فارس.

(٨) سراويل: جمع سروال، وهو نوع من الثياب.

(٩) انتزعت: أخذت بشدة، والمعنى: أنها كانت تريد أن تستقيه كله لنفسها ضنا به، وحرصا عليه لجودته ونفاسته، ولكنني لم أشأ أن أوافقها على ذلك، بل أخذته منها رغماً عنها.

(١٠) طرزه: وشى أطرافه بالحرير ونحوه.

(١١) ادخرته: أبقيته. والظراف: جمع ظريف، وهو الحسن الزكي الجميل المنظر.

(١٢) أي: لم أخرجها لأحد حتى تبدله العامة فتدله، وكأنه جعل غير الظراف له مدله وهوانا. والمعنى: أهنته واحتقرته وهوت من شأنه، ولم أحسن القيام عليه. والمآقي: جمع مؤق، وهو مؤخر العين مما يلي الأنف، فأما مما يلي الصدغ فهو اللحاظ.

(١٣) يعني: أنه لا يجوز أن يجعل كل شيء من النفائس لكل ضيف طارق، بل ينبغي أن ترتب معدّات البيوت على قدر الناس ومستواهم.

الْمِصَاعُ^(١)، وَالطَّعَامَ، فَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ، فَأَتَى الْغُلَامُ بِالْخَوَانِ، وَقَلَّبَهُ التَّاجِرُ عَلَى الْمَكَانِ، وَنَقَرَهُ بِالْبَنَانِ، وَعَجَّمَهُ بِالْأَسْنَانِ^(٢)، وَقَالَ: عَمَرَ اللَّهُ بَغْدَادَ فَمَا أَجُودَ مَتَاعَهَا، وَأَظَرَفَ صُنَاعَهَا، تَأَمَّلْ بِاللَّهِ هَذَا الْخَوَانُ، وَأَنْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ، وَخِفَةِ وَزْنِهِ^(٣)، وَصَلَابَةِ عُودِهِ، وَحُسْنِ شَكْلِهِ، فَقُلْتُ: هَذَا الشُّكْلُ، فَمَتَى الْأَكْلُ^(٤)؟ فَقَالَ: الْآنَ، عَجِّلْ يَا غُلَامُ! الطَّعَامُ^(٥)، لَكِنَّ الْخَوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ^(٦)، قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ: فَجَاشَتْ نَفْسِي^(٧)، وَقُلْتُ: قَدْ بَقِيَ الْخَبْزُ وَالْآتَهُ، وَالْخَبْزُ وَصِفَاتُهُ^(٨)، وَالْجِنَطَةُ مِنْ أَيْنَ أَشْتَرَيْتَ أَصْلًا^(٩)؟ وَكَيْفَ اكْتَسَرَى لَهَا حَمَلًا^(١٠)؟ وَفِي أَيِّ رَحَى طَحَنَ^(١١)، وَإِجَانَةً عَجَنَ^(١٢)؟ وَأَيِّ تَنْوِيرٍ سَجَرَ^(١٣)، وَخَبَازٍ اسْتَأْجَرَ؟ وَبَقِيَ الْحَطْبُ، مِنْ أَيْنَ

(١) المصاع: أصله المجالدة. وما أشبه هذا الحديث البارد والكلام الممل بالمقاتلة والمكافحة، ولعمري لو أن أبا الفتح كان في معركة القتال لما لقي من الضيق وتآلم النفس وشدة الكرب عُشِيرَ ما لقيه من صاحبه، ولما كان يحتمل من بأس خصمه وشجاعته وقوته نصف ما لقيه من ندالة هذا الأحقق ويرود طبيعته. والقصاع: جمع قصعة.

قلبه على المكان: أي على الفور. ونقره: ضربه. والبنان: أطراف الأصابع. وعجمه بالأسنان: عضه بها ليخبره. والمعنى: أنه فعل كل هذه الأفعال ليمتدحه ويثني عليه.

(٣) عمر الله بغداد: جعلها عامرة أهلة بالسكان. والمتن: الظهر. وأراد منه المكان الذي يوضع عليه الطعام من الخوان. أراد أن يبين جودة خشبه الذي صنع منه، فذكر أنه خفيف الوزن وليس كما يتبادر إلى الذهن من ثقله وصعوبة حمله.

(٤) أي: لقد طال بي الانتظار، وسمعت منك كثيراً، ورأيت شكل خوانك، ولكن متى يحين الوقت لتحضّر الأكل؟

(٥) عجل الطعام: أحضره في العاجل.

(٦) أي أن له مزية خليقة بأن تلتفت إليها، وهي أن ظهره وقوائمه التي يقف عليها قطعة واحدة.

(٧) جاشت: تحركت وعلت.

(٨) المعنى: أنه قد بقي أن يتكلم حينما يأتي الطعام على كيفية الخبز، ويشرح لي كيف اشترى آتته، ويصفها وصفاً يطيل الأمد، ويزيد الكمد، ثم يتكلم عن الرغفان: فيبعتها ويمدحها ويثني عليها. وفي ذلك المضيق للوقت، وازدياد الألم الناجم عن كثرة كلامه.

(٩) أي: من أي مكان اشترى أصلها وهو الحب؟

(١٠) حملاً: المراد منه الحامل، لأنه هو الذي يكتسرى، وكثيراً ما يعبر بالمصدر عن اسمي الفاعل والمفعول.

(١١) الرحا: معروفة، وهي مؤنثة. والمثنى رَحَوَانٌ وَرَحَيَانٌ، والجمع رَحَى وَأَرْحَاءُ.

(١٢) الإجانة: إناء يستعمل في الغسيل والعجين ونحوهما.

(١٣) التنور: الموقد الذي يخبز فيه، وسجره: أشعله وأوقده.

اِخْتِطَبَ؟ وَمَتَى جُلِبَ؟ وَكَيْفَ صُفِّفَ حَتَّى جُفِّفَ؟ وَحَسِبَ، حَتَّى يَبْسَ، وَبَقِيَ الْخَبَازُ وَوَضَعُهُ، وَالتَّلْمِيذُ وَنَعْتُهُ ^(١) وَالْدَّقِيقُ وَمَذْحُهُ وَالْخَمِيرُ وَشَرْحُهُ، وَالْمِلْحُ وَمَلَاَحَتُهُ، وَبَقِيَتِ السُّكَّرَجَاتُ مَنِ اتَّخَذَهَا ^(٢)، وَكَيْفَ انْتَقَلَهَا ^(٣)؟ وَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا؟ وَمَنْ عَمِلَهَا؟ وَالْخُلُّ كَيْفَ انْتَقَى عَنْبَهُ أَوْ اشْتَرَى رُطْبَهُ ^(٤)؟ وَكَيْفَ صُهِرَجَتْ بِمَعَصْرَتِهِ ^(٥)؟ وَاسْتَخْلَصَ لُبَّهُ؟ وَكَيْفَ قُيِّرَ حَبُّهُ ^(٦)؟ وَكَمْ يُسَاوِي دَنُهُ؟ وَبَقِيَ الْبَقْلُ كَيْفَ أَحْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ ^(٧)؟ وَفِي أَيِّ مَبْقَلَةٍ رُصِفَ ^(٨)؟ وَكَيْفَ تَوُنَّقَ حَتَّى نُظِفَ ^(٩)؟ وَبَقِيَتِ الْمَضِيرَةُ كَيْفَ اشْتَرَى لَحْمُهَا؟ وَوُفِّيَ شَحْمُهَا؟ وَنُصِبَتْ قَدْرُهَا، وَأُجِجَتْ نَارُهَا ^(١٠)، وَدُقَّتْ أَزَارُهَا، حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُهَا وَعُقِدَ مَرْقُهَا؟ وَهَذَا خَطْبُ يَطْمٍ ^(١١)، وَأَمْرٌ لَا يَتِمُّ، فَقُمْتُ، فَقَالَ: آيْنَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: حَاجَةٌ أَقْضِيهَا، فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ اتْرِيدُ كَيْفَ يَزْرِي بِرَبِيعِي الْأَمِيرِ، وَخَرِيفِي الْوَزِيرِ ^(١٢)،

(١) أي: أنه بقي الكلام على أشياء كثيرة، لأنه لم يترك شيئاً يتعلق بالطعام إلا ذكره. والمراد بالتلميد: فتي الخباز.

(٢) السُّكَّرَجَاتُ: جمع سُكَّرَجَةٍ، وهي الصلصة، وجمعها صحاف كجفنة وجفان وزنا ومعنى، والمراد: أنه لا بد أن يتكلم عن الأواني التي سيكون فيها ألوان الطعام، كيف وقعت له؟ وعند أي الأمراء والملوك كانت؟ وأي صانع ماهر ذلك الذي صنعها؟ وكيف اشتراها؟ وهلم جرا.

(٣) انتقلها: أي استخلصها من بائعها بالشراء.

(٤) كان المعروف عندهم إذ ذاك خل العنب وخل الرطب فحسب، ولا بد أن يكون أحدهما على الخوان، وهو سيتكلم عنه وعن كيفية شرائه والسبيل التي سلكها حتى وصل إليه.

(٥) صهرجت: طليت بالصاروج، وهو أخلط من التُّورَةِ ونحوها، والتُّورَةُ: حجر الكلس.

(٦) الحُبُّ: بالضم هنا، بمعنى الخابية. وقُيِّرَ: طلي بالقار الذي هو القطران.

(٧) أي: قُطِعَ ورقه دون جلده.

(٨) المبقلة: مكان البقل الذي يزرع فيه. ورصف: أي نظم بعضه فوق بعض.

(٩) تأنق: استعمل الدقة في عمله، والمعنى: كيف استعملت الدقة والحدق في تنظيف هذا البقل مما لا بد أن يكون عالقاً به من طين ونحوه.

(١٠) أُجِجَتْ: أي أوقدت وأشعلت.

يطم: يشتد ويعظم، والمعنى: إن هذا رزء لا قدرة لي على احتمال مثله، وبلية لا قبل لي بها، فيجب أن أتدارك نفسي بالنجاء منها.

(١٢) الربيعي: المكان يتخذ للإقامة فيه أثناء زمن الربيع. والخريفي: يتخذ لزمن الخريف. ويقال: أزرى به وازدراه: إذا حقره وتهوانه بشأنه. وصاحب المضيرة: يزعم أن كنيته خير من من ربيعي الأمير، وأحسن من خريفي الوزير، وأنهما بجواره مزدريان، مستخف بهما، قبحه الله فما أقل عقله، وأكثر سماجته، وإنه لحريٌّ بأن يقطع عمره بين جدران ذلك الذي أعجبه وراق في نظره.

قَدْ جُحِّصَ أَعْلَاهُ وَصُنْهَرَجَ أَسْفَلُهُ^(١)، وَسُطِّحَ سَقْفُهُ، وَفُرِشَتْ بِالْمَرْمَرِ
أَرْضُهُ، يَزُودُ عَنْ حَائِطِهِ الذَّرُّ فَلَا يَعْلُقُ^(٢)، وَيَمْشِي عَلَى أَرْضِهِ الذُّبَابُ فَيَزْلُقُ^(٣)،
عَلَيْهِ بَابٌ غَيْرُ أَنَّهُ مِنْ خَلِيطِي سَاجٍ وَعَاجٍ^(٤)، مُزْدَوَجِينَ أَحْسَنَ اِزْدِوَاجٍ، يَتَمَنَّى
الضَّيْفُ أَنْ يَأْكَلَ فِيهِ، فَقُلْتُ: كُلُّ أَنْتَ مِنْ هَذَا الْجِرَابِ، لَمْ يَكُنِ الْكَيْفُ فِي
الْحِسَابِ، وَخَرَجْتُ نَحْوَ الْبَابِ، وَأَسْرَعْتُ فِي الذَّهَابِ، وَجَعَلْتُ أَعْدُو^(٥) وَهُوَ يَتَّبِعُنِي
وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الْفَتْحِ! الْمَضِيرَةُ، وَظَنَّ الصَّبِيانُ أَنَّ الْمَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا
صِيَاحَهُ^(٦)، فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ^(٧)، فَلَقِيَ رَجُلٌ الْحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ،
فَغَاصَ فِي هَامَتِهِ^(٨)، فَأَخَذْتُ مِنَ النَّعَالِ بِمَا قَدَّمَ وَحَدَّثْتُ، وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طَابَ
وَحَبَّتْ^(٩)، وَحُشِرْتُ إِلَى الْحَبْسِ، فَأَقَمْتُ عَامِينَ فِي ذَلِكَ النُّحْسِ، فَتَذَرْتُ أَنْ لَا
أَكُلَ مَضِيرَةً مَا عَشْتُ، فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهْمَذَانَ ظَالِمٌ^(١٠)؟.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبِلْنَا عُذْرَهُ، وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ، وَقُلْنَا: قَدِيمًا جَنَّتِ الْمَضِيرَةُ
عَلَى الْأَحْرَارِ^(١١)، وَقَدَمْتُ الْأَرَادِلَ عَلَى الْأَخْيَارِ.

- شرح مقامات بدیع الزمان الهمذاني، ص. ١٢١ - ١٤٣.

(١) جحصص: طلى بالجص، وهو الجير.

(٢) الذر: جمع ذرة، وهي أصغر النمل، وعِلِفَ بالشيء عُلُوقًا: تعلق، والمعنى: أنه لا يثبت على حائطه، ولا يستطيع البقاء عليه لملاسته.

(٣) أراد أنه شديد الملاسة أيضاً.

(٤) غير أنه: أي الفواصل بين الواحه. والعاج: سن الفيل.

(٥) أعدو: أي أسير بسرعة.

(٦) أي: أنهم صاروا ينادونني بما سمعوا منه.

(٧) فرط الضجر: شدة السأمة والملل.

(٨) هامة الرجل: رأسه. وغاص الحجر فيها: أي شجها ودخل فيها.

(٩) الصفع: الضرب على القفا خاصة.

(١٠) أي: هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المضيرة ما دام هذا هو السبب؟ أو هل ظلمت في نذري هذا؟

(١١) اللهم إنه لا توجد جريمة أعظم إبلاماً للنفس وأشد تنكيلاً بهامن هذه الجريمة، وإنما أسندها إلى المضيرة لأنها سببها.

٧ - من كتاب للقاضي الفاضل^(١)

(كتب به عن صلاح الدين الأيوبي صاحب الديار المصرية
إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد)^(٢).

«أدام الله أيام الديوان العزيز النبوي الناصري^(٣)، ولا زال مظفر الجند بكل جاحد^(٤)، غني التوفيق عن رأي كل رائد^(٥)، موقف المساعي على أقتناء مطلقات المحامد^(٦)، مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد^(٧)، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد^(٨)، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يلقي إلا بشكر واحد^(٩)، ولا

(١) هو أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين بن علي بن السعيد اللخمي : وزير، من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان (بفلسطين) سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م. انتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م. كان من وزراء السلطان صلاح الدين، يقال: «كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته». وكان صلاح الدين يقول: «لا تظنوا أنني ملكت البلاد بسيفكم بل بقلم الفاضل». لقد برز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار. يقال: إذا جمعت مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق فإنها ما تقصر عن مائة مجلد، وهو مجيد في أكثرها، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١٥٨/٣ - ١٦٣. والنجوم الزاهرة ١٥٦/٦. والخريدة، العماد الأصهباني، قسم مصر ٣٥/١. والأعلام ٣٤٦/٣. والفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف ص ٣٦٨ - ٣٧٥.

(٢) من كتاب كتب به القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الديار المصرية، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد، بفتح القدس وما معه، واقتلاع ذلك من أيدي الفرنج وإعادته إلى ما كان عليه من الإسلام. ونلاحظ أن القاضي أخذ على نفسه أن يأتي بالمحسنات اللفظية في كل جملة أو عبارة من: سجع وجناس وطباق ومقابلة. . . إلى جانب تأثيره الواضح بالقرآن الكريم.

(٣) يريد ديوان الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء الخليفة العباسي رقم (٣٤) (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م) قضى على نفوذ قادة الجيش في بغداد وأعاد للخلافة هيبتها

منهياً تسلط السلجوقيين. . . اشتهر بحزمه ودهائه. . . بلغت جيوشه خوزستان سنة ٩٥٣ هـ / ١١٩٦ م، واذربيجان سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م. انظر: تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٤) أي: حظه مظفر رغم كل جاحد. يريد: موفق في جده رغم كل جاحد. والجد: الاجتهاد في الأمر.

(٥) يريد: أنه يستغني بتوفيق الله له عن آراء الآخرين.

(٦) أي: جعل عمله وفقاً لوجه الله ابتغاء حمد كل حامد.

(٧) أي: أنه يهزم الأعداء هزيمة معنوية حتى ولو كان سيفه في غمده.

(٨) يقول: إن جوده موجود رغم انقطاع الخير عن الأرض.

(٩) أي: مساعيه متعددة، وهو لا يأمل إلا بشكر الله الواحد الأحد.

زالت غيوت فضله إلى الأولياء أنواء إلى المَرابع، وأنواراً إلى المساجد^(١)، وبُعوث
رُعبه إلى الأعداء خَيْلاً إلى المَرَاقِب وخَيْلاً إلى المَرَاقد^(٢).

كتب الخادم هذه الخدمة يَلُو ما صدر عنه مما كان يَجْري مَجْرى التَباشير بَصْنَح
هذه الخِدمة^(٣)، والعُنُونِ لكتاب وصف هذه النعمة^(٤)؛ فإنها بَحْرٌ للأقلام فيه سَبْحٌ
طويل^(٥)، ولُطْفٌ الحقُّ للشُّكر فيه عبءٌ ثَقِيلٌ^(٦)، وَيُسْرَى للخَوَاطِر في شَرْحِها
مَآرِبٌ^(٧)، وَيُسْرَى للأسرار في إظهارها مَسَارِبٌ^(٨)؛ والله في إعادة شُكْرِهِ رِضًا،
وللنعمة الراهنة به دَوَامٌ لا يُقال معه هذا مَضَى^(٩). وقد صارت أمورُ الإسلام إلى
أحسن مَصَايِرِها، وأسْتَبَّتْ عَقَائِدُ أَهْلِها على بَصَائِرِها؛ وتَقَلَّصَ ظِلُّ رِجاء الكافِر
المُبْشُوط، وَصَدَّقَ اللهُ أَهْلَ دينه فلَمَّا وقع الشرطُ حَصَلَ المشروطُ^(١٠)؛ وكان الدِّين
غريباً فهو الآن في وَطْنِهِ، والْفُورُ معروضاً فقد بُذِلَتِ الأنفُسُ في ثَمَنِهِ؛ وأَمَرَ امرؤُ الحقِّ
وكان مستضعفاً^(١١)، وأَهْلٌ رَبُّعُهُ وكان قد عِيفَ حينَ عَفَا^(١٢). وجاء أمرُ اللهِ وأُتُوْفِ أَهْلُ

(١) يقول : لا تزال عطاياه إلى الخاصة، كالغيث للربوع، وكانور في المساجد. والأنواء: جمع النوء، وهو المطر، والعطاء.

(٢) يقول : تصل طلائع جيشه (الخيول) إلى الأعداء في مراقبهم، ويفشاهم الرعب والخوف في مصاجعهم. والمراقب: جمع المَرْقبة، الموضع المرتفع يعلوه الرقيب. والمراقد: جمع المرقد، أي المضجع.

(٣) أي: كتب الخادم هذه الرسالة بعد الذي جرى من الانتصارات التي تشابه تباشير الصباح.

(٤) يريد: الانتصارات والفتوحات.

(٥) أي: إن هذه الانتصارات نبع لا ينضب يمدُّ الأقلام بمداد دائم..

(٦) أي: حمد الله على هذه النعم لا يوفيه ما يستحقه من الشكر.

(٧) يريد: وبشرى نجد في شرحها لك مآرب تتمتع بذكرها. و«بشرى»: مبتدأ، وخبره الجملة الاسمية بعده، وهي «للخواطر في شرحها مآرب».

(٨) يقول: لقد يسر الله لنا فيها تيسيراً عظيماً، وشرح أسرارها متعدد الجوانب. و«يسر»: مبتدأ، وخبره الجملة الاسمية بعده، وهي «للأسرار في إظهارها مسارب». والمسارب: جمع المَسْرَب، وهو

المذهب. يقال: «للوخش مسارب ومسارح» أي: أمكنة تذهب فيها وتسرح.

(٩) أي: أن نعمة مستمرة دائمة للحاضر والمستقبل لا يقال عن شيء فيها مَضَى.

(١٠) يريد قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

(١١) أي: ظهر أمر الحق وكان ضعيفاً.

(١٢) أي: امتلاً بالاهل، وكان قد عيف، أي: ترك، وهجر عندما هزم المسلمون.

الشرك راغمه ^(١) فأذْلَجَتِ السيفُ إِلَى الأَجَالِ وهي نائمة ^(٢) ، وَصَدَقَ وَعْدُ اللَّهِ فِي إظهار دينه على كُلِّ دينٍ، وَاسْتَطَارَتْ لَهُ أَنْوَارٌ أَبَانَتْ أَنَّ الصَّبَاحَ عِنْدَهَا حِيَانُ الْحَيِّ ^(٣) ؛ وَاسْتَرَدَّ الْمُسْلِمُونَ تَرَاتُماً كَانَ عَنْهُمْ آيَقاً ^(٤) ، وَظَفَرُوا يَقْظَةً بِمَا لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ، طَيْفًا عَلَى النَّأْيِ طَارِقًا ^(٥) ؛ وَاسْتَفَرَّتْ عَلَى الْأَعْلَى أَقْدَامُهُمْ ^(٦) ، وَخَفَّتْ عَلَى الْأَقْصَى أَعْلَامُهُمْ ^(٧) ، وَتَلَاقَتْ عَلَى الصَّخْرَةِ قُبُلُهُمْ ^(٨) ، وَشَفِيَتْ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ صَخْرَةٌ كَمَا تُشْفَى بِالماءِ غُلْلُهُمْ ^(٩) .

وَلَمَّا قَدِمَ الدِّينُ عَلَيْهَا عَرَفَ مِنْهَا سَوِيْدَاءَ قَلْبِهِ ^(١٠) ، وَهَنَّا كَفُوْهَا الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ بَيَّتْ عِصْمَتِهَا مِنَ الْكَافِرِ بِحَرْبِهِ ^(١١) ؛ وَكَانَ الْخَادِمُ لَا يَسْعَى سَعْيَهُ إِلَّا لِهَذِهِ الْعُظْمَى ^(١٢) ، وَلَا يُقَاسِي تِلْكَ الْبُؤْسَى إِلَّا رَجَاءَ هَذِهِ النُّعْمَى ^(١٣) ؛ وَلَا يُنَاجِزُ مِنْ آسْتَمَطَلَهْ فِي حَرْبِهِ ^(١٤) وَلَا يُعَاتِبُ بِأَطْرَافِ الْقَنَّا مِنْ تَمَادَى فِي عَتْبِهِ ؛ إِلَّا لَتَكُونَ الْكَلِمَةُ مَجْمُوعَةً، وَالدَّعْوَةُ إِلَى سَامِعِهَا مَرْفُوعَةً ؛ فَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَلِيَنْفُوزَ بِجَوْهَرِ الْآخِرَةِ لَا

(١) أي : جاء أمر الله بالنصر وأنور الأعداء راغمه، أي : لصقت بالتراب.

(٢) أي : أخفينا سيوفنا إلى وقت حاجتنا إليها . . .

(٣) أي : تجلت الأنوار، وأظهرت أنه قد جاء وقت الصباح، أي : النصر.

(٤) آيَقاً: فاراً.

(٥) أي : ظفروا - باليقظة - بنصر حقيقي ما كانوا ليحلموا به في منامهم . يريد : أن يطابق بين اليقظة والمنام . والنأي : البعد.

(٦) أي : أنهم وصلوا في انتصاراتهم إلى أعلى الأماكن.

(٧) الأقصى : المسجد الأقصى .

(٨) الصخرة : قبة الصخرة .

(٩) يقول : شفيت غللهم بهذه القبل كما يرنوي الظمان بالماء النмир.

(١٠) سويداء قلبه : حبة قلبه .

(١١) أي : هنا الحجر الأسود الصخرة لطلاقها من الكافر وخلاصها، حين حاربهم صلاح الدين .

(١٢) أي : أن صلاح الدين بذل كل هذا البذل ليحقق هذا النصر العظيم (ولعله أراد أن يحرر المسجد الأقصى كما تحرر المسجد الحرام من الشرك قبلًا).

(١٣) أي : أنه لا يعاني قسوة المشقة إلا ابتغاء نعمة النصر.

(١٤) أي : لا يقاتل إلا من تمادى في حربه وأصر على ذلك . . .

بالعَرَضِ الأَدْنَى مِنَ الدُّنْيَا^(١)؛ وكانت الألسنة ربما سَلَقَتْهُ فَأَنْصَحَ قُلُوبَهَا بِالاحتِقَارِ^(٢)، وكانت الخواطرُ رُبَّمَا غَلَتْ عَلَيْهِ مَرَاكِهَا فَأَطْفَأَهَا بِالاحْتِمَالِ وَالِاضْطِبَارِ^(٣)؛ وَمَنْ طَلَبَ خَطِيرًا خَاطِرًا^(٤)، وَمَنْ رَامَ صَفْقَةً رَابِحَةً تَجَاسَرُ، وَمَنْ سَمَا لَأَنْ يُجَلِّيَ غَمْرَةً غَامِرًا^(٥)؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْقُعُودَ يُلِينُ تَحْتَ نُيُوبِ الْأَعْدَاءِ الْمَعَاجِمِ فَتَقْضُهَا^(٦)، وَيُضْعِفُ فِي أَيْدِيهَا مَهْرَ الْقَوَائِمِ فَتَقْضُهَا^(٧)؛ هَذَا إِلَى كَوْنِ الْقُعُودِ لَا يَقْضِي فَرَضَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ، وَلَا يُرْعَى بِهِ حَقُّ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ؛ وَلَا يُوفَى بِهِ وَاجِبُ التَّقْلِيدِ الَّذِي تَطَوَّقَهُ الْخَادِمُ مِنْ أُمَّةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ^(٨)، وَخَلَفَاءُ اللَّهِ كَانُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ لِلَّهِ يَسْأَلُونَ^(٩)؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا سُرُورَهُمْ وَسَرِيرَهُمْ خَلْفَهُمْ الْأَطْهَرِ، وَنَجَّلَهُمُ الْأكْبَرِ؛ وَبَقِيَّتُهُمُ الشَّرِيفَةُ^(١٠)، وَطَلَعَتُهُمُ الْمُتَنِيفَةُ^(١١)، وَعُلُوانُ صَحِيفَةِ فَضْلِهِمْ^(١٢) لَا عَدِيمَ سِوَادَ الْعِلْمِ وَبَيَاضَ الصَّحِيفَةِ^(١٣)؛ فَمَا غَابُوا لَمَّا حَضَرَ، وَلَا غَضُّوا لَمَّا نَظَرَ^(١٤)، بَلْ وَصَلَهُمُ

(١) أي: لا يعاتب بالرمح إلا من تطاول عليه... حتى تكون كلمة المسلمين مجتمعة ودعوة قائدها

مسموعة، وذلك كله إعلاءً لكلمة الله، فيفوز بجوهر الآخرة عن عرض الدنيا، وهو بهرجها وزينتها...

(٢) أي: ربما لاكته السنة الحسك، فسكت عنها، فصارت تغلي، فكانه أنضجها.

(٣) الرجل: القدر أو الوعاء على النار. يقول: ربما تاججت أفكارهم فغلت في قدورها. استعار الرجل

إلى القدر، فكان احتمالهم واصطباره عليهم سبباً في إطفاء نارهم، وامتصاص حقدهم. ولعل هذا

ماخوذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾.

(٤) جانس بين خطير وخطر.

(٥) أي: من كان هدفه أن يفرج كربة غامر في سبيل ذلك...

(٦) يقول: القعود عن الجهاد يلين معاجم المسلمين، فتقضيها أنياب الأعداء. والمعاجم: جمع معجم،

وهي الأسنان، أطلقها، وأراد بها مطلق القوة.

(٧) أي: أن القعود يضعف خيول المسلمين فيرسل الأعداء خيولهم.

(٨) يقول: لا يفي الخادم بالعهد الذي طوق عنقه آخذاً به من أئمة يقضون بالحق، وبه يعدلون...

(٩) أي: يتضرعون إلى الله.

(١٠) أي: لا شك أنهم أورثوا السرور والهدوء، وسلموا العرش لخلفهم الطاهر. ولعله يعني: ولده الأكبر

وأخوته... والسري: العرش.

(١١) أي: المشرفة العالية.

(١٢) أي: كذلك أورثهم علو فضلهم.

(١٣) يدعو لهم بالألأ يغيب سوادهم، أي: كثرتهم، وبياض أعمالهم. وقد كنى عن كثرتهم بالسواد، وعن جودة

أعمالهم بياض الصحيفة.

(١٤) لقد طابق بين غابوا وحضر، وبين غضوا ونظر. يريد: أنهم قد شاركوه في الجهاد.

الأجر لما كان به موصولا، وشاطروه العمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا^(١)؛ وخلص إليهم إلى المضاجع ما أطمأنت به جنوبها^(٢)، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سَميرا، والنهار به بصيرا^(٣)؛ والشرق يهتدي بأنواره، بل إن أبدى نورا من ذاته هتف به الغرب بأن واره^(٤)؛ فإنه نور لا تَكُنْه أغساق السدف^(٥)، وذكر لا تواريه أوراق الصُحف.

وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا^(٦)، وطارث فرقة فرقا^(٧). وفل سيفه فصار عصا^(٨)، وصدعت حصاته وكان الأكثر عدداً وحصا^(٩)، فكَلَّت حملاته^(١٠)، وكانت قدرة الله تُصَرِّف فيه العنان بالعيان^(١١)، عقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان^(١٢)؛ وعثرت قدمه وكانت الأرض لها

(١) أي: أنه وصلهم الأجر، وفاسموه إياه، وكانوا عند الله من المقبولين.

(٢) أي: حتى أوصلهم إلى مضاجع تطمئن إليها جوبهم.

(٣) أي: وفاز منها بشهرة وسمعة ما زال يذكرها الليل ويبصرها النهار.

(٤) أي: أن الشرق يهتدي بنوره (أي: بجهاده وانتصاراته) بينما يتمنى الغرب موته حتى يواريه في التراب. وقد استخدم الجناس التام بين بأنواره وبأن واره.

(٥) أي: أن نوره لا يستره ظلام الليل، وذكره لا يندثر.

(٦) أي: كتب لك صلاح الدين هذا الكتاب، وقد أظفره الله بالعدو الذي تكسرت رماحه شققا. والشفق: الخوف. والقنا: الرماح.

(٧) أي: تبددت جموعه هلعاً وخوفاً.

(٨) أي: تلثم سيفه فصار كالعصا بلا فائدة.

(٩) أي: تفرقت جموعه بعد أن كان أكثر الناس عدداً، والحصاة: العدد. وربما أراد بالحصاة: السحر، أي: بطل السحر والساحر، وتكون عصاه باطلة المفعول. ولعله أراد أيضاً بالحصاة: العقل، فيكون المعنى: أنه شتت عقولهم بعد أن كانت مجتمعة على رأي واحد.

(١٠) أي: تلاشت حملاته وانهارت.

(١١) أي: وكان قدرة الله تسيّر ركبهم، وتقود جمعهم عياناً، أي: مشاهدة. (يقال: عياناً، ولا يقال: بأم عينه). وقدرة الله - هنا - التي تسيّر الركب، إن كان المقصود منها ركب المسلمين، فهو إلى النصر، وإن كان المقصود منها جحافل الشرك، فهو إلى الهزيمة والثبور، وبش المصير. والعنان بالفتح: السحاب. والعنان بالكسر: رسن الدابة.

(١٢) أي: أن الله قد عاقبهم عقوبة، ليس لهم قدرة على ردّها، وكأنما شلت أيديهم. واليد - هنا - المقدرة. تقول: له عليّ يد، أي: فضل. واليدان - هنا - على الحقيقة والواقع.

حليفه ^(١) ، وَغَصَّتْ عَيْنُهُ وَكَانَتْ عُيُونُ السِّيفِ دُونَهَا كَسِيفِهِ ^(٢) ؛ وَنَامَ جَفْنُ سَيْفِهِ ^(٣) وَكَانَتْ يَقْظَتُهُ تَرِيْقُ نُطْفَ الْكَرَى مِنَ الْجُفُونِ ^(٤) ، وَجُدِعَتْ أَنْوْفُ رِمَاحِهِ ^(٥) ، وَطَالَ مَا كَانَتْ شَامِخَةً بِالْمُنَى أَوْ رَاعِفَةً بِالْمُنُونِ ^(٦) . وَأُضْهِتِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ الطَّاهِرَةُ وَكَانَتْ الطَّامِثُ ^(٧) . وَالرَّبُّ الْمَعْبُودُ الْوَاحِدُ وَكَانَ عِنْدَهُمُ الثَّالِثُ ^(٨) ؛ فَبُيُوتُ الشُّرْكَ مَهْدُومَةٌ ، وَبُيُوتُ الْكُفْرِ مَهْتُومَةٌ ^(٩) . وَطَوَائِفُ الْمُحَامِيَةِ ، مُجْتَمِعَةٌ عَلَى تَسْلِيمِ الْبِلَادِ الْحَامِيَةِ ^(١٠) ، وَشُجْعَانُهُ الْمُتَوَافِيَةُ ، مُذْعَنَةٌ بِذِلِّ الْمَطَامِعِ الْوَافِيَةِ ^(١١) ؛ لَا يَرَوْنَ فِي مَاءِ الْحَدِيدِ لَهُمْ عُصْرَهُ ^(١٢) ، وَلَا فِي فَنَاءِ الْأَفْنِيَةِ لَهُمْ نُصْرَهُ ^(١٣) ؛ وَقَدْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ، وَبَدَّلَ اللَّهُ مَكَانَ السِّيَةِ الْحَسَنَةِ ، وَنَقَلَ بَيْتَ عِبَادَتِهِ مِنْ أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَشَامَةِ إِلَى أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ .

وَقَدْ كَانَ الْخَادِمُ لَقِيَهُمُ اللَّقَاءَ الْأَوَّلِي فَاْمَدَّهُ اللَّهُ بِمَدَارِكَتِهِ ، وَأَتَجَدَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ ؛ فَكَسَرَهُمْ كَسْرَةً مَا بَعْدَهَا جَبْرٌ ، وَصَرَّعَهُمْ صَرْعَةً لَا يَعِيشُ مَعَهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ كُفْرٌ ؛ وَأَسْرَ مِنْهُمْ مَنْ أَسْرَتْ بِهِ السَّلَاسِلُ ^(١٤) ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ فَتَكَتْ بِهِ الْمَنَاصِلُ ^(١٥) ؛

(١) يقول: لقد كانت الأرض حليفة له، أي: مناصرة له، ثم أعرضت عنه وتخلت، فعثر وزل.

(٢) أي: كان العدو شامخاً، وأصبح مهيب الجناح، كاسف البال.. وربما يكون قد عني: أن العيون الحادة كالسيوف تغض الطرف حياةً ونحلاً منه لقوته. وقد أصبحت العيون كاسفة حسيرة.

(٣) أي: نام سيفه في غمده. وإضافة السيف إلى الجفن مجاز مرسل يراد به الغمد.

(٤) أي: لا تترك يقظته أثراً لسنة أو نوم في الجفون.

(٥) كناية عن تكسرها بعد أن كانت مرتفعة بالأمان.

(٦) يقول: بينما كانت بالأمس شامخة بأمانني النصر، أصبحت تنزف منها دماء الهزيمة والموت.

(٧) وأشرق الأرض المقدسة (أرض القدس) بنور ربها طاهرة بعد أن كانت (طامئة) أي ملوثة.

أي: اعترفوا بالله الواحد الأحد بعد أن كانوا يشركون معه ما ليس لهم به علم.

(٩) مهتومة: مكسرة.

(١٠) أن جنوده المدافعين عن المحميات، قد اتفقوا مجتمعين على تسليم هذه المحميات. ولعله يريد بالحامية: أنها تحمي ما وراءها من بلاد العرب، وقد قاموا بتسليمها.

(١١) أي: أن شجعانه المتوافية، أي: المتكاملة، مذعنة بالتنازل عن مطامعها الوافية، أي: العريضة.

(١٢) يقول: ما تبدله السيوف من دماء لهم عُصْرُهُ، أي: نَجَاءٌ وملجأ.

(١٣) يقول: لا يحسون في فسحة الدور الكبيرة من ينجدهم ويأخذ بيدهم.

(١٤) أي: أن السلاسل أصبحت أسيرة في أيدي هؤلاء الأسرى، وهنا تشبيه مقلوب.

(١٥) أي: قتل منهم من فتكت به السيوف، لعله يريد: قتلوا تحت أرجلهم من كثرتهم، ومن شدة القتال.

وَأَجَلَّتِ^(١) المعركةُ عن صَرْعَى من الخيل والسَّلاح فكم أهْلَةً سيوف تقارضن الضَّرَابَ بها حتى عادتُ كالعَراجين^(٢)، وَكَمْ أَنْجَمَ رِمَاحٍ تَبَادَلَتِ الطُّعَانُ حَتَّى صَارَتْ كَالْمَطَاعِينَ^(٣)؛ وَكَمْ فَارِسِيَّةٍ رَكَضَ عَلَيْهَا فَارِسُهَا السَّهْمَ إِلَى أَجْلِ فَاخْتَلَسَهُ^(٤)، وَفَعَرَتْ تِلْكَ الْقَوْسُ فَأَهَا فَإِذَا فُوهَا قَدْ نَهَشَ الْقِرْنَ^(٥) عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ فَافْتَرَسَهُ؛ وَكَانَ الْيَوْمُ مَشْهُودًا، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ شُهُودًا^(٦)؛ وَكَانَ الْكُفْرُ مَفْقُودًا، وَالْإِسْلَامُ مَوْلُودًا، وَجَعَلَ اللَّهُ ضُلُوعَ الْكُفَّارِ لِنَارِ جَهَنَّمَ وَقُودًا؛ وَأَمِيرَ الْمَلِكِ وَيَدَهُ أَوْثَقَ وَثَائِقِهِ^(٧)، وَآكَدَ وَصْلَهُ بِالذِّينِ وَعَلَائِقِهِ: وَهُوَ صَلِيبُ الصُّلْبُوتِ، وَقَائِدُ^(٨) أَهْلِ الْجَبْرُوتِ؛ وَمَا دُهِمُوا قَطُّ بِأَمْرٍ إِلَّا وَقَامَ بَيْنَ دَهَائِمِهِمْ يَبْسُطُ لَهُمْ بَاعَهُ، وَيَحْرُضُهُمْ^(٩). وَكَانَ مَدَّ الْيَدَيْنِ فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ وَدَاعِهِ^(١٠)؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ تَهَاوَتْ عَلَى نَارِهِمْ فَرَأَسُهُمْ^(١١)، وَتَجَمَّعَ فِي ظِلِّ ظَلَامِهِ خَشَائِسُهُمْ^(١٢)؛ فَيَقَاتِلُونَ تَحْتَ ذَلِكَ الصُّلْبِ

-
- (١) أجلت: كشفت.
- (٢) أي: أن سيوفهم المنحنية كالأهلة ما زالت تضرب بهم حتى غدت مثلثة كالعراجين، والعراجين: جمع العرجون، وهو أصل العلق الذي يعوج ويبقى على النخل يابساً.
- (٣) أي: وكم أبطال من حملة الرماح ما زالوا يتطاعنون بها، حتى غدت رماحهم متهلة متكسرة. وأنجم رماح: أي الأبطال. ولعله يريد بنجم رماح: اللمعان الناتج عن رؤوس الرماح، بعد تصادمها واشتداد القتال فيها. ويفهم من هذا: أن السيوف تثلمت والرماح تكسرت، وكثر القتلى، ونال كل فريق بئاره من الآخر، وذلك كناية عن شدة القتال.
- (٤) أي: وكم قوس فارسية رمى عنها صاحبها السهم إلى هدفه، فأصابه. والفارسية: القوس.
- (٥) أي: إذا فتحت القوس فمها، فإذا بالسهم ينهش القرن. والقرن: الكفو والنظير في الشجاعة والعلم وغيرهما، يريد العدو والخصم.
- (٦) كأنه يشير إلى الآية: ﴿وَشَاهِدْ وَمَشْهُودٌ﴾ فالملائكة هي الشاهد، واليوم هو المشهود.
- (٧) أي: أسر الملك ويده كل ما يدينه، وما يؤكد نصرانيته، وما يعلقه في رقبة من الأشياء النفيسة وعلى رأسها: صليب الصلْبُوت، وهو صليب الصليبان، أي ما تنصدر الصليبان.
- (٨) وقائد: خير مبتدأ محذوف تقديره: هو قائد أهل الجبروت.
- (٩) أي: وما هُوجموا مرة إلا وقام هذا الملك بين عامتهم يمد يديه لبياركمهم ويحرضهم.
- (١٠) يقول: أما هذه المرة فقد كان مدّ اليدين آخر مرة.
- (١١) يقول: لا شك أنهم تهاوتوا على الوقوع في نار الحرب كما يتهاوت الفراش على النار.
- (١٢) أي: تجمّع حول صليبيهم خشايشهم. والخشايش: الرديء من كل شيء.

أَصْلَبَ قِتَالٍ وَأَصْدَقَهُ، وَيَرَوْنَهُ مِيثَاقًا يَتَنُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ عَقْدٍ وَأَوْثَقَهُ، وَيُعْلَنُونَهُ سُورًا تَحْفِرُ حَوَافِرُ الْخَيْلِ خَنْدَقَهُ^(١).

وفي هذا اليوم أُسِرَتْ سَرَائِهِمْ، وَذَهَبَتْ دُهُائِهِمْ؛ وَلَمْ يُفْلِتْ مَعْرُوفٌ إِلَّا الْقَوْمُص^(٢) وَكَانَ لَعْنَةُ اللَّهِ مِلْيًا يَوْمَ الظُّفْرِ بِالْقِتَالِ^(٣)، وَيَوْمَ الْخِذْلَانِ بِالْإِحْتِيَالِ؛ فَتَنَجَا، وَلَكِنْ كَيْفَ؟ وَطَارَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلْحَقَهُ مَنَسَرُّ الرُّمَحِ وَجَنَاحُ السَّيْفِ، ثُمَّ أَخَذَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَيَّامٍ بِيَدِهِ^(٤)، وَأَهْلَكَهُ لِمَوْعِدِهِ^(٥)؛ فَكَانَ لِعِدَّتِهِمْ فَذَلِكَ^(٦)؛ وَأَنْتَقَلَ مِنْ مَلِكِ الْمَوْتِ إِلَى مَالِكِ^(٧).

- صبح الأعشى ٤٩٦/٦ - ٥٠٠.

٨ - التوقيعات^(٨)

نماذج من نثر التوقيعات في العصر العباسي الأول:

(١) أي: يمدون الصليب موحد جمعهم، ورائد تكتلهم، وتحت ظلّه تحفر خيولهم خنادقها. وهنا يطابق بين السور والخندق، ويجانس بين تحفر وحوافر.

(٢) القومص: قائد من قواد الصليبيين.

(٣) ملياً: كثيراً. أي: كان القومص موجوداً في المعركة يوم الظفر.

(٤) يقول: وقد احتال بالصلاة حتى نجا، ثم هرب خوفاً من أن يلحقه منسر الرمح وحد السيف، ويعد أيام قتل بقدرة الله.

(٥) وأهلكه لموعده: أي جاء أجله.

(٦) أي: كان القومص آخر من قتل منهم. وفذلك: جمع فذلكه، آخر ما يحسب في الحساب ونتيجته.

(٧) أي: فانتقل من ملك الموت إلى مالك خازن النار ويش المصير.

(٨) التوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه. وقيل: توقيع الكاتب المكتوب أن يُجِبَلَ بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، (والتوقيع: الدبر وبعير موقع الظهر: به آثار الدبر، وقيل: هو إذا كان به الدبر. والموقع: الذي يظهره آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه وركب فهو ذلول مجرب) فكان الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويوجهه. والتوقيع: ما يوقع في الكتاب. والتوقيع في الأدب العربي: هو رأي الحاكم يكتبه على ما يقدم إليه من شؤون الدولة. وكانت التوقيعات تتكون من جمل موجزة بليغة يكتبها الخلفاء على ما يقدم إليه من ظلمات الرعية وشكاواها، أو ما يقدم إليه من طلب نوال ونحو ذلك. وكما قلنا فإن التوقيعات تمتاز في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة. وقد تكون آية، أو مثلاً، أو بيت شعر، أو عبارة موجزة جزلة الألفاظ، وربما تكون هذه العبارة مسجوعة. انظر: لسان العرب (مادة وقع). ومعجم =

== المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٧١. والفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ١٩٤ وما بعدها. وتاريخ الأدب العربي، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

ولم يكن نثر التوقيعات وليد العصر العباسي - كما يتبادر إلى الذهن - وإنما استحدث هذا الفن في عصر الخلفاء الراشدين، بدليل أننا نجد بعض هذه التوقيعات في هذا العصر، كتوقيع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص: «كن لرعيك كما تحب أن يكون لك أميرك». وقد وقع عثمان بن عفان رضي الله عنه في قصة رجل شكا عيَّلة (أي: الفقس): «قد أمرنا لك بما يُقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف». وهذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوقع إلى طلحة بن عبيد الله: «في بيته يؤتى الحكم». (انظر مزيداً من الأمثلة في: العقد الفريد ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

وقد أخذ هذا الفن بالنمو في العصر الأموي، ولا نكاد نجد خليفة - في هذا العصر - إلا وله توقيعات، من ذلك: وقع معاوية بن أبي سفيان في كتاب ربيعة بن عسل المربوعي حين سأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثني عشر ألف جلع: «أدارك في البصرة، أم البصرة في دارك؟». ووقع يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد: «أنت أحد أعضاء ابن عمك، فاحرص أن تكون كلها». ووقع عبد الملك بن مروان في كتاب أنه من الحجاج يشكو إليه نفرأ من بني هاشم ويغريه بهم: «جنّبي دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب». ووقع الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز: «قد رآب الله بك الداء، وأودم بك السقاء» (رأب: أصلح. وأودم: شدّ. والسقاء: وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما. والجمع أسقية وأسقيات وأساق). ووقع سليمان بن عبد الملك في كتاب بعث به إليه قتيبة بن مسلم، يتهدده بالخلع:

زعم الفرزدق أن سبقتل مرنعاً أبشر بطول سلامة يا مرنع
(مربع: هو رواية جرير، وكان مربع ضرب والد الفرزدق، وقبل إنه مات إثر ذلك، وإن الفرزدق أقسم ليقتله، فطَّيه جرير، وقال له: أبشر، فإنك لن تموت إلا حتف أنفك، أي: تموت من غير قتل ولا ضرب بل على فراشك. فلا قيل للفرزدق بقتلك، وكان سيفه ينبوي يديه) انظر: (شرح ديوان جرير، ص ٤٢٤). ووقع عمر بن عبد العزيز في كتاب أنه من علي والكوفة، يخبره بسوء طاعة أهلها: «لا تطلب طاعة من خذل علياً، وكان إماماً مرضياً». ووقع يزيد بن عبد الملك في قصة من ظلم: «سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (الآية ٢٢٧ سورة الشعراء). ووقع هشام بن عبد الملك في كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده: «مرهم بالاستغفار». ووقع يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى صاحب خراسان: «نجم أمر أنت عنه نائم، وما أراك منه أو مني بسالم». ووقع مروان بن محمد إلى ابن هبيرة أمير خراسان: «الأمر مضطرب، وأنت نائم، وأنا ساهر». (انظر مزيداً من الأمثلة في: العقد الفريد ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

وما أن نصل إلى العصر العباسي، حتى نجد أن اهتمام الخلفاء والولاة والكتاب قد زاد بهذا الفن، محاكاة لملوك الفرس ووزرائهم، وأصبح هذا الفن أكثر شهرة من ذي قبل، وأخذت معالمه تتبلور ==

(١) كَتَبَ إِلَى السَّفَاحِ^(١) جَمَاعَةَ مِنَ الْأَنْبَارِ، يَذْكُرُونَ أَنَّ مَنَازِلَهُمْ أُخِذَتْ مِنْهُمْ، وَأُذْخِلَتْ فِي الْبِنَاءِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَلَمْ يُعْطَوْا أَثْمَانَهَا، فَوَقَّعَ:

«هَذَا بِنَاءٌ أُسِّسَ عَلَى غَيْرِ تَقْوَى»

ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ قِيَمِ مَنَازِلِهِمْ إِلَيْهِمْ^(٢).

(٢) جَاءَ كِتَابٌ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ^(٣) يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْحَجِّ وَفِي زِيَارَتِهِ، فَوَقَّعَ إِلَيْهِ:

«لَا أَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ زِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَخَلِيفَتِهِ، وَإِذْنُكَ لَكَ»^(٤).

(٣) وَقَّعَ السَّفَاحُ فِي كِتَابِ جَمَاعَةٍ يَشْكُونَ إِلَيْهِ احْتِبَاسَ أَرْزَاقِهِمْ:

«مَنْ صَبَرَ فِي الشَّدَّةِ، شُورِكَ فِي النِّعْمَةِ».

ثُمَّ أَمَرَ بِأَرْزَاقِهِمْ^(٥).

(٤) وَقَّعَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ^(٦) فِي كِتَابِ عَبْدِ الْحَمِيدِ صَاحِبِ خُرَاسَانَ:

= وَرَاحَ الْكِتَابُ يَتَأَنَّقُونَ فِي تَوْقِيعَاتِهِمْ، وَإِظْهَارِ مَقْدَرَتِهِمْ الْأَدَبِيَّةِ. يَذْكُرُ لَنَا الْجَهْشِيَارِيُّ صَاحِبَ كِتَابِ الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ، (ص ٢٠٤) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبُرْمَكِيِّ صَاحِبِ الدَّوَاوِينِ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ، فَيَقُولُ: «وَكَانَ إِذَا وَقَّعَ نُسَخَتِ تَوْقِيعَاتُهُ، وَتُدْرَسَتْ بِلَاغَاتِهِ».

وَتَدُلُّ هَذِهِ التَّوْقِيعَاتُ عَلَى سُرْعَةِ وَقُوَّةِ الْبَدِيعَةِ، وَعُمُقِ التَّفَكِيرِ، وَسَعَةِ الْإِطْلَاعِ، وَطُولِ التَّجَرُّبَةِ، وَدَقَّةِ اسْتِخْدَامِ اللَّغَةِ. وَمِنْ دَوَاعِي ازْدِهَارِ هَذَا الْفَنِّ: (١) انْتِشَارُ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ. (٢) اتِّسَاعُ الرِّقْعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. (٣) حَاجَةُ الْوَلَاةِ إِلَى الرَّدُودِ السَّرِيعَةِ عَلَى مَكَاتِبَاتِهِمْ أَوْ رِسَالَتِهِمْ. (٤) كَثْرَةُ الْأَعْيَاءِ الْمُلَقَّاةِ عَلَى كَاهِلِ الْحُكَّامِ، لِتَنَوُّعِ إِدَارَاتِ وَشُؤُنِ الدَّوْلَةِ. (٥) مَوَاقِفُ بَعْضِ الْحُكَّامِ أَوْ الْوَلَاةِ مِنَ الرِّعْيَةِ، مِمَّا يَدْفَعُ بِهِمْ إِلَى الْكِتَابَةِ مَبَاشَرَةً إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ، لِعَرْضِ حَاجَاتِهِمْ وَمَطَالِبِهِمْ. (٦) ظُهُورُ الْعَدِيدِ مِنَ الْكِتَابِ فِي بِلَاطِ الْخُلَفَاءِ وَالْحُكَّامِ، وَمَقْدَرَتِهِمْ عَلَى التَّائِقِ فِي حَيَاتِهِمْ الْأَدَبِيَّةِ.

(١) السَّفَاحُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْعَبَّاسِ، أَوْ الْخُلَفَاءُ الْعَبَّاسِيُّينَ (١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م) اتَّخَذَ الْأَنْبَارَ عَاصِمَةً لَهُ، فَجَدَّدَهَا وَأَقَامَ فِيهَا الْقُصُورَ، فَدَعَيْتُ بِالْهَاشِمِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى هَاشِمٍ جَدِّ الْأَسْرَةِ، أَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ.

(٢) الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٢٩٣/٤.

(٣) أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ (ت ١٣٧ هـ / ٧٥٥ م) مِنَ الْقَوَادِ الَّذِينَ سَاعَدُوا عَلَى قِيَامِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَانْتِهَارِ الدَّوْلَةِ الْأَوِيَّةِ، قَتَلَهُ الْمَنْصُورُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الثَّانِي.

(٤) الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٢٩٣/٤.

(٥) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ. وَانْظُرْ بَعْضَ التَّوْقِيعَاتِ لِلْسَّفَاحِ ٢٩٣/٤ - ٢٩٤.

(٦) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَبُو جَعْفَرٍ، الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الثَّانِي (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) بَنَى بَغْدَادَ وَدَعَاها دَارَ السَّلَامِ، نَظَّمَ الشُّؤُنَ الْإِدَارِيَّةَ وَالْمَالِيَّةَ وَالْبَرِيدَ، أَخْضَعَ ثَوَرَاتِ الْعُلُوِّيِّينَ: ثَوْرَةَ مُحَمَّدٍ =

«شكوت فاشكيتاك»^(١)، وَعَتَبْتَ فَأَعْتَبْنَاك»^(٢)، ثم خرجت عن العامة، فتأهّب
لفراق السلامة»^(٣).

(٥) وقع أبو جعفر المنصور في كتاب أهل الكوفة، وقد شكوا عاملهم:
«كما تكونوا يؤمر عليكم»^(٤).

(٦) وقع أبو جعفر المنصور في كتاب رجلٍ شكَا عَيْلَةً:
«سَلِ اللّهُ مِنْ رِزْقِهِ»^(٥).

(٧) رفع رجل من العامة إلى أبي جعفر المنصور رُقعةً في بناء مسجد في
مَحَلَّتِهِ، فوقع:

«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَكْثُرَ الْمَسَاجِدُ، فَرِذْ فِي حُطَاكَ يُرِذْ فِي أَجْرِكَ»^(٦).

(٨) وقع المنصور إلى صاحب مصر حين كتب له، يذكر نقصان النيل:
«طَهَّرْ عَسْكَرَكَ مِنَ الْفَسَادِ، يُعْطِكَ النَّيْلُ الْقِيَادَ»^(٧).

(٩) وقع المنصور في كتاب أتاه من صاحب الهند، يخبره أن الجند شَغِبُوا
عليه، وكسروا أقفال بيت المال، فأخذوا أرزاقهم منه:
«لَوْ عَدَلْتُمْ لَمْ يَشْغَبُوا، وَلَوْ وَقِفْتُمْ لَمْ يَنْهَبُوا»^(٨).

= الملقب بالنفس الزكية في المدينة، وثورة إبراهيم أخي محمد في الكوفة، كما قضى على ثورة المقتنع

في فارس والبربر في شمالي أفريقيا. قيل: إنه توفي محرماً بالحج.

(١) أشكاه: أزال شكايته. (وأشكاه أيضاً: زاده أذى وشكاية، من الأضداد).

(٢) أعتبه: أرضاه. والعامة: الناس.

(٣) العقد الفريد ٢٩٤/٤. وفتأهب الخ: أي للعزل.

(٤) العقد الفريد ٢٩٤/٤. ولعله أخذ هذا من قول الرسول ﷺ، فيما يروى عنه أنه قال: «وكما تكونون يوكل

عليكم أو يؤمر عليكم». انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٣٢٦.

(٥) العقد الفريد ٢٩٤/٤. والعيلة: الفقر.

(٦) المصدر السابق نفسه. والأشراط: جمع الشَّرْط، وهو العلامة. والساعة: القيامة.

(٧) المصدر السابق ٢٩٥/٤.

(٨) المصدر السابق نفسه.

(١٠) رفع رجل إليه يشكو عامله أنه أخذ حداً من ضيعته، فأضافه إلى ماله، فوقّع إلى عامله في رقعة المتظلم: «إِنْ آثَرْتَ الْعَدْلَ ضَحَبْتُكَ السَّلَامَةَ، فَأَنْصِفْ هَذَا الْمُتَظَلِّمَ مِنْ هَذِهِ الظُّلَامَةِ»^(١).

(١١) وقّع المهدي^(٢) في كتاب رجل شكّا إليه حاجته: «أَتَاكَ الْغَوْتُ»^(٣).

(١٢) وقّع المهدي في كتاب رفع إليه، يذكر قصة رجلٍ حُبِسَ في دم: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»^(٤).

(١٣) وقّع هارون الرشيد^(٥) إلى صاحب خراسان، وقد تذرر أهل خراسان منه: «دَاوِ جُرْحَكَ لَا يَتَسَعَ»^(٦).

(١٤) وقّع هارون الرشيد في قصة البرامكة (في نكبة جعفر بن يحيى): «أَبَيْتَهُ الطَّاعَةَ، وَحَصَدَتَهُ الْمَعْصِيَةُ»^(٧).

(١٥) وقّع هارون الرشيد في رقعة متظلم من عامله على الأهواز - وكان بالمتظلم عارفاً: «قَدْ وَلَيْتَاكَ مَوْضِعُهُ، فَتَنَكَّبْ سِيرَتَهُ»^(٨).

(١) السابق نفسه.

(٢) المهدي: هو محمد بن عبد الله المنصور، ثالث الخلفاء العباسيين (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م)، ازدهرت التجارة في عهده، وتعب الخوارج في خراسان، ولاحق الزنادقة، وحارب البيزنطيين، فترغلت جيوشه حتى أنقرة والبوسفور.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق ٢٩٦/٤. (الآية رقم ١٧٩ من سورة البقرة).

(٥) هارون الرشيد بن المهدي والخيزران (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م) الخليفة العباسي الخامس، جاء إلى العرش بعد اغتيال أخيه الهادي. حارب البيزنطيين. ازدهرت في عهده التجارة والأدب والعلوم ولعب البرامكة دوراً هاماً في خلافته قبل أن يوقع بهم.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) المصدر السابق ٢٩٧/٤. وتنكب سيرته: أي أعدل عنها.

(١٦) وَقَعَ المأمون^(١) إلى علي بن هشام في أمر تظلم :
«من علامة الشریف أن يَظْلَمَ مَنْ فوقه، ويظلمه من دونه ؛ فأَيُّ الرجلين أنت»^(٢).

(١٧) وَقَعَ المأمون إلى الرستمي ، وقد تظلم منه رجل كان دائئاً له :
«ليس من المروءة أن تكون آئيتُكَ من ذهب وفضة ، وغريمُك خاوٍ وجارُك طارٍ»^(٣).

(١٨) وَقَعَ أبو مسلم الخراساني إلى محمد بن صول حين كتب إليه بسلامة أطرافه :

«وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^(٤).

(١٩) وَقَعَ أبو مسلم الخراساني إلى عامله ببلخ :

«لا تؤخر عمل اليوم لغد»^(٥).

(٢٠) وَقَعَ جعفر بن يحيى^(٦) في قصة محبوس :

«الجناية حبسته ، والتوبة تطلقه»^(٧).

(٢١) وَقَعَ جعفر بن يحيى في قصة مستمنع كان قد وصله مراراً :

«دع الضرعَ يدُرْ لغيرك كما درُّ لك»^(٨).

(١) هو عبد الله بن هارون الرشيد (١٧٠ - ٢١٨ هـ / ٧٨٦ - ٨٣٣ م) الخليفة العباسي السابع ، أمه جارية فارسية ، احتل بغداد ، وقتل الأمين . قضى على الخوارج في خراسان ، حارب الامبراطور البيزنطي تيوفيل ، وأجبره على قبول الصلح سنة ٨٢٠ م ، وأنشأ بيت الحكمة ، وعني بالثقافة والأدب والعلوم .

(٢) العقد الفريد ٢٩٨/٤ .

(٣) المصدر السابق نفسه . والغريم : الدائن . والطاوي : الجائع .

(٤) العقد الفريد ٣٠١/٤ . (الآية ١١ من سورة الضحى) . وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض التوقيعات لأمراء بني أمية أمثال : زياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي .. انظر : العقد الفريد ٢٩٩/٤ - ٣٠١ .

(٥) نقد الفريد ٣٠١/٤ .

(٦) هو جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، أبو الفضل ، وزير الرشيد العباسي ، ولد ونشأ في بغداد ، واستوزره هارون الرشيد ، فكان يحكم بما يشاء فلا تُردُّ أحكامه إلى أن تقم الرشيد على البرامكة نقمته ، فقتله سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م . وقد عرف بفصاحته وبلاغته وبيانه ، وله توقيعات مشهورة ، انظرها في :

العقد الفريد ٣٠٢/٤ - ٣٠٣ .

(٧) المصدر السابق ٣٠٢/٤ .

(٨) المصدر السابق نفسه .

(٢٢) وَقَعَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ^(١) إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ:
«تَرَفَّقْ تَوْفَّقْ»^(٢).

(٢٣) وَقَعَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ فِي قِصَّةٍ مُتَظَلِّمٌ:
«كَفَى بِاللَّهِ لِلْمَظْلُومِ نَاصِراً»^(٣).

(٢٤) وَقَعَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ فِي كِتَابِ رَجُلٍ شَكَا إِلَيْهِ الدِّينُ:
«الدِّينُ سُوءٌ يَهْيِضُ الْأَعْنَاقَ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِقَضَائِهِ»^(٤).

(٢٥) وَقَعَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ^(٥) فِي قِصَّةِ قَوْمٍ تَظَلَّمُوا مِنْ وَالِيهِمْ:
«الْحَقُّ أَوْلَى بِنَا، وَالْعَدْلُ بُغْيَتُنَا، وَإِنْ صَحَّ مَا ادَّعَيْتُمْ عَلَيْهِ صَرْفَنَاهُ وَعَاقِبْنَاهُ»^(٦).

(٢٦) وَوَقَعَ أَيْضاً فِي قِصَّةِ أَمْرَأَةٍ حُبَسَ زَوْجُهَا:
«الْحَقُّ يَحْبِسُهُ وَالْإِنْصَافُ يَطْلُقُهُ»^(٧).

(١) الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ كَانَ وَزِيرَ الْمَأْمُونِ، وَكَانَ مُوَالِياً لِلْبِرَامِكَةِ. وَيُقَالُ: إِنَّ الْمَأْمُونِ أَمَرَ بِقَتْلِهِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م.

(٢) الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣٠٣/٤.

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ.

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ. وَهَاضَ الْعَظَمُ: كَسَرَهُ بَعْدَ الْجَبُورِ.

(٥) هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ، وَأَخُو الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، وَوَزِيرُ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ، وَوَالِدُ زَوْجَتِهِ بَرَّانَ، كَانَ مَجُوسِياً فَاسْلَمَ. لَقِبَ بِذِي الرِّيَاسَتَيْنِ (السَّيْفِ وَالْقَلَمِ). تَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م.

(٦) الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣٠٤/٤.

(٧) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ. انْظُرْ مُزِيداً مِنْ غَمَازِجِ التَّوْقِيعَاتِ فِي: الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٢٨٧/٤ - ٣٠٧. وَجُمُورَةُ رِسَائِلِ الْعَرَبِ ٣٦٧/٤ - ٤٠١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الرومي، حياته من شعره، عباس محمود العقاد، ط ٣، مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٦٩/١٩٥٠.
- ابن الرومي، حياته وشعره، ابراهيم عبد القادر المازني، المكتبة الحديثة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ابن الرومي، حياته وشعره، رفون جست، ترجمة د. حسين نصار، دار الثقافة، بيروت. د. ت.
- ابن الرومي، شاعر الغربة النفسية، د. فوزي عطوي، ط ٢، دار الفكر الحديثة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، ايليا الحاوي، ط ٢، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٦٨.
- ابن سناء الملك، حياته وشعره، محمد ابراهيم نصر، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٧.
- أبو تمام وقضية التجديد في الشعر، د. عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥.
- أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، دمشق ١٣٨٤/١٩٦٥.
- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د. صلاح الدين الهادي، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٧/١٩٨٦.
- الأخطل، شاعر بني أمية، د. السيد مصطفى غازي، دار المعارف، القاهرة. د. ت.

- الأدب الجاهلي، د. طه حسين، ط ١٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.
- الأدب الكبير والأدب الصغير، ابن المقفع، دار الجيل، بيروت. د. ت.
- الأدب المقارن، د. طه ندا، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥.
- الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، ط ٧. دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٨.
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلام الشتتمري، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- الأصمعيات، الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ٥، بيروت. د. ت.
- إعجاز القرآن. الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٩٨٦.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق لجنة من الأدباء، ط ٦، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، (مصور عن طبعة دار الكتب)، دار احياء التراث العربي، بيروت. د. ت.
- أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٠.
- البداية والنهاية، الحافظ بن كثير، ط ٦، مكتبة المعارف، بيروت ١٤٠٥/١٩٨٥.
- بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي، د. عمر فروخ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٥/١٩٨٥.
- تاج العروس، للزبيدي.
- تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، ط ٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

- تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي د. شوقي ضيف، ط ٧، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.
- تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤.
- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤.
- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩.
- تاريخ الخلفاء، السيوطي، ط ٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٦٩/١٣٨٩.
- تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، تحقيق الأب انطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- جمهرة أشعار العرب، القرشي، دار بيروت، بيروت ١٤٠٤/١٩٨٤.
- جمهرة أشعار العرب، القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨١.
- جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ٢، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨.
- جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت. د. ت.
- جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩١/١٩٧١.
- حسان بن ثابت، حياته وشعره، د. احسان النص، ط ٣، دار الفكر، دمشق ١٤٠٥/١٩٨٥.
- خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٦/١٩٨٦.
- خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع، دراسة تحليلية، د. هاشم مناع، دار الفكر بيروت ١٩٨٩.
- دراسات في الأدب العربي، كاظم حطيظ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ط ١، بيروت ١٩٧٧.

- ديوان ابن الرومي ، تحقيق د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٤ .
- ديوان ابن سناء الملك، تحقيق محمد ابراهيم نصرود. حسين نصار، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٨/١٩٦٩ .
- ديوان أبي فراس الحمداني ، رواية ابن خالويه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٦ .
- ديوان الأبيوردي، تحقيق د. عمر الأسعد، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧ .
- ديوان أشعار الأمير أبي العباس، تحقيق د. محمد بدیع شريف، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ .
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ .
- ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨ .
- ديوان بهاء الدين زهير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦ .
- ديوان جميل بثينة، تحقيق د. عبد المجيد زراقت، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٩ .
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣ .
- ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، ط ١، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٧/١٩٨٧ .
- ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت ١٣٨٧/١٩٦٧ .
- ديوان الخنساء، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان دعل بن علي الخزاعي ، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، ط ٢، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٧٢ .
- ديوان الشريف الرضي ، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت. د. ت.

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان عترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣/١٤٠٣.
- ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤.
- ديوان الفرزدق، تحقيق علي فاعور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧/١٤٠٧.
- ديوان لبید بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة القاهرة، القاهرة. د. ت.
- الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، شهاب الدين الشافعي، دار الجيل، بيروت. د. ت.
- سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣/١٤٠٣.
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت. د. ت.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢/١٤٠٢.
- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شليبي، ط ٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٥/١٣٧٥.
- الشافي في العروض والقوافي، د. هاشم مناع، ط ٢، دار الفكر العربي ودار الوسام، بيروت ١٩٨٩.
- شرح ابن عقيل، تأليف محيي الدين عبد الحميد، ط ١٦، دار الفكر، بيروت ١٩٧٤/١٣٩٤.
- شرح ديوان أبي تمام، التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.

- شرح ديوان أبي تمام، ايليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شليبي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- شرح ديوان جرير، ايليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٨٢.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، عبد الرحمن البرقوقي، ط ٣، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٣.
- شرح ديوان الحماسة، التبريزي، تحقيق محمد عبد القادر سعيد الرافعي، دار القلم، بيروت. د. ت.
- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٧.
- شرح ديوان ذي الرمة، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت. د. ت.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبي العباس ثعلب، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٢/١٩٨٢.
- شرح ديوان سقط الزند، أبي العلاء المعري، تحقيق د. ن. رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري) تحقيق د. سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥.
- شرح ديوان كعب بن زهير، السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٦٩/١٩٥٠.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ابن الأنباري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.

- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠.
- شرح القصائد المشهورات، ابن النحاس، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥/١٩٨٥.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٦٣.
- شرح المعلقات السبع، الزوزني، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥/١٩٨٥.
- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٥.
- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق د. داود سلوم ود. نوري حمودي القيسي، ط ٢، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.
- شعر الأخطل، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩.
- الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٢.
- صبح الأعشى، القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.
- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١.
- طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، اعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٨.

- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٨٠.
- العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤/١٩٨٣.
- العمدة، ابن رشيقي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٣٥٣/١٩٣٤.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت. د. ت.
- الفرزدق، شاعر الغمام، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧.
- الفكر والفن في شعر أبي العلاء المعري، د. صالح حسن، دار المعارف، القاهرة. د. ت.
- الفن ومذاهب في النثر العربي، د. شوقي ضيف، ط ٦، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١.
- فنون الأدب، د. محمد حسن عبد الله، ط ٢، دار الكتب الثقافية، الكويت ١٣٩٨/١٩٧٨.
- فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، المناوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩١/١٩٧٢.
- في النقد والأدب، ايليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٠.
- القسطاس في علم العروض، جلال الزمخشري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ١٣٩٧/١٩٧٧.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت ١٤٠٢/١٩٨٢.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.
- كتاب الاختيارين، الأخفش الأصغر، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤/١٩٨٤.
- كتاب الأمالي، أبي علي القالي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط ٢، دار الآفاق الجديدة ودار الجيل، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.

- كتاب البخلاء، الجاحظ، تحقيق أحمد العوامري بك وعلي الجارم بك، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٨٨/١٩٦٩.
- كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية، الأب لويس شيخو، مكتبة الاداب، القاهرة ١٩٨٢.
- كتاب النقائص، نقائص جرير والفرزدق، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٥.
- كعب بن مالك الأنصاري، شاعر العقيدة الإسلامية، د. سامي مكّي العاني، ط ١، دار القلم، دمشق ١٣٩٩/١٩٧٩.
- كلیلة ودمنة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٣.
- كلیلة ودمنة، طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤٣/١٩٢٥.
- كلیلة ودمنة وتاريخها، محمد حسن نائل المرصفي، ط ٣، المؤسسة المتحدة للكتاب، بيروت ١٩٨٧.
- لزوم ما يلزم، اللزوميات، أبي العلاء المعري، دار صادر، بيروت. د. ت.
- لسان العرب، ابن منظور.
- مجتمع الهمداني من خلال مقاماته، د. مازن المبارك، ط ٢، دار الفكر، دمشق ١٩٨١/٤٠١.
- مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت. د. ت.
- مروج الذهب، المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت ١٣٦٨/١٩٤٨.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٦.
- المصباح المنير، الفيومي.
- معاهد التنصيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت ١٣٦٧/١٩٤٧.

- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨/١٤٠٨.
- المعجم المفصل في اللغة والأدب، تأليف د. اميل بديع يعقوب ود. ميشال عاصي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٤٤/١٩٧٩.
- المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، ط ٧، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.
- المقاصد الحسنة، السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩.
- مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة، د. ت.
- مقدمة في النقد الأدبي، د. محمد حسن عبد الله، ط ١، دار البحوث العلمية، الكويت ١٣٩٥/١٩٧٥.
- من حديث الشعر والنثر، د. طه حسين، ط ١١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥.
- منح المدح، ابن سيد الناس، تحقيق عفت وصال حمزة، ط ١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧/١٤٠٧.
- المؤلف والمختلف، الحسن بن بشر الأمدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨١/١٩٦١.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الأمدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٦٣/١٩٤٤.
- النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة. د. ت.
- نظرية الأدب، أوستن وارن ورينيه ويليك، ترجمة محيي الدين صبحي، مطبعة خالد الطرايشي ١٣٩٢/١٩٧٢.
- نفاض جرير والأخطل، أبي تمام، تحقيق الأب انطون صالحماني اليسوعي،

- المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٢ .
- النقد الأدبي، أحمد أمين، ط ٥، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٣ .
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت.
- نقد الشر، قدامة بن جعفر، المكتبة العلمية، بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠ .
- نهاية الأرب، النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة. د. ت.
- نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، دار الهدى الوطنية، بيروت. د. ت.
- الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د. محمد محمد حسين، ط ٣، دار النهضة العربية، بيروت ١٣٨٩/١٩٧٠ .
- الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١ .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت ١٣٨٦/١٩٦٦ .
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت. د. ت.
- يتيمة الدهر، الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٣٩٣/١٩٧٣ .

الفهرس

٥	الاهداء
٧	مقدمة الكتاب
٩	تمهيد
٩	- تعريف الأدب
١٠	- تعريف لفظة الأدب
١٨	- تعريف الشعر
٢١	- تعريف النثر
٢٣	- الفرق بين الشعر والنثر
٢٦	- أي الفنين أسبق : الشعر أم النثر ؟
٣٦	- الأدب والدراسة الأدبية
٣٧	- العصور الأدبية

العصر الجاهلي

٤٥	أولاً : الشعر
٤٥	١ - من معلقة امرئ القيس
٥١	٢ - من معلقة طَرْقَة بن العبد
٥٩	٣ - من معلقة زهير بن أبي سُلمى

- ٤ - من معلقة عمرو بن كلثوم ٦٤
- ٥ - من معلقة عنتره بن شداد العبسي ٦٦
- ٦ - من معلقة النابغة الذبياني ٧٤
- ٧ - قصيدة دريد بن الصُّمَّة في رثاء أخيه عبد الله ٧٩
- ٨ - قصيدة لبيد بن ربيعة في رثاء أخيه أريد ٨١
- ثانياً: النشر ٨٥
- أ - الخطب: ٨٥
- ١ - خطبة قُس بن ساعدة في سوق عكاظ ٨٥
- ٢ - خطبة هانيء بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار ٨٧
- ٣ - خطبة أكتثم بن صيفي في تعزية عمرو بن هند ٨٧
- ٤ - خمسة نفر من طيء يمتحنون علم الكاهن سواد بن قارب ٨٨
- ب - الوصايا ٩٢
- ١ - وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد ٩٢
- ٢ - وصية عمرو بن كلثوم لبنه ٩٣
- ٣ - وصية أكتثم بن صيفي التميمي إلى طيء ٩٤
- ٤ - وصية أمانة بنت الحارث إلى ابنتها أم إياس ٩٥
- ج - الحكم والأمثال: ٩٨

العصر الإسلامي

- أولاً: الشعر ١٠٣
- ١ - قصيدة بَشَّامة بن حزن النهشلي في الفخر والحماة ١٠٣
- ٢ - قصيدة فُتَيْلة بنت النضر في رثاء أبيها ١٠٥
- ٣ - قصيدة الخنساء في مدح أخيها صخر ١٠٧
- ٤ - من قصيدة لكعب بن زهير في مدح النبي ﷺ ١٠٨
- ٥ - قصيدة متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك ١١١
- ٦ - قصيدة الحطيئة في هجاء الزُّبرقان ١١٦
- ٧ - من قصيدة لكعب بن مالك الخزرجي يناقض بها ضرار بن الحطاب ١١٨

- ٨ - من همزية حسان بن ثابت في مدح الرسول ﷺ ١٢٠
- ٩ - قصيدة مالك بن الربيع التميمي في رثاء نفسه ١٢٢
- ثانياً: الشعر ١٢٧
- ١ - خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع ١٢٧
- ٢ - خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة ١٣١
- ٣ - خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في السنة الحادية عشرة للهجرة ١٣١
- ٤ - وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأسامة بن زيد وجيشه ١٢٢
- ٥ - خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي الخلافة ١٣٣
- ٦ - خطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعدما بويع بالخلافة ١٣٤
- ٧ - خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجهاد ١٣٤
- ٨ - وصية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لابنه الحسن رضي الله عنه ١٣٦
- العصر الأموي:

- أولاً: الشعر ١٣٩
- ١ - قصيدة لقيس بن الملوحة (مجنون ليلى) ١٣٩
- ٢ - قصيدة قطري بن الفجاءة في الحماسة والشجاعة ١٤٤
- ٣ - قصيدة لجميل بن معمر (جميل بثينة) ١٤٥
- ٤ - من قصيدة لعبيد الله بن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير ١٤٩
- ٥ - من قصيدة للأخطل في مدح عبد الملك بن مروان وهجاء جرير ١٥٢
- ٦ - من قصيدة لكثير عزة في الغزل ١٥٩
- ٧ - قصيدة لكثير في عزة ١٦١
- ٨ - قصيدة الفرزدق في هجاء جرير ١٦٤
- ٩ - قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين رضي الله عنه ١٧٢
- ١٠ - من قصيدة للفرزدق في وصف ذئب ١٧٤
- ١١ - من قصيدة لجرير يناقض فيها الفرزدق ١٧٦
- ١٢ - من قصيدة لجرير في هجاء الراعي النميري ١٨٠

- ١٣ - من قصيدة لجريز في رثاء زوجته خالدة بنت سعد ١٨٤
- ١٤ - قصيدة جريز في مدح عبد الملك بن مروان ١٨٧
- ١٥ - من قصيدة للذي الرُمة في الغزل ١٨٩
- ١٦ - من قصيدة للكُميت بن زيد الأسدي في مدح بني هاشم ١٩١
- ثانياً: الشعر ١٩٥
- ١ - خطبة زياد بن أبيه حين قدم البصرة ١٩٥
- ٢ - خطبة معاوية بن أبي سفيان في عام الجماعة ١٩٨
- ٣ - خطبة لقطري بن الفجاءة ١٩٩
- ٤ - خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي حين ولي العراق ٢٠٣
- ٥ - كتاب عبد الحميد الكاتب إلى أهله ٢٠٦

العصر العباسي

- أولاً: الشعر ٢٠٧
- ١ - من قصيدة لبشار بن برد في مدح عمر بن هبيرة ٢٠٧
- ٢ - مقطوعة لبشار بن برد في الهجاء ٢١٠
- ٣ - قصيدة لصريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري) ٢١٠
- ٤ - قصيدة لأبي العتاهية ٢١٤
- ٥ - قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم بالله ٢١٦
- ٦ - قصيدة دُعلب الخزاعي في مدح آل البيت ٢٢٧
- ٧ - قصيدة ابن الرومي في وحيد ٢٣١
- ٨ - قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط محمد ٢٣٦
- ٩ - من قصيدة للبحري في وصف الربيع ٢٣٨
- ١٠ - قصيدة البحري في وصف إيوان كسرى بالمدائن ٢٣٩
- ١١ - قصيدة لأبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله في الطرد ٢٤٥
- ١٢ - قصيدة أبي الطيب المتنبّي في مدح سيف الدولة الحمداني ٢٤٧
- ١٣ - قصيدة المتنبّي في هجاء كافور الإخشيدي ٢٥٣
- ١٤ - قصيدة لأبي فراس الحمداني يخاطب فيها حمامة باكية ٢٥٨

٢٥٩	١٥ - قصيدة لأبي فراس نظمها في الأسر (من رومياته)
٢٦٢	١٦ - قصيدة للشريف الرضي في الغزل
٢٦٣	١٧ - قصيدة لأبي العلاء المعري تتضمن بعض آرائه
٢٦٥	١٨ - من قصيدة لأبي العلاء المعري في رثاء فقيه حنفي
٢٦٦	١٩ - قصيدة الأبيوردي في سقوط بيت المقدس
٢٦٩	٢٠ - من قصيدة لابن سناء الملك في تهنئة صلاح الدين بنصر حطين
٢٧١	٢١ - من قصيدة لبهاء الدين زهير في مدح ناصر الدين بن أيوب
٢٧٥	ثانياً: الشعر
٢٧٥	١ - عبد الله بن المقفع (من الأدب الصغير)
	٢ - عبد الله بن المقفع (من كلیلة ودمنة - الحمامة والثعلب
٢٣٩	ومالك الحزين)
٢٧٨	٣ - الجاحظ (من كتاب الحيوان - قصة احتيال الحيات للصيد)
٢٨٠	٤ - الجاحظ (من كتاب البخلاء - قصة أهل البصرة في المسجدين)
٢٨٩	٥ - ابن العميد أبو الفضل (من رسالة له في التهديد واللوم)
٢٩١	٦ - بديع الزمان الهمذاني (المقامة المضيرية)
	٧ - من كتاب للقاضي الفاضل كتبه عن صلاح الدين إلى الناصر
٣٠٤	لدين الله الخليفة
٣١١	٨ - التوقيعات
٣١٩	المصادر والمراجع

